تأليف: جارى آر. بانت
ترجمة: علاء الدين محمود

تصوير

أحمد ياسين

إعادة ربط شتات "دار الإسلام" رقمياً

المسلمون الافتراضيون



إصدارات سطور الجديدة



المسلمون الافتراضيون



إصدارات سطور الجديدة

رئيس مجلس الإدارة: د.فاطمة نصر

المستشار الفنى: حسين جبيل gopy_art@yahoo.com



المسلمون الافتراضيون

جاري آر. بانت

ترجمة: علاء الدين محمود

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب

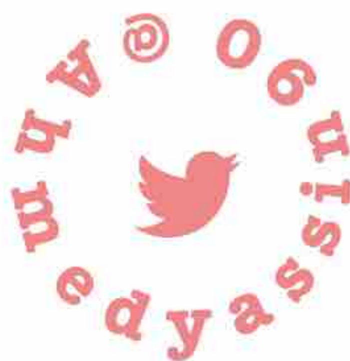
iMuslims, Rewiring the House of Islam

Gary R. Bunt المؤلف:

The University of North Carolina دار النشر:

Press- Chapel Hill,2009

طبعة سطور الأولى ٢٠١١


@Ahmedyassin90

ـ المسلمون الافتراضيون ؟
– تأليف: جارى آر. بانت.
ـ غلاف:حسين جبيل gopy_art@yahoo.com
ـ المراجعة اللغوية: عمر حسن الشناوى omar_shenawy@yahoo.com
ـ إخراج فنى: جابر محمد عبداللطيف jaberlatef@yahoo.com
الطبعة العربية الأولى ٢٠١١
رقم الإيداع: ٢٠١١/٧٥٧٥
الترقيم الدولى: 977-5868-84-X



٨ و٢٣ تقسيم الشيشينى بجوار الكوبرى الدائرى
كورنيش المعادى ت: ٢٥٢٤٠٠٢٠/٢٥٢٦٣٥٩٩
e.mail address: sutour@link.net
الموقع الإلكترونى
http://sutour-aljadida.blogspot.com
www.sutouralgadida.info

بياناتالفهرسة

بانت، جارى آر.

المسلمون الافتراضيون/ جاري آر. بانت

ترجمة علاء الدين محمود - القاهرة

ط ١- (القاهرة : مكتب سطور للنشر ٢٠١١)

مكتب سطور، ٢٠١١

٤٤٧ ص، سم ١٧× ٢٤-

تدمك: x ٨٤ ٥٨٦٨ ٩٧٧

١- الإنترنت

٢- الاتصالات الإلكترونية

٣- الإسلام والإنترنت

أ- محمود، علاء الدين (مترجم)

ب- العنوان: ٨ و٢٣ تقسيم الشيشينى بجوار الكوبرى الدائرى

كورنيش المعادى ت: ٢٥٢٤٠٠٢٠/٢٥٢٦٣٥٩٩

e.mail address: sutour@link.net



مقدمة المترجم

هذا هو الكتاب الثالث لمؤلفه جارى آر. بَنْت، أستاذ مساعد الدراسات الإسلامية بقسم اللاهوت والدراسات الدينية والإسلامية بجامعة ويلز بالمملكة المتحدة. يواصل بَنْت بحثه الدءوب حول أثر الإنترنت على الإسلام والمسلمين فى عالم اليوم، والتحولات التى طرأت على تصور المسلمين وغير المسلمين للإسلام داخل ما أسماها "البيئات الإسلامية السيبرية – مثل مواقع شبكات التواصل الاجتماعى والمدونات وغيرها – وخارجها فى العالم الحقيقى.

اختار المؤلف عنوانًا مبدعًا لكتابه؛ حيث نَحَتَ كلمة جديدة فى اللغة الإنجليزية وهى iMuslims مستعيراً حرف i الزئبقى الذى صار شائع الاستخدام فى كلمات مثل iTunes وiPhone إلخ للدلالة على الإنترنت أو التفاعلية. وللتعبير عن هذا المعنى، رأيت أن الترجمة الأصوب للعنوان: هى "المسلمون الافتراضيون"، على أساس أن تعبير المسلم الافتراضى أشمل من تعبير مسلم الإنترنت وهو ما يشير إليه الكتاب فى مواضع كثيرة، إذ إن هذه الدراسة تركز أيضًا على مستخدمى الهواتف المحمولة مثل البلاكبيرى وألعاب الكمبيوتر ومشاهدى كليبات الفيديو، وهذا بالطبع يتجاوز مستخدمى المحتوى المتاح على الويب.

يقدم المؤلف محاولة لتعريف "المسلم الافتراضى" فى خاتمة الكتاب، ورغم ما تميز به هذا التعريف من أصالة، فقد جاء معبِّرا عن صورة نمطية إلى حد كبير عن

علاقة المسلمين بالإنترنت وهو السؤال الذى حاول بَنْت الإجابة عنه فى معرض الكتاب كله. ربما كان التعريف الأكثر صدقًا فى هذه الحالة هو "الإسلاميون الافتراضيون" الذين وصفهم المؤلف بأنهم يدخلون على الإنترنت بغرض البحث عن فتوى دينية، أو تصفح المدونات ذات الطابع "الإسلامى"، أو تحميل مواد إسلامية على هواتفهم المحمولة، بل من يشاركون بشكل إيجابى فى ترجمة المواد التى قد تكون ذات طابع نضالى أو جهادى إسلامى وتوزيعها! إلا أن المؤلف لا يغفل أن هناك فرقًا قد يكون كبيرًا بين المسلمين والإسلاميين فيما يتعلق بعلاقتهم المعقدة بالإنترنت.

العنوان الفرعى للكتاب لا يقل إبداعًا عن عنوانه الرئيسى. يستعير المؤلف صورة مجازية وهى توصيل أسلاك الكهرباء أو الإنترنت وغيرها من التوصيلات "السلكية"

بالمنازل، مستخدماً صورة مركبة يلعب فيها بكلمة "بيت" بالإنجليزية التى تشير فى العنوان أيضاً إلى "دار" الإسلام. توضح هذه الصورة الفكرة الدقيقة والأصيلة التى أراد بَنْت التعبير عنها مجازياً من خلال العلاقة التناظرية بين "شبكة" الويب أو الإنترنت أو كليهما و"الشبكات" الإسلامية والمسلمة التقليدية (سواء ما قبل الإنترنت أو خارجه فى العالم الحقيقى). من هذا المنطلق، يبدأ المؤلف بمعطى أن علاقة الإنترنت بالمسلمين تتمثل أساساً فى "توصيل" أطراف أعضاء الشبكات المسلمة والإسلامية التقليدية ببعضهم؛ تلك الشبكات التى تتسم بالشتات والتفكك لأسباب خارج نطاق اهتمام الكتاب. هناك أمثلة كثيرة وردت عن تلك العلاقة، مثل التشابه بين بنية المصدر المفتوح فى المعرفة الإسلامية وعملية جمع الأحاديث التاريخية وتطور الفقه الإسلامى فى بدايات الإسلام. يحاول هذا الطرح، الذى لا يقل أصالة عن سابقيه، الإيحاء بأن علاقة التناظر البنيوى بين التصورات والممارسات الإسلامية التقليدية من الناحية التاريخية وشبكة الإنترنت كوسيط ينجح بشكل مطرد فى جمع شتات العالم الإسلامى رقمياً، وهو طرح ـــ رغم ما لا يَعْدَمُه من وجاهة وجِدَّة ـــ فإنه يسهل وقوعه فى فخ ما، قد يكون تعميمات مقولبة وصوراً جاهزة يبدأ بها مقدمات لم تتعرض للتمحيص والدرس ليصل إلى نتائج تلوى الحقائق ولا تصل إليها طواعية. علاقة المسلمين والإسلاميين كليهما بالإنترنت لا تختلف كثيراً عن علاقة باقى شعوب المعمورة بها؛ فهو مُنْتَج "غربى" بالأساس، لكنه اليوم بلا هوية أو عرقية محددة، بل ولا ينبغى أن يكون. لم يَقْبَل أو يُقْبِل المسلمون على الاستفادة من وسيط الإنترنت وغيره من وسائط التكنولوجيا إلا لأسباب عملية بل وبرجماتية أحياناً، أكثر من كون الإنترنت كـ"شبكة" متوافقاً مع بنية الشبكات الإسلامية التقليدية فى صدر الإسلام!

القضية الأولى التى أفرد لها المؤلف الفصل الأول من الكتاب هى "تحديد موقع الإسلام فى الفضاء السيبرى"، حيث عقد موازنة بين المواقع "الإسلامية" أو

المخصصة للمسلمين والوجود الإسلامي في مواقع عالمية. مثلاً، توجد مواقع ذات طابع إسلامي مثل Islam Youtube أو روابط "إسلامية" في مواقع مثل Amazon.com. تعكس هذه الموازنة الأشكال المختلفة للهوية الإسلامية على الإنترنت، بالإضافة إلى إبراز التقابل بين الخلفيات الدينية التقليدية وغير التقليدية في الفضاء السيبري، إلى جانب آراء غير المسلمين. وتفتح هذه الموازنة الأفق حول الأشكال المختلفة والمعقدة للعلاقة بين المتصفحين (أو جمهور مستخدمي الويب والإنترنت) ومقدمي المحتوى. الشكل الأوضح للعلاقة - بحسب الكتاب - يتمثل في علاقة تبادلية بين متلقين سلبيين للمادة الدينية التي كانت وما زالت تُقدَّم للجمهور في سياقات أكثر تقليدية وبين متلقين إيجابيين يساهمون بالتعليق على ما يتلقونه من محتوى على الويب ونقده، بل ولديهم القدرة في بعض الأحيان على المشاركة في صنعه بالكتابة أو الترجمة أو التحرير في إسلام ذي توجه "ويكي"، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى تثوير العلاقة المعقدة أساساً بين مرجعيات دينية/ومؤلفي محتوى سلطويين وأتباع/متلقين سلبيين لا يملكون سوى هامش ضئيل للغاية من حرية الاختلاف أو النقد لأولئك المؤلفين أو المرجعيات.

المسألة الأخرى التي تناولها الفصل هي محاولة استكشاف أشكال العلاقة بين مفاهيم السلطة والممارسات الإسلامية في الفضاء السيبري وفي العالم الحقيقي، ومدى تطابقها أو تقاطعها وتأثير كل منها في الآخر. بمعنى أدق، ما مدى انعكاس قوة مرجعية دينية ما في العالم الحقيقي وما يستتبع ذلك من ممارسات على الويب/الإنترنت، وهل تؤثر تلك التمثيلات الافتراضية - بدورها - مرة أخرى في مفاهيم العالم الحقيقي وممارساته؟ مثَّل المؤلف لهذه القضية بمثال ضرورة التواجد "على الإنترنت دائمًا" وحاول الربط بينها وبين ضرورة ممارسة المسلم الملتزم للإسلام طوال اليوم. رأيت أن المؤلف وقع في مغالطة تتمثل في ضرورة الربط بين استمرار التواجد على الإنترنت والخروج بنتيجة تفتئت على الحقيقة وهي أن المسلم

يدخل على الإنترنت باعتباره "فريضة" دينية! صحيح أن بعض الإسلاميين الذين تحركهم الأيديولوجيا يدخلون على الإنترنت من خلال نشاطهم الافتراضى، لكن من الصعب سحب هذه الحالة على كل المسلمين الذين يدخلون على الإنترنت لأسباب متعددة، قد يكون الدين أحد أسبابها.

طَرَحَ نفس الفصل مسألة العام والخاص فى الفضاء السيبرى الإسلامى وحدود التقاطعات بينهما فى الفضاء السيبرى مقابل العالم الحقيقى. تناول المؤلف قضيتين هما قضية النوع (الجندر) ورأى أن التشديد فى العالم الحقيقى على ضرورة الفصل بين الجنسين على أساس دينى له ما يناظره فى العالم الافتراضى أيضاً. القضية الأخرى هى العلاقة الملتبسة بين المسلمين وغير المسلمين فى المجال العام سواء فى العالم الحقيقى أو الافتراضى. فى هذه المسألة تحديداً، يرى المؤلف أن قضايا العام والخاص فى العالم الحقيقى يتردد صداها فى العالم الافتراضى، رغم الإمكانات الهائلة التى يوفرها وسيط الإنترنت بما يمثل فى أحيان كثيرة تحدياً صعباً للتقاليد الراسخة فى العالم الحقيقى.

مما يحسب للمؤلف عودته للربط بين الظاهرة الإسلامية على الإنترنت وبين ما بات يُعْرَف باسم "الاستعمار الإلكترونى". لكى نعمل على تقييم نقدى سليم للوجود الإسلامى على الإنترنت، فمن الخطأ محاولة عزله عن نظرية الاتصالات العالمية وكيفية عمل الإنترنت والقنوات الفضائية كأدوات اتصالاتية ذات قوانين عامة حاكمة تنسحب بالضرورة على القطاعات الأصغر مثل "القطاع" الإسلامى، إن جاز لنا استخدام هذا التعبير.

ربما يجوز لنا أن نحاول إعادة طرح تساؤل المؤلف حول مدى "إسلامية" تكنولوجيا الإنترنت من خلال السياق الأكبر لمجموع قنوات ووسائط الاتصالات الحديثة من ويب وإنترنت وقنوات فضائية وهواتف محمولة الخ. ربما أدت السهولة النسبية للمشاركة بالمحتوى "الإسلامى" - بالمعنى الأوسع للمفهوم - إلى وجود

الكثير من التصورات المفاهيمية شديدة التنوع حينًا والتعارض أحيانًا على الإنترنت؛ وهما ما أفضى إلى بروز هويات إسلامية متفردة تتجاوز الحدود التقليدية للمعرفة الإسلامية، بل وتحطم الصورة شديدة الرسوخ لإسلام "شرعى" واحد، حيث يتجاور إسلام حركة طالبان مع إسلام المثليين جنسيًا، مثلاً، ورغم ادعاء الأول في أغلب الأحيان أنه الإسلام الشرعى الوحيد، فإن وسيط الإنترنت ينفى هذا الزعم من خلال وجود كثير من أشكال "الإسلام" المختلفة والمتنوعة. من هذا، برز مفهوم "الأمة الافتراضية" لأوليفييه روى الذى يرى المؤلف أنه – لا يزال – صدى لتصورات قائمة فى العالم الحقيقى عن "أمة إسلامية" موجودة فى المخيلة الإسلامية وربما تحققت – للمفارقة – فى العالم الافتراضى بشكل ربما يكون مُرْضِيًا للكثيرين. كما يفسح وسيط الويب والإنترنت المجال أمام ظهور أشكال جديدة من المرجعية الدينية، أو الأحرى تقديم تحدٍ حقيقى لأشكال المرجعية الدينية التقليدية، حيث علا صوت الأفراد ممن يُطْلَقُ عليهم فى بعض الأوساط "الدعاة الجدد" داخل البيئات الإسلامية السيبرية.

يطرح المؤلف أيضًا بُعْدًا آخر وهو علاقة السلطة "السياسية" بالمتصفح للمحتوى الإسلامى على الإنترنت. مما يُذْكَر فى هذا الصدد الملاحقة التى تحاول تتبع مؤلفى المواقع الإسلامية الجهادية أو ذات المحتوى الذى يمكن أن تعتبره بعض الحكومات "ضارًا" أو خطرًا على أمنها القومى، وبالتالى تتعامل بدرجات متفاوتة من الحزم مع المتصفحين وقطعًا مع مؤلفى المحتوى، إن تمكنت من تعقبهم وإلقاء القبض عليهم بتهمة الإضرار بالأمن العام ونشر مواد تهدد أمن الأفراد فى المجال العام.

يعرض الفصل الثانى من الكتاب لعامل آخر وهو "الفجوة الرقمية" وعلاقتها بالبيئات الإسلامية السيبرية، ويستطرد فى سرد العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمادية والثقافية وراء "التركيبة الديموغرافية" لمستخدمى الإنترنت المسلمين/الإسلاميين فى العالم الإسلامى، إن جاز التعبير. النتيجة التى توصل

إليها المؤلف هى أنه من الخطأ المجوج إطلاق التعميمات بشأن تمثيل المسلمين الافتراضيين لـ"كل" المسلمين. هناك عوامل كثيرة اقتصادية واجتماعية وثقافية تحول دون حصول جميع المسلمين على إمكانية الدخول على الإنترنت وبأن يصبحوا مسلمين افتراضيين. ثمة عامل آخر وهو التعليم حيث لم تظهر إمكانية الكتابة فى البدايات إلا باللغة الإنجليزية أو بالحروف اللاتينية، فيما تطور استخدام الحروف العربية أو ما تسمى بـ"اللغات الإسلامية" وظهور البرمجيات العربية مفتوحة المصدر الذى أدى بدوره إلى تعزيز محتوى الإنترنت باللغة العربية فى السياقات الإسلامية.

يطرح هذا الفصل مسألة "الرقابة" على المحتوى على الإنترنت فى السياقات الإسلامية. جاء الطرح مؤيداً فى المطلق لحرية الكلام ومستنكراً لمواقف بعض حكومات البلدان الإسلامية، مثل المملكة العربية السعودية وإيران وسوريا، التى تفرض قيوداً على تصفح بعض المواقع. الجلىّ هنا فى هذه النقطة – وفى غيرها من المواضع الأخرى – تحيز المؤلف الواضح؛ ففى الوقت الذى يؤيد فيه موقف بعض الحكومات الرقابى من المواقع الإسلامية الجهادية، والذى يصل إلى حد الملاحقة القانونية والعقاب بالسجن للمشاركين فى هذه المواقع، نجد أنه يستنكر إلى حد ما موقف نفس الحكومات من المواقع التى تحتوى على محتوى معادٍ للإسلام!

فى الفصل الثالث، يقارب بَنْت مفاهيم المقدس وممارساته داخل السياقات الإسلامية – سواء فى الفضاء السيبرى أو فى العالم الحقيقى – من منظور ظاهراتى وفقًا لمنهج الباحثة والمستشرقة الألمانية آن مارى شيمل. للأسف يبدأ الفصل بمغالطة تفتقر إلى الدقة تبرز، من جديد، صورة نمطية يرسمها للمسلمين التقليديين الذين يتعلمون لغات الكتابة على الإنترنت مثل HTML وغيرها فى المؤسسات والمعاهد الدينية الرسمية فى الأزهر وقُمْ. كما يتناول ممارسة أركان

الإسلام الخمسة بداية بالنطق بالشهادتين مروراً بالصلاة والحج إلى الصيام والزكاة، حيث يعقد موازنة شائقة ومفيدة بين ممارسة تلك الفرائض الأساسية فى الإسلام فى العالم الحقيقى والممارسات الموازية فى الفضاء الافتراضى. العالمان الحقيقى والافتراضى - فيما يتصل بأركان الإسلام الخمسة الشهيرة - ليسا عالميْن متطابقيْن تمام التطابق؛ فالمسلم الافتراضى يدخل على الإنترنت إما لجمع المعلومات أو التزود بالاستشارة حول الأحكام الصحيحة للممارسة، أو لأداء الفريضة نفسها لتعذر القيام بها فى العالم الحقيقى مثل التبرع بالزكاة عن طريق مواقع معينة لتعذر التبرع بها عينيًا أو لسهولة الخيار الأول. يمثل الفضاء السيبرى أيضًا قناة لغير المسلمين للتعرف أكثر على الإسلام، بل والدخول فيه عن طريق نطق الشهادتين "أونلاين" أو أداء فريضة "الحج الافتراضى" التى تتوفر فى بعض الألعاب على الحواسب الشخصية مثل "سكَنْد لايف" Second Life وغيرها.

تناول الفصل أيضًا تمثل الأعياد والمناسبات الدينية وطقوس المرور على الإنترنت فى السياقات الإسلامية. الإضافة التى أسهم بها محتوى الإنترنت فيما يتعلق بالأعياد ما يمثله الفضاء السيبرى من أداة للربط بين أعضاء جماعة دينية معينة تعد أقلية فى السياق الإسلامى (الشيعة الإسماعيلية مثلاً) أو بالأقلية المسلمة بوجه عام فى السياقات الغربية، كما تمثل المادة التى تحتوى على الاحتفالات والأعياد (مثل الاحتفالات بعاشوراء الحسين بالنسبة للمسلمين الشيعة) جانبًا تعريفيًا وخاصًا بهوية هذه الطائفة من المسلمين. يرتبط بمفهوم "الهوية" التى تتمثل فى الفضاء السيبرى المحتوى الذى يبرز مكانة المدن المقدسة فى الإسلام مثل القدس ومكة والمدينة. بالنسبة لطقوس المرور، يلجأ الزوجان فى حالة استقبال مولود جديد إلى قواعد بيانات الكترونية لاختيار أسماء المولود (وهو أمر لا دخل لديانة الزوجين فيه كما قد يظهر من حجة المؤلف)، رصد المؤلف أيضا العلاقات بين الجنسين بداية من التواعد والزواج أو الجنس والطلاق عبر الإنترنت. السؤال

الذى لابد من طرحه هنا لابد من القول إن المسلمين الافتراضيين ليسوا استثناء فيما يتصل بالعلاقات بين الجنسين على الإنترنت وتعقيداتها، فليست هناك وصفة "إسلامية" للتواعد والحب على الإنترنت، وإن كان بعض الدعاة قد انبروا للتحذير من مغبة الوقوع فى مخاطر العلاقات بين الجنسين على الإنترنت، فهذا لا يعنى مطلقًا أن هذه النصائح والتعليمات تلقى الترحيب أو القبول الكامل من جميع المسلمين المستخدمين للإنترنت. أما بالنسبة للموت، فإنه يتمثل فى الفضاء السيبرى إما كدالٍ على الهوية الطائفية لأقلية مسلمة ما (خاصة فى السياقات الغربية) حيث تحرص بعض الدوائر الإسلامية على وضع سجل بالوفيات للجالية المسلمة التى تمثلها مثل الشيعة البهرة الداوودية خارج العالم الإسلامى.

يستعرض الفصل سريعًا تمثل مكانة الأشخاص المقدسين فى الإسلام بداية بشخص الرسول (ص) وصحابته وآل بيته وأوائل العلماء المسلمين فى البيئات الإسلامية السيبرية، ثم ينتقل بسرعة إلى مناقشة مطولة حول المرجعية الدينية الإسلامية وتنوعها فى الفضاء السيبرى. هنا نلاحظ علو صوت بعض الأصوات الدينية السلطوية مثل الشيخ يوسف القرضاوى بين المسلمين السنة وآية الله العظمى على السيستانى بين المسلمين الشيعة، هذا إلى جانب صعود متسارع وقوى التأثير باطراد لمن أطلق عليهم المؤلف الدعاة "الشعبويين" الذين يمثلهم الداعية المصرى عمرو خالد. من ناحية أخرى، لا تخلو المناقشة من تحيز حاول المؤلف تحييده بأسلوب يزعم العلمية والموضوعية، حينما استشهد بآراء رافضة لموقف الشيخ القرضاوى الرافض تمامًا للحرب الأمريكية ضد العراق فى ٢٠٠٣. يقودنا الجدل حول المرجعيات الدينية ومكانها ومكانتها على الإنترنت إلى الجدل المحتدم والدائر حول الفتاوى على الإنترنت. يبدو أن الطبيعة التعاونية والسهولة النسبية للكتابة والنشر على الإنترنت جعلت من السهولة بمكان على الكثيرين نشر فتاواهم فى هذا الوسيط، دون الاضطرار للمرور بالكثير من المراحل التى يمر بها

القائمون على الإفتاء عادةً فى العالم الحقيقى، وهو ما أدى بطبيعة الحال إلى تصدى المُفتين الرسميين للإفتاء الافتراضى، سواء فى العالم الحقيقى أو عن طريق مواقع مضادة على الإنترنت.

تبدو النظرة النمطية والمقولبة أحياناً جلية فى القسم الذى أُطلق عليه "الواجبات الدينية الأخرى"، حيث تناول "مواقع الذبائح" التى تعرضُ لمعلومات عن الأضحية فى الأعياد، ومواقع الأكل الحلال مقابل الحرام مثل الخمور ولحم الخنزير. فى هذا القسم، يظهر المسلم الافتراضى بصورته النمطية التى قولبتها الميديا الغربية، فهو الشخص الذى يحرص بشدة على تناول الطعام "الحلال" وشراء منتجات "إسلامية"، سواء من مواقع إسلامية محددة أو من مواقع عالمية، وإذا اضطر لإيداع أمواله فى المصارف، فإنه لن يتعامل إلا من خلال المصارف الإسلامية التى تضمن أن تتماشى تعاملاتها مع مبادئ الشريعة الإسلامية. ويستكمل المؤلف الصورة التى رسمها للمسلم الافتراضى بتفاصيل الصورة القائمة أصلاً فى تناول الميديا الغربية للمسلمين "الغاضبين" من عالم معادٍ للإسلام، وتتجلى هذه الصورة فى أوضح أشكالها فى أزمة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول (ص) وقبلها أزمة نشر رواية "آيات شيطانية" لسلمان رشدى، وورود الفعل التى تكاد تتطابق سواء فى العالم الحقيقى أو الفضاء الافتراضى.

الفصل الرابع هو بداية القسم الثانى من الكتاب، ويعرض لنماذج "عملية" لاستخدام المسلمين الافتراضيين للوسيط الإلكترونى لإعادة ربط أمة الإسلام رقمياً. ثمة تساؤل مهم حول مدى "إسلامية" المدونات التى يكتبها مسلمون ويحررونها. رغم اعتراف المؤلف باستحالة التعميم، فإنه حاول رسم صورة لملامح المدون المسلم/الإسلامى فى عالم المدونات الإسلامية. كما عرض لوجهة النظر الغربية، والأمريكية تحديداً، حول التدوين كأداة لتعزيز الديمقراطية فى السياقات الإسلامية. تناول الفصل بالتفصيل نماذج لمدونات من جميع أنحاء العالم

الإسلامى، ومن المؤسف أن المناقشة لم تَخْلُ من مغالطات ممجوجة حول بعض المدونات. على سبيل المثال، عمد بَنْت إلى اختيار مجموعة من المدونات العراقية التى تؤيد جميعها الاحتلال الأمريكى للعراق، بل كان من بينها مدونة لجندى عربى أمريكى فى جيش الاحتلال ويعرض لوجهة نظره، بينما تجاهل تمامًا وجود أية مدونات للمقاومة العراقية أو على الأقل لأفراد مناهضين للغزو الأمريكى للعراق، وهى نسبة ليست بالهينة بين أفراد الشعب العراقى المستخدم للإنترنت. بنفس المنطق عرض المؤلف للتدوين الفلسطينى- الإسرائيلى المشترك دون الإشارة إلى أن هذا الصوت، إن كان موجوداً، فإنه لا يمثل نسبة كبيرة بين المدونين الفلسطينيين، وفى الوقت نفسه، تجاهل وجود أية مدونات مناهضة للاحتلال الإسرائيلى أو المدونات الخاصة بأعضاء فى حركة حماس وغيرها من فصائل المقاومة مثلاً. يتواصل التحيز الواضح فى بقعة أخرى من بقاع العالم الإسلامى ذات خلفية نزاع مسلح، أى فى أفغانستان، حيث عرض أيضًا للمدونات الأفغانية التى استعرض منها عدداً مؤيداً للولايات المتحدة، رغم مخالفة هذا الطرح للواقع على الأرض وحتمية تواجد مدونات "إسلامية" أخرى معارضة تمامًا للوجود الأمريكى فى بلادهم. اختتم المؤلف الفصل باستعراض سريع لمدونات الأقليات، وهى من وجهة نظره، الأقليات المسلمة فى الغرب ومدونات المرأة والصوت المضاد للاحتلال الإسرائيلى!

من الملاحظات ذات الأهمية فى هذا السياق أن العينة التى اختارها المؤلف وبنى عليها نتائجه كانت غالبيتها باللغة الإنجليزية، متجاهلاً ربما الكم الأكبر من المدونات المكتوبة بلغات المشاركين القومية أو ما يطلق عليها "اللغات الإسلامية". لا ينبغى لهذا أن يؤدى بنا إلى القول بأن المدونات باللغة الإنجليزية تتخذ موقفًا بعينه والمدونات باللغات الأخرى تتخذ موقفًا مغايراً، لكن عدم إدراج تلك المدونات بما يتناسب مع نسبتها الفعلية فى البلوجوسفير الإسلامى لابد وأن يؤدى إلى نتائج منقوصة ومغلوطة حول اتجاهات التدوين فى العالم الإسلامى.

يخصص الفصل الخامس لمناقشة مستفيضة للمواد الجهادية على الإنترنت، والتى تصب فى نهاية المطاف فى تعريف ما أُطْلِقَ عليه "المسلم الافتراضى". من النقاط المضيئة فى كتاب "مسلمون افتراضيون" الانتقال بالدراسة من أدراج المكاتب الأمنية أو على الأقل الدراسات الأكاديمية ذات التوجه الأمنى لمحاولة تسليط ضوء أكثر موضوعية على دراسة الشبكات الجهادية على الإنترنت. تناول بَنْت علاقة التشابه بين الجهاد الإلكترونى والتسويق الڤيروسى، الذى يعتمد على توصيل "الرسالة" بأقل التكاليف وبسرعة فائقة وسط أكبر مجموعة من "المستهدفين". جاء التركيز - بطبيعة الحال - على جهاد تنظيم القاعدة على الإنترنت، وتأثير المرجعيات الدينية التقليدية أو من أُطلِق عليهم "المفكرون الجهاديون" بداية بابن تيمية مروراً بسيد قطب وعبد الله عزام. يرجعنا هذا الطرح إلى انتقال تأثير هؤلاء المفكرين أو المرجعيات من العالم الحقيقى إلى الفضاء السيبرى وبطبيعة الحال التأثير (أو أحيانًا "التجنيد" أو "التعبئة") للجهاديين المحتملين على أرض المعارك الحقيقية (كما فى أرض المعركة الإلكترونية أيضاً).

من خلال الانشغال الذى يهيمن على المؤلف بشأن تحديد "ملامح" هؤلاء الجهاديين الإلكترونيين (وهم من أهم أنواع المسلمين الافتراضيين بحسب المؤلف)، خَلُصَ إلى أن تنميط أبطال الإنترنت الجهاديين أمر غير ممكن، فهم فى الأغلب ينتمون إلى الطبقات الجامعية المتعلمة، واقتصادياً إلى الطبقات الوسطى، وينحصرون فى الفئة العمرية من ٢٠ إلى ٤٠ عامًا. وهذا وإن كان يبدو أنه تحديد لملامح هؤلاء الجهاديين، لكنه لا يفيد كثيراً من الناحية الأكاديمية. ربما كان من بين إسهام المؤلف الإشارة إلى بعض "أبطال جهاد الإنترنت" المعروفين ومحاولة استكشاف أية ملامح مشتركة كما هو الحال بالنسبة لجهاديين إلكترونيين مثل شخصية "إرهابى٠٠٧" و"زبيدة ١٤١٧" و"لويس عطية الله" و"عبد العزيز المقرن"، ومقارنتها بواجهات جهاديين أو إرهابيين فى العالم الحقيقى مثل أبى حمزة وعمر

بكرى محمد. هناك إشارات متكررة أيضًا حول استخدام الإنترنت كوسيلة "لاستمرار" الرسالة الجهادية خاصة بعض تعرض الكثير من مؤلفى المواقع الجهادية للقتل أو السجن على أيد القوات الإمريكية فى حربها على الإرهاب. أننا نرى أن ثمة مغالطة أيضًا فى هذا الطرح لأن الجهات المضادة للجهاديين - سواء فى الولايات المتحدة أو البلدان الإسلامية المشاركة فى الحرب على الإرهاب - تفرض قيودًا صارمة على المواقع الجهادية التى ينشئها الجهاديون العسكريون، وبل تعمل على طمسها؛ فهى ليست حربًا من جهة واحدة، فالجهاديون من ناحيتهم يعملون على تعطيل المواقع المعادية لهم، وتقوم الجهات الحكومية فى بعض البلدان الإسلامية أو فى الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى بحجب أو طمس المواقع الجهادية التى ترى فى وجودها وانتشارها ما يهدد الأمن القومى لتلك البلدان. النقطة الأخرى التى تحسب للمؤلف هى الموازنة بين تراتبية العلاقة بين كبار المنظرين الجهاديين فى العالم الحقيقى ونظيرتها فى العالم الافتراضى، فشخصيات مثل أبى مصعب الزرقاوى وسيد قطب وأبى الأعلى المودودى لها حضورها الدائم فى الفضاء السيبرى بنفس القدر الذى تتمتع به فى العالم الحقيقى بين الجهاديين والإسلاميين الراديكاليين على الأرض.

من غير الممكن أيضًا تكوين نظرة نمطية جامعة حول قراء المواقع الجهادية. نجد المؤلف لا يُغفل ذكر تلك المواقع الجهادية التى أسستها أجهزة الاستخبارات المختلفة فى العالم كـ"مصيدة" للقراء أو من يحتمل تأثرهم بتلك المواد الجهادية على الإنترنت. غير أن ما يمكن إخضاعه للدراسة المفيدة هو إمكانية التجنيد عبر الإنترنت والقابلية للتأثر بالمحتوى الجهادى وأسبابه المختلفة. فى هذا السياق، عَرَضَ الفصل لاستخدام تنظيمات مسلحة مثل القاعدة وغيرها للإنترنت كسلاح لوجستى للتعريف بقضيتها، بل وتجنيد أفراد متعاطفين معها على الأقل، بالتقابل مع قضية "أعدائها" وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وتلك البلدان المشاركة فيما يسمى بالحرب العالمية على الإرهاب.

ليست التنظيمات الجهادية القتالية التنظيمات الوحيدة التى ترتبط بالإنترنت، بل هناك أيضًا منظمات إسلامية أخرى ترتبط به مثل حزب الله وحماس (والتى يرى المؤلف، رغم ما فى هذا من تحامل، أنها لا تختلف كثيرا عن تنظيم القاعدة العسكرى)!! تلك التنظيمات الجهادية العسكرية لا تُواجَه بمواقع إنترنت مضادة فى حربها الإلكترونية معها من الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبى فحسب، بل أيضاً من جهات حكومية فى بلدان إسلامية ملتزمة ببرنامج الحرب على الإرهاب، ومنها المملكة العربية السعودية، التى دخلت فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر فى حوار حكومى- جهادى على شبكة الإنترنت، ولابد أن بلداناً أخرى نَحَتْ منحى مشابهًا فى هذا الصدد.

المقارنة التى عُقِدَت بين المواقع الجهادية ومواقع البورنو، رغم أنها جديدة من نوعها تظل فى النهاية وجهًا آخر من وجوه تحيز المؤلف غير المقبول فى سياق الدراسات الأكاديمية؛ فالمقارنة توحي بلا أخلاقية الجهاديين من حيث التشابه بين مواقع البورنو والجهاد فى كونها أنشطة "سرية" و"غير أخلاقية"، لدرجة الادعاء باختزال الجهاديين العسكريين لمعلومات سرية داخل صور وفيديوهات فى مواقع إباحية معينة! علاوة على ذلك، يربط المؤلف بينها وبين دورة رأسمال غير قانونية، بل ونجد الربط نفسه بين أفراد فى منظمات جهادية وتجار المخدرات، وهو ما يذكرنا بما تناقلته وسائل الإعلام المختلفة حول تمويل تنظيم القاعدة لعملياته ضد قوات التحالف فى أفغانستان من خلال تجارة الأفيون وغيره من المخدرات.

يلفت المؤلف الانتباه إلى أن المواد الجهادية لا تقتصر على النصوص التى يكتبها ويحررها إسلاميون راديكاليون فى مواقع محددة على الإنترنت، لكن من الملاحظ أن مقاطع الفيديو هى من الوسائل الأثيرة والفاعلة التى يستخدمها الجهاديون ولاسيما منذ الحرب السوفييتية ضد الشيشانيين. تتمثل مقاطع الفيديو

التى لاقت شهرة ذائعة فى سياق الحرب على الإرهاب فى تلك المقاطع الخاصة بحالات الإعدام التى يقوم بها الجهاديون الإرهابيون ضد من يعتبرونهم "الأعداء"، سواء كانوا رهائن محايدين طلبًا لفدية مالية أو تحقيقًا لمطالب سياسية، أو عناصر أهلية متهمة بالخيانة أو العمالة للقوات الأمريكية/ التحالف فى العراق أو أفغانستان، أو أفرادًا أسروا من الجيش الأمريكى/ التحالف، سواء كانوا من الجنود المقاتلين أو المنتمين لأسلحة ووحدات خدمية أخرى غير قتالية. الهدف الرئيسى لهذه المقاطع هو إحداث "أثر" عميق لدى "العدو" من وجهة النظر الجهادية العسكرية، وكذلك "التجنيد" للجهاديين المحتملين من بين الإسلاميين الراديكاليين المتعاطفين مع القضية الجهادية للقاعدة أو غيرها من التنظيمات الجهادية القتالية. من المواد المرئية الأخرى التى يستخدمها الراديكاليون الإسلاميون بصورة متكررة بعض أغانى الراب/الريجى ذات المحتوى الإسلامى الراديكالى، كتلك التى تدعو لمحاربة الصهاينة والأمريكيين، لعل أشهرها فيديو "الكفار الأنجاس"، وإن كان من الخطأ النظر إلى تلك الفيديوهات بأسلوب تبسيطى. فعلى سبيل المثال، يرد ذكر فرقة "برقع باند" الأفغانية فى سياق الفرق الموسيقية "الإسلامية" التى تتخذ طابعًا غربيًا شكليًا، وهو "شكل" فرق الروك، لكن فى حقيقة الأمر، فإن هذه الفرقة تحديدًا فرقة نسائية أفغانية اختارت ارتداء النقاب (أو "البرقع") احتجاجًا على نظرة طالبان المتشددة ضد المرأة فى أفغانستان بحسب المادة المنشورة حول هذه الفرقة على موقع موسوعة "ويكيبيديا" الإلكترونية.

هناك أيضًا المجلات والكتيبات السيبرية التى يقوم بالعمل على تأليف محتواها وتحريره ونشره فرق من الجهاديين المتخصصين كأداة لوجستية فى الجهاد العالمى، وتمثل هذه المجلات/الكتيبات مادة مفيدة للدراسة حيث تُنشر بها تفاصيل العمليات والنشاط العسكرى والخطط الاستراتيجية لتنظيمات مثل القاعدة وغيرها.

تُعنى بعض تلك المجلات/الكتيبات أيضًا بالقضايا المسلمة العامة مثل قضية فلسطين وكشمير والعراق وأفغانستان، إلى جانب تغطية القضايا الدينية الأساسية الأخرى على الإنترنت، والتى لم تغفل حتى القضايا النسائية التى تتولاها بتقديم النصح والمشورة، هذا إلى جانب تقديم تعليمات حول حيل التخفى وعدم الكشف عن الهوية على الإنترنت أو خطوات تصنيع القنابل والمتفجرات، الخ.

يُختتم هذا الفصل بتغطية سريعة للمحاكمات التى أقيمت على خلفية نشر مواد جهادية على الإنترنت، وتوضع أيضًا فى سياق الدفاع وحشد الرأى العام ضد القضية الجهادية. كما يذكر التشريعات التى تجرِّم المحتوى الجهادى مثل القانون الأمريكى لمنع التطرف العنيف والإرهاب الداخلى لعام ٢٠٠٧، وأورد أمثلة تناولتها وسائل الإعلام حول إدانة بعض الأفراد بشأن نشر أى محتوى يمكن وصفه بأنه جهادى، ولعل أشهر هذه الحالات قضية الفتاة المسلمة سامينا المقيمة فى لندن والتى عرفت فى وسائل الإعلام باسم "شاعرة الإرهاب".

ويُخصص الفصل السادس والأخير من "مسلمون افتراضيون" لمناقشة مستفيضة إلى حد ما عن ساحات القتال الرقمية فى العراق وفلسطين. اختيار العراق وفلسطين دالٌ فى حد ذاته، وغير منقطع الصلة بنفس الخط - لكن بصورة غير مباشرة - الذى برز فى مناقشة المدونات فى العالم الإسلامى فى الأصوات الإسلامية/الجهادية الموجودة فى الفضاء السيبرى حيث اختزل المؤلف مناهضة الاحتلال الأمريكى للعراق/ أفغانستان، والاحتلال الإسرائيلى لفلسطين. يركز المؤلف فى هذا الفصل مرة أخرى على مقاطع الفيديو الجهادية التى تصوِّر إعدام الرهائن فى ظل الحرب الأمريكية داخل العراق، مختزلاً بشكل مخلٍ الرؤية للمشهد السياسى العراقى المعقد إلى "متمردين" جهاديين عراقيين أو مسلمين بوجه عام ضد قوات أمريكية (غير مسلمة)، وبذلك يفرِّغ المقاومة العراقية من مضمونها

ويضفى عليها صبغة إسلامية جهادية قتالية بما يعتبر نظرة تبسيطية لا تخلو من التحيز، بل ومخالفة فى كثير من تفاصيلها للواقع على الأرض. من جهة أخرى، تجاهل المؤلف تماماً إن كانت مقاطع الفيديو التى تصوِّر عمليات الإعدام "الوحشية" التى تنفذ ضد الرهائن بمثابة رد فعل انتقامى ضد عمليات الإعدام والقتل التى قامت بها شركة "بلاك ووتر" الأمريكية وغيرها فى حق المواطنين العراقيين والجهاديين الإسلاميين وغيرهم، أى أن تلك العمليات - التى كان يدخل فيها عنصر "التحرير" بحسب المؤلف لتحقيق "الأثر" المطلوب - لم تكن ببساطة مدفوعة بدافع دينى بقدر ما كانت ذات طبيعة ثأرية إلى حد كبير. يختتم المؤلف القسم الأول من الفصل باستعراض عدد مما أسماه الأصوات الإسلامية الجهادية الأخرى فى العراق، وأغلبها من الأصوات الشيعية ثم الكردية، مثل جيش المهدى بقيادة مقتدى الصدر (١٩٧٣-   )، والحائرى وعائلة الخوئى وعشيرة الشيرازى، هذا إلى جانب الحزب الإسلامى العراقى (وهو ممثل لأهل السنة والجماعة فى العراق) والجماعة الإسلامية الكردستانية (وهى جماعة إسلامية كردية تنتهج نهج أهل السنة والجماعة).

فى القسم الثانى من الفصل، يستعرض جارى بَنْت ساحات القتال الرقمية الفلسطينية، ويستدرك هنا بأن للقضية الفلسطينية وجهين على الإنترنت هما الوجه السياسى مقابل الوجه العسكرى. كما يعرض لمواقع منظمة إسلامية فلسطينية هى منظمة حماس وواجهاتها فى الفضاء السيبرى، وأهمها تلك المواقع "الاستشهادية" التابعة لحركة حماس. لا تُغفَل المواقع الجهادية للحركات الإسلامية الجهادية الفلسطينية الأخرى مثل كتائب شهداء الأقصى، والجهاد الإسلامى، والقاعدة فى فلسطين، هذا إلى جانب مواقع أقل "جهادية" مثل الكتلة الإسلامية ــــ فلسطين، وفلسطين جاليرى والمنتدى الفلسطينى، وموقع "صابرون"، وموقع "دنيا الوطن".

لخَّص المؤلف فى خاتمة الكتاب طروحاته التى يذهب فيها إلى أن المزج بين الإسلام والإنترنت نتج عنه تحولات فارقة بالنسبة لعنصرى المعادلة: الإسلام والإنترنت. بالطبع دخول المسلمين باختلاف مذاهبهم وأطيافهم وتوجهاتهم العقائدية والأيديولوجية على الإنترنت أدى إلى تمثيل الكثير من الإبداعات الخاصة بالمسلمين/الإسلاميين، بداية بالمواد التى تشرح العقيدة والعبادات الإسلامية للمسلمين وغير المسلمين مروراً بالمدونات المعبرة بشكل أو بأخر عن أصحابها وتوجهاتهم الشخصية بقدر تعبيرها عن الروح "الإسلامى" العام الذى جاءت تدوينات هؤلاء متفقة أو مختلفة معه فى أقل تفاصيله أو أغلبها، وانتهاءً بالمواد الجهادية القتالية التى تعبر عن الفصيل الأكثر تشدداً وراديكالية بين المسلمين. الشق الآخر من المعادلة يتمثل فى "الإسلام"، وهو ربما الأمر الأكثر أهمية، حيث لعب الإنترنت دوراً محورياً فى تغير النماذج التقليدية للأمة المسلمة، حيث تحولت أمة الإسلام عن طريق الإنترنت وغيره من التكنولوجيات فى مجال الاتصالات إلى أمة ذات روابط جديدة، وهو ما عبَّر عنه العنوان الفرعى للكتاب بصورة مجازية. ببساطة، لقد عمل الإنترنت والويب وهواتف البلاكبيرى والقنوات الفضائية ذات الخواص التفاعلية على إعادة ربط شتات الأمة الإسلامية رقمياً.

وأخيرا، فمن المهم الاعتراف بقيمة هذه الدراسة - رغم ما شابها من بعض التحيز الذى طفا على السطح هنا وهناك - فى تسليط الضوء على الظاهرة التى يُطلق عليها أحيانا «إسلام الإنترنت» أو «الإسلام الرقمى». قام المؤلف بجهد لافت لبحثها من منظور أكاديمى وميدانى يتميز بالموضوعية إلى حد كبير. لنا هنا أن نقارنها بالدراسات الغثة ذات الصبغة الأمنية التى تملأ أرففاً وتفيض بها أدراج ضباط الاستخبارات الأمريكية والغربية والعربية عن «مسلمى الإنترنت» و«المجاهدين الإلكترونيين» والواجهات الافتراضية للأفراد، والمنظمات المسلمة

والإسلامية المختلفة، ومعها التنظيمات «الجهادية» و«الإرهابية» مثل تنظيم القاعدة وغيره. وتأتى الترجمة لهذا الكتاب لتسد فراغا هائلا فى المكتبة العربية فى هذا النوع الجاد والممتع من الدراسات التى تتناول العلاقة بين الإسلام والإنترنت من جهة، وتعاطى المسلمين بكافة توجهاتهم مع هذه العلاقة من جهة أخرى.

علاء الدين محمود

٢٠١١/٤/١

مقدمة المؤلف

المسلمون الافتراضيون والبيئات الإسلامية السيبرية

للإنترنت تأثير معاصر عميق على كيفية تصور المسلمين للإسلام وكيفية تطور المجتمعات والشبكات الإسلامية وتحولها فى القرن الحادى والعشرين. وفيما تبدو هذه الواجهات الإلكترونية جديدة ومبتكرة من حيث تطبيق الميديا، فإن للكثير من مضمونها جذوراً فى المفاهيم الإسلامية الكلاسيكية. وتتصل هذه المفاهيم بالشبكات الإسلامية التقليدية مع وجود أصداء تاريخية قد ترجع إلى زمن النبى محمد (ص). يستكشف كتاب "مسلمون افتراضيون" كيف لعبت هذه التحولات والتأثيرات فى مختلف البيئات الإسلامية السيبرية، وكيف تستجيب للتحولات فى مجال التكنولوجيا والمجتمع.

يشير استخدامى لمصطلح "البيئة الإسلامية السيبرية" العام إلى وجود التنوع بين شتى المناطق فى الفضاء السيبرى وداخلها، والتى تمثل مختلف التصورات الإسلامية عن العالم داخل دار الإسلام، وتقدم كلها نقطة مرجعية للهوية الإسلامية مع تصورٍ ما للإسلام. يتبع ترميز مصدر هذه البيئات بروتوكولات هوية (IP) محددة مع نقاط مرجعية إسلامية معينة، من بينها المعتقدات الأساسية المشتركة بين غالبية المسلمين. يتم تنقية الترميز أحيانًا وتطويعه فى بعض الحالات لتصميم مظاهر أوجه الفهم الإسلامية التى تتكيف مع الشبكات والسياقات والتواريخ والقضايا المعاصرة. يشمل التنوع الإسلامى العديد من المجالات، بدءًا من عناصر فى عناوين الصحف الرئيسية إلى تلك الموجودة خارج نطاق الميديا. لا تتمثل كل جوانب الإسلام تمامًا على الإنترنت، ولا سيما تلك الجوانب النابعة من السياقات

الدينية الثقافية الإسلامية ذات المستويات المنخفضة للاتصال بشبكة الإنترنت، فضلاً عن العناصر الاستبطانية الورعة السلبية.

تطورت أشكال محددة من إسلام الإنترنت أو الإسلام الرقمى، الذى يختلف عن الإسلام غير المتصل بالإنترنت أو الإسلام التناظرى. فقد يحدث أن يكون ثمة مكان للتعليم الدينى فى سياق افتراضى فقط. وربما يحدث أن تتجمع أيضًا شبكة أو جماعة على الإنترنت فقط، ولا يكون لاسمها ما يناظره فى العالم الحقيقى. هذه ليست مجرد ظاهرة مرتبطة بما يُعرف بالفصائل العسكرية الجهادية. لكنها ظاهرة موجودة فى مجالات أخرى من المعتقد، مثل سمات بعض عناصر المذهب الشيعى حيث يجب اتباع السرية أو اللجوء إلى التظاهر (التقية) تحقيقًا للسلامة الشخصية – وتلك ممارسات ذات تاريخ موغل فى القدم.

استلزم استخدام الإنترنت، وخاصة شبكة الويب العالمية، باسم الإسلام إعادة النظر فى الشبكات الإسلامية وإعادة تشكيل منظوماتها. وبينما ينطبق هذا الأمر على عناصر من أنماط ومفاهيم الشبكات التاريخية، هناك أيضًا مسائل جديدة تحتاج إلى نقاش. برزت المعرفة المبتكرة وتنظيم الدعوة حيث شكَّلا تحديًا لأنماط السلطة التقليدية "من أعلى إلى أسفل". كما غلَّف تنظيم المعرفة الأفقى التعاونى، الذى يعتمد على شبكات مكونة من أنداد، مجالات من الفضاء السيبرى الإسلامى. يُمْنَح قسم كبير من المحتوى بالمجان أيضًا، كما يُدْعَى المستخدمون لإبداء تعليقاتهم وتصويب المعلومات، وتقديم مساهماتهم فى بعض المجالات. قد يأتى ما يُدْخِله المستخدم ردًا على سؤال أو إحالة لمرجع ما أو تعليقاً على موضوع معين.

يمكن وصف هذا بأنه إسلام "ويكى التوجه" فيما يتعلق بأشكال التفاعل وتبادل المعرفة والتطور التى تحدث. تصف ويكيبيديا الاسم "ويكى" بأنه "موقع تعاونى على شبكة الإنترنت يمكن لأى شخص يستطيع الدخول إليه القيام بتعديلات فيه بشكل مباشر". ويمكن سحب هذا العنصر التعاونى على المجالات الأخرى. وصف دون تابسكوت وأنتونى. ويليامز مثل هذا النهج فى مجال الاقتصاد بأنه "اقتصاد ويكى" Wikinomics، والذى يعتمد فى جزء منه على السوابق المرتبطة بتطور نظام التشغيل "لينكس". شارك مبتكر "لينكس"، لينوس تورفالدز، نسخته من نظام التشغيل يونكس مع مبرمجين آخرين فى ١٩٩١ بموجب ترخيص يضمن إتاحة إجراء كافة التغييرات للآخرين مجانًا. الآن بات "لينكس" منتجًا راسخًا باعتباره مصدرًا مفتوحًا بديلاً لمايكروسوفت ويندوز وغيرها من نظم تشغيل الكمبيوتر محتفظًا بجذوره كمُنْتَجٍ تعاونى. يقدم مفهوم تقاسم الأنداد (أو "الندية")، الذى يعد لينكس نموذجًا قيمًا له، نظامًا يتيح نفسه لكثير من مجالات الحياة البشرية والتفاعلات الأخرى، بما فيها الشبكات والمجتمعات الإسلامية.

وفيما أنه لا يزال هناك تسلسل هرمى فى الفضاء السيبرى الإسلامى، فقد تعرضت النماذج التقليدية فى بعض الحالات لهزة شديدة أو أُجبِرت على التكيف

مع نموذج المصدر المفتوح للفهم والتأويلات الإسلامية. برزت أطر مفاهيمية جديدة بسرعة، استناداً إلى نسق قيمي جوهري مرتبط بالقرآن، وتسارعت من خلال عمليات الفضاء السيبرى التعاونية. دائمًا ما يجمع العنصر التعاونى "البيئات الإسلامية السيبرية"، لكن يتم إعادة تعريفه من خلال تطبيق الشبكات الاجتماعية وابتكارات الإنترنت الأخرى التى تصنف على أنها تنتمى إلى ما يسمى ويب ٢.٠.

على مر التاريخ أيضا، انطوى مفهوم تطور المعرفة الإسلامية على عنصر المصدر المفتوح. تطلب تطور الدراسة التى ترتكز على جمع الأقوال والأفعال المرتبطة بالنبى محمد (ص)، والمعروفة باسم "الحديث"، من العلماء ربط مراكز إنتاج المعرفة فى منظومة فى شكل شبكة من أجل جمع ونقل نُسَخٍ الأحاديث التى حصلوا عليها. حدث هذا النشاط فى القرون التالية لوفاة محمد (ص) فى ٦٣٢ م وتطلب الكثير من رحلات السفر واسعة النطاق بين المجتمعات المسلمة فى شتى أنحاء العالم الإسلامى الوليد. خضعت هذه الأحاديث لتقييم نقدى وغربلة وتعزيز من قِبل هيئات من العلماء عبر شبكات المكان والزمان من أجل جمع المجموعات النهائية من الأحاديث. ويمثل هذا، فى نواحٍ كثيرة، نموذجاً واحداً من نماذج العلم والتعاون الإسلامى مفتوح المصدر، رغم أنه يمكن القول إن ذلك الانفتاح كان خاضعًا لجوانب قصور وقيود فُرِضَت على مر الزمن.

أما السابقة الأخرى فكانت صقل الفقه الإسلامى على مر الزمن، مما استلزم عملية مماثلة من تكوين الشبكات والارتباطات. وفى غياب وسائل الاتصالات المعاصرة، فقد استغرقت هذه العمليات قروناً. أما الآن، فيمكن للمسلمين الافتراضيين تداول المعلومات، والعمل عليها بسرعة. يعزز جزء من هذه العملية الأشكال السابقة من تبادل المعرفة فى السياقات الإسلامية، لكن هناك أيضًا عناصر تتطلب ما يمكن وصفه بعملية "ربط" دار الإسلام "بالإنترنت". وفى هذا شيء من المجاز ذو دلالات ميتافيزيقية وتقنية. بالمعنى الحرفى، لا يلزم أن تكون الواجهة البينية الفردية متصلة ماديًا بشبكة، نظرًا لوجود خيارات الشبكات

اللاسلكية والهواتف المحمولة التى تُشَغَّل عن طريق الإنترنت. ويشير "توصيل الأسلاك" أيضًا إلى معنى الربط بالإسلام، سواء بين الفرد أو الكمبيوتر. سيعرف أى شخص يتحدث عن تجربة شخصية مر بعملية إعادة توصيل الأسلاك فى منزله أو فى مكان عمله أنها قد تكون عملية مضطربة وفوضوية، بل وخطرة فى بعض الأحيان.

لتطبيق الإنترنت، فى بعض السياقات، تأثير تحولى شامل على كيفية ممارسة المسلمين للإسلام، وكيفية تمثيل أشكال الإسلام فى العالم الأوسع، وكيفية نظر المجتمعات المسلمة إلى أنفسها وأقرانها. فعلى أحد المستويات، قد يشمل هذا الأداء العملى للفرائض والشعائر الإسلامية، أو تفسير القرآن وتأويله. وعلى صعيد آخر، كشفت "البيئات الإسلامية السيبرية" أمام المسلمين تأثيرات راديكالية وجديدة خارج المجالات التقليدية للمعرفة والسلطة، مما تسبب فى تحولات فى المعايير النموذجية على المستوى الشعبى داخل المجتمعات.

سيتم التركيز على هذه النقاط فى كل فصل من فصول هذا الكتاب، مع أمثلة محددة مستقاة من سياقات متنوعة. سوف تجمع العناصر التى تتصل بهذه العملية التحويلية معًا فى الخاتمة، التى ستوضح طريقًا قد يواصل من خلاله الإسلام والمسلمون استخدام الإنترنت كوسيلة لفهم المعرفة الدينية وتفسيرها، ونقل أشكالها إلى مجموعة متنوعة من الجماهير. يأخذ الكتاب فى الاعتبار أن هذه العمليات ليست ثابتة لكنها قيد التطور، وأن استخدامها صار مضافًا طبيعيًا للأشكال التقليدية من الخطاب الإسلامى.

يؤكد كتاب "مسلمون افتراضيون" أن الاتصالات الحاسوبية يمكن أن يكون لها أثر جذرى على الإسلام والمسلمين فى عدد من السياقات الإسلامية، مع التسليم بأن هناك متغيرات مختلفة، وأن بعض السياقات لا تتأثر بتكنولوجيا المعلومات. وأيًا ما يكون الأثر فإنه سيكون قابلاً للقياس من الناحية العلمية، بينما يعنى قرب المسافة من حيث الوقت أنه قد لا يكون من الممكن تحديد أنماط أخرى حتى تمضى

فترة زمنية أكبر بين فترة الملاحظة وكتابة أى تحليل. فقد يكون الأثر خفيًا وغير واضح، وربما يكون قد تمازج مع عوامل أخرى عديدة.

يظهر هذا الكتاب فى سياق من الدراسات الدينية، الذى يعد فيها تخطيط الظواهر المعينة وتحديد المجال من عناصرها الأولية. وهذا يوفر مؤشرات لاتجاهات وتغيرات معينة مرتبطة بإعادة الربط بين شبكات الإسلام، استناداً إلى الرصد المستمر لمجموعة من المواد على شبكة الإنترنت. يأمل الكتاب، رغم أصوله المعرفية، أن يكون ذا صلة بمن يدرسون فى المجالات الأكاديمية الأخرى والذين ربما يقاربون هذا الموضوع من وجهات نظر مغايرة.

أنا أدرك، من خلال مناقشة هذا البحث وتقديمه فى عدد من السياقات الأكاديمية فى المملكة المتحدة وغيرها، أن هناك توقعات ومناهج مختلفة تجاه الإسلام والمسلمين وشبكة الإنترنت. ليس فى نيتى، فى هذه المرحلة، تقديم معايرة علمية قابلة للقياس للقدرة التحولية أو أثر الاتصالات الحاسوبية على الإسلام والمسلمين أو فى "البيئات الإسلامية السيبرية". فتحديد الإجراءات يتطلب عمليات مسح وموارد دولية واسعة النطاق.

تتطلب أية دراسة لجماعات المستخدمين دراسة دولية ضخمة لفحص العلاقة بين مخرجات الإنترنت والسلوك خارج الإنترنت ضمن السياقات الإسلامية المختلفة. ومثل هذه الدراسة تتطلب عدة سنوات من الجهد المتواصل من فرق من الأكاديميين من شتى التخصصات. يتطلب هذا العمل، كما هو الحال بالنسبة لأى عمل ميدانى، قدراً كبيراً من الوصول إلى الأفراد شخصياً – فى مجال موضوع قد لا يكون فيه المستجيبون والمشاركون بالضرورة على استعداد للكشف، أو قد لا يشعرون بالارتياح وهم يقدمون معلومات شخصية حساسة عن عادات تصفح الإنترنت واختيارات أسلوب الحياة الإسلامية. قد تكون هناك تضاربات بين "الأجوبة المتوقعة" والبيانات المعروضة. والمأمول أن يساعد كتاب "مسلمون افتراضيون" فى توجيه البحث فى هذا المجال فى المستقبل، ويكون بمثابة دليل

انعكاسى داخل العمليات المرتبطة بصياغة مناهج البحث ومقاربات الدراسات البينية فى هذا المجال.

يُبين كتاب "مسلمون افتراضيون" كيف اتخذت رقمنة دار الإسلام و"الربط بين شبكات" العديد من المناهج الموضوعية والمنهجية. تمثل هذه العملية واحدة من التغيرات التاريخية الأكثر أهمية فى الاتجاه نحو كيفية معالجة المعلومات عن الإسلام والمسلمين وربطها ونشرها. ومع زيادة الاتصال بشبكة الإنترنت بشكل مطرد ــــ من خلال مجموعة متنوعة من واجهات سياقات اجتماعية ثقافية ــــ اشتد الطلب على خطاب أكاديمى حول هذه التطورات.

من النقاط شديدة الأهمية هى ما إن كانت شبكة الإنترنت قد أضحت الأداة المثالية للتواصل بين شتى المجتمعات الإسلامية والأفراد. يقر هذا الكتاب بأن الكثير من المسلمين لا يزالون غير متأثرين بالإنترنت، على الأقل بشكل مباشر، مع الاعتراف بأنها قد غدت بالنسبة للآخرين إضافة حيوية للتعبير عن الذات والتدين. وينظر كتاب "مسلمون افتراضيون" أثناء مناقشة كيفية تجسيد الأفكار الإسلامية عن المقدس والهويات الدينية نفسها بطرق معقدة فى الفضاء السيبرى، فيما إن كانت تعكس بشكل أو بآخر متوالية أشكال الفهم الإسلامية الموجودة فى العالم غير الرقمى. ويتحقق هذا الكتاب من العناصر فى المجتمعات المسلمة التى ربما طرأ عليها تحولات من خلال هذا التفاعل السيبرى. كما يسلط الضوء على كيفية بروز بعض وجهات النظر عن طريق الويب أو تغيرها أو تعزيزها أو كليهما من خلال القيم التى تنتقل عن طريق الإنترنت.

يفسر كتاب "مسلمون افتراضيون" كيفية وقوع هذه التغييرات بأشكال مختلفة، من بينها تلك التى حدثت عن طريق مواقع الشبكات الاجتماعية والمدونات. أناقش فى هذا الكتاب كيفية تناول هذه المصادر وتفسيرها، وتتضمن مقارنة بين مختلف الأطر السياسية والدينية ومحتوياتها. اخترت التدوين لأنه منح حق الوصول إلى النشر مباشرة على الإنترنت والشبكات الاجتماعية لعدد كبير من القراء والكتاب.

وعادةً ما تكون الأدوات مفتوحة المصدر ومجانية بالنسبة للمستخدمين الذين لديهم حق الوصول، وترتبط بمجموعة من خيارات الشبكات الاجتماعية الأخرى. التدوين مجال طوَّر نفسه بسرعة من حيث التخصص فى الموضوع وحقق فرصًا للتعبير عن رؤية للعالم تتجاوز، فى كثير من الحالات، الأشكال التقليدية للتنظيم والرقابة. تحدى التدوين وسائل الإعلام التقليدية، ومع فتح أدوات اللغة للخطاب باللغة الفارسية والعربية وغيرها من اللغات "الإسلامية" الأخرى، أصبحت المدونات وسيطًا رئيسيًا لإبداء الرأى ضمن "البيئات الإسلامية السيبرية".

وقع الاختيار على الفضاء السيبرى الجهادى، بأشكاله متعددة الجوانب (ومن بينها المدونات)، لمناقشتها فى كتاب "مسلمون افتراضيون" لأنه يمثل تحولاً من نوع مختلف. أثَّرت شبكة الإنترنت بشكل كبير فى الحملات ذات التوجه الجهادى عن طريق بعض الشبكات كالقاعدة وأحدثت تغيرًا كبيرًا فى كيفية تولد أشكال النضال والراديكالية الإسلامية. يوفر كتاب "مسلمون افتراضيون" إطارًا يمكن من خلاله تحليل مخرجات المنظمات الجهادية على الإنترنت. ويستند هذا الكتاب إلى أمثلة عملية مأخوذة من مجموعة متنوعة من المواقع، لا سيما تلك المرتبطة بالمعارك الجهادية الرقمية فى العراق وفلسطين. ظلت الشبكات والمنظمات الجهادية تستخدم الإنترنت باعتباره أداة لوجستية ودعائية لسنوات عديدة، ولكن بعد ٩/١١، تركز الاهتمام والتكهنات التى أحاطت بهذه البرامج على وجودها على الإنترنت. وسمح التطبيق البارع للإنترنت، خاصة من حيث استخدام فضاء الويب المجانى، والتشفير، وأدوات إخفاء الهوية، لتنظيم القاعدة وغيرها بالتلاعب بمهارة فى أجندات الصحافة والرأى العام فى جميع أنحاء العالم من أجل تعزيز رؤيتهم للعالم، تلك الرؤية التى فهمها البعض من خلال الإنترنت على أنها تمثِّل الإسلام ككل. ويسعى هذا الكتاب لإثبات أنه ورغم أن الناتج الجهادى أحد الجوانب المهمة من التعبير لدى المسلمين، ويتطلب أكبر قدر ممكن من الاهتمام والتفاهم، فإنه ليس بأية حال من الأحوال الصورة الكاملة المتعلقة بالإسلام والفضاء السيبرى.

اختتم الكتاب بتحديد السبيل للمضى قدمًا فى التعبير عن أشكال الفهم المختلفة للإسلام على الإنترنت والتحولات فيها ووصف كيفية تشكيل الشبكات الإسلامية من خلال علاقاتها بالإنترنت.

مصطلح "مسلمون افتراضيون"، iMuslims الذى أطرحه هنا، مرادف للمسلمين السيبريين لكنه يركز على حرف "i" الزئبقى (فى اللغة الإنجليزية). ويمثل "i" فى المقام الأول الإنترنت بكافة أشكاله. وقد يشير حرف "i" بمعنى أوسع لتكنولوجيا المعلومات information technology والتفاعل interactvi-ty، ويمكن أن يشير أيضًا إلى مصطلح "قابلية التشغيل المتبادل interoperabil-ity الذى يستدعى مجموعة متنوعة من البرامج التى تعمل معًا على نحو متوافق. وترتبط أيضًا بعدد من منتجات الكمبيوتر ذات الشعبية مثل آى بود أبل ipod، وآى ماك iMac، وآى فوتو iPhoto، وآى تيونز iTunes، وأى لايف iLife، وآى موفى iMovie.

ينطبق مصطلح "مسلم" فى هذا الكتاب على أى شخص يُعَرِّف نفسه أو نفسها على أنه مؤمن أو مؤمنة بالإسلام. "المسلمون الافتراضيون" هم أتباع الإسلام الذين يعملون بقدرة ما فى "البيئات الإسلامية السيبرية"، أى فى المجموعة المعقدة من السياقات الرقمية التى يستخدمها المسلمون للتعبير عن الإسلام. السؤال المحورى فى هذا الكتاب هو كيف يستفيد "المسلمون الافتراضيون" من "البيئات الإسلامية السيبرية" فى السياقات المعاصرة؟ وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد أن نفهم أيضًا كيف تتحول البيئات نفسها وتتطور استجابة للتغيرات فى التكنولوجيا ولتطوير أشكال جديدة من الشبكات المسلمة.

الفصل الأول

تحديد موقع الإسلام في الفضاء السيبرى

هناك شعور بهوية إسلامية خاصة مرتبطة بجوانب الفضاء السيبرى. يمكن أن تكون هذه الجوانب مجالات مصممة خصيصًا للمسلمين أو مجالات ويب عامة ذات بصمة إسلامية. ويمكننا مقارنة الفرق بين المحتوى الإسلامى على موقع الشبكات الاجتماعية Myspace، والمحتوى العام على نظيره الإسلامى Muslimspace. يقدم كل من موقع IslamicTube وIslamicTorrents مشاركة الفيديو وتوزيعه على غرار نظيريهما غير الإسلاميين. فهل هذا الشعور بالانفصال يؤثر على كيفية تعامل غير المسلمين مع البيئات الإسلامية السيبرية؟

كما هو الحال مع المناطق الأخرى التى تحظى باهتمام خاص على شبكة الإنترنت، فإن بعض مجالات البيئات الإسلامية السيبرية أكثر انفتاحًا من غيرها بصورة واضحة. لكن قد يكون من الابتذال الإشارة الضمنية إلى أنه، بالنسبة لبعض جوانب الإسلام، قد يؤدى الانفتاح على الإنترنت إلى مزيد من التفاهم والتعاطف من غير المسلمين. سعت بعض المواقع للقيام بذلك عن طريق وضع تفسيرات للممارسات الدينية فى مواقعها على الإنترنت. فى الواقع، قد يكون تفسير ممارسة الشعائر أقل قيمة لغير المسلمين من رؤية مناطق أخرى عادية وطبيعية من الخطاب الإسلامى على شبكة الإنترنت، كما فى داخل مواقع تكوين الشبكات الاجتماعية.

سهلت هذه التطورات، وعلى عدد من المستويات، عملية إعادة ربط شبكات دار

الإسلام ببعضها، مما يتيح للإنترنت دورًا محوريًا فى بنيات شبكات المسلمين والتعبير الإسلامى. ولا تخلو عملية إعادة تركيب البنية من جوانبها المضطربة، لكن يمكنها أن تسمح بقدر أكبر من الكفاءة من خلال عُقد إحدى الشبكات. قد يدخل فى عملية "الربط" نفسها العديد من التقنيات والأشكال على مستويات الأفراد والجماعات والمؤسسات، بعضها تعاونى ويتم إجراؤه من خلال شبكات الأنداد. من ناحية الفاعلية، قد يكون الربط لاسلكيًا أيضًا، ليسمح بالمزيد من الحركة واختيار الواجهات.

يمكن للأفراد، من خلال هذه العملية التحولية، اكتساب تفاصيل جديدة من المعرفة الدينية، وتسهيل شكل من أشكال المعرفة بالقراءة والكتابة الإسلامية التى تتطلب الإلمام بمجموعة من قواعد البيانات ومصادر المعلومات. ويميز أوقاتنا هذه

كثير من الإبداع، ليس فقط بالنسبة للباحثين ولكن أيضًا للمتجولين خلال المعرفة الدينية بأشكالها المختلفة. قد يتساءل المرء عما إذا كانت تلك التحولات تمثل أشكالاً جديدة من التجربة الدينية الأكثر تعقيداً وعزلة من تجربة الالتحاق "بمدرسة" دينية، والتى قد تكون بعيدة عن متناول العديد من متصفحى الإنترنت.

تتطور مجموعات وارتباطات جديدة على الإنترنت تتجاوز الحدود التقليدية، وتُسْتَمَدُّ من الهويات المتعددة بحيث تتحدى أوجه الفهم التقليدية للهوية الإسلامية وتُطفِّرها وتُحوِّل بذلك العناصر المألوفة داخل الواجهة الرقمية. توفر البيئات الإسلامية السيبرية الفرص لهؤلاء الذين ينتمون إلى خلفيات مسلمة غير تقليدية للترويج لرؤيتهم الخاصة للعالم. جذبت هذه التحديات للوضع القائم الاهتمام من المؤسسات التقليدية، التى سعى بعضها إلى حظر مثل هذه المواقع بدرجات متفاوتة من النجاح. استهدفت المؤسسات الحكومية آليات الجدل وخلق الهوية على الإنترنت نفسها على أساس أنها آليات قد تؤدى إلى التخريب، بعد إخفاقها فى فرض الرقابة أو تنظيم الآراء والأنشطة التى تتعارض مع سياساتها على الإنترنت.

غالبًا ما تعكس أساليب استخدام الإنترنت فى السياقات الإسلامية الطرق التى يُسْتَخْدَمُ بها ذلك الوسيط بوجه عام. فالقيل والقال والشائعات والغمز واللمز ونظريات المؤامرة لها مكانها فى البيئات الإسلامية السيبرية أيضًا. ولابد أن نظريات المؤامرة قد ظهرت فى غرف الدردشة وغيرها. فعلى سبيل المثال، وفى أعقاب كارثة تسونامى فى ٢٠٠٤ وإعصار كاترينا فى ٢٠٠٥، صرح أحد مستخدمى الإنترنت بقوله "ضرب الله شواطئ الفجور والعرى والدعارة"، وكتب آخر أن "الله يحذر البشر من إدامة الظلم"، فى حين بَشَّرَ ثالث بـ"قدوم الخلافة الإسلامية".

الويب أيضًا فضاء يجتمع فيه الأفراد والجماعات المسلمة فى وقت الأزمات. شهدت تفجيرات ٧/٧ فى لندن سرعة إصدار المنظمات الإسلامية فى المملكة

المتحدة البيانات على الإنترنت التى تدين تلك الهجمات. كانت فورية ردود الفعل هذه ذات مغزى لأن لاعبى الميديا الآخرين، مثل إعلام التيار الرئيسى ومحطات البث الأخرى، استخدمت ما جاء فى تلك المواقع فى التحقيقات التى أجرتها. يشير هذا ضمنًا إلى أن محتوى بعض المواقع يستهدف جمهورًا متنوعًا، سواء كان مسلمًا أو غير ذلك، وأن وضع ما يجىء فى مواقع إسلامية معينة فى الميديا السائدة يعد من الممارسات المقبولة.

قد يزور المتصفحون تلك المواقع التى تعكس حسهم بالهوية الدينية والسياسية والثقافية؛ بل قد يجعلون زياراتهم سرًا لا يفشونه لأصدقائهم أو عائلاتهم خوفًا من أن تتحدى مثل هذه الزيارات الأفكار التقليدية حول الهوية والقيم الدينية. يتيح عدم الكشف عن الهوية الذى يسمح به الإنترنت التواجد سرًا فى مواقع دون الكشف عن أية هوية حقيقية. وتسمح الأقنعة الافتراضية بسبر أغوار أفكار جديدة من التعبير والروابط الدينية، مما قد يكون له علاقة بعالم المتصفح غير الرقمى أو لا يكون له أية علاقة به.

يثير هذا قضايا المواقع الفيزيقية، سواء موقع المتصفح أو أصحاب الموقع، وما يمكن وصفه بالقدرة على التعامل مع الويب الإسلامى. تقدم الوسائط المتعددة لقاءات دينية تتخذ أشكالاً مختلفة، بعضها يتعلق بالتفاعل مثل التواصل مع عَالِم أو باحث من سياق أو ثقافة أو مجموعة لغوية مختلفة. يقدم الويب تأثيرات وخبرات جديدة، رغم أن النقاد قد يوحون بأنها ليست جميعًا مفيدة للقراء والمستهلكين والمجتمعات. قد تشمل هذه التأثيرات التعرض لمصادر بديلة للمرجعية الدينية. وقد تحتوى هذه المواقع على الويب على نصوص تفسيرية ومقاطع فيديو عن تجارب دينية، وفتاوى على شبكة الإنترنت تعطى طرقًا مبتكرة لطقوس المرور، وبيانات توفّر المبرر لولاءات بديلة تجاه المرجعية الدينية. يمكن أن توفر بوابة واحدة حافزًا كافيًا من خلال حزمة كاملة من الأنشطة الدينية والإرشاد والوعظ والخطب، والمصادر، والحوار.

أُدرِك أن ثمة مسلمين الآن يشرحون رؤيتهم للعالم بناء على التماهى مع موقع إسلامى محدد على الويب، بدلاً من مسجد محلى معين أو شبكة دينية. يمثل هذا فى حد ذاته تحولاً جذرياً فى بؤرة الاهتمام، بينما لا ينفى مفاهيم الفضاء المقدس والسلطة الدينية التقليدية. فى بعض الحالات، تشير مثل هذه المقاربات ضمنياً إلى تنامى النظرتين التقليدية والمعاصرة وانصهارهما معاً.

فى حالات أخرى، يزيل موقع ما احتمالية تجزئة الدين إلى مصنفات منغلقة، فى وجود فرصة لبعض المتصفحين أن يختاروا الارتباط دائمًا بمسجدهم أو رؤيتهم للعالم عن طريق الحفاظ على ثبات المتصفح على موقع معين. يعنى الربط من خلال قوائم البريد الإلكترونى وخلاصات الآر إس إس (مختلف أشكال الخلاصات المشتقة من الويب التى قد تكون موجودة فى المدونات والبودكاست ومحتوى الويب الذى يجرى تحديثه بانتظام كمواقع الأخبار) أن الإسلام يمكن أن يكون "متصلاً بالشبكة دائماً"، ليس فقط من حيث الكلمات والأفعال اليومية ولكن من خلال إضافة تنبيهات جديدة خاصة بالمحتوى والتواصل بالشبكات. توسعت أجهزة المساعدة الرقمية الشخصية (أجهزة المساعد الرقمى الشخصى) وأجهزة بلاكبيرى والهواتف المحمولة فى فرص تلقى التنبيهات بالتحديثات والمعلومات الدينية. هناك إمكانية لأن يخترق هذا الخصوصية بشكل مبالغ فيه. وبينما يرى المؤمنون أن الإسلام فى حد ذاته يجب أن يكون "دائمًا متصلاً" بالحياة اليومية وغير منفصل عنها، تشير المصادر الإسلامية ضمنيًا أيضًا إلى أن بعض الانغلاق داخل مصنفات بعينها لممارسة الشعائر ضرورى لتحقيق المسيرة الوظيفية فى المجتمع – فالإسلام، وفقًا للقرآن، "دين يُسْر".

تذكر المصادر الإسلامية عن سيرة النبى محمد (ص) كيف تفاوض النبى أثناء الإسراء مع النبى موسى على عدد الصلوات اليومية من خمسين صلاة فى اليوم الواحد إلى خمس صلوات بحيث يتمكن الناس من ضبط حياتهم الطبيعية حول

الأنشطة الدينية. ولابد من تحديد إلى أى مدى يتصل المسلمون الافتراضيون دائماً بالإنترنت ويتفهمون المحتوى الدينى. السؤال الحاسم هنا هو إلى أى مدى بات استخدام شبكة الإنترنت لأغراض إسلامية فريضة دينية بالنسبة للبعض؟ يوضح هذا الكتاب أن هناك الكثير من الناس ممن يمثل بقاؤهم على شبكة الإنترنت فى سبيل الله فريضة أو التزامًا. تظل كيفية تفسير هذا ورصده أمرا مطروحا للتساؤل.

وجدت المرجعيات الدينية الإسلامية سبلاً يمكن من خلالها تطبيق الإنترنت كشكل من أشكال التنظيم داخل المجتمعات. وفى أحد الأمثلة الصارخة على ذلك، سَخَّرَت هيئة الأمر بالمعروف السعودية بالمدينة المنورة الإنترنت للسماح للمتصفحين بإرسال تقارير مجهولة المصدر عما يرونه تجاوزات دينية داخل مجتمعهم عبر أحد المواقع على شبكة الإنترنت. يمكن أن توجد علاقة معقدة بين الممارسات الدينية النموذجية والابتكار التقنى بحيث يوازن أحدهما الآخر. وتصبح قضايا مثل المواقع الفيزيقية، سواء بالنسبة للمستخدم النهائى أو أصحاب الموقع، قضايا ذات أهمية. هناك طرق انسيابية بحيث يجد المستخدمون من خلالها أنفسهم موجودين على سيرفر، منفصلين عن قيود فضائهم الفيزيقى، بل ويحتمل لهم أن يكونوا بعيدين عن الرقابة والرصد.

من المرجح أن تختلف علاقة كل متصفح بمُقدِّم المحتوى. يحتمل أن تكون المحتويات مقدمة لقضايا محددة ذات مرجعية دينية، أو يمكنها أن تعمل بمثابة أداة لتعزيز الأنماط وأشكال الفهم القائمة أو كليهما. لا يُشَجَّع الابتكار بالضرورة فى بعض السياقات الإسلامية. شجعت نفس هذه المقاومة للتغيير أيضًا المرجعيات الدينية الأخرى على الاتصال بالإنترنت لمواجهة التأثيرات التى تعدها سلبية بطبيعتها. وبأساليب معينة، تتصدى هذه المرجعيات للمقاربات التعاونية المبنية على الويكى للمجموعات ذات الإلمام بالنت التى تسعى إلى التعبير عن مناهج تأويلية

"جديدة" للإسلام تتحدى التراتبية التقليدية. قد يطور المتصفحون أشكال فهم جديدة وما يترتب عليها من انتماءات من خلال القدرة على القراءة والكتابة على الويب إلى جانب اتساع نطاق قواعد البيانات الإسلامية ومصادر المعلومات المتاحة.

اللغة التى يُعَبَّر بها عن هذا مفتوحة على التهجين، وهى تعكس لغة الشارع إلى جانب المصطلحات الدينية. ويَصْدُقُ هذا بوجه خاص فى غرف الدردشة، حيث يستخدم المشاركون فى وضع المحادثة أعراف الإنترنت ولغة الهواتف المحمولة الدارجة. وربما تكون الأيقونة هى وجه مبتسم لفتاة ترتدى الحجاب. يبين دافيد كريستال فى تحليل له عن تأثير الإنترنت على اللغة، والعكس أن - "أنبياء الشؤم" يَظْهرون فى كل مرة تؤثر فيها تقنية جديدة على اللغة بطبيعة الحال. تجمع هؤلاء الأنبياء عندما اخُترعت الطباعة فى القرن الخامس عشر". يرى كريستال أنه لابد وأن يكون من مصادر "غبطة" اللغويين قدرة شبكة الإنترنت على أنه "تستكشف قوة اللغة المكتوبة بشكل مبدع".

وفى موضوع ذى صلة، لاحظ جيلز كيبل الذى أدمج الإحالات إلى خطاب الإنترنت فى تحليله للحركات الجهادية: "فى مواقع الويب بمختلف اللغات الأوروبية، سواء كانت مواقع جهادية أو دعوية، تمتزج لغة المصطلحات العصرية بلغة الدعوة الهجومية الحادة القائمة على إحالات دينية غامضة إلى فقهاء العصور الوسطى جاءت كتاباتهم بلغة عربية مبهمة". يمكن أن نجد أمثلة كثيرة من اللغة الدارجة ولغة الفقه واللغة الاصطلاحية والتعبير الإبداعى فى البيئات الإسلامية السيبرية كجزء من التيارات التحتية للشبكات الإسلامية المعاصرة. ويستمدّ المحتوى أساسًا من مصادر باللغة الإنجليزية والعربية. ليس من الممكن رصد المحتوى الإسلامى بجميع اللغات، لكن فى المناطق التى أركز عليها، سنرى أن بعض القضايا والمواضيع المشتركة يمكنها الظهور من خلال "لقطة" من الفضاء السيبرى الإسلامية.

تشكيل اقتصاد المعرفة الإسلامية العالمية

قد يكون مناسبًا مناقشة تدفق البيانات عن الإسلام التى يجرى تداولها عبر الإنترنت – سواء كانت باللغة الدارجة أو اللغة العربية القرآنية الواردة فى خطبة ما – من زاوية اقتصاد المعرفة الإسلامية العالمية. لهذا المفهوم صلة بما يشير إليه مانويل كاستلز باسم "الاقتصاد المعلوماتى" فى مناقشته لاقتصاد الأعمال العالمى فى القرن العشرين:

> إنه معلوماتى لأن إنتاجية وحدات هذا الاقتصاد وتنافسيتها أو من يضطلعون بها (سواء كانت شركات أو مناطق أو دولاً) تعتمد بشكل جوهرى على قدرتها على توليد المعلومات القائمة على المعرفة ومعالجتها وتطبيقها بفاعلية. وهو كوكبى لأن أنشطة الإنتاج والاستهلاك والتوزيع الأساسية، إلى جانب مكوناتها (رأس المال واليد العاملة والمواد الخام والإدارة والإعلام والتكنولوجيا والأسواق) يجرى تنظيمها على نطاق الكوكب، سواء بشكل مباشر أو من خلال شبكة من الروابط بين الوكلاء الاقتصاديين. وهو اقتصاد متصل بشبكة لأنه، فى ظل الظروف التاريخية الجديدة، تتولد الإنتاجية وتجرى المنافسة فى نطاق شبكة كوكبية من التفاعل بين شبكات الأعمال.

ثمة تركيز قوى على المعلومات والمعارف فى البيئات الإسلامية السيبرية، رغم إمكانية وجود ملامح مميزة أخرى أيضًا. قد تتسم أفكار المعرفة الدينية بالتميز والسلطوية الشديدة ويستعين بها عدد كبير من المسلمين – ومن ثَمَّ يُبرِّر التركيز هنا على اقتصاد المعرفة الإسلامية الكوكبية. يمتلك هذا المفهوم، بالرغم من أنه ليس

"بيزنس" بالمعنى الذى ناقشه كاستلز، المكونات وشبكات التفاعل تلك. الروابط ليست شفافة دائمًا، بينما تتخذ عناصر الإنتاج والاستهلاك والتداول طابعًا دينيًا داخل البيئات الإسلامية السيبرية.

كانت السنوات القليلة الماضية مرحلة حرجة فى التاريخ الإسلامى الحديث، وهى فترة واصل فيها هذا الاقتصاد القائم على المعرفة تطوره. بيد أن تطورات القرن الحادى والعشرين هى أيضًا جزء من عملية طويلة المدى من التنمية ذات الصلة بالشبكات الإسلامية. وبالاقتباس من كتاب مريام كوك وبروس لورانس "الشبكات الإسلامية من الحج إلى الهيب هوب" (٢٠٠٥)، فإن السؤال الرئيس هو: "كيف استطاعت التكنولوجيا رفع التوقعات حول المسارات المتعدية للجنسية الجديدة التى من شأنها إعادة تشكيل إدراكنا للإيمان والسياسة والنوع (الجندر) فى الحضارة الإسلامية؟"

يعاد تشكيل الإسلام الآن. ولشبكة الإنترنت، لاسيما شبكة الويب العالمية، تأثيرٌ متزايد على المسلمين فى شتى السياقات المعاصرة. من الممكن تعيين العناصر الأساسية المرتبطة بتطوير المسارات والشبكات السيبرية الإسلامية وتحليلها. يمكن تحديد طائفة واسعة من مناهج وطرق فهم النص التشعبى الإسلامى فى الفضاء السيبرى، أنشأها مسلمون يسعون وراء عرض أبعاد من حياتهم الروحية أو الدينية أو السياسية أو هذه الأبعاد جميعها على الإنترنت.

قد تجمع تطبيقات الإنترنت المتنوعة التى تُستخدم باسم الإسلام بين مواقع الويب والوسائط المتعددة وغرف الدردشة وقوائم البريد الإلكترونى و/أو درجات مختلفة من التفاعل. يركز هذا الكتاب على شبكة الويب العالمية، مع الاعتراف بتفاعل هذه الأدوات المتنوعة. ويمكن للويب خلق مفاهيم للهوية والسلطة الإسلامية التى تعكس وتتقاطع مع مفاهيم مماثلة فى العالم الحقيقى غير الرقمى، لكنها تغذى أيضًا شبكات جديدة من أشكال التفاهم فى الفضاء السيبرى.

استخدم المسلمون بشكل مبدع الإنترنت لمصلحة توسيع فهم الدين لمصلحة المؤمنين الآخرين، لاسيما أولئك المرتبطين برؤية محددة للعالم، وفى بعض الحالات، لنطاق أوسع من القراء غير المسلمين. من الطبيعى لجيل من الملمين بالنت أن يبحثوا عن حقائق أو انتماءات معينة على الإنترنت، وخصوصًا حينما لا يمكن الوصول إليها فى مسجد محلى أو سياق مجتمعى. يعكس هذا وجهة نظر داوسون أثناء نقاش له حول الدين والإنترنت: "يُستخدم الإنترنت فى أغلب الأحيان لتوسيع آفاق الناس الاجتماعية وتعزيز مشاركتهم. الناس يستخدمون الإنترنت لزيادة وتوسيع نطاق حياتهم الاجتماعية الموجودة مسبقا، وليس كخيار أو بديل".

تشير الأدلة الإمبريقية أيضًا إلى أنه لا يجوز إطلاق التعميمات فيما يتعلق باستخدام الإنترنت، مع وجود عدد كبير للغاية من المسلمين الافتراضيين الذين يقضون جزءًا جوهريًا من حياتهم على الإنترنت، داخل البيئات الإسلامية السيبرية أو خارجها. أدى هذا إلى تحول مفاهيم الشبكات الإسلامية، وخصوصًا بين أولئك الذين يدمجون جوانب من ويب ٢.٠ فى استهلاكهم وخلقهم للمحتوى على شبكة الإنترنت.

يمثل هذا الكتاب شكلاً من أشكال البحث فى "مجتمع المعلوماتية". يذكر كاستلز "أننا بحاجة إلى تحديد عملية التغير التكنولوجى الثورى فى السياق الاجتماعى الذى تحدث فيه والذى تتشكل من خلاله، ولابد أن نضع فى حسباننا أن البحث عن الهوية لا يقل قوة عن التغير التكنو - اقتصادى فى رسم التاريخ الحديث".

يعتبر البحث عن الهوية هذا عاملاً دافعاً من عوامل التواجد فى البيئات الإسلامية السيبرية، ويؤكد على نقاط أشار إليها كاستلز فى مواضع أخرى، حينما ذكر أن الأفراد فى الأحوال المعقدة أو الظروف المعاصرة يسعون إلى الهويات الأولية. وبينما لن أضع تأكيد كاستلز على "الأصولية" بوصفها عاملاً دافعًا (بسبب وجود صعوبات كامنة بهذا المصطلح)، فمن المثير للاهتمام ملاحظة مدى انطباق

وجهات نظره بشأن الهويات على البيئات الإسلامية السيبرية – وبالأخص، إيمانه "بالانقسام الجوهرى بين الذرائعية العالمية المجردة والهويات المحددة الراسخة تاريخيًا. تتشكل بُنَى مجتمعاتنا بصورة مطردة حول التعارض ثنائى القطب بين النت والذات".

يناقش كاستلز هذا فى سياق تفكيك أنماط التواصل الاجتماعى وإعادة ترتيبها. وفيما أن كاستلز كان يكتب عن هذا فى ١٩٩٦، إلا أن ما أثاره يبدو أنه أصبح قضية وثيقة الصلة بالموضوع بعد عقدٍ أو نحوه، ومن المؤكد أنه سيكون ذا صلة بالبيئات الإسلامية السيبرية. للهويات المحددة دور مهيمن فى جوانب التعبير الإسلامى على الإنترنت بينما تتمثل انتقائية تبادل المعلومات من خلال تحقيق أهداف معينة ضمن عدد من الأجندات الإسلامية على الإنترنت. إلا أن دايل أيكلمان يذكر أن الاتصال بالشبكات ليس إلا مكونًا واحداً من صورة أكبر: "الأكثر أهمية من مجرد فكرة الشبكة هى أساليب التواصل وأنماطه التى تسهل تشكيل أشكال جديدة ومتداخلة من الجماعة والثقة والترابط".

وجهات نظر أيكلمان وكاستلز صائبة: ملاحظة المسلمين الافتراضيين تجعل منا شهوداً على التغيرات فى أساليب التواصل. للبيئات الفيزيقية والافتراضية التى يتم فيها هذا أهميتها أيضًا، لاسيما من حيث إن كانت تمثل فضاءً "عامًا" أو "خاصًا". يذهب دافيد هولمز بهذه النقطة إلى مستوى أبعد: "إن السؤال عما إن كان التفاعل يشكل إسهامًا فى المجال العام حينما يُختزل فى أشكال من إتاحة الاتصال بالوسائط الإلكترونية الممتدة تكنولوجيًا والتى يجرى تشغيلها من المنزل هو سؤال محورى يُطْرَح فيما يتعلق بـ[الاتصال عبر الوسيط الحاسوبى]. من المؤكد أن مسألة الخاص/العام باتت خلافية للغاية على الإنترنت".

لهذا السؤال تحديداً بُعْدٌ مضاف فيما يتعلق بمفاهيم الفضاء الإسلامى ــــ على سبيل المثال، من حيث المناطق أو الأماكن المقدسة والبينية حيث يوجد فصل بين

الجنسين على أساس مبادئ دينية. وتؤثر هذه العوامل سواء على شبكة الإنترنت أو خارجها، حيث تتصف مناطق من النت بأنها مناطق خاصة وعامة. في الفئة الأولى، قد تقتصر العضوية على أفراد تعرضوا للفحص ولديهم كلمات للمرور. غير أن امتلاك هوية إسلامية ليس شرطًا مسبقًا لدخول البيئات الإسلامية السيبرية. وقد يشير البعض إلى وجود سهولة الحركة فى بعض السياقات بالنسبة للأفراد الذين يرغبون فى زيارة مناطق معينة من النت يحظر زيارتها على أرض الواقع أو الدخول إليها فى سياق العالم الحقيقى. فى رحلاتى، كانت هناك مرات كثيرة منعنى فيها حارس من الدخول إلى مسجد أو مزار لأننى أفتقد هوية إسلامية أو ما يُفْهَم على أنه "مظهر إسلامى". ولا ينطبق هذا على الدخول على شبكة الإنترنت.

يمكن النظر إلى القضية فى سياق الدخول إلى البيئات الإسلامية السيبرية، حيث أكمل الإنترنت المقاربات التقليدية لإدارة المعرفة الإسلامية ونشرها بل وفى بعض الحالات حل محلها. على سبيل المثال، يَعبر الوصول إلى النصوص الإسلامية والفتاوى الدينية حدوداً واجهت الأجيال الماضية. لا يزال المفهوم التقليدى الخاص "بالجلوس عند أقدام عالم" لاكتساب المعرفة عن الإسلام موجوداً، لكنه صار الآن ذا مقابل رقمى. مستويات المشاركة والعضوية مؤشرات مهمة أيضًا ضمن البيئات الإسلامية السيبرية: "كل وسيط يُنْظَر إليه على أنه إما بيئة تقنية أو شكلاً من التواصل الاجتماعى، قادرا على تسهيل فكرة التفاعل المباشر داخله. عندما نترك التليفزيون مفتوحًا فى الخلفية حتى لو لم نكن نشاهده، أو ننزل بريدنا الإلكترونى ونحن نعمل قبل الانخراط فى الاتصال وجهًا لوجه، فإننا ننخرط فى أشكال من الاندماج مع الميديا".

يتخذ معنى التفاعل والاندماج هذا أشكالاً متعددة فى البيئات الإسلامية السيبرية، لاسيما لو كان الشخص مشتركًا فى العديد من مواقع الويب المختلفة. يتضح الانخراط بنفس الدرجة عند تلقى خلاصات الآر إس إس من موقع بعينه أو

مشاهدة MySpace أو YouTube. وربما زاد زخمه لدى أولئك الذين يتواجدون يوميا "على الإنترنت دائماً" أو توفر لهم هواتف بلاكبيرى تحديثات رسائل البريد الإلكترونى باستمرار من خلال خدمات الاشتراك.

لكن يمكن الإشارة إلى أن عنصر التواجد "على الإنترنت دائماً" قد يعكس أولئك الأفراد الذين يسود التأمل والصلوات الدينية كل أقوالهم وأفعالهم طوال اليوم. فمن الشائع بالعربية أن تسمع، على سبيل المثال، المسلمين المتدينين يُطَعِّمون الجمل التى يقولونها بعبارات تستدعى الله ومحمد (ص). تقدم هذه الاستدعاءات نوعاً من الحماية فى عالم الحياة اليومية. ولعل هذا يناظر التواجد "على الإنترنت دائماً" من حيث الإمداد بالموارد الإسلامية التى تتدفق من الإنترنت دقيقة بدقيقة.

تمثل البيئات الإسلامية السيبرية تحدياً أيضاً لما يمكن وصفه بنظرية الاستعمار الإلكترونى: "ترى نظرية الاستعمار الإلكترونى أن الميديا الجماهيرية عند تصديرها تحمل معها نطاقاً واسعاً من القيم. هذه القيم ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية وثقافية وأحياناً سياسية أو دينية". فسَّر البعض هذا على أنه عملية ذات توجه غربى ومرتكزة حول أمريكا وتتصل بنظرية النظام العالمى، وهذا "يبين بالتفصيل نظرية الاستعمار الإلكترونى عن طريق تقسيم دول العالم إلى ثلاث فئات، بل إنه يتوسع بعد ذلك حول الكيفية التى تعمل بها الفئة الأساسية للتأثير على الفئتين الأدنى".

ينتمى كثير من الشعوب المسلمة إلى الفئات الأدنى ضمن هذا النموذج، ويقطع وجود اقتصاد معرفة إسلامى نشط على الإنترنت شوطاً قصيراً للتصدى لأثر الميديا التى يسيطر عليها الغرب. لا بد أن نلحظ أن نسبة كبيرة من الخطاب الإسلامى-السيبرى، لاسيما فى بدايات الويب، انبثقت من السياقات الإسلامية الغربية. وأسهم أثر المحتوى على الإنترنت الذى ألفه مؤلفون من داخل الأقليات المسلمة فى الغرب وقدموه فى سياق عالمى فى دعم وضع مثل هؤلاء المؤلفين

وزيادة الوعى بهم فى اقتصاد المعرفة الإسلامى. وتدمج الكثير من البيئات الإسلامية السيبرية المحتوى الذى أنتج بشكل جماعى عبر شبكات إسلامية فى مختلف السياقات.

أيضا، لابد من أخذ "تأثير قناة الجزيرة" فى الاعتبار. ركزت القناة الفضائية عند إطلاقها فى ١٩٩٦ ومنذ البداية على جماهير الأمة العربية، ومن الواضح أنها ضمت العديد من المسلمين ضمن واجهتها الديموغرافية. وفرت القناة بمقرها فى قطر أحد المنافذ لمناقشة القضايا الإسلامية، خاصة فى برامج مثل برنامج يوسف القرضاوى "الشريعة والحياة". فى هذا البرنامج الشعبى الذى يتلقى المكالمات الهاتفية من المشاهدين، يجيب العَالِم عن أسئلة المشاهدين فى عدد من الموضوعات. ونتج عن هذا ظهور مقلدين له على قنوات أخرى.

لقناة الجزيرة تأثير عميق على الطريقة التى تَرِدُ بها الأخبار، خاصة حول الشرق الأوسط. وأدى نجاحها كعلامة تجارية كوكبية إلى إنشائها قناة باللغة الإنجليزية. هناك بعض التداخل فى المحتوى، رغم أن أحد المراسلين الذين تحدثت إليهم أشار إلى أنه يعتبر القناة الإنجليزية "الجزيرة لايت"[الخفيفة] لأنها تفتقر إلى الزخم الذى تتميز به نظيرتها العربية. يمتد تأثير الجزيرة إلى الفضاء السيبرى، حيث يستشهد بها المذيعون والمدونون على الإنترنت بصورة منتظمة، وتُستمد المحتويات من ملفات الفيديو وغيرها من المعلومات الأخرى التى تنشر على الإنترنت، ولها موقعها الخاص بها على الويب. أجبر ظهورها القنوات الأخرى على تطوير محتواها الخاص باللغة العربية، فى الأسواق المحلية أو الدولية.

حاولت قناة الجزيرة ترسيخ نفسها بالحفاظ على صورة الحياد بين أوساط الأمة العربية، فى تحدٍ كبير للقنوات المحلية فى سياقات الشرق الأوسط وغيرها من القنوات التى قد تتعرض المادة التى تقدمها للتحكم أو القيود. ومع ذلك، اتُّهِمَت الجزيرة بأنها مجرد بوق لتنظيم القاعدة، خاصةً فيما يتعلق بعرضها للمادة

الجهادية على شبكة القاعدة على الإنترنت – وهو اتهام رفضته الشبكة بشدة. أحد آثار ظاهرة قناة الجزيرة هو أنها جعلت مزوِّدى المحتوى الإسلامى على الإنترنت يدركون إمكانات قنوات الميديا العالمية بأشكال متعددة. وامتدت فكرة وجود قناة عالمية إلى مادة مواقع الويب الجهادية التى طور بعضها برمجة خاصة بها فى هيئة أشكال إخبارية.

وقناة الجزيرة عنصر واحد من صورة أكبر. من الجلى أنه يمكن الربط بين شتى نظريات الاتصالات العالمية فى محاولة استكشاف البيئات الإسلامية السيبرية. وباتت مناقشة هذه القضايا جزءًا من الخطاب الإسلامى على الإنترنت، شيئًا مهمًا يتبادله ويحلله المسلمون الافتراضيون، فضلاً عن الأكاديميين الذين قد يعملون من داخل إطار المرجعية الإسلامية أو من خارجه.

تفسير البيئات الإسلامية السيبرية

هناك سلسلة من الأسئلة المعقدة فى قلب هذه المحاولة لتأطير العولمة فى بيئة إسلامية. ترتبط تلك الأسئلة بمفاهيم ما يُعْرف بقضية الاستشراق والميديا التى أثارها إدوارد سعيد بما يعكس بصيرته النافذة. هناك أيضًا قضايا ذات صلة مرتبطة بأفكار تدفق المعلومات ضمن السياقات المحلية والقومية والعالمية. أدى تأثير التحولات فى أساليب نشر البيانات عن الإسلام عبر الإنترنت، لا سيما من خلال الندية، إلى إعادة تشكيل معقدة لنماذج المرجعية الدينية.

قد يكتسب المتصفحون أشكال فهم جديدة، وما يترتب عليها من انتماءات جديدة أيضًا من خلال الإلمام باستخدام الويب، إلى جانب اتساع نطاق قواعد البيانات الإسلامية ومصادر المعلومات المتاحة. يذكر بيتر ماندفيل فى هذا السياق: "تنتقل أشكال الخيال الشعبى بصورة لا بأس بها اليوم. تكنولوجيات الميديا مسئولة إلى حد كبير عن هذا التطور. فهى تتيح لنا إعادة إنتاج أشكال الهوية الجماعية والحفاظ عليها عبر مسافة كبيرة. وفيما أن الفرق بين – هنا– و– هناك – لا يزال

قائمًا، لم يعد - هناك - بعيداً جداً". يتناول ماندڤيل هذه القضية من خلال تحليل عملية عبر - محلية، حيث تتدفق المعلومات والآراء بين الفضاءات المتنوعة وعبرها. يتخذ مفهوم الجاليات الإسلامية التى قسمتها تمايزات غير واضحة والتى بدأت فى الظهور فى الفضاء السيبرى أشكالاً كثيرة، بما فيها جدائل فردية تجمع أفراداً غير مرتبطين معًا.

يمكن أن يكون تحديد ماهية جمهور هذه المادة الإسلامية على شبكة الإنترنت قضية حاسمة. ومن المحتمل أن تنجذب الانتماءات الدينية المحددة إلى مناطق من الويب تمثل رؤيتها الخاصة للعالم داخل مجتمع رقمى ما. تركز بعض مواقع الويب على استقطاب مسلمين آخرين إلى وجهة نظرها الخاصة، بينما يسعى البعض الآخر إلى نشر الإسلام بين غير المسلمين. يمكن أن يكون تحديد نقطة الانطلاق لاستكشاف الإسلام على شبكة الإنترنت أمراً مُشْكِلاً. وتستمر مواقع جديدة فى الظهور. تترك مجرد كتابة كلمة "الإسلام" على أى محرك للبحث، وهو أمر يشكل مصدر إثارة وعملية تستغرق وقتًا طويلاً بالنسبة لى، تترك القارئ مع مئات الآلاف من الخيارات الممكنة.

نمَّى المسلمون الافتراضيون التوقعات حول أشكال الخطاب الإسلامى المتاح على شبكة الإنترنت، والطرق التى يمكنهم أن يسهموا بها فى ذلك من خلال التوزيع والتعليق والتفاعل. أدركت القطاعات التى كانت مُحْجِمَة أو مترددة سابقًا، أو فى بعض الحالات، غير واعية تكنولوجياً والتى تمثل جوانب من المعتقدات الإسلامية، أدركت الحاجة إلى الاطلاع على الإنترنت لتلبية احتياجات مجتمعاتها أو شبكاتها المحلية. سعت ألوان من الطيف الإسلامى، عن طريق إنشاء بوابات جذابة وخدمات على الإنترنت، لتوجيه القراء وإدارة المعرفة المرتبطة بمنظوراتها العقائدية. وكثيراً ما ترتبط هذه الأطياف بدائرة عالمية أوسع. يشير جون أندرسون إلى إنتاج شكل من أشكال "الخطاب الهجين" الوسيط بين مختلف مجالات الاهتمامات الإسلامية:

> الإسلام على الإنترنت مشاركة بالأداء، لا يشكل فقط نموذجًا معياريًا بل مشاركة برجماتية بالمعاينة والارتباط، و... هذه الارتباطات تنمو نموًا متفردًا فى هذا الوسيط. وهى تشمل وسائل يربط بها المسلمون حياتهم بالإسلام ويوسعون نطاق تلك الارتباطات بما يتجاوز حدود الشبكات السابقة إلى مجموعة أوسع من الأشخاص، بمن فيهم النساء ... وتمثل هذه الأصوات الارتباطات والهويات والادعاءات "الوسط المفقود" بين إسلام المثقفين الذى يخضع لتحليل (الفكر) النصى وإسلام الجماعة أو الجماهير الذى يجدر تفحصه من خلال علاقته بالقوى الاجتماعية.

كان لهذا التهجين أثره، حتى فى معاقل العلم الإسلامى كجامعة الأزهر بالقاهرة. وسواء كان هذا الوسط المفقود يمثل فهمًا لنموذج سلطة من أعلى إلى أسفل ـــ أو الأحرى فهمًا يقدم خطابات متعددة تُقْلَب فيها السلطة بحيث تصبح من أسفل إلى أعلى – فهى مسألة مثيرة للاهتمام. قد يكون لآثار الحوار المنبثق من الوسط تأثير فى كل الاتجاهات، لا سيما فى الطريقة التى تختلط بها الثقافات والشبكات الإسلامية لتستوعب عناصر من قيم ثقافية شعبية أخرى.

يدل هذا على "اندماج" القيم الدينية والثقافية الإسلامية كما فسرتها إيفون سنج، حيث يوجد فى بعض تكنولوجيا الإنترنت عنصر متكامل من عناصر أنماط الحياة الحديثة المسلمة: "تغيرت جامعة [الأزهر] بمرور الألفية. فهى تمتد الآن فى ضواحى القاهرة. والطلاب لم يعودوا ينامون على حُصْرٍ فى الهواء الطلق ولكن فى مساكن حديثة للطلبة مكيفة الهواء. يمكنهم الحصول على القرآن على قرص مضغوط، والاتصال عبر الأقمار الصناعية والإنترنت والبريد الإلكترونى. ويدرسون

تكنولوجيا الحاسب والسياحة (الحياة الوظيفية التى يختارونها). يختلط فى ذائقاتهم الشرق والغرب: الجينز الأزرق مع الحجاب، والكوكا كولا مع الفلافل، وأم كلثوم مع سماشينج بمبكينز".

كانت سنج تكتب عن الأزهر الشريف الذى ظل القاعدة التقليدية للتعليم السنى القويم لعدة قرون. جاءت مقارنة أم كلثوم، وهى مطربة مصرية اشتهرت بأدائها الملحمى الذى كان يستدعى القيم العربية والإسلامية التقليدية، بفرقة الروك البديل "سماشينج بمبكينز" الأمريكية القائمة منذ فترة مقارنة دالة. فهى تشير إلى أنه لا تناقض بين أطر المرجعيات الثقافية المتنوعة المتناقضة ظاهرياً. ولهذا علاقة بمقاربات البيئات الإسلامية السيبرية، حيث قد يكون هناك مزج بين القيم التقليدية والنظرة المعاصرة. مثل هذه النظرة المعاصرة المركزة تكنولوجياً لا تزال على خلاف مع بعض المفاهيم الخاطئة عن المجتمعات الإسلامية، ولاسيما تلك التى تعمل فى السياقات ذات الصبغة الحضرية. بالنسبة للكثير من المسلمين الافتراضيين لا يوجد تضارب بين التكنولوجيا والحياة بصورة إسلامية. إذ يُنْظَر إلى الإسلام باعتباره قابلاً للتكيف مع أى عصر وسياق، لكن مع الحفاظ على القيم الأساسية. وبالمناسبة، يمكن تحميل كل من أغانى أم كلثوم و"سماشينج بمبكبينز" على "آى تيونز".

البحث فى البيئات الإسلامية السيبرية

تُستحدث تطورات جديدة بصورة منتظمة فى الوسط الرقمى الإسلامى، وليس بالإمكان تسجيل كل عنصر من عناصر التعبير الإسلامى-السيبرى. فالمواقع والأماكن والمحتوى تتغير باطراد. للأنساق ترتيبات متغيرة، ويتطور المحتوى بمرور الوقت مع تغير التكنولوجيا. كما يحسِّن منتجو المحتوى من مهاراتهم. سلط أندرسون الضوء، أثناء اعترافه بالطاقة التحويلية الكامنة للإنترنت على الشبكات الإسلامية، على الصعوبات فى تحليل عمليات التغيير:

بغض النظر عن الحيرة التي تولدها هذه العملية – وفى الواقع، العمليات الكثيرة المتداخلة المتقاطعة – فإنها يمكن تكون عسيرة إلى حد مُعْجِز. القصة لا تزال تتكشف، وتتابع التجارب، وتقدم تفاعلية الإنترنت الناشئة ومعها توفر التكنولوجيات الجديدة على الإنترنت مستوىً غير معتاد من التجاوب مع "السوق" الدينى للرسائل والخطاب والاتصال الإسلامى بالشبكات، والذى يتزامن نشوؤه مع العالم الأوسع الذى يخاطبه والذى يُقَوْلَبُ فيه. اختفى بالفعل جزء من القصة، أى صارت "أوفلاين" بالمعنى الحرفى للكلمة، مع انتقال كلٍ من الإنترنت والعالم من مرحلة أولية لجعل الدين "أونلاين" فى أعمال تشهد بالتقوى والورع إلى مرحلة أكثر تعقيداً تعنى وضع استراتيجيات تُصْبَغ بالصبغة الرسمية فى عالم تتعدد فيه السلطات المتنازع عليها، والمتنافسة على حدٍ سواء.

أندرسون على حق؛ تضيع الكثير من المادة "الأونلاين" على الباحثين، لأنها غير مؤرشفة أو محفوظة رسميًا. سعيتُ لأرشفة تلك العناصر ذات الأهمية بالنسبة لبحثى، رغم مرّات دمار القرص الصلب، من بينهما مرتان أثناء تأليف هذا الكتاب. وفى بعض الأحيان، يتسم الحصول على البيانات بطبيعة غير منظمة وغير علمية وعشوائية. كما أن جداول نشر المحتوى "الأونلاين" ليست دقيقة وتتطلب اتباع نهج محدد فى استخراج البيانات.

تواصل أساليبى فى جمع المعلومات المتعلقة بمجال هذا البحث تطورها، إذ يتطلب يوم البحث العادى زيارات يومية لمنتديات الدردشة ومواقع الويب وقراءة

المدونات واستعراض مجموعة معقدة من المواد. لابد من تحميل بعض هذه المواد وحفظها، بينما تتطلب عناصر أخرى الدخول إلى مناطق مُؤَمَّنة ومحمية بكلمة مرور للإنترنت. أما العنصر الذى يستغرق وقتًا طويلاً فهو غربلة خلاصات الآر إس إس، والذى يزداد تطوراً إلى جانب غيره من الأدوات، حتى مع نمو المصادر من حيث العدد. يتطلب البحث المراقبة والمناقشة مع منسقى ومستخدمى الويب. ويضيف النمو المطرد فى المواد المكتوبة باللغة العربية وغيرها من اللغات مستويات معقدة أخرى لعمليات استخراج البيانات.

أما فيما يتعلق بالفصل الخاص بالمدونات فى هذا الكتاب، فقد جرى تفحص مجموعة أساسية من الصفحات، جزئيًا من خلال استخدام خلاصات الآر إس إس وخدمات جمع المحتوى. على سبيل المثال، سوف تربط خلاصة آر إس إس لبوابة ما الباحث بمئات المواقع الأخرى. كان انتقاء مثل هذه الأدلة الإمبريقية عشوائيًا فى بعض الأحيان؛ قد يربط موقع ما غنى بالمعلومات فى الغالب بمواقع أخرى كثيرة. جرت ملاحظة مجموعة صغيرة من حوالى ٣٠ موقعًا عن كثب منذ عام ٢٠٠٣، لكن هذه المواقع كانت بوابات أيضًا لمئات من المدونات الأخرى بشتى اللغات. كان تركيزى على الصفحات باللغة الإنجليزية والعربية، رغم أننى حتمًا تفحصت المحتويات الأخرى أيضًا. تصفحت الصفحات المهمة، وتعقبت الموضوعات، كما سجلت المحتوى فى أرشيفى الشخصى.

نُشِرَت نسبة من المواد المستمدة من مسحى اليومى للويب على مدونتى الإسلامية الافتراضية، مع تعليق موجز. يسد هذا الكتاب بعض الثغرات فى مدونتى، حيث يسلسل المعلومات فى إطار متماسك. سجلتُ نسبة كبيرة من جميع هذه البيانات وحفظتُ منها نسخة احتياطية. وقد يستغرق الوصول إلى موقع جديد عدة ساعات من التحليل والتسجيل المكثف. تحديد ملكية الموقع، وفحص المواد المؤرشفة (إن وجدت)، وإقامة الروابط والمراجع ذات الصلة من الأنشطة المناسبة أيضًا التى تجرى ممارستها بدرجات متفاوتة.

لدى بعض الوكالات والمنظمات فِرَقٌ من الموظفين المختصين بهذه المهمة بدوام كامل من حيث الترجمة والتسجيل والملاحظة والتحليل. ويحدث هذا غالبًا من أجل أجندات محددة ترتكز على اعتبارات أمنية. بيد أن هذا الكتاب الحالى بكامله مستمدٌ من مُخْرَجاتى وملاحظاتى. يتطلب البحث فى الإنترنت على نطاق كامل للخيوط التى تربط الخطاب بالمعرفة الإسلامية موارد معلوماتية وشخصية وحاسوبية هائلة، تتجاوز بكثير إمكانيات أكاديمي واحد. أشار دانيال فارسيكو إلى هذه النقطة إشارة لا بأس بها فى ٢٠٠٤، عندما كانت هناك مواقع إسلامية أقل بكثير من المواقع المتوفرة فى الوقت الحاضر (منتصف ٢٠٠٨):

> يزيد من تعقيد الطبيعة العابرة لمواقع الويب ما يبدو من سهولة العثور على الكثير من شتى أنوا ع المواقع . فلو كان هناك بالفعل أكثر من ٨ مليون صفحة ويب تذكر الإسلام، سيستغرق الأمر نظريًا منى أكثر من أربع سنوات ونصف من التحليل دون توقف، لمدة ثمانى ساعات يوميًا، إذا قضيت دقيقة واحدة فقط على كل صفحة ويب. بالطبع لن تكون كل مواقع الويب الممكنة ذات قيمة، لكن كيف يمكن تحليل مثل هذه العينة الكبيرة تحليلاً ذا معنى عمليًا؟ ضع فى الاعتبار أيضًا أن جوجل لا تصل إلى كل صفحة ويب والكثير من الصفحات المذكورة لا وجود لها الآن. منظومة البيانات فى حد ذاتها منظومة مغرية، ولكن كيف يمكن أن تكون ذات صلة بصورة مفيدة لمن يرفعون المواقع ويتصفحون الصفحات؟ ثمة ثورة ميديا ذات أبعاد هائلة تحدث فى الفضاء السيبرى. ومع الاعتذار

لمارشال مكلوهان، فإننى لست متأكداً أن الوسيط هو الرسالة بالنسبة للإنترنت، لكن الوسيط بالتأكيد نوع جديد من التحدى المنهجى.

يتبنى هذا الكتاب التحدى من دون اعتذار. تقدم صلاحية لقطة ما للاستخدام تناقضات وإشارات للتعقيد، وتوفر رؤية حول كيفية استمرار البيئات الإسلامية السيبرية فى التطور ونشأة الشبكات الإسلامية على الإنترنت. أصبحتُ على دراية متزايدة بأن الحدود بين "الأونلاين" و"الأوفلاين" باتت غير واضحة بشكل متزايد داخل البيئات الإسلامية السيبرية وبينها، وبتوازٍ مع المجتمعات الفيزيقية.

ظل التمييز بين الدين على الإنترنت وخارجه عنصراً حاسماً فى دراسات رائدة عن الدين أو الإنترنت أو كليهما. تستكشف هذه الدراسات الدافع وراء وضع المادة الدينية على الويب، والتى يمكن أن تتباين تبايناً كبيراً. بالنسبة للبعض، فهى محاولة لاستخلاص تجربة دينية رقمياً ووضعها على الإنترنت. قد تظهر درجات من "الشعائر" أو تتمثل "أونلاين" لأغراض كثيرة؛ لكى تشرح لغير المؤمنين ممارسة عقائدية، وتشجع المؤمنين الجدد، وتولد شعورا بالهوية لدى الممارسين الحاليين للدين، وتعكس العمليات والتفاعلات الاجتماعية خارج الإنترنت وتتصل بها.

ناقش عدد من الباحثين جوانب من المفهوم المرتبط بأديان محددة على الإنترنت أو بمعتقد ليس له نظير خارج الإنترنت، على الأقل فى مراحل تطوره. يمكن للدين على الإنترنت أن يتخذ أشكالا كثيرة، ويسلط هذا الكتاب الضوء على العديد منها. تطورت شعائر وولاءات محددة مثل الصلاة أو الاستماع إلى الخطب يمكن لشبكات المسلمين المشاركة من خلالها فى الأنشطة الدينية وتشكلت خصيصاً للدخول على الإنترنت. وقد تنطوى هذه على درجة من التفاعل. تبرز الأسئلة حول ما إذا كان القصد والمشاركة المرتبطان بالصلاة على الإنترنت يناظران الصلاة التى تؤدى فى المسجد.

صقلت المؤتمرات الأكاديمية الدولية أيضًا المناهج المتبعة فى هذا الحقل الدراسى. ليس لعدد من التطورات والابتكارات فى الممارسات والمفاهيم الإسلامية على الإنترنت التى نوقشت فى هذا الكتاب نظير حقيقى خارجه، وتمثل هذه جانبًا من جوانب "الدين على الإنترنت" الذى ينبغى النظر إليه جنبًا إلى جنب مع هذا الخطاب البحثى.

لا تزال دراسة الإسلام فى الفضاء السيبرى حقلاً ناميًا من حقول الدراسة الأكاديمية. تشير جوسلين سيزارى، بالنسبة لدراسات الإسلام والإنترنت (بما فيها تلك التى أنتجتها بنفسى)، إلى أن هناك مجالاً لمزيد من البحث فى أشكال محددة من الإسلام على الإنترنت التى قد تكون مستقلة عن نظيراتها خارجه: "منذ ١١ سبتمبر٢٠٠١، عنيت دراسة إسلام الإنترنت فى المقام الأول بدراسة النضال المتعلق بالإسلام".

سعيت لتحقيق التوازن بين العناصر المختلفة ذات الأهمية التى تتعلق بالإسلام والإنترنت. فى ٢٠٠٤ أنجزتُ دراسة حول كيفية عرض القرآن على الإنترنت، وضمن دراسات أخرى ركزت أيضًا على جوانب التواصل و"الاجتهاد" الإلكترونى. ركزت فى كتابىَّ "إسلامى افتراضى" (٢٠٠٠) و"الإسلام فى العصر الرقمى (٢٠٠٣) على كيفية تكوين مواقع الويب كامتداد لأشكال أخرى من المعرفة والشبكات والمرجعية الدينية. جرى التأكيد على أنه فى بعض الحالات، تطورت صياغات جديدة متميزة من الإسلام تتجاوز الحدود التقليدية للمعرفة. يسعى هذا الكتاب لبيان الهويات الإسلامية المتفردة على الإنترنت ومفاهيم الإسلام، إلى جانب طمس التمايز بين هذه الهويات ونظائرها خارج الإنترنت.

يُعدّ تحديد نطاق المشهد الإسلامى- السيبرى عنصرًا حاسمًا. وفى رأيى أن هناك مجالاً لمجموعة متنوعة من الدراسات لهذه الظواهر، بما فيها أشكال معينة من الإسلام على الإنترنت وما يمكن وصفه بأنه اندماج رقمى بين الإسلام على

الإنترنت وخارجه. لا ريب أن لتخصص المظاهر المحددة للإسلام على الإنترنت حينما تعرض نفسها من خلال مجموعة متنوعة من السياقات والأنساق والوسائط أهمية خاصة هنا. من المناسب أيضًا إجراء أبحاث قاعدية على أثر الإنترنت فى سياقات متنوعة، وهو أمر خارج نطاق هذا الكتاب.

بات الإنترنت عنصراً مساعداً حيوياً للباحثين الذين يسعون إلى تحليل جوانب من المعتقدات الإسلامية، وخاصة تلك التى تركز على تحليل المحتوى – يعتبر الإنترنت بالنسبة لهؤلاء مصدراً أساسيا للمعلومات حول الحركات والكيانات وشبكات مثل القاعدة. أيضا دخل بعض محللى الإسلام على الفضاء السيبرى لتفسير الوثائق والحركات. هناك تداخل كبير بين مختلف المباحث فيما يتعلق بتفسيرات الإسلام والإنترنت، لاسيما فى السياقات الإقليمية. وتحتاج الأسئلة المتميزة التى ظهرت مؤخرا والمتعلقة بتحديد الدراسات الإسلامية وعقلنتها كحقل معرفى – أو سلسلة من الحقول المعرفية – للنظر إليها فى علاقتها بدراسة البيئات الإسلامية السيبرية.

يمكن للدراسات الإسلامية نفسها أن تعمل من خلال عدد من نقاط التلاقى بين الحقول المعرفية (وليست جميعها حقول تكمل بعضها) وبين بعض الأجندات المتنوعة. على سبيل المثال، استمر النقاش فى المملكة المتحدة فى ٢٠٠٧ حول ما إن كان ينبغى أن تركز دراسات الإسلام على الجاليات المسلمة الموجودة فى المملكة المتحدة أو على المجالات التقليدية المرتبطة بالدراسات الإقليمية واللغويات، خاصة تلك التى ترتبط بمنطقة الشرق الأوسط. كنت عضواً تنفيذيًا بالجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط، كما أننى أكاديمى ظلت دراسة الإسلام ضمن السياقات الأوروبية الغربية نقطة أساسية لأبحاثه الأكاديمية. ولذلك، فإننى متموضع فى منتصف المسافة بين هذين المجالين، واللذين أرى أنهما مكملان لبعضهما أكثر منهما متنافسان. بعد كل شىء، هناك ترابط بين هذه المجالات لأولئك المهتمين بالبيئات الإسلامية السيبرية.

انعكست التداعيات السياسية لدراسة الإسلام، وحتى فى مستواها الاستهلالى، عندما نظّم كارل إرنست (محرر مشارك فى السلسلة التى صدر من بينها هذا الكتاب) فصولاً دراسية بجامعة ولاية كارولينا الشمالية خُصِّصَ فيها أحد الكتب التى تُعَرِّفُ بالقرآن موضوعًا للدراسة المقررة. كما انعكس الحوار الذى أعقب تلك المحاضرات عن الحرية الأكاديمية والحياد على الإنترنت وخارجه. وبالنسبة للبعض الذين يربطون أنفسهم بهذا المجال ضمن سياقات "غربية"، هناك أجندات سياسية واضحة مرتبطة بتأييد ودعم أنظمة حكم وأيديولوجيات بعينها.

يندرج مفهوم الدراسة الموضوعية للإسلام، فى بعض السياقات الإسلامية، ضمن الأجندات السياسية والدينية؛ فدوافع الدراسات الإسلامية قد تكمن بدلاً من ذلك فى التدريب على الواجبات الدينية كإمامة للصلاة، أو دفع أطر المعتقد الفردية، بدلاً من الدفع بالبحث الأكاديمى النقدى قُدُمًا. يمكن أن يكون هناك التباس، وعدد وافر من التفسيرات، مرتبطًا بتعريف دراسة الإسلام.

هناك أيضًا قضايا محددة مرتبطة بهويات "الداخل" و"الخارج" أى "المنتمين" و"الدخلاء". فعلى أحد الأصعدة، فإننى أعمل ضمن الفئة الأخيرة، فيما أدرك أيضًا أن الفرد يمكن أن يتمتع بالعديد من الهُويات. مناقشة الداخل والخارج قضية طال أمدها، خاصة بالنسبة لشخص يعمل على حد سواء ضمن قسم اللاهوت والدراسات الدينية، ومركز الدراسات الإسلامية. ومع ذلك، بَيَّنَ معارفى من المسلمين أنه فى مناطق معينة من الخطاب الإسلامى، يمكن لهذا أن يسهل جوانب التحليل النقدى التى لابد أن تستثير الجدل بالنسبة لمن يتمتعون بهوية إسلامية. قد يقدم من يُعْرَفون بالمسلمين العلمانيين، على سبيل المثال، تفسيرهم الخاص للشعائر الذى يثير زجرًا وتوبيخًا من قبل المسلمين "التقليديين". كما قد يلقى مَنْ يعملون من خلال نظرة صوفية شيئًا من الاعتراف من بعض الانتماءات القانونية ضمن "المدارس" التأويلية للفقه الإسلامى. بينما لا تعترف جوانب العقيدة الشيعية

بالضرورة ببعضها. ورغم هذا وغيره من العوامل، لا أود أن أبدو وأننى أعتذر. أدرك أن هناك مجالاً لعدد من وجهات النظر حول هذا الموضوع، ولا سيما تلك التى تعمل ضمن الدراسات الإسلامية. ومن خلال عروض ذات صلة بالموضوع فى مؤتمرات ومناقشات أخرى أثناء إعداد هذا الكتاب، استفدت من مناقشة هذه الموضوعات مع عدد من الأشخاص الذين يعملون من منطلق رؤى إسلامية متنوعة.

وفيما نُدْرِك فى سياق هذا الكتاب أنه لا مجال أساساً لمفهوم الحياد، فقد بذلنا جهداً للتوصل إلى نهج متوازن أكاديميًا نحو فهم البيئات الإسلامية السيبرية. أوضحت ردود الفعل على أعمالى السابقة أن تلك الأعمال أُستخدمت بنفس القدر فى سياقات حلقات دراسية إسلامية إلى جانب أقسام الجامعات "العلمانية" (وأخرى بين الاثنتين).

لابد للدراسات الإسلامية المعاصرة، بوجه خاص، من تطوير وعى بهذه البيئة (السيبرية)، وفى هذا الصدد يكتسب تعليق ڤاريسكو السابق ذكره أهمية خاصة هنا. وضع بروس لورانس وميريام كوك منهجًا واعيًا يؤدى إلى الاعتراف بتأثير الإنترنت المحتمل ضمن أشكال الخطاب الإسلامى فى عمل سيتحول إلى كتاب يقومان بتحريره، بعنوان "الشبكات الإسلامية". يضم هذا الكتاب عدة فصول تشير إلى تأثير الإنترنت فى السياقات الإسلامية. ساهم دايل أيكلمان وجيمس بسكاتورى وچون أندرسون بعدد من الدراسات المهمة التى تشير إلى أشكال التفاعل بين الميديا والمسلمين والمجتمع. رأت هذه الأبحاث شبكة الإنترنت باعتبارها قناة هامة لمختلف أشكال الاتصالات بين المسلمين، والتى تندمج مع غيرها من أشكال الحوار والتفاعل.

اتخذ هذا الاعتراف الأكاديمى أشكالاً عديدة: قاد چون بى. ألترمان الدراسات المرتبطة بجوانب الميديا، بما فيها الإنترنت، وأثره على منطقة الشرق الاوسط. ركز ألبريشت هوفهاينز على وجه التحديد على السياقات الناطقة بالعربية ومفاهيم

التحرر السياسى، مع إجراء البحث الميدانى على استخدام الإنترنت فى المغرب ومصر والسودان. كما طبقت دِبْرا ويلر البحث الميدانى المستمر أيضاً، واستخدمت منهجًا إثنوغرافياً فى دراستها عن الإنترنت فى الشرق الأوسط، مركزة على أثره فى الكويت. هناك أمثلة أخرى من الدراسة الأكاديمية الناشئة التى تركز على قضايا محددة ترتبط بالإسلام والمسلمين والإنترنت.

بات البحث حول الإسلام والإنترنت محملاً بالتباينات التى لا تكاد تُلْحَظ فى جوانب محددة من الميديا وانبثقت هذه الأبحاث من أقسام اللاهوت والدراسات الدينية. يتضح هذا فى دراسات جوران لارسون، الذى صمم مسوحات لغرف الدردشة وويكيبيديا فى سياق الإسلام. اشتمل الكتاب الذى حرره لارسون فصلاً ألفه فيليب هالدِن عن أنشطة الإنترنت الجهادية السلفية، ومساهمة من إرميت ماريانى عن أشكال المعرفة الإسلامية على الإنترنت، والفصل الذى كَتَبْتُه عن الفضاء السيبرى الإسلامى بالملكة المتحدة. ويشار إلى إسهامات ومناهج أخرى فى مواضع مختلفة من هذا الكتاب. الأمل معقود على أن تسهم هذه الدراسة الحالية أيضا فى فهم مشهد الإنترنت المتطور والمتحول فى سياق الإسلام والمسلمين. ويتواصل الزخم فى مجال الدراسة هذا فى التزايد كرد فعل للمخاوف العالمية المتغيرة وتطور واجهات تكنولوجية ببنية جديدة وسيطة بين الدين/الأديان، وأتباعها، ومجتمعاتها، وممارسيها.

ما يجعل الإنترنت إسلامياً؟

وفقًا لعلماء المسلمين المعاصرين، وخاصة الناشطين منهم على الإنترنت، فليس ثمة تعارض بين الإسلام بوصفه دينًا وبين تمثيله على الإنترنت. تعتمد تلك الرؤية على الهدف والمقصد والنية التى تطبق تلك الميديا لتحقيقها. ويُترك تحديد ما هو مناسب أو صحيح إسلامياً على الإنترنت إلى حكم الفرد المسلم. يوضح هذا الكتاب أن طيفًا واسعًا من المناهج التشعبية وأشكال الفهم الإسلامية توجد فى الفضاء

السيبرى، الذى يعكس التحولات السياسية التى طرأت على النماذج والتأثيرات الإسلامية وتحول أنماط العقيدة كرد فعل للتفاعل فى إطار القوالب المفاهيمية والتأويلية. وترتبط تلك القوالب نفسها بالنماذج الأولى التاريخية للتطور المعرفى والاتصال، والتى تحتل مكانة عالية فى الثقافات والمجتمعات الإسلامية.

عن النبى محمد (ص) أنه قال: "اطلبوا العلم ولو فى الصين". يمكن النظر إلى الإنترنت باعتباره امتداداً لذلك الطلب. ولا بد أن نلاحظ هنا أن الدخول على الإنترنت، رغم تحسنه فى كثير من السياقات ذات الأغلبية المسلمة، لا يزال منخفضًا نسبيًا. كما أن ثمة مقاومة لجوانب من استخدامات الإنترنت فى بعض الأوساط الإسلامية. خففت البراجماتية من هذه المقاومة، نظرًا إلى أن هناك جيلاً متعلمًا نشأ وهو ملم إلمامًا كاملاً بتطبيق واجهات الحاسبات كجزء من الترف أو التعليم أو الأعمال، ويطبّقها الآن فى مجال التعبير والفهم الدينى.

أكُلُّ نشاطٍ يقوم به المسلمون على الإنترنت نشاط إسلامى بصورة ضمنية؟ هناك حدود واضحة تبين الأخلاق الإسلامية عدم جواز تخطيها، مثل الدخول على مواقع البورنو أو لعب القمار على الإنترنت. هناك أيضًا مناطق غير متمايزة، خاصة بالنسبة لأولئك الفاعلين الذين يؤمنون بأن القرآن يرشدهم بصورة ضمنية فى كل عمل يقومون به. ويثير هذه صعوبات للأكاديميين الذين لن يحيط تمثيلهم لهذه الحدود بالضرورة بمثل هذه الاعتبارات. ومع وضع هذه النقاط فى الاعتبار، يركز هذا الكتاب فى المقام الأول على الأنشطة على الإنترنت ذات التوجه الدينى الواضح، كما تُعَرِّفها مناهج المسلمين من المتمسكين بها والممارسين لها. اقترح بعض النقاد ضرورة توجيه نقد صريح لبعض الأنشطة على الإنترنت التى تتم باسم الإسلام، ولكن هذا، فى رأيى، من شأنه أن يزيح محاولات الملاحظة المستقلة والموضوعية، وهى بحد ذاتها مصطلحات إشكالية، ولا سيما فى مجال دراسة الأديان.

أكدتُ باستمرار على تنوع التصورات المفاهيمية للإسلام فى الفضاء السيبرى، وهو ما يعكس حقًا جوانب كثيرة من هذه السيولة، وفى الواقع، عدد ظلال المعنى التى يمكن تحديدها فى نطاق هذا الطيف من خلال البحث فى "الاسلام" على الفضاء السيبرى. أعتبر أن أى منظور يتبناه الفرد المسلم عن الإسلام أو تعريفه له مشروع، سواء تقبلته الأغلبية أم كان يعكس وجهة نظر فردية. أدى ذلك ببعض قراء أعمالى إلى طرح آرائهم حول ماهية الإسلام الشرعى وما يتجاوز هذه الحدود. على سبيل المثال، وفى عدة مرات، أثارت أوصاف مثل "المسلمين المثليين" أو طالبان، القلق بزعم أن هذه ليست هويات مسلمة، ولا يمكن إدراجها ضمن التحليلات. ومع ذلك، فإنها عكست خطابات متعددة من مسلمين عن الإسلام، وينبغى، فى رأيى، أن تشكل جزءًا من أى تحليل يتحدث بوجه عام عن الدين، وتأويلاته، والمؤمنين به، وعن تنوعه كما يتمثل فى مناطق متعددة من شبكة الويب العالمية. قد يدل هذا على المنهج الظاهراتى لكتابتى حتى الآن، الذى تأثر بالباحثة نينيان سمارت وغيرها من الباحثين الأكاديميين فى الدين. إن تحديد نموذج واحد للإسلام ولما هو إسلامى يخالف الواقع، سواء على الإنترنت أو خارجه، مع وجود أصداء للخطاب التاريخى الاستشراقى كما أوضحه إدوارد سعيد.

إن تعريف ماهية الإسلام أو الإسلامى أو المسلم قضية مهمة وحساسة. ناقش بيتر ماندڤيل تصورًا مفاهيميًا "مرنًا" للإسلام، حيث يشمل شعار الإسلام الواحد كـ"دال رئيس تجريدًا شموليًا يمكن من خلاله أن ينتظم المعنى والخطاب". ويبين كيف يناقض تحديد أنواع مختلفة من "الإسلام" وجهات نظر "الغالبية العظمى من المسلمين" الذين يعتقدون بوجود إسلام واحد.

تقع كيفية تحديد هذا، فى الواقع، خارج نطاق هذا الكتاب. لابد من القول إن عددًا من أشكال التفسير، والتى تندرج تحت راية إسلام واحد أو أشكال متعددة من الإسلام، تشير إلى أن منهجها فى الأساس هو الطريق الشرعى الوحيد الذى

يمكن اتباعه. ويتمثل هذا الأمر كثيراً فى الفضاء السيبرى. قد يكون ذلك الشكل خفيًا أو علنيًا، عدوانيًا أو هادئًا؛ لكن حصرية العقيدة الضمنية تسعى لنزع الشرعية عن الرؤى الأخرى الموجودة ضمن الطيف الإسلامى. ويمكنها أن تحاول القيام بهذا مع الإشارة إلى أمة واحدة أو "جماعة المؤمنين" الأمر الذى يبدو متناقضاً.

أحد الأسئلة المهمة عند النظر فى عناصر نشر المعرفة، والرقابة، والدخول على الإنترنت ضمن البيئات الإسلامية السيبرية، هو طبيعة قراء الإنترنت فى السياقات الإسلامية. مَنْ القراء الذين يمكنهم الاستفادة من الإنترنت لاكتساب المعرفة الدينية عن الاسلام؟ يمكن النظر إلى نماذج مختلفة، من بينها النماذج القائمة على التسويق الاستهلاكى وتطوير المنتجات، فى محاولة لتحديد ما يجعل منتج أى موقع إسلامى جذابًا بالنسبة لشتى أنواع القراء. قد يشير المنتج فى هذا السياق إلى التفاعلية والتواصل الحادث بقدر إشارته إلى المحتوى النصى ومتعدد الوسائط الثابت أو المتدفق والذى يجرى تحديثه بانتظام.

يعرض المسلمون أبعاداً من حياتهم الدينية أو الروحية أو السياسية أو جميعها على الإنترنت من خلال المساحات التى تدمج مواقع الويب، والوسائط المتعددة، وغرف الدردشة، وقوائم البريد الإلكترونى، والتفاعل من خلال منتديات الشبكات الاجتماعية والمحتوى الذى يولده المستخدمون. يتمثل التركيز الأساسى لهذا الكتاب، ومع الاعتراف بتفاعل هذه الأدوات المتنوعة، على شبكة الويب العالمية؛ إذ إنها أكثر أشكال المحتوى الرقمى إتاحة بالنسبة لجمهور الإنترنت، ولا تتطلب عضوية للدخول عليها (فيما عدا فى المواقع المغلقة أو المقصورة على الأعضاء فقط) ولا مهارات فنية محددة للدخول أكثر من المعرفة الأساسية بكيفية عمل متصفح الإنترنت. يكفى خط تليفون وجهاز كمبيوتر بسيط لفتح عالم من المحتوى كان بعيداً عن دوائر المعرفة الإسلامية، بما فيها مناطق من الويب التى تتطلب عضوية.

ثمة سؤال مهم وهو من الأسئلة التي دفعتني للبحث في بداياته في هذا المجال: ما مدى "إسلامية" تكنولوجيا الإنترنت؟ نوقش هذا الموضوع على الإنترنت بصورة مطولة. ورغم أن هذه الآراء لا تمثل بالضرورة أي رأي سائد، ظهرت هناك بعض التفسيرات والإشارات إلى التكنولوجيا في مقال نُشِرَ على موقع حزب التحرير khilafah.com.

> شَرَّعَ الله (سبحانه وتعالى) لنا استخدام شتى أنواع التكنولوجيا طالما أنها تُستخدم بطريق حلال. "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا" (سورة البقرة، الآية ٢٩). وهذا يشمل السيارات والهواتف المحمولة والإنترنت والأقمار الصناعية والصواريخ، وأقراص الفيديو الرقمية (دي في دي). كما استفاد النبي (صلى الله عليه وسلم) من مختلف التكنولوجيات في عصره، حتى أنه استخدم أسلوب حفر الخندق الذي تعلمه من الفرس في غزوة الخندق، والمعروفة باسم غزوة الأحزاب. يمكن استخدام التكنولوجيا في الحلال أو الحرام، فالشيء في حد ذاته ليس حرامًا لكن ما تفعله به. على سبيل المثال، يمكن استخدام الإنترنت والدي في دي في الحرام كإشاعة الفاحشة أو يمكن استخدامها في الحلال لنشر الإسلام.

هذا مثير للاهتمام من حيث استخدامه القرآن والأحداث من حياة النبي محمد (ص) لتبرير تطبيقات معينة للإنترنت داخل حدود مرسومة. لابد أن نميز هنا بين الأعمال الدينية وغيرها من الأعمال. بعض الأنشطة التي يقوم به المسلمون على الإنترنت ليست دينية أو إسلامية تحديدًا في توجهها، رغم أن القائمين بها قد

يظهرون سلوكًا إسلاميًا نموذجيًا فى مشاركتهم وتمثيلهم للمبادئ الإسلامية. قد يكون المؤشر غير واضح، وتعيين الحدود الفاصلة بين ما يمثل نشاطًا إسلاميًا أو سلوك المسلم أمر مشكل. وتكفى تحية "السلام عليكم" على الإنترنت لتقدم رسالة إلكترونية مفادها أنها إسلامية، حتى لو كان محتواها مقصوراً على العمل المهنى. كما يمكن النظر إلى التعاملات بـeBay، التى تُستخدم فيها بطاقة السحب من الحساب بدلاً من بطاقة الائتمان التى تتراكم بها الفائدة والتى يراها بعض المفسرين غير إسلامية، كنشاط حلال. من المؤكد أن هناك مجالاً لتحديد آداب الإنترنت الإسلامية، ومواءمة المبادئ التقليدية مع عصر المعلومات.

يتخذ تنويع محتوى الإنترنت أشكالا عديدة، مع إنشاء البرامج الإسلامية شبكات جديدة من الاتصالات فى مختلف جوانب حياة الإنسان. على سبيل المثال، فى المملكة العربية السعودية، كان من المقرر أن تقوم جامعة إلكترونية بعرض قيم إسلامية محددة بالنسبة للجماهير المحلية والدولية. تطور هذا الوعى بالجماهير الدولية على يد وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التى أطلقت موقع إنترنت باللغة الصينية ليس فقط بهدف محاولة الوصول إلى الـ٢٠ مليون مسلم بالصين؛ بل أيضًا لعرض وجهة نظرها على القطاعات الأخرى من جمهور الإنترنت المتزايد فى الصين.

أدت مثل هذه الأنشطة إلى قدر من التأمل الجاد حول طبيعة وجود المسلمين على الإنترنت فى الفضاء السيبرى: تجعل "السيبرة" المتزايدة لحياتنا التفاعل الواقعى أكثر إلحاحًا من أى وقت مضى حتى نظل بشراً، فقد يمكن أن نسمح لظلال أنفسنا بالتواجد فى الفضاء السيبرى لكن لا يجوز أن نفقد أرواحنا فى الفضاء السيبرى، ولابد أن نرى ما يحدث للإسلام فى عملية سيبرة الإسلام". يشير هذا إلى مناقشات أوسع نطاقًا بشأن التطبيق "الملائم" للوسيط فى السياقات الإسلامية. وقد سعى البعض لتقديم أساليب منهجية وضوابط محددة للإنترنت،

على أساس تصورٍ للقيم الإسلامية. في المملكة المتحدة، نُشِرَ دليل للآباء والأمهات المسلمين الذين يسعون للتحكم فى استخدام أطفالهم للإنترنت.

يطرح محو الأمية التكنولوجية المصاحبة لأجيال جديدة من القراء وأصحاب المواقع قضايا جديدة بالنسبة لفهمنا للبيئات الإسلامية السيبرية. بالنسبة للمسلمين الذين يسعون وراء الآراء والمشورة الدينية بشأن مثل هذه التطورات، استلزم هذا مساهمة فقهية من "العلماء"، سواء من نصبوا أنفسهم علماء أو من حصلوا على تدريب كلاسيكى أو كليهما، والذين يسعون إلى صقل عناصر بروتوكول النت الإسلامى أو الأخلاق التى تواكب التحولات والتغيرات التكنولوجية فى الممارسات الثقافية. يمكن أن يشمل ذلك الاستخدام "المناسب" للماسنجر على الإنترنت مثل MSN، وAIM، وM1 و"مناسبة" الدردشة عبر الإنترنت. وفى رد على سؤال حول استخدام الماسنجر على الإنترنت (وبرامج الدردشة الشبيهة)، ذكر أحد الباحثين قائلاً:

> الإنترنت نعمة أنعم الله تعالى بها علينا، وعلينا أن نشكره عليها. وينبغى لنا أن نعرب عن امتناننا له، عن طريق الاستفادة المثلى منها. وإنه لمن الجحود إساءة استخدام الإنترنت بطرق نعرف أنها غير لائقة.
>
> الماسنجر من بين خدمات الإنترنت، لكن بعض الناس يتجاهلون الأخلاق الإسلامية القويمة عند استخدامه. إحدى حالات هذا التجاهل هى الدردشة غير الضرورية بين أفراد من الجنسين، والتى ربما انطوت على مخاطر غير مرغوب فيها. يجب أن ندرأ الشرور التى يوسوس بها الشيطان، فهو يغرى الناس بشتى الطرق والوسائل الخادعة.

طبقت المناقشة التى أعقبت ذلك الإحالات القرآنية لتبرير أنماط سلوك محدد فى

استخدام الماسنجر. وشمل هذا التأكد أن المتصفحين "على الجانب الآخر" لديهم الوقت للدردشة، وأن محتوى المناقشة "لائق". أوضح رد ذو صلة على الدردشة أن "الدردشة مع أفراد من الجنس الآخر، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، شخصياً وجهاً لوجه، أو على خطوط الهاتف تقع جميعها ضمن نفس الفئة، حرامها حرام، وحلالها حلال".

يشير هذا إلى أنماط معينة من المسموح به (الحلال) والمنهى عنه (الحرام)، والتى تعكس مفاهيم ومبادئ مماثلة لسياقات إسلامية أخرى، كما جاء فى مقالة أخرى على موقع "الإسلام أون لاين": "الدردشة على الإنترنت شديدة الشبه بكتابة الخطابات أو التحدث إلى شخص ما على الهاتف. فى الواقع، الدردشة مزيج من الاثنين. وعلى المسلمين مراعاة القواعد نفسها التى يراعونها أثناء كتابة الخطابات أو إجراء المكالمات الهاتفية. لا يسمح الإسلام بتبادل رسائل الحب أو المحادثات الحميمة بين الذكور والإناث غير المتزوجين مع بعضهم".

تطور "إتيكيت" النت الإسلامى جزء من عملية مستمرة تتضمن تطبيق المبادئ المستقاة من المصادر الإسلامية الأولية وتفسيرها لتلبية الاحتياجات والسياقات المعاصرة. يشير هذا المنهج، فى بعض النواحى، إلى شكل من أشكال الاجتهاد، وهو مصطلح يربط ممارسات العلماء التاريخية والمعاصرة فى اشتقاق المعنى التفسيرى والمماثل من مصادر إسلامية بما يتناسب مع ضرورة وضع ما.

لتسليط الضوء على المخاطر المتصورة للإنترنت وتكنولوجيا الحاسب سوق تتجاوز البيئات الإسلامية السيبرية. فإلى جانب مناقشة الإسلام، فإن العنصرين يضمران من القوة ما يكفى لتوليد الخوف، سواء من المنظور الداخلى أو الخارجى. ظهرت أيضاً حوارات حول إساءة الاستخدام المتصورة للإنترنت، والتى قد تتناقض أو لا تتناقض مع تعاليم الدين الإسلامى. بعض هذه الحوارات تدور حول طبيعة المحتوى والحوار، بينما يمثل البعض الآخر مجرد إيحاءات بأن إلهاء الإنترنت مضرٌ

بالأعمال أو الشركات: "تكلف إساءة استخدام موظفى الشركات السعودية للإنترنت الملايين من الريالات سنوياً، وفقا لمسح أجرى فى المملكة. نحو ٣٠ بالمائة من الشركات الصغيرة ومتوسطة الحجم تفقد أكثر من يوم عمل من كل أسبوع بسبب سوء استخدام الموظفين للنت". ولم يوضح التقرير ما إذا كانت إساءة الاستخدام هذه مجرد تصفح موظف للإنترنت، أو الدردشة على الإنترنت، أو زيارة المناطق الأكثر إثارة الجدل وصريحة الارتباط بالإنترنت.

استكشف عدد من الكتاب والصحفيين الإمكانية الإيجابية والسلبية للإنترنت فى السياقات الإسلامية. فى باكستان، ذكر راضى عزمى أنه: "يمكن استخدام الإنترنت، كالديناميت والطاقة النووية، بطريقة بناءة أو مدمرة، بطريقة سلبية أو إيجابية. فهو أداة، قوة مضاعفة هائلة، يمكن استخدامها لنشر المعارف وتمثلها أو للدعوة للجهل، والتشوهات وأنصاف الحقائق". صُنِّف الميل إلى إلقاء مسئولية الأمراض المجتمعية على الإنترنت فى بعض الأوساط بالقول بأن الشكوى واللوم لا يكفيان؛ إذ لابد من مواجهة التحدى على الإنترنت.

يمكن لمس أثر الإنترنت فى مختلف قطاعات العقائد الإسلامية، مع وجود قيود متأصلة فى بعض السياقات الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية. يذكر كارل إرنست:

> الغالبية العظمى من المشاركين فى التقاليد الصوفية فى البلدان المسلمة لا تزال تنتمى إلى الشرائح الاجتماعية التى تحصل على القليل للغاية من أحدث أشكال الاتصالات الإلكترونية، وكثير منهم أميون بالفعل. لا يتمثل المريدون المنتمون للطبقة الأدنى الذين يحضرون موالد أولياء الصوفية فى مصر وباكستان على الإنترنت. ويحتمل أن يكون أثر انتشار

> تكنولوجيات الإنترنت هو "تعزيز الشبكات الاجتماعية المهيمنة ثقافيًا، فضلاً عن زيادة كونيتها وعولمتها".
> وكما هو متوقع، يميل كُتَّاب مواقع الويب الصوفية إلى أن يكونوا أعضاء بالطبقات الكوزموبوليتانية والمعولمة: سواء أقطاب الصوفية المهاجرين الذين أقاموا قواعد جديدة فى أمريكا وأوروبا، أو التكنوقراط المهاجرين الذين تصادف أن يكون لهم انتماءات صوفية، أو الذين اعتنقوا الصوفية من الأوروبيين والأمريكيين بشكل أو آخر.

هذا الوعى المتطور بالمسلمين الافتراضيين وعىٌ مهم يكبح أى اندفاع نحو افتراضات حول القوى التحويلية المباشرة للإنترنت. وكما ناقشت فى مواضع أخرى، لا تزال العديد من القطاعات والطوائف غير متأثرة أو غير مهتمة بدور الإنترنت المرتبط بالإسلام، فى وجود مَنْ يتمادون ويَدعُون إلى تجنب استخدام التكنولوجيا.

يقدم مفهوم "الأمة الافتراضية" بالتالى بعض جوانب القصور الكامنة من حيث المستخدمون والأثر. وتُعَرَّف هذه الأمة بأنها تمثل جماعة المؤمنين فى جميع أنحاء العالم (عبر المكان والزمان)، وتوجد أصولها فى القرآن وفى أحاديث النبى محمد (ص). استكشف أوليڤييه رُوىْ فكرة الأمة وكيفية تشكيلها على الإنترنت: "الأمة الافتراضية على الإنترنت هى المكان المثالى للأفراد للتعبير عن أنفسهم فيما يدّعون لأنفسهم الانتماء إلى جماعة يساهمون فى نشأتها، بدلاً من أن يكونوا أعضاء سلبيين".

أود أن أشير إلى أنه، بدلاً من الأمة الواحدة التى رُسِمَت لها صورة مثالية كمفهوم إسلامى كلاسيكى، هناك العديد من أطر الأمة الموازية التى تعمل فى

الفضاء السيبرى، والتى تعكس أفكاراً متنوعة عن مفاهيم الجماعة. وهذا يعكس تصورات الهوية والسلطة الإسلامية على الإنترنت التى تجد صداها فى أفكار مماثلة فى العالم غير الرقمى والتى يمكن أن ترعى أيضاً شبكات جديدة من أشكال الفهم فى الفضاء السيبرى. إنها ظاهرة طبيعية لجيل ملم بالنت فى سعيه للبحث عن حقائق وانتماءات معينة على الإنترنت عندما يتعذر الوصول إليها فى مسجد محلى أو فى سياق المجتمع. يمكن أن يتم هذا من خلال قنوات المعلومات الرسمية، ومن ضمنها البوابات الإسلامية التى تنتمى للاعبين الرئيسيين فى البيئات الإسلامية السيبرية. وبالمثل، يمكن أن تنطوى على إمكانية الوصول إلى قوائم المناقشات والمنتديات، حيث يمكن نشر الأسئلة، إلى مجموعات الأقران فى أغلب الأحيان.

بات الإنترنت أداة التواصل الأساسية لكثير من الجماعات والأفراد المسلمين. كشف الإنترنت للأفراد والجماعات تفسيرات وتأثيرات جديدة، ليفى بحاجة أولئك الذين يبحثون عن المعرفة غير المتوفرة فى السياقات المحلية. ويتجاوز هذا النماذج الأساسية البسيطة لسياقات الأغلبية والأقلية. ويمكن، على سبيل المثال، أن تضم فاعلين تحرروا من أسر تفسير الغالبية للإسلام – غالباً تفسير ترعاه الدولة فى بلد يتمتع بأغلبية سكانية مسلمة. أدت أطر المرجعية الجديدة، بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون أنفسهم محرومين من الحقوق أو لا يمثلهم الوضع الراهن فى العالم الحقيقى، لتطوير شبكات سيبرية جديدة من التفاهم الإسلامى. تعتمد هذه الشبكات غالباً على قراءات بديلة لمواد المصادر الإسلامية خارج التأثيرات "التقليدية" والتى تسيطر عليها الدولة.

وبالطبع، لم يرحب الكل بهذه التطورات، لاسيما أولئك الذين يسعون للحفاظ على الوضع القائم للمعرفة والتفسير من خلال تطوير الحواجز المصطنعة التى تحول بين قيام الأفراد والجماعات واستكشاف أشكال الفهم البديلة للإسلام. على

سبيل المثال، قد يستشير الآن أولئك الذين استشاروا "العلماء" السنة "التقليديين" المقيمين فى مجتمعاتهم، والذين تلقوا تدريبهم فى العلوم الإسلامية فى مؤسسات كالأزهر، "عالمًا" مقيمًا فى الفضاء السيبرى يفتقد إلى هذه المؤهلات. وقد تكون خلفيات "العلماء" السيبريين متجذرة فى مهارات لا تمت بصلة إلى التدريب المعترف به فى مبادئ الشريعة الإسلامية، أو "أصول الفقه". وهذا لا ينزع شرعية هؤلاء فى نظر الشخص الذى يدخل على موقع هذا "العَالِم". قد يملك العَالِم (الذى عادةً ما يكون ذكرًا) سمات أخرى، ترتبط بنسب أسرته، الذى يرجع إلى أحد الأقارب المهمين من ذوى الكاريزما المقدسة/الدينية الفطرية أو السلطة (البركة)، أو الانتماء إلى منظمة دينية أو سياسية معينة أو كليهما. وقد يظهر بقوة أيضًا فى كلمات البحث الرئيسية فى جوجل. ولا تقتصر هذه الظاهرة على الفضاء السيبرى، لكن هذا الوسيط صار نقطة تركيز واضحة لهذه التطورات. تعرضت تقاليد المرجعية الدينية إلى تحدٍ من تلك الشبكات والمنظمات وعزم الأفراد على إعادة تعريف الإسلام فى العصر الرقمى.

إن بناء نماذج للتفسير والفهم تتعلق بالبيئات الإسلامية السيبرية نشاطٌ معقد بطبيعته، كما ذكر أيكلمان وأندرسون "دور الميديا الجديدة فى توسيع نطاق مجالات الإسلام العامة، فى المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة والشبكات الإسلامية الممتدة عبر الحدود القومية، دور معقد ومتعدد الأبعاد بمقدار تعقّد اتصالات هذه المجالات وتعددها محليًا ودوليًا. وإذا كان لا يمكن التنبؤ بهذا الدور، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لعواقبه؛ فتآكل المسافة الاجتماعية وتكاثر أعداد من يمكن أن يقوموا بدور القدوة يعيد تشكيل معانى المحلى والكوكبى، في وجود الميديا الجديدة وسيلة لهم".

إن عدم القدرة على التنبؤ بما يحدث على الشبكات عامل مهم، فى وجود طفرات فى التكنولوجيا السريعة والالتزام الناشئ استجابة لأحداث ضمن المجالات المحلية

والكوكبية. أود أن نتفق على أنه علينا إعادة النظر فى المقصود بـ"المحلى" و"الكوكبى". وأعتقد، فيما يتعلق بالمسلمين الافتراضيين، أن عملية إعادة النظر هذه نشاط داخلى لأصحاب المواقع ومقدمى الخدمات الإسلامية الذين يعيدون تقييم شبكاتهم، ونشاط خارجى للباحثين (المسلمين وغيرهم) الساعين لتخطيط وتفسير إعادة ربط [شتات] دار الإسلام. ويمكن لأولئك العاملين ضمن البيئات الإسلامية السيبرية التى تعيد تقييم شبكاتها ومحتواها باستمرار التمتع بميزة عن أولئك الذين لا يزال إنتاجهم وانتماءاتهم فى طور الثبات. أما فى المجالات السيبرية الإسلامية الديناميكية والمتطورة، والمتقاطعة، على الصعيدين المحلى والكوكبى، فهناك جمهور ملم بالويب وعلى دراية بتطورات الإنترنت الحديثة التى تحتضن وهج الابتكار التكنولوجى على الإنترنت باسم الإسلام. وهم لا يرون تناقضاً بين الإسلام والإنترنت وينظرون إلى الويب كأداة لتعزيز الدعوة والترابط بين رؤاهم الإسلامية للعالم.

لإعادة التشكيل هذا تأكيد أيديولوجى وتأويلى لافت للنظر. فعلى الإنترنت، تأثر عدد من المواقع بشكل مباشر أو غير مباشر بجوانب المرجعية والتفسير المنبثقة من تعريفات الوهابية والسلفية والقطبية الفضفاضة، وما يرادفها من سياقات تفسيرية سياسية/دينية. لا تمدنا المواقع بالضرورة بمؤشرات واضحة عمن يقوم بالتمويل والدعم أو كتابة المحتوى.

جاء هذا إلى بؤرة الاهتمام بشكل خاص عند استكشاف مواقع الويب التى تقدم ترجمات وتفسيراً لمعانى القرآن. تُعرض هذه الترجمات والتفسيرات على الإنترنت باعتبارها التفسيرات السائدة، لكنها يمكن أن تعكس أى جانب من جوانب مصفوفات التفسير الإسلامى دون تحديد واضح بالضرورة لأى منها. برز هذا بالنسبة لى عندما كنت أدرس الإسلام، وحينما كان يقدم الطلاب لى المحتوى التفسيرى للقرآن فى أبحاثهم. كانت هذه المادة مستمدة من مصادر مترجمة على

الإنترنت تمثل رؤى دينية–سياسية إسلامية، والتي صُنِّفَت على المواقع باعتبارها "سائدة" أو "تقليدية" أو سنية". لكن الواضح أنها لم تكن كذلك.

كان جزء من عملية التدريس التي كنت أقوم بها هو أن أوضح لهؤلاء الطلاب ضرورة تحليل مثل هذه التفسيرات من أجل تحديد أطرها الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية قبل استخدامها في أبحاثهم. في بعض الحالات، بيَّن هذا التحليل أن التفسيرات استُمِدَّت من محتوى من مصادر سياسية ذات توجه إسلامي "متشدد"، والذي لا يُحْسَب على آراء الأغلبية. هذا لا ينفي صحة هذا التفسير، بالضرورة، ولكنه يعزز الحاجة إلى الوعي بانتماءات مقدمي المحتوى على مواقع الويب.

وفيما يتعلق بهذه النقطة، يمكن أن تُسْتَمَد نسبة كبيرة من محتوى التفسيرات القرآنية على الإنترنت من مصادر قد يحدَّد بعضها على أنها ذات توجه "متأثر بالوهابية". وتشمل هذه عدداً من المواقع التي ظهرت من قِبَل المؤسسات والجهات الدينية السعودية، أو مُوِّلت من قِبَلِها. توفر هذه المؤسسات والجهات "الفتاوى" والآراء الموثوقة للجمهور المحلي والعالمي. تمثِّل هذه المؤسسات نفسها كجزء من التيار السائد وتشير إلى تفسيرها على أنه النموذج الإسلامي الوحيد الذي يجب اتباعه، لكنها في الحقيقة تمثل جانبًا واحدًا من طيف أكثر تعقيداً من أشكال الفهم الإسلامية. تحدَّث بعض العلماء عن "تحويل" الإسلام "إلى المذهب السني"، بالاستناد إلى هذا النموذج الوهابي، الذي ينفي مراراً وتكراراً غيره من وجهات النظر الدينية الإسلامية ويدينها. وأدى المزج بين العضلات المالية واستراتيجيات الاتصالات المتطورة إلى تعزيز أهداف البعثات الإسلامية المستندة إلى نماذج تفسيرية متأثرة بالوهابية. كما أثرت أيضاً في النماذج البديلة للفهم الإسلامي التي تسعى لزيادة أنشطتها على الإنترنت لمواجهة هيمنة هذه التأثيرات في البيئات الإسلامية السيبرية.

ظهرت المادة المتأثرة بالوهابية فى سياقات متنوعة على الإنترنت من مجموعة متنوعة من المصادر الثقافية واللغوية. على سبيل المثال، هناك عدد من المواقع أُطْلِقَت فى باكستان وماليزيا، تحتوى على مواد يمكن أن يسميها البعض وهابية أو سلفية لكن مؤلفيها سيصفونها ببساطة بالإسلامية. وهذا يثير أيضاً بعض القضايا الهامة حول كيفية نشر الإسلام وتسويقه عالميًا - ليس فقط من خلال الميديا الرقمية، وخاصة فى السياقات غير المسلمة. يدرك رُوى أن هناك تجانسًا فى محتوى الإنترنت الإسلامى: "إذا دَخَلْتَ على الإنترنت باللغة الإنجليزية أو بالعربية الحديثة ستجد أن كل الكتابات قام بها السلفيون والوهابيون [الراديكاليون] الخ. من الأهمية بمكان أن الشباب المسلم المتعلم الذين يسافرون إلى بلدان أخرى للدراسة ونحوها يطّلعون على هذه المواقع. إنهم يتبادلون المعلومات. ولا أستطيع أن أقول الشيء نفسه عن الإسلام الليبرالى، [الذى تتسم أفكاره] بأنها أقل انتشاراً".

ولئن كان من الصعب تبرير مثل هذه المقولة على أسس علمية كمية، فإن مصطلح "الإسلام الليبرالى" يتطلب بعض الشرح والتفصيل. هناك شعور بأن للخطاب الوهابى والسلفى دوراً بارزاً فى الفضاء السيبرى. هذه المصطلحات أساسًا مصطلحات عامة يمكن تقسيمها إلى تعريفات متعددة وليس بالضرورة متكاملة، وتعكس نطاقًا من المصالح الدينية والسياسية. لكن تلعب ظلال الرأى الأخرى أيضًا دورًا مهمًا، كما سنرى لاحقًا فى هذا الكتاب.

جعل عدد من الحركات الإسلامية ميديا الإنترنت جزءًا لا يتجزأ من ثقافتها الاتصالاتية، لاسيما كوسيلة لنشر رؤيتها للعالم، وأيضًا للاتصال والحصول على التمويل. وتُعتبر بعض الرموز المرتبطة بتفسير الإسلام بطبيعتها أكثر ملاءمة مفاهيميًا لفكرة الفضاء والاتصالات التى يقوم الإنترنت بتسهيلها. يشير روى ضمنًا إلى هذه النقطة فى نقاشه عن "الأصولية الجديدة".

> إنها تنظر إلى العولمة باعتبارها فرصة طيبة لإعادة بناء الأمة الإسلامية على أساس دينى بحت، ليس

> بمعنى فصل الدين عن الثقافة والسياسة، لكن إلى حد أن ينبذ الدين المجالات الأخرى من الممارسات الرمزية بل ويتجاهلها. تدعو الأصولية الجديدة إلى اجتثاث الممارسات الدينية من سياقها. وبهذا المعنى فقد تكيفت تمامًا مع أحد الأبعاد الأساسية للعولمة المعاصرة؛ وهو تحويل السلوكيات البشرية إلى شفرات، وأنماط استهلاك واتصالات، وفصلها عن أية ثقافة محددة.

يظل المدى الذى ينجح من خلاله مثل هذا الإطار للأصولية الجديدة فى تحييد الممارسات الدينية واجتثاثها من سياقها سؤالاً مفتوحًا، رغم أن هذا قد يبدو ظاهريًا أنه الحال بالنسبة لمن يلاحظ بعض مواقع الإنترنت ملاحظة عابرة. ولا يزال بإمكان تفكيك مزيج الولاءات والتأثيرات، والتى قد توجد مدفونة فى النص الفوقى والفصل بينهما، بإمكانه الكشف عن روابط ثقافية وسياسية محددة. يمكن أن يُعْرَض المعنى الشمولى فى الفضاء السيبرى لكنه معرّض للانكشاف من خلال النص التحتى ضمن السلوك الإنسانى المشفر. لا يوجد شيء اسمه الحياد النقى للولاءات داخل التفسيرات، حتى وفقًا للقرآن، الذى يشير إلى أن نموذج الجماعة الواحدة المتفردة يتعارض مع واقع الطبيعة البشرية: "يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا".

إلا أن القرآن أيضًا ذكر أن مفهوم "الأمة الواحدة" يمكن أن يعمل داخل هذا الإطار، وهو عامل يبرز فى بعض الترجمات والتفسيرات أكثر من غيره: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ".

قد تكون "الأمة الواحدة" قادرة على دمج التنوع المشار إليه تحت لوائها. فالمدى الذى تجلى فيه هذا فى السياق المعولم، لاسيما فى الفضاء السيبرى، مختلف تمامًا

عن ذلك السياق الذى تم التعبير عنه فى القرن السابع الميلادى، عندما تلقى محمد (ص) الوحى بالقرآن من الله عن طريق الملاك جبريل.

وسواء كانت الأمة واحدةً أم لا فهذا موضوع خارج عن نطاق هذا الكتاب. ما يمكننا قوله هو أنها تُعرَّف داخل هذا المجتمع (أو الشبكة المترابطة) بوصفها أمة. يُسَهِّل الإنترنت الاتصال الذى من شأنه أن يجعل الأمة أكثر تماسكًا، ولكنه يمثل أيضًا التنوع ويكشف عنه فى التعبير والفهم، الأمر الذى من شأنه تسهيل الانقسامات داخل الإسلام بدلاً من رأبها.

عند دراسة هذه المسألة، علينا أن نضع فى الاعتبار الطرق الديناميكية التى تُستخدم بها غرف الدردشة، وتطبيقات الإنترنت، وقوائم البريد الإلكترونى لتمثيل المصالح الإسلامية المتنوعة، وإن لم تكن متوافقة تبادليًا بالضرورة. لابد من التأكيد أيضًا على أن المسلمين "الليبراليين" و"التقدميين" استخدموا الإنترنت بطرق ديناميكية، وخاصة فى سياقات الأقلية.

أضف إلى هذه المعادلة أثر شتى أشكال المرجعيات الدينية. يمكن أن تتخذ هذه الأشكال هيئة جهات فاعلة ومؤسسات تقدم رؤيتها للعالم بوسائل يمكن أن تلتف حول الأشكال التقليدية لنقل المعرفة، لتدخل مجالات الاتصالات المتداخلة. ويلاحظ روى قائلاً:

> يصل الكثير من رجال الدين إلى جمهور جديد عن طريق ترك فضاء "المدارس الدينية" والحوزات الدينية الجماعية للحديث فى الإذاعة أو التليفزيون، والكتابة فى المجلات غير الدينية، والعمل بمثابة مسئول دينى فى المؤسسات العادية (على سبيل المثال، عمرو خالد فى مصر)، أو التدريس فى الجامعات الحكومية. وهكذا يصبحون مشاركين فى منطقة تداخل الخطوط

المعاصرة بين المجالات الدينية والدنيوية. تركوا وراءهم العالم الدينى (وزى رجال الدين فى كثير من الأحيان، كما فعل عمرو خالد) لمخاطبة جمهور عادى، ليس كممثلين لأية مؤسسة دينية، وإنما كمفكرين وكتاب أفراد.

من المؤكد أن لعبادة الفرد منطقة قابلة للحياة داخل البيئات الإسلامية السيبرية. وكما هو الحال مع قطاعات الإنترنت الأخرى، وُفِّرَت مساحة على الإنترنت لتسهيل عملية الوصول التدريجى لوجهات النظر الفردية، والتى يمكنها أن تحصل على سوق من خلال "الذيل الطويل" (الذى سنناقشه أدناه). فى الحقيقة، فإن عمرو خالد فرد تدعمه إمكانيات كبيرة بهدف توصيل رسالته الشعبية إلى جمهور كوكبى. كما يمكِّن تماهى الخطوط الفاصلة بين المجالين الدينى والدنيوى الأفراد من تكوين مثل هؤلاء الأفراد سمعة لأنفسهم وآرائهم فى فضاءات "بديلة".

تتجاوز هذه الفضاءات الحدود والضوابط التقليدية، حيث توفر سياقًا يمكن من خلاله تبادل الرأى فى أماكن أمان نسبى لأصحابها. قد تكون بعض هذه الحوارات مجهولة المصدر أو قد يضطلع بها مشاركون يمارسون إجراءات أمنية على الإنترنت. وتتعارض بعض الآراء مع الأطر القانونية فى السياقات المختلفة (الإسلامية وغيرها). فهى تمثل تحديًا لأطر السلطة السياسية التقليدية بطريقة خارج خيارات التحكم بالنسبة لجهات الدولة والحكومة. وقد يتجاوز هذا حدود الجنسية والأطر الدينية - الثقافية، لتدخل شكلاً جديداً من الخطاب. يعكس هذا ما ناقشه ماندفيل كدليل على "نوع جديد من المفكرين الإسلاميين الذين يحتمل أن توجد برامجهم السياسية على شريط كاسيت مسموع أو مطبوعة فى كتيب أكثر من أن تُسمَع فى المساجد. غالبًا ما يكون الخطاب الشعبوى لهذا النوع من المفكرين الجدد مضاداً للدولة بشكل واضح، ويصدر من مساحات وأماكن بعيدة عن متناول السلطة السياسية الرسمية المأسسة.

يرتبط بهذا تلك الظاهرة التى برزت والمتمثلة فى صعود الأئمة والعلماء ذوى المكانة المنخفضة نسبيًا (من مناطق لا ترتبط عادةً بمركزية المرجعية الإسلامية) والذين حققوا واجهة كوكبية عالية على الإنترنت تتفوق على مكانة علماء التيار السائد الأكثر تقليدية. ولَّدَ تكريس مثل هؤلاء "العلماء" السيبريين لتأليف محتوىً ضخم ويسير على القارئ على الإنترنت حول قضايا محورية ومشكلات أساسية، ولَّدَ مستوىً أعلى من الوعى بشتى وجهات النظر الإسلامية التى كانت من قبل مستغلقة أو أنها تعرضت للنسيان والتجاهل.

أساليب تطوير المحتوى وطريقة عرضه من الأمور الحاسمة. ببساطة لم يكن وضع المواد التى كانت متوفرة على هيئة مطبوعات على الإنترنت، دون أى اعتبار للتصميم أو سهولة التصفح، أسلوبًا ناجحًا بالنسبة لذلك الوسيط الجديد. ينبغى أن يشكل الانتباه إلى وجهات نظر جاكوب نلسون وغيره بشأن تصميم الويب جزءًا أساسيًا من المنهج الدراسى لأولئك "العلماء" السيبريين لتعلم تطبيق HTML. وتمشيًا مع مناطق الإنترنت الأخرى، لابد أن يصاحب التطبيق الخلاق للأدوات مثل محركات البحث والآر إس إس وسهولة التصفح ووضوح الصفحة مصداقية الموقع. هل يجرى تحميل الصفحة بأسلوب سليم؟ هل يمكن لمتصفح عادى مشاهدتها، خاصة عن طريق خط تليفون تقليدى على جهاز كمبيوتر متواضع؟ هل الموقع تفاعلى مع قرائه؟ هذه هى الأسئلة الجادة التى لابد أن تسألها عن أى موقع إسلامى على الإنترنت فى منطقة مشبعة بالفعل من الفضاء السيبرى. سيألف زوار الويب المعتادون ظاهرة أن نطاق انتباه القراء سرعان ما سيتشتت ما لم يسهل تحديد موقع المحتوى أو تصفحه.

تزايد زخم الدافع للدخول على الإنترنت باسم الإسلام. كما يكتسب نمو المواد بلغات أخرى غير الإنجليزية، وهى اللغة التى سادت الخطاب الإسلامى على الإنترنت سابقًا، أهمية خاصة. ومع تحسن الدخول على الإنترنت، والتكنولوجيا

الأرخص، والبرمجيات المحسنة، بات من السهل على الأفراد ألا يكونوا قراء سلبيين فقط، بل أن يدخلوا على الإنترنت وينشروا آراءهم الخاصة أيضًا. كما يمكن الآن لذوى المهارات التقنية الأساسية الدخول على الإنترنت وإنشاء موقع على الويب أو مدونة أو قائمة بريد إلكترونى. ويمكنهم إضافة رموز إسلامية لها، مثل اقتباسات من القرآن أو صور من مكة المكرمة أو صور زعماء روحيين.

تعرض بعض المواقع صفحات تشير إشارة ضمنية إلى أنها مرجعيات دينية. ربما لا تكون تلك المرجعيات مدربة تدريبًا تقليديًا فى العلوم الإسلامية. لكن هذا لا ينزع عنها الشرعية بالضرورة، فالإنترنت يعكس جدلاً أوسع كان إرهاصًا لتوسع الوسيط، أى طبيعة المرجعية الدينية وإضفاء الشرعية على سلطة تفسير المصادر الإسلامية. كشف الإنترنت أمام بعض المسلمين تفسيرات للإسلام خارج التيار السائد، بعيدًا عن نظرتهم الدينية-الثقافية الخاصة. ربما انطلق هؤلاء بحثًا عن هذه الآراء أو عثروا عليها "عن طريق الخطأ". وربما أحدثت لوغريتمات ونماذج محركات البحث أثرًا أيديولوجيًا. مثَّل هذا التحدى من التأثيرات البديلة مشكلة بالنسبة للمرجعيات التقليدية، لاسيما البعض الذين اختاروا أن يتجاهلوا الإنترنت. كما يمكن لبعض المواقع أن تشكل تحديات بالنسبة للمفاهيم الراسخة حول الهوية والمعرفة الدينية.

يبين الإنترنت سيولة الهويات الإسلامية والمسلمة بل وهشاشتها أحيانًا، حيث تعبر جماعات وتفسيرات متنوعة عن نفسها فى مختلف السياقات والأطر بل وتعدِّل من توجهاتها. ويشمل هذا أشكال الخطاب، والتفسير، والسلطة السياسية-الدينية داخل شرائح المجتمعات وبينها. وهكذا، تكشف البيئات الإسلامية السيبرية أمام المسلمين الافتراضيين أفكارًا ومفاهيم بديلة وجذور/مسارات نحو شبكات المعرفة التقليدية والمرجعية الدينية.

حدثت صحوة النشاط الإسلامى-السيبرى خلال فترة ما زالت مستمرة، مع

حالات صعود فى النشاط تنشأ بالتزامن مع الأحداث الهامة، ولاسيما ١١/٩ وحرب الخليج الثانية. ربما بالغت چيل كيبل فى تقدير تأثير حملة الفضاء السيبرى هذه: "مَحَت حرب العراق من خلال تغطيتها على الإنترنت الحدود الجغرافية لدار الإسلام ودار الحرب، والتى نظمت الجغرافيا السياسية الإسلامية لمدة أربعة عشر قرنًا". ومن الخطورة التعميم فى هذا على عدد من المستويات، لأن هذه المجالات كانت تتسم بالسيولة بالتأكيد وتخضع لتعريفات متعددة قبل بدء هذه الحرب بسنوات عديدة. ومع ذلك، فإن كيبل على حق حينما تؤكد على أن الإنترنت كان له بعض التأثير على كيفية هيكلة الجغرافيا السياسية الإسلامية خلال القرن الخامس عشر الهجرى. وهذا يعكس الطرق التى من خلالها استخدمت مقاربات مختلفة تجاه الإنترنت باسم الإسلام.

ملامح المسلمين الافتراضيين

يوازى التطور المطرد فى الطرق التى تُستخدم بها الوسائط المتعددة داخل البيئات الإسلامية السيبرية التطور فى ويب ٢,٠ وتمثل هذه التطورات استثمارًا دائمًا فى الوقت والموارد، بما يعكس التوفر المتزايد للمعدات عالية الجودة للاستخدام المنزلى العادى، من بينها برمجيات تحرير النصوص ومعدات الإنتاج مثل الكاميرات الرقمية. وترتبط شعبيتها بنمو الـ ADSL ذى النطاق العريض والاتصال بموارد قادرة على استضافة ملفات كبيرة وحركة واسعة على الموقع. ويدل استخدام الرموز والأيقونات الدينية فى هذه السياقات الرقمية الإسلامية على توسع الميديا التقليدية لتصبح بُنًى سيبرية.

بافتراض الطبيعة السائلة والعشوائية التى يمكن للتصفح على الإنترنت أن يتخذها، يثير قياس أثر أى موقع عددًا من القضايا، وخاصة نوع البيانات التى يُعتمد عليها التأكد من ذلك الأثر. عدد الانطباعات أو مرات الدخول على الصفحات على عدد موقع ويب ما ليس مؤشرًا لكيفية قراءة الزائر أو استخدامه لصفحة ما أو

مقدار الوقت الذى قُضِىَ فى استيعاب المحتوى، حيث إنه يمكن لأصحاب المواقع التلاعب بالتاريخ. وكما يعرف أى مستخدم للإنترنت، يمكن أن يتخذ تصفح صفحات الويب أساليب متعددة. يمثل التحديد الكمى للزيارات الفريدة وانطباعات الصفحات مشكلة فى حد ذاتها، لاسيما فى مجال البيئات الإسلامية السيبرية، فى غياب مسوح المستخدمين واسعة النطاق التى تجرى على مستوى القاعدة أى على مستوى المستخدم النهائى. قد تكون الخصوصية عاملاً أساسيًا لأى مستخدم لمثل هذا المحتوى، وخاصة عندما تتجاوز معاييرهم الثقافية والدينية.

علينا أن ننظر فى كيفية تطبيق القراء للمواد الدينية، لأن هناك تنوعًا كبيرًا فى الأساليب. على سبيل المثال، يمكن إنشاء النماذج التى فيها يستخدم الأفراد الويب مصدرًا وحيدًا للمعرفة عن الإسلام. وقد يعتمد آخرون على أسلوب مقارن، حيث يزورون مواقع متعددة للحصول على المعلومات. وربما يكون لتلك المعرفة أثرٌ يغيّر حياة الفرد تمامًا. قد لا يستخدم بعض القراء النت إلا نادرًا للحصول على معلومات عن الإسلام. فيما قد يرغب البعض الآخر فقط فى الاطلاع على محتوى البيئات الإسلامية السيبرية أو التسلى بها. وربما يزورون المواقع لمدة دقيقة واحدة أو يبقون لعدة ساعات، وقد تكون الزيارة فريدة أو جزءًا من نمط التصفح المعتاد، أو تشمل فحصًا منتظمًا على المواقع من أجل الاطلاع على آخر المعلومات.

هناك عوامل متغيرة مرنة مرتبطة باستخدام الإنترنت فى جميع السياقات، وليس فقط فى البيئات الإسلامية السيبرية. يمكن أن يشكل الورع الدينى والإحساس بالالتزام جزءًا من معادلة المعرفة الكلية على الإنترنت. ويمكن أن يتشابك ذلك الاستخدام مع غيره من التطورات التكنولوجية. من الأمثلة على ذلك إدماج تطبيقات القرآن على الهواتف المحمولة وأجهزة المساعد الرقمى الشخصى، ووسائل الإعلام الأخرى. ولا تُطرح الأسئلة فقط عن كيفية تطبيق هذه التكنولوجيا واستخدامها، بل أيضًا عن مدى الوثوق بمواد هذه المصادر ومصداقيتها.

يمكن تشكيل نماذج استخدام الإنترنت في سياق إسلامي سيبري بطرق شتى. استندتُ إلى نماذج بيزنس مُعَدَّلة لعلاقات منتجات المستخدمين من أجل تفحص أنواع قراء موقع ما على الويب كجزء من علاقة هرمية. يشمل هذا فئات تراتبية من الزعماء والأبطال والأنصار النشطين والأنصار/المستخدمين الموثوق بهم والأنصار/المستخدمين العاديين، والأنصار/المستخدمين المحتملين. يمكن رؤية هذا الهرم بطرق شتى في سياق الويب ٢,٠ بصفة عامة، وسياق البيئات الإسلامية السيبرية بصفة خاصة. وقد يكون هناك تسلسل تراتبي للزعماء والأبطال يمثل نموذجًا أكثر تقليدية لنشر المعرفة. لكن ربما يكون من المعقول أيضًا استخدام الفئات المتضمَّنة في نموذج أفقي يختلط فيه المستخدمون والأنصار والأبطال في إعادة تشكيل منظومة اقتصاد المعرفة الإسلامية. يمكن تكييف النموذج أيضًا، ذلك أن المستخدمين المختلفين على المواقع المختلفة سيسعون إلى أنواع مختلفة من العلاقات. على سبيل المثال، هناك اختلافات بين المستخدمين على المدى الطويل والمدى القصير؛ فالبعض يشتركون عن قرب في بعض الأنشطة المتصلة بالموقع، بينما يحافظ آخرون على مسافة (جغرافية ودينية) بينهم وبينه.

يمكن أن تُحِدَّ مستويات الإلمام باستخدامات الإنترنت أيضًا من أنشطة التصفح، مثلما تفعل قيود التجهيزات التقنية المستخدمة وحواجز اللغة. يمكن للقراء البحث عن أشكال مختلفة من "المنافع" من استخدامهم للموقع. قد يكون موقع الويب المصدر الوحيد للمعلومات عن الإسلام للقارئ، وقد يستخدم البعض الآخر أسلوب المقارنة أو قد يكون مستخدماً قلَّما يدخل على المواقع ومرافقها. وهنا تنطبق أيضًا أسئلة ما إن كان القراء يزورون موقعًا ما لأسباب الهداية أو المعلومات أو الالتزام أو الترفيه أو جميعها. يمكن للقراء الدخول خلسة إلى الموقع، أو يمكنهم المشاركة فيه بنشاط. يستدعي هذا قضايا هوية المستخدمين وعدم الكشف عن الهوية. المسلمون الافتراضيون متعددو الأوجه، دوافعهم متنوعة، ولا يجوز وضعهم

فى قوالب نمطية من حيث استخدامهم للإنترنت. وبالتفحص سنجد أن للمسلمين الافتراضيين علاقة تبادلية بنماذج الزعامة الدينية، التى عبر عنها ماكس ويبر وغيره داخل الحقول المرتبطة بدراسة الأديان.

واجهت منافذ الإعلام التقليدية فى السياقات المسلمة وغيرها تحديًا فى ظل الشعبية المتزايدة لمصادر الأخبار والمعلومات خارج نطاق سيطرتها. لنمو التطورات التكنولوجية المتكاملة الأخرى، وبخاصة الأجيال الجديدة من الهواتف المحمولة والمنتجات والخدمات ذات الصلة بواجهات الإنترنت، أثره أيضًا. ويمكن لكل هذه التكنولوجيات الاستفادة من سوق متنامية من المنتجات والخدمات الإسلامية.

يمكن أيضًا طرح الأسئلة عن مواقع متصفح ما، وعن مزود خدمة الإنترنت، وخدمات الكمبيوتر ذات الصلة، وأصحاب ومؤلف أو مؤلفى محتوى موقع ما، وأى صاحب فكر أو زعيم إسلامى. هل يتعامل المسلمون الافتراضيون مع المادة الإسلامية - السيبرية فى فضاء خاص أو فضاء شخصى أم فضاء غير خاضع للرقابة من قبل الأسرة أو المجتمع الأوسع؟ لاستخدام مقهى الإنترنت معانٍ مضمرة مختلفة تتعلق بالخصوصية، لاسيما فى السياقات التى يجرى فيها فلترة المادة على الإنترنت وطلب معرفة الهوية لدى استخدام الكمبيوتر.

لابد من النظر إلى الطرق التى يمكن أن تقدم الويب من خلالها الفرص للأفراد المهمشين للدخول على قنوات وتفسيرات جديدة للمعرفة الإسلامية من سياق أوسع. لمثل هذه الأساليب أثر على قراء جميع المواقع، ولاسيما تلك التى تحتوى على مواد حساسة مرتبطة بالقيم الدينية والتوقعات الثقافية المرتبطة بالمسلمين. قد يكون تجنب الفهم النمطى لهذا ذا صلة وثيقة بالموضوع؛ فربما يعمل المتصفح فى سياق علمانى، حيث يعتبر الحصول على معلومات عن الإسلام بمثابة نشاط مشبوه. أو ربما يعمل المتصفح فى سياق فيزيقى حيث تُفْرَض قيود حكومية أو مجتمعية تجعل من زيارة بعض المواقع نشاطًا خطيرًا أو غير قانونى أو كليهما معًا.

ويب ۲,۰ والمسلمون الافتراضيون

تتحول التكنولوجيا نفسها أيضًا نحو وضع يمكن فيه للمستخدمين توفير المحتوى وتوجيه "السوق"، لاسيما من خلال تطبيقات معينة مثل يوميات الفيديو والمدونات. تعرَّض مصطلح "ويب ۲.۰" للمبالغة في بعض الدوائر باعتبار أنه فجَّر حقبة إنترنت جديدة، رغم أن البعض قد يقول إن ويب ۲.۰ عفا عليه الدهر الآن وهناك لاحقات أخرى أكثر ملاءمة. ومع ذلك، أصبح المصطلح تقليدًا ضمن الخطاب عن الأنشطة على الإنترنت، ولذا، سيطبق مصطلح ويب ۲,۰ بحذر شديد لخدمة هدف هذا الكتاب. فكرت في إضافة علامة + بعد ۲,۰ للإشارة إلى التطورات المستمرة على الإنترنت التي وقعت منذ صياغة المصطلح لأول مرة، لكنني قررت أن هذا أمر مُضمر. قاومت أيضًا الميل في بعض الدوائر التكنولوجية للدخول في مزيد من التكرار: (ويب ۳,۰، الخ).

يدمج ويب ۲,۰ الأدوات والمرافق المتنوعة، التي تطور الكثير منها عن طريق عنصر تعاوني وعلى أساس التفاعلات الندية. على هذا النحو، جاء تركيزها على مواقع الشبكات الاجتماعية، والمحتوى المقدم من المستخدمين، ونظم استرجاع المعلومات المحسنة والمتطورة. يُعتبر نظام البودكاست وغيره من نظم تسليم البيانات البديلة على الإنترنت، والأساليب الوظيفية المبتكرة، والتعاون على الإنترنت، وتطور مجتمعات الشبكات الاجتماعية أيضًا جزءًا من إطار ويب ۲,۰. الواضح أن هذه العناصر من ميديا الإنترنت تزيد الخيارات المتاحة أمام المسلمين الافتراضيين الذين اختاروا التعبير عن أنفسهم على الإنترنت.

ثمة رابط أيضًا مع ما يوصف بأنه "تقارب وجهات النظر"؛ التي "تتراوح بين البحث في "تقارب الصناعة" إلى تقارب الوسيط، إلى تقارب تقنيات الميديا الفردية. يمكن أن يتضمن هذا الأمر "التقارب التكنولوجي"، حيث يُقدّم المحتوى من خلال ميديا بديلة، إلى "التقارب الوظيفي" لأنواع الميديا. وهذا وثيق الصلة بالبيئات

الإسلامية السيبرية، حيث يمكن الآن تقديم المحتوى الإسلامى من خلال وسائل رقمية مختلفة.

يمتد ويب ٢,٠ إلى البيئات الإسلامية السيبرية. يتطلب هذا المصطلح الأخير، الذى قدمتُه لأول مرة فى كتاب "إسلامى افتراضياً"، التعديل الآن. ويتماشى هذا مع تنويع مزودى المحتويات ما يوفرونه من استجابات وفقًا لاحتياجات القارئ والاستفادة من مجموعة عريضة لأنساق المحتوى. كما أنه أيضاً رد فعل لتكثيف التواصل الندّى فى السياقات الإسلامية، ولاقتصاد متحول لنقل المعرفة على الإنترنت، وإعادة تشكيل مفاهيم التسلسلات الهرمية كرد فعل للتفاعل على الإنترنت. ليس تغيير أنساق المحتوى إسلامياً بالضرورة بأسلوب متفرد، بل يتداخل مع أشكال أخرى من التزويد بالمحتويات. على سبيل المثال، هناك عناصر من MySpace تمثل الهوية الإسلامية لكنها جزء من خدمة الشبكات الاجتماعية الأوسع. وهناك مزودو خدمات الأخبار مثل جوجل نيوز التى توفر خلاصات الآر إس إس وضبطها لتضم محتوى إسلامياً. كما أن بإمكان وضع علامات على البيانات باستخدام مواقع فليكر وتكنوقراى وDel. icio.US وأدوات مماثلة أن تعرض مواد ذات هوية تركز على الإسلام. وتقدم إعلانات جوجل والخدمات المماثلة روابط لمنتجات ذات تيمة إسلامية، رغم أن المنتقدين قد يستخدمون روابط لمواد معادية للإسلام عن طريق رعاية مختلف عمليات البحث بالكلمات المفتاحية.

ليس لدى بعض المواقع ذات الصلة بالإسلام سوى مجموعات صغيرة من القراء وروابط محدودة. وهذه المواقع معرضة للخروج من دائرة البحث العادى. لظاهرة "الذيل الطويل"، كما عرّفها كريس أندرسون من قبل، صدى فى البيئات الإسلامية السيبرية، رغم أنها تستند إلى مفهوم نموذج البيزنس: "معادلة الذيل الطويل بسيطة: (١) كلما انخفضت تكاليف التوزيع، زادت القدرة على العرض اقتصادياً دون الحاجة إلى التنبؤ بالطلب (٢) كلما زادت القدرة على العرض، زادت الفرصة

فى تحديد الطلب الكامن لأذواق الأقلية التى تعذر الوصول إليها من خلال التجزئة التقليدية (٣) جمعٌ ذوق الأقلية بما فيه الكفاية، وغالبًا ستجد ... سوقًا كبيرة وجديدة.

يناظر الذيل الطويل الجزء الأسفل من رسوم البيزنس البيانية، حيث يتناقص الطلب تدريجيًا فيما يشير إلى أنه لا يزال ثمة سوق لأحد المنتجات مع مرور الوقت. وفى حين أن المصطلح الآن يدخل فى التيار السائد بل وقد يستخدم بشكل مفرط، فقد صدمنى هذا المفهوم عندما عرّفه كريس أندرسون فى مجلة "وايرد" فى ٢٠٠٤، بأنه ذو صلة بالحديث عن الإسلام فى الفضاء السيبرى. ناقش أندرسون كيف أن الزوار لدى دخولهم على موقع amazon.com من أجل منتج معين، يمكن أن يتأثروا بالتوصيات الخاصة بمنتجات أخرى ذات صلة فى صفحة ذلك المنتج المبتغىَ. وبالمثل يمكن أن تكشف النصوص التشعبية فى صفحة واحدة للقراء نطاقًا من المواد الأخرى التى تقع ضمن مجال اهتمامهم والتى لم يكونوا على علمٍ مسبق بها. أما تلك المواقع خارج التيار السائد، ذات العدد المحدود من الروابط، فقد يكون لها أثر أكبر وحصة سوق تراكمية مع مرور الوقت تفوق أثر وحصص بعض اللاعبين الرئيسيين. بطبيعة الحال، فى سياق البيئات الإسلامية السيبرية، فهذه ليست بالضرورة سوقًا للسلع بل سوقًا للأفكار؛ وعلى وجه الخصوص، قد ينطبق مفهوم الذيل الطويل على بعض مواقع الويب على هامش المصالح والهويات الإسلامية.

بإمكان الإنترنت أن يعكس المصالح ذات التمايزات الدقيقة لجماعات مسلمة محددة، والتى يمكن أن تصل عبر الذيل الطويل إلى مناطق شديدة الصغر. فعلى سبيل المثال، سعى موقع بيداد Piedad اللاتينو – أمريكى لتقديم الدعم للنساء اللاتى تحولن إلى الإسلام من تلك الجماعة اللغوية – الثقافية المعينة. كما قدم موقع "يهود من أجل الله» Jews for Allah الدعم لمن ينتمون للتراث اليهودى وأصبحوا

مسلمين. ركز موقع "يهود من أجل الله" على هامش يهودى فى أعماله، إلى جانب تقارير شخصية للتحول إلى الإسلام وقائمة مفصلة من الروابط المتعلقة بإسرائيل والخاصة بمنظمات حقوق الإنسان والجماعات الدينية المتعاطفة.

يمكن أن ينعكس تعزيز الهويات والقدرة على الربط على المستويات المحلية بالنسبة للمسلمين الافتراضيين. ولئن كانت الإشارة إلى قوى تحويلية تتعلق بقدرة الإنترنت على تحسين المجتمعات تعد من الكليشيهات، فقد تفيد فرص أفضل للدخول على الإنترنت بعض قطاعات المجتمعات المسلمة التى يرى بعض المراقبين أنها محرومة بسبب حواجز النوع (الجندر) أو الثروة أو كليهما. وبما يعكس الاتجاهات العالمية، يدخل عدد أكبر من المسلمين على الإنترنت يوميًا، ويشمل التوسع فى ذلك النشاط الآن إنشاء مقاهٍ للإنترنت داخل بعض المساجد. لن يفسر جميع المراقبين كل تطبيقات الإنترنت باسم الإسلام على أنها تطبيقات حميدة، لاسيما تلك التى فى المناطق التى لا تعد ولا تحصى من تلك المكرسة للنشاط والعنف السياسى باسم الإسلام.

وفيما يسهّل الإنترنت بالتأكيد انتشار قطاع أعرض من وجهات النظر المسلمة، يظل عدد من المناطق "مفقوداً". تظهر عناصر جديدة بانتظام، وغدت إدارة المعلومات مجالاً حيويًا بالنسبة لبعض وجهات النظر المسلمة. لا تحتفظ كل المواقع بأرشيفات لصفحات الويب يمكن الدخول عليها أو للوثائق السابقة أو تحفظ المواد الرقمية مثل خدمات الأخبار. ثمة غياب للمكتبات المركزية المتطورة للمعرفة الإسلامية على الإنترنت. هذه هى المجالات التى يمكن أن تشهد تغييراً، بحيث تعكس تطوراً مطرداً فى قواعد البيانات ومستخدميها، مع الحفاظ على المواد بأنساق ميسرة للمستخدمين فى المستقبل، مولِّدة بذلك شعوراً متماسكًا بالهوية والتواصل عبر الإنترنت والذى يمكن فلترته إلى الحياة "خارج الإنترنت".

بالإمكان توجيه القراء إلى أحد العناصر الأساسية بأحد مواقع الويب. على

سبيل المثال، قد يصل القراء إلى شرح قرآنى من خلال محرك البحث بالكلمات المفتاحية. ومن خلال هذا، يمكن حفزهم لزيارة مناطق أخرى من موقع ما لمزيد من تطوير معارفهم الدينية وقاعدة خبراتهم. وقد يشمل ذلك فرصًا للتفاعل وبناء الانتماء مع منظمى الموقع والقراء الآخرين. وكما هو الحال فى مناطق أخرى من الويب، قد تتوفر لأحد المواقع التى تطبق اعتبارات التصميم المهنية والمحتوى الذى يجرى تحديثه بصورة متكررة فرصة أفضل لاكتساب ولاء القارئ وعودته للزيارة، حيث يصبح موقعًا "لزجًا".

أسرة هى الأساليب التى تُصَمَّم بها مواقع الويب لتعكس مسوغاتها الإسلامية. فى بعض الحالات، يعنى هذا الجمع بين عناصر من أشكال الفهم الإسلامية التقليدية للفنون والخطوط وبين رمزية ديناميكية ومتناسقة، مستمدة من مجموعة متنوعة وغنية من مختلف السياقات والمصادر. ربما يكمن ما يجعل الموقع إسلاميًا فى عين المتصفح الفرد نفسه، خصوصاً عندما يكون المحتوى عرضة للنقد أو حينما يعكس وجهات نظر قد يصفها بعض المسلمين بأنها تجديفية، أو منشقة أو مهرطقة، أو غير ذلك بالتقابل مع تفسيراتهم ومفهوم معتقداتهم.

يمكن التشارك فى عناصر الهوية والسلطة ضمن جماليات التصميم الفنى والواجهة الجرافيك بين المواقع، والتى تتباين خلافًا لذلك بصورة كبيرة من حيث الروح الخاصة بها. على سبيل المثال، قد يكون هناك تركيز على اللون الأخضر باعتباره اللون المفضل لدى النبى. وربما يكون ثمة استخدامات للموتيفات الإسلامية الشمولية. أتردد فى استخدام مصطلح "الأيقونات" بمعناها المحدّد فى الإنترنت عند مناقشة الإسلام، حيث يتحدث القرآن بشدة ضد الأيقونات (عند استخدام هذا المصطلح بمعناه الدينى).

ثمة بعض مؤشرات الهوية الأساسية التى يمكن استخدامها فى نموذجٍ لموقع ويب إسلامى. قد تتضمن تصميمات الصفحة صوراً مرجعية محددة، مثل صور

الكعبة ومكة والمدينة والقدس وغيرها من الأماكن الإسلامية الشهيرة. وربما تشمل العوامل المرتبط بها الخط القرآنى، والمستمدة غالبًا من أمثلة شهيرة لطراز معين أو تمثل أسماء أو مصطلحات أو عبارات مهمة (على وجه الخصوص، "الله" و"محمد"). ويمكن فى كثير من الأحيان أن نجد رسومًا توضيحية للقرآن، يظهر فيها الخط القرآنى أو كتاب مفتوح على حامل، وذلك بصورة متكررة فى البيئات الإسلامية السيبرية.

تمتزج الألوان الإسلامية مع تيمات محدَّدة لانتماءات وتفسيرات مفردة. فى بعض الحالات، يمكن أن يكون هذا صورة لأحد القادة، رغم أن بعض المفسرين المسلمين يدينون تصوير الشكل البشرى. وبدلاً من ذلك، قد يصور موقع ما مكانًا مقدسًا إقليميًا، مثل مقام أحد الأولياء. تتباين تعريفات المِلْكِيَّة والهوية الإسلامية، حيث تُمَثِّل صراعات الأفكار واختلافها فى العالم غير الرقمى. أشار الوجود المستمر لآراء الأقلية، خارج التيار السائد، إلى أنه وفى بعض الحالات، يمكن للفضاء السيبرى أن يوفر مساحة آمنة نسبيًا للتعبير الدينى غير التقليدى.

ليس ثمة بيئة إسلامية سيبرية نمطية، لكن هناك بعض العوامل المشتركة، وخصوصًا على بوابات المواقع ذات المستوى الأعلى. قد تضم هذه العوامل إشارة إلى أركان الإسلام عند تقديم تفسير للإسلام للقراء. يمكننا أن نتوقع أن يُظْهِرَ موقع ما روابط لمصدر قرآنى أو مواد تفسيرية ذات صلة أو معلومات عن فرد أو منظمة وراء الموقع. كما تُرْبَطُ المواقع جيدة الموارد بعناصر من الأنشطة الإسلامية المحددة على الإنترنت، مثل غرف الدردشة والمناقشات الخاضعة للإشراف والخطب والمحاضرات ومحتوى الوسائط المتعددة. وتمثل هذه العناصر أنماط اكتساب المعرفة التى تتمتع بعلاقة معقدة مع مفاهيم التعليم الراسخة والتقليدية. عرضتُ الجوانب المرتبطة بالبيئات الإسلامية السيبرية فى رسم تخطيطى، يمكن الاطلاع عليه بالتفصيل فى موقع Virtuallyislamic.com.

تكوين الشبكات: إقامة روابط الإسلام ٢,٠

يوضح الرسم البيانى الذى أشرت إليه أن أشكال ميديا الإنترنت الجديدة المرتبطة بويب ٢,٠ تؤثر على البيئات الإسلامية السيبرية. يمكن إقامة شبكات الارتباط من خلال غرف الدردشة والمدونات ومواقع رفع الفيديو والپودكاست وخدمات الشبكات الاجتماعية، بدرجات متفاوتة، فى سياقات إسلامية - سيبرية تقليدية.

يوضح ذلك الرسم البيانى خطوط هذه السلسلة الديناميكية والناشئة من الربط عبر الزمان والمكان، والتى تتشابك فى حد ذاتها مع الأطر والأساليب التفسيرية الأخرى للإسلام والإنترنت. يُدْعَى من حيث الممارسات التعاونية، القراء لاقتراح تعديلاتهم على الرسم البيانى عن طريق ويكى موجود على موقع Virtuallyislam-ic.com. سوف تُدمَج هذه التعديلات فى وثيقة مصدر مفتوح مشتركة، فى عدد الإصدارات، التى نأمل أن تمثل مساهمة لفهمنا للعوالم الرقمية الإسلامية. لابد من النظر إلى الرسم البيانى نفسه بالإشارة إلى التطورات المعاصرة المرتبطة بمشاركة المسلمين الافتراضيين فى اقتصاد المعرفة الإسلامية.

حافظت مواقع الويب الإسلامية البارزة على وجودها على الإنترنت لعدة سنوات، سعت خلالها إلى اجتذاب جمهور ملم بالويب تمثل بالنسبة لهم بيئة طبيعية للحوارات حول التعبير الدينى والمرجعية الدينية. تُمثل الأساليب التى يحدث من خلالها توسط هذه المواد الاختلاف لكنها تستعين بأنماط مألوفة. يمكن أن يُحْدِثَ كل حدث يقع داخل سياق إسلامى أو ينجم عنه أثرًا مضاعفًا على الإنترنت، لأنه ينعكس فى المدونات، ومدونات الڤيديو، والپودكاست، ومواقع الأخبار، وغرف الدردشة وغيرها من مناطق الويب الأخرى.

وفَّر انتشار مواقع الشبكات الاجتماعية التى دخلت إلى هذه المعادلة طريقة سريعة وسهلة لإنشاء موقع ويب أو مدونة، وتوزيع الوسائط المتعددة، والتواصل مع

الأقران، وإدماج الأدوات الإلكترونية والرقمية الأخرى. نَحَتَ هوارد راينجولد، وهو مراقب بارز للتطورات على الإنترنت، مصطلح "الغوغاء الذكية" لتعريف مثل هذه الأنشطة: "تقوم مواقع الشبكات الاجتماعية بعدد من الوظائف بالنسبة لمستخدميها؛ فهى فى جزء منها مذكرات، وفى جزء آخر سجل للاتصالات التى يمكن مشاركتها، وفى جزء ثالث نادٍ اجتماعى. بالنسبة لجيل من المراهقين، أصبحت هذه الشبكات وبصورة متزايدة لا تقل أهمية عن ملكية الهاتف المحمول". تم التعبير عن هذا بنبرة إيجابية، رغم أن بعض المراقبين يرى أن "الغوغاء الذكية" يمكن أن يكون لها جانب سلبى أيضاً، بالتركيز على مقطع "غوغاء" من المصطلح.

تشمل الأمثلة البارزة لمواقع الشبكات الاجتماعية ماى سبيس MySpace، Spaces.MSN، وبيبو، وفيس بوك، وفليكر، وSecond Life سكند لايف، وسايوورلد يو إس Cyworld Us (أنشئ على غرار شبكة كورية شعبية). تقوم جميع هذه المواقع بوظائف مختلفة، وقد يكون للفرد صفحات على عدة أنواع من مواقع الشبكات الاجتماعية التى ترتبط ببعضها. ويتضح من قراءة الصفحات الشخصية للمشاركين المسلمين أنهم لا يخشون بالضرورة من نشر تفاصيل تافهة كى يستهلكها القراء، أو أنهم على غير دراية بالعواقب المحتملة لذلك. تشمل هذه التفاصيل تواريخ الميلاد، وأماكن محل الإقامة، والتعليم، والذائقات والتفضيلات الشخصية، وفى بعض المواقع القائمة على غرار بعض النماذج، نجد إجابات على أكثر من ٥٠ سؤالاً شخصياً.

تميل بعض مواقع الشبكات الاجتماعية نحو الاستخدام الكثيف لرسوم الجرافيك والخلفيات الصارخة؛ بينما يستفيد البعض الآخر من زيادة عرض النطاق الترددى فى تقديم الوسائط المتعددة بإلحاح فى أغلب الأحيان. وربما تتجاهل مواقع الشبكات الاجتماعية مفهوم تصميم الويب الذى يمكن الدخول عليه والأثير لدى مصممى الويب المحترفين. تقدم الصفحات روابط لمختلف "الأصدقاء" الذين يتشاركون فى الاهتمامات المتشابهة.

لم آخذ سوى عينة عشوائية من بين عشرات الآلاف من الخيارات الممكنة لمثل هذه المواقع. تشير العينة إلى أن ملامح المسلمين الافتراضيين يمكن أن تكون واسعة المدى. ففي ماى سبيس، ذكرت فتاة "سعودية–باكستانية مولودة بالولايات المتحدة" تبلغ من العمر ١٦ عامًا وتعيش فى ولاية تكساس تفاصيل مطولة عن اتصالاتها، وصورها، وملفات الفيديو؛ كما أوردت أسماء صديقاتها ومدرستها وأنشطتها. على صفحة أخرى من ماى سبيس، أشارت صاحبة الصفحة زهرة المحجبة إلى روابط لمدونات أخريات يرتدين زيًا مماثلاً. بينما شملت صفحة إيلانا المسلمة فى ماى سبيس صوراً عائلية وصورة لامرأة محجبة تلعب الجيتار الكهربائى من فرقة البرقع، وهو فريق روك أفغانى.

ما زال خليط معقد من المؤثرات عبر الثقافية والدينية قائمًا. قدمت صفحة أخرى على ماى سبيس روابط لمواد الحديث والقرآن، ومناقشات ذات توجه صوفى (تعرض مواد عن الصوفى البارز ناظم عادل الحقانى)، وقائمة كتب تتضمن الكاما سوترا (السانسكريتية)، وصورة للكاتبة مرتدية الحجاب مع تعليق يقول: "هل تعتقد أننى ساخنة، كذلك جهنم. غض بصرك!"

قدمت "محجبة" نفسها فى هيئة كارتونية على ماى سبيس، وهى ترتدى الحجاب وتحمل راية سلام مع رمز لحملة نزع السلاح النووى. يُرْبَط الموقع بصفحة تفتح على قراءة قرآنية باللغتين الإنجليزية والعربية. وأظهرت صفحة "محجبة" صوراً ومعلومات مرتبطة بالقضايا الفلسطينية والإسلامية؛ وناقشت فرق الروك بانك المفضلة؛ وقدمت روابط لبرامج تليفزيونية مثل "التحقيق فى مواقع الجريمة" Crime Scene Investigation، وقائمة بأهم الكتب، من بينها روايات لآن رايس إلى جانب القرآن ونصوص إسلامية أخرى. ذكرت "محجبة": "أنا أتطلع إلى التعرف على أصدقاء جدد مهتمين بالإسلام. خصوصاً الأخوات المحجبات. من الصعب العثور على صديقات صالحات! لا أريد إضافة أى رجال إلى موقعى! أنا متزوجة

ولا أريد أن يكون لى أصدقاء ذكور! برجاء احترام هذا يا جماعة! آسفة. إذا كنت لا ترغبين فى وجود صداقة نشطة، وترك تعليقات ورسائل وما إلى ذلك، فلا تُضيفينى".

بالنسبة لإتيكيت الإنترنت، تمثل الكتابة بالحروف (اللاتينية) الكبيرة Capital letters "الصراخ" على الإنترنت، فى حالة لم يستوعب الزوار الرسالة. الفصل بين الجنسين واضح ويستند إلى قواعد الممارسة المستمدة من القرآن والمصادر الإسلامية الأخرى.

هناك مستويات عالية من التفاعل بين "الأصدقاء" على ماى سبيس وغيره من مواقع الشبكات الاجتماعية، كما أن مفهوم الدردشة المتكررة والتحديثات بين الحين والآخر ذو أهمية خاصة. يطرح مقدار التفاصيل الشخصية بعض المشكلات الأخلاقية المثيرة للباحثين والكتاب حول موضوع الفضاء السيبرى الإسلامى، يصل فيها إلى نقطة وجود خطر تحول مثل هذا النشاط إلى نشاط متلصص وفضائحى. من الواضح أن هذه المعلومات موجودة فى المجال العام، ومنشورة على الإنترنت، لكن يأتى وقت عندما يُحتمل للمرء أن يشعر فيه بأن الوجود "الكامن" للباحث اقتحامى. لكن ماى سبيس ليس منطقة مغلقة فى الويب. هل هذا يعنى أن المشاركين المسلمين على ماى سبيس يتحدون مفاهيم الفضاء الشخصى ويعدلونها لتتواءم مع القيم الدينية؟ هذا احتمال. ومع ذلك، فمن المرجح أنه يمثل نشاطًا دافعه المرح والاتصال بين الأقران.

ظهر MuslimSpace، وهو موقع شبكات اجتماعية إسلامى، فى ٢٠٠٦ بنسق يماثل مواقع الشبكات الأخرى، ولكن بتوجه نحو الحلال. أسس MuslimSpace محمد القطاطرى، الذى كان يعيش فى فنلندا لكنه من أصول إماراتية ومصرية. وفى ٢٠٠٦ ادعى MuslimSpace أن لديه ما يقرب من ٢٠ ألف مستخدم، يعيش غالبيتهم بالولايات المتحدة.

تشير أدوات الشبكات الاجتماعية فى ماى سبيس والمواقع الأخرى إلى نموذج واحد من التفاعل سيكون له أثر على البيئات الإسلامية السيبرية. قد تكون هناك بعض القيود الكامنة أو المضمرة؛ حيث إن ماى سبيس موقع ذو توجه شبابى، وربما شعر المستخدمون الأكبر سناً بعدم الارتياح لأسباب دينية وغيرها للتواصل فى هذا السياق المراهق. مسألة الحدود العمرية داخل الفضاء السيبرى مسألة ينبغى تفحصها، حيث لا يوجد نظير حقيقى لماى سبيس بالنسبة للمتصفحين كبار السن. بدأ النمو الهائل لفيس بوك فى ٢٠٠٧، عندما وَسَّعَ قاعدة مستخدميه، وقدم اعتبارات جديدة بالنسبة للبيئات الإسلامية السيبرية مع ظهور شبكات مصالح المسلمين وقنوات المعلومات متناهية الصغر.

ومع امتداد مفهوم مواقع الشبكات الاجتماعية إلى وسائل إعلامية أخرى والتوسع فى مشاركة المستخدمين، ستصبح هذه القضايا ذات أهمية متزايدة داخل البيئات الإسلامية السيبرية. توجد ضمن البيئات الافتراضية أيضًا مناطق إسلامية. أظهر "سكند لايف" مسجداً، وفى ٢٠٠٧، خيمة رمضانية برعاية موقع "إسلام أون لاين" التى نُظِّمَت بها الفاعليات الثقافية والدينية. هاجم الخيمة اثنان من الزائرين الذكور، تحرشا بأفاتار (تجسيدات) لزائرات مسلمات ظهرن فى ذلك الوقت. وبالرغم من هذا، كان "إسلام أون لاين" يقصد زيادة أنشطته على "سكند لايف". كانت هناك أيضاً مساجد أخرى فى "سكند لايف" أتاحت الفرصة للصلاة، وفى إحدى الحالات، أقيمت شعائر الوضوء. من خلال زيارتى لأحد مساجد "سكند لايف"، اتضح لى أن الفصل بين الجنسين لم يكن قضية مطروحة. طلبت أنثى محجبة من أفاتارى الذى يرتدى ملابس كاچوال الدردشة معها فى عدة مناسبات، بينما كان يرتاد بعض المناطق بالمدينة. شملت "الصلاة" فى المسجد الكبير المتأثر بالطراز القرطبى هدية من القرآن الرقمى، لكنه كان نشاطًا انفرادياً. كما كانت زيارات ليلة العيد فى رمضان إلى خيمة "إسلام أون لاين" نشاطا هادئا أيضًا.

الواضح أن التفاعل عبر الإنترنت لم يحل محل الحاجة الى التواصل الاجتماعى "الحقيقى"، أو ربما كان للزوار المحتملين أنشطة فى مناطق أخرى من الإنترنت.

يعرض يوتيوب عدداً من مقاطع الڤيديو ذات تركيز إسلامى. يمكن إدراج ملفات الڤيديو على يوتيوب عن طريق قص ولصق كود HTML مباشرة فى مواقع أخرى. من أعلى ملفات الڤيديو التى حصلت على ترشيحات كان ڤيديو "معجزات الإسلام"، وهو مجموعة من الصور المنتجة، وتشمل نباتات وسحب تتخذ هيئة اسم الله باللغة العربية، إلى جانب صور لمسلمين فى سياقات متنوعة. كما رُفِعَ عدد من ملفات الفيديو التى تركز على الدعوة على يوتيوب MuslimSpace، انضم الداعية عمرو خالد إلى فنانى "الأناشيد" الشعبيين ٧٨٦ وفرقة Shaam. يمكن أيضًا العثور على كثير من ساعات الوعظ الشعبى لعمرو خالد على الموقع، التى تندمج مع استراتيجية مؤيديه الإعلامية الأوسع. ويمكن للأفراد أيضًا أن يجدوا جمهوراً عريضًا لتفسيرهم للقضايا الإسلامية من خلال يوتيوب. منحت "أفلام الأمة" منفذاً لعدد من المتحدثين حول قضايا شائعة من خلال يوتيوب وغيره من مواقع الأفلام، والتى وَلَّدَت الاهتمام بها من خلال أسلوبها الجماهيرى وفى بعض الأحيان الفكاهى تجاه القضايا المعاصرة.

ضمت بوابة Digita LHalal عدداً من الخدمات، من بينها الاندماج مع Mus-limSpace وتوزيع ملفات الفيديو والملفات الصوتية والمدونة وألبومات الصور والدردشة. تعرض هذه الخدمات محتوىً تعاونيًا منتجًا بشكل جماعى وتشير إلى وسيلة للمضى قدما بمواد ويب ٢,٠ المرتبطة بالبيئات الإسلامية السيبرية. وواصلت هذه المجموعة المتطورة والمبتكرة من المواقع، المدعومة بالإعلانات والتبرعات، تطورها منذ إنشائها. وأهم هذه المواقع موقع IslamicTorrents.com وهو فى الأساس خدمة لرفع وتحميل محتوى الفيديو والصوت على غرار موقع BitTorrent لمشاركة ملفات الفيديو.

يُصْدِر IslamicTorrents تصريحات متواصلة لإخلاء المسئولية بشأن قضايا حقوق الملكية المرتبطة بالمواد التى يتم رفعها إلى الموقع، خاصة تلك المتعلقة بالمنتجات التجارية. وهذا لا يمنع المستخدمين الذين يشكلون بفاعلية طبيعة ومنتج IslamicTorrents من رفع هذه المواد. يتضمن نطاق المحتوى تلاوة للقرآن الكريم وأفلاماً لخطب دينية وأفلاماً وثائقية. بعض هذه الملفات مستمدة من مواد لها حقوق للبث، فى حين أن هناك نسبة من الملفات يصممها المستخدمون. تقع المسئولية فى IslamicTorrents على المستخدمين لرفع محتوى يماثل قدر ما يقومون بتحميله. يمكن النظر إلى العملية على أنها معقدة من الناحية الفنية بالنسبة للمستخدم العادى، مما قد يحد من عدد مستخدمى هذه الخدمة.

موقع IslamicVideos.net أقل تعقيداً من الناحية الفنية، حيث يشمل عدداً من ملفات التلاوة وكليبات الفيديو. من بين أكثر المقاطع التى تم تحميلها بشكل متكرر فيديو "شيخٌ توافيه المنية فى مسجد"، وهو فيديو لوفاة إمام مسجد أثناء قيامه بالخطبة. على أحد المستويات، يبدو هذا الفيلم اقتحامياً؛ وعلى مستوى آخر، يشير إلى تدين الشيخ وورعه، حيث إنه كان منخرطاً فى أداء الفرائض الإسلامية حين وفاته. يمكن النظر إلى هذا باعتباره معادلاً لأولئك الأفراد الذين يموتون أثناء أداء "الحج" وينظر إليهم باعتبارهم "شهداء". يمكن لزوار IslamicVideos رفع كليبات الفيديو القصيرة وتحميلها، وإرسال رسائل بالبريد الإلكترونى لأصدقائهم عن الكليبات المفضلة، والبحث عن ملفات الفيديو حول موضوعات محددة. ولقى كليب مثل "لطيف للغاية" لصبى مغربى صغير فى ألمانيا يتلو سوراً قصيرة من القرآن رواجاً فى أنحاء كثيرة على الويب. ومع انتشار الهواتف المزودة بكاميرات فيديو صار المزيد من التوسع فى هذا النوع من المواقع أمراً حتمياً.

يتخذ ألبوم الصور Muslimr أساساً له مبادرة مدونة الصور "فليكر" ويضيف عليها مسحة حلالاً. هذه البوابة يسهل البحث فيها، وسهلة الاستعمال، ويسهل

تصفحها. ويمكن الحصول على معلومات عن تحديث الصفحات عن طريق الآر إس إس. هناك تلاقح بين المواقع حيث يربط الإعلان الإلكترونى بين المجالات المترابطة. يوفر DigitalHalal نموذجًا تحتذيه مواقع أخرى، حيث يمكّن من درجة عالية من التواصل والتفاعل. كان هذا فى الأساس مرحلة مبكرة فى تطور نموذج للشبكات الاجتماعية الإسلامية، والتى تتمتع بإمكانية التوسع السريع. وكان مؤسس الموقع محمد الفطاطرى يخطط لدمج كل مواقعه فى حزمة واحدة تحت عنوان "Muxlim".

بالإمكان أيضًا دمج اليودكاست فى معادلة البيئات الإسلامية السيبرية. فى ٢٠٠٦ كانت اليودكاست الإسلامية مقتصرة على عدد صغير من التلاوة القرآنية وأحد المواقع لتقديم المشورة، إلى جانب تحميل MP3 لخطب مسجلة. أحد الاستثناءات لهذا النموذج هو موقع alt.muslim، الذى أنتج پودكاست محدداً فى هيئة مجلة دورية عرضها وأنتجها شاهد وزاهد أمان الله، اللذان يقيمان فى أوستن بولاية تكساس ولندن على التوالى. تتناول البرمجة الأحداث الجارية، والمقابلات، وتعليقات على أسلوب الحياة. يقدم هذا الشكل، خاصة عندما يمكن تحميل وتحديث اليودكاست تلقائيًا عن طريق الآر إس إس، نموذجًا لمقدمى وسائل الإعلام الأخرى فى البيئات الإسلامية السيبرية. كانت مجلة كيو نيوز تعمل فى لندن على تطوير خدمة اليودكاست الخاصة بها، معتمدة على مواد أرشيفية. أما "الطريق الأوسط الراديكالى" The Radical Middle Way الذى اشتركت مجلة كيو نيوز فى رعايته، فقد قدم پودكاست على موقعه على الويب بالاعتماد على علماء مسلمين. شارك الكثير منهم فى جولة فى المملكة المتحدة فى ٢٠٠٦، سُجِّلت خلالها خطبهم.

دخلت الميديا السائدة أيضًا إلى المجال، عندما قدمت صحيفة "الجارديان" پودكاست إسلاموفونى. أنشأتُ قائمة پودكاست على موقعى، لكنه اقتصر على حوالى عشرين مصدراً فى ٢٠٠٧. وبالنظر إلى السهولة النسبية التى يمكن بها

إنتاج المنتجات السمعية وتجميعها، ومع إدماج حزم التحرير فى البرمجيات، فسوف يتوسع هذا الشكل فى المستقبل، كما أننى كنت على دراية بمنظمات وأفراد آخرين يُعدون پودكاست إسلاميا.

بالإمكان أيضًا الإحالة إلى روابط تجارية مباشرة (مثلاً إلى Amazon)، وتوسيع المناقشة إلى السوق الأمر الذى قد يجلب قدراً قليلاً من الدعم المالى لمنتج المحتوى. ورغم أن عدداً قليلاً من الناس يريد أن يعمل مدونًا بأجر، فمن الواضح أن الكثير يقضون عدة ساعات أسبوعيًا، أو بأسلوب آخر، مئات الساعات سنويًا من أجل استمرارية مدوناتهم أو مواقعهم على الويب. يمكن أن تكون أدوات التدوين بسيطة، لكن الكم الهائل من المعلومات المحتملة قد يجعل التدوين نشاطًا يتطلب قدرًا كبيرًا من العمل. تتطلب بعض المواقع صيانة عالية، وخاصة بالنسبة للإعداد الأوّلى بل وأيضًا فى جميع مراحل وجودها، حينما تصبح إدارة تعليقات القراء والإشراف الفنى أمرا متطلبا.

تتخذ اللقاءات على الإنترنت أشكالاً مختلفة. يتزايد التفاعل البصرى السمعى على الإنترنت، مما يشير ضمنيًا إلى ديناميكية جديدة لبناء علاقة بين المسلمين الافتراضيين. من أمثلة التفاعل التعامل مع عالمٍ ينتمى إلى سياق أو ثقافة أو مجموعة لغوية مختلفة، فى معرض تقديمه لأشكال فهم جديدة وتأثيرات محتملة. وكما هو الحال مع أى وسيط، يمكن للقراء الاستفادة من مصادر متعددة، دون أن يتأثروا بالضرورة بأول رأى يقابلونه. وقد لا يجد البعض العملية تنويرية أو مفيدة. بينما قد يختبر آخرون تلك البيئة ليعودوا إلى الحوارات التقليدية والعلاقات مع المرجعيات التقليدية.

التجربة الإسلامية على الإنترنت قد تضم مصادر دينية، وعوامل باطنية، وعناصر غير ملموسة، وخبرات دينية، ومراحل انتقالية، وطقوس المرور، وآراء دينية، ومفاهيم عن السلطة وتمزجها. وقد تُقَدِّم الدافع للأنشطة الدينية من خلال

أشكال الهداية، أو الوعظ، أو اللقاء، أو الخطب، أو موارد الدراسة من خلال الإنترنت. وربما تكون المعلومات عن الإسلام مفتوحة المصدر مفيدة للعديد من المتصفحين. ويمكن بالفعل أن يتواجد هذا فى مجموعة متنوعة من المصادر والسياقات، من بينها ويكيبيديا التى صدرت نسخة إسلامية لها فى ٢٠٠٦، بعنوان OpenIslampedia.

ومع الوقت، يصبح بعض القراء أنفسهم مشاركين وكُتَّابًا للمحتوى على الإنترنت أو يقومون بأدوار متعددة على الإنترنت. سَهَّلَ تطور التدوين الوصول إلى النشر على الويب لآلاف المعلقين على هذه القضايا وغيرها الكثير، رغم أن لبعض المدونين بطبيعة الحال واجهات أكبر من غيرهم. كما تنتشر أيضًا المواقع منخفضة المحتوى، والصفحات الفارغة، بل و"مدونات السبام" "Splogs" (وهى مدونات تتمحور حول "السبام" Spam وتهيمن عليها الإعلانات) فى هذه المنطقة، مما يجعل القيام بحسابات موثوق بها للمشاركة والمحتوى أمرًا مشكلاً. وفى خضم كل هذا، يمكن أن تعرض أصوات فى عالم التدوين الإسلامى وجهات بديلة ونقدية للسلطة الدينية بشتى اللغات، أو تركز على التفسيرات الأساسية. ولا يمكن القول إن كل هؤلاء المدونين يكتبون بالضرورة بشكل مباشر أو غير مباشر عن القضايا الدينية أو باعتبار الإسلام الدافع الأول فى تفكيرهم.

تعليق ختامى

الإسلام مثل الإنترنت، ليس غربيًا ولا شرقيًا. تقدم الشبكات الرقمية العالمية منفذًا طبيعيًا للاتصالات، تطورت عن أشكال أخرى من الخطاب الإسلامى. تبين البيئات الإسلامية السيبرية أن المسحات الروحية تتضفر مع المسحات السياسية، مما يعكس أنماط الفهم الإسلامى التاريخية. انتقلت قوة القرآن من خلال هياكل رقمية مبتكرة لا تقلل من معنى المقدس العميق، الذى يُعَبَّر عنه على الإنترنت بنفس القدر الذى يُعَبَّر عنه فى المسجد.

وتتمتع الرموز والمفاهيم الإسلامية المألوفة للأجيال السابقة، والتى تمتد عودةً إلى الجماعة المسلمة الأولى، بفضاء دينى إبداعى وتطورى رقمى ديناميكى، يعكس أيضاً الأركان المركزية للمعتقدات الإسلامية. يتصل المسلمون الافتراضيون أو المسلمون السيبريون بتراثهم المعرفى والتواصلى، لكنهم يطبقون واجهة إلكترونية تسهل ارتباطهم والوعى ببعضهم، وربما بشكل ما، مع المقدس.

سوف تستكشف الفصول التالية التعقيد الكامن فى الشبكات الإسلامية على الإنترنت – من حيث تطورها السريع وتفاعلاتها المنتشرة – من خلال عدد من الفلاتر والمقاربات المختلفة والتى تمثل حقيقة أن المسلمين فى العديد من السياقات يستجيبون للأساليب التى يتحول بها اقتصاد الإسلام المعرفى من خلال أنساق التواصل المتطورة، والتعاون بين الأقران، والشبكات الإسلامية المتحولة.



الفصل الثانى

الدخول إلى البيئات الإسلامية السيبرية عبور الفجوة الرقمية

يقدم هذا الفصل لمحة عامة عن المسائل المرتبطة بالكيفية التى يتم الدخول على البيئات الإسلامية السيبرية من خلالها. "الفجوة الرقمية" مسألة خطيرة بسبب النظر إلى عدم وجود إمكانية للدخول على الإنترنت على أنها جزء من "مشكلات" بعض المجتمعات الإسلامية. يهمل هذا الرأى فى كثير من الأحيان تفحص العوامل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعوامل الدينية وراء تلك القضية، أو فى الحقيقة أية حلول مناسبة. وعند مقاربة هذا الموضوع، يصبح تطبيق التحليل الإحصائى لاستخدام المسلمين للإنترنت مشكلاً. وإلى جانب العوامل التى تشمل غياب البنى التحتية للاتصالات السلكية واللاسلكية والارتفاع النسبى فى تكلفة أجهزة الكمبيوتر، حالت قضايا الإلمام بالقراءة والكتابة والقيود الثقافية دون نمو تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، كما ينبغى النظر بعين الاعتبار أيضًا إلى الفجوة الرقمية بين الريف والحضر.

ورغم هذه القيود، أبرزت التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة والحكومات ومصادر مستقلة الفجوة الرقمية بين البلدان وداخلها أيضًا. ولهذا أثره الواضح على السياقات والشبكات الإسلامية. الاتصالات السلكية واللاسلكية هى المحرك الرئيس فى قضايا الدخول على الإنترنت. إيجاد فرصة للدخول على الإنترنت مهمة من حيث تحفيز البحث والتحليل والتعاون الفكرى عبر الشبكات الاجتماعية. كما يتباين تحديد مقدار "التحسينات" فى الدخول على الإنترنت فى السياقات المختلفة. قد يتراوح هذا بين الحصول على خط للتليفون، وإتاحة وتيسير الدخول على الإنترنت عن طريق خط التليفون الأرضى، إلى وجود ربط ADSL عالى السرعة، ومتكامل مع التكنولوجيا اللاسلكية والحصول على الجيل الثالث 3G من الهواتف المحمولة.

قد ترتبط الشبكات الإسلامية على الإنترنت، لكن هذا الربط ليس شمولياً، حيث إنه محكوم بعوامل تتصل بصناعة الاتصالات السلكية واللاسلكية والطلب على الدخول على الإنترنت. تتسع الفجوة الرقمية أكثر عندما نناقش التغطية الدولية لخدمات النطاق العريض: "يدخل أكثر من ١,١ مليار شخص من سكان العالم الذين يقدر تعدادهم بـ ٦,٦ مليار شخص على الإنترنت، ثلث هؤلاء تقريباً لا يدخلون على الإنترنت باستخدام خطوط عالية السرعة. ووفقاً "لمركز الاستشارات لموضوعات الإنترنت"، حصل ٢٩٨ مليون شخص على النطاق العريض في نهاية مارس [٢٠٠٧]، ويقدر أنه وصل بالفعل إلى أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة".

أشار ذلك التقرير إلى التطورات الحادثة في عدد من السياقات بالنسبة للشعوب ذات الغالبية المسلمة؛ حيث سُجِّلت إندونيسيا على أنها حققت أعلى نسبة نمو في

المجموعة للوصول للنطاق العريض، بنسبة ٢٨ فى المائة، رغم عدم دقة هذا الرقم بسبب تأخر تاريخ البدء من قِبَل المشّغل. سجل المغرب انتشاراً بنسبة ٦,٧ فى المائة (٤١٨ ألف مستخدم)، ومصر بنسبة ١,٥٥ فى المائة (٢٤٠ ألف). يمكن مقارنة هذا مع السودان، بانتشار بنسبة ٠,٠٥ فى المائة، وعدد من بلدان جنوب الصحراء الكبرى التى لا توجد بها أية أرقام على الإطلاق.

من الجلى أنه لابد من النظر إلى الصخب حول التواصل بالشبكات الاجتماعية واقتصاد الويكى المتعلق بالبيئات الإسلامية السيبرية ضمن هذا السياق. ما لا تشير إليه الإحصاءات هو مَنْ هؤلاء الذين يتمتعون بالوصول إلى النطاق العريض، لكن يمكننا الافتراض أن هذه الأرقام تتعلق بالأفراد والمؤسسات ذات الدخل الكبير (نسبيًا) القادر على سداد تكاليف هذه الخدمة.

عَقَدَ تقرير ظهر فى ٢٠٠٧ بمجلة "وايرد" مقارنة لتكاليف النطاق العريض على أساس نصيب الفرد من مجموع الدخل، وذلك باستخدام معايير السعر لكل كيلو بايت فى الثانية للوصول للنطاق العريض. فى باكستان، يدفع مستخدمو النطاق العريض حوالى١٠٦,٩٨ دولار أمريكى لكل ١٠٠ كيلوبايت فى الثانية، وهو ما يُقَدَّر بضعف متوسط الدخل. وفى المملكة العربية السعودية، تصل التكلفة إلى ٥٧١,٨٢ دولار أمريكى لكل ١٠٠ كيلوبايت فى الثانية، أى حوالى ٥٨ فى المائة من متوسط الراتب الشهرى؛ وفى كازاخستان يصل السعر إلى ٥٢,٦٨ دولار أمريكى لكل ١٠٠ كيلوبايت فى الثانية، وهو ما يقدر بخُمْس متوسط الراتب الشهرى. قارن هذا بسعر الوصول إلى النطاق العريض فى الولايات المتحدة، بمتوسط ٤٩, ٠ دولار لكل ١٠٠ كيلوبايت فى الثانية، بينما السعر فى اليابان ٠,٠٦ دولار لكل ١٠٠ كيلوبايت فى الثانية. التكلفة الأرخص نسبيًا للنطاق

العريض اللاسلكى عامل محرك رئيسى آخر عندما تُقَدَّر الرسوم على الاستخدام الفعلى بدلاً من سداد فاتورة شهرية ثابتة.

هناك عدد من المؤشرات الأخرى تتعلق بالوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التى يمكن أن يكون لها أثر. بينما تجمع الحكومات البيانات فى كثير من البلدان، يذكر اتحاد الاتصالات الدولية أن الحصول على البيانات عن التكنولوجيات الأكثر تطوراً إشكالية مقارنة بالحصول على بيانات عن المعدات الأساسية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات مثل خطوط الهاتف، مع وجود اختلافات إقليمية تتعلق بمؤشرات تجعل البيانات غير متسقة. وتشمل هذه المؤشرات مؤشرين رئيسيين للتحليل. يرتبط مؤشر الفرصة الرقمية بعوامل تتعلق بالفرص عامة والبنية التحتية، والاستخدام، ومؤشر فرص تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الذى يعتمد على عوامل تتصل بكثافة الشبكات والمهارات والمعلومات واستيعاب الاستخدام وكثافته. وفقًا لاتحاد الاتصالات الدولية، يتطلب تحليل هذه الأرقام النظر بعين الاعتبار لمؤشر الفرصة الرقمية فيما يتعلق بالتنمية والوضع الاقتصادى للبلد. يتضمن تصنيف الخمسين بلداً الأقل نمواً، والتى تمثل ١١,٩ فى المائة من سكان العالم، عدداً من البلدان ذات الشعوب المسلمة. وينبغى النظر أيضا ضمن هذه التصنيفات إلى توزيع مجموعات الدخل.

يمثل مؤشر الفرصة الرقمية لعام ٢٠٠٥-٢٠٠٦ قراءة كاشفة فيما يتعلق بالبيئات الإسلامية السيبرية. تأتى فى المرتبة الأولى على رأس القائمة الجمهورية الكورية، حيث يصل مؤشر الفرصة الرقمية بها إلى ٠,٨٠ أجريتُ استطلاعًا على القائمة (بينما أنا على وعى أن البيانات تتطلب قدرًا كبيرًا من تفكيك محتوياتها وتفريغها) من أجل تحديد الكيفية التى يتم بها تصنيف البلدان ذات الأغلبية المسلمة وفقًا لمؤشر الفرصة الرقمية. وتَرِدُ النتائج فى الجدول أدناه.

مؤشر الفرصة الرقمية بالنسبة للبلدان ذات الأغلبية المسلمة فى ٢٠٠٥-٢٠٠٦

المرتبة	الاقتصاد	نقاط مؤشر الفرصة الرقمية
١	البحرين (٣٥)	٠,٦٠
٢	الإمارات العربية المتحدة (٣٧)	٠,٥٩
٣	قطر (٣٨)	٠,٥٨
٤	بروناى دار السلام (٤٣)	٠,,٥٦
٥	تركيا (٥٢)	٠,٥٢
٦	ماليزيا (٥٧)	٠,٥٠
٧	البوسنة (٦٤)	٠,٤٨
٨	المغرب (٦٨)	٠,٤٧
٩	جزر المالديف (٧٢)	٠,٤٦
١٠	المملكة العربية السعودية (٧٥)	٠,٤٦
١١	الأردن (٧٩)	٠,٤٥
١٢	عمان (٨١)	٠,٤٤
١٣	الجزائر (٨٣)	٠,٤٢
١٤	تونس (٨٧)	٠,٤١
١٥	مصر (٩١)	٠,٤١
١٦	لبنان (٩٣)	٠,٤٠
١٧	كازاخستان (٩٤)	٠,٤٠
١٨	فلسطين (٩٨)	٠,٤٠
١٩	أذربيجان (١٠١)	٠,٣٨
٢٠	سوريا (١٠٤)	٠,٣٧
٢١	إيران (١٠٥)	٠,٣٧
٢٢	السنغال (١٠٦)	٠,٣٧
٢٣	ألبانيا (١٠٧)	٠,٣٧
٢٤	ليبيا (١٠٩)	٠,٣٦

٢٥	إندونيسيا (١١٦)	٠,٣٤
٢٦	أوزبكستان (١٢٣)	٠,٣١
٢٧	باكستان (١٢٧)	٠,٢٩
٢٨	اليمن (١٢٨)	٠,٢٨
٢٩	جيبوتى (١٣٢)	٠,٢٦
٣٠	بنجلاديش (١٣٤)	٠,٢٥
٣١	قرغيزستان (١٣٥)	٠,٢٥
٣٢	السودان (١٣٦	٠,٢٤
٣٣	تركمانستان (١٣٩)	٠,٢٢
٣٤	طاجيكستان (١٣٤)	٠,٢٢
٣٥	غامبيا (١٤٤)	٠,٢١
٣٦	موريتانيا (١٥٤)	٠,١٧
٣٧	نيجيريا (١٥٥)	٠,١٧
٣٨	جزر القمر (١٥٦)	٠,١٧
٣٩	غينيا (١٦١)	٠,١٥
٤٠	بوركينا فاسو (١٦٥)	٠,١٤
٤١	مالى (١٦٩١)	٠,١٢
٤٢	سيراليون (١٧١)	٠,١١
٤٣	إريتريا (١٧٧)	٠,٠٧
٤٤	تشاد (١٨٠)	٠,٠٤
٤٥	النيجر (١٨١)	٠,٠٣

(١) يظهر إجمالى مؤشر الفرصة الرقمية بين قوسين.

المصدر: جمع مؤلف هذا الكتاب الجدول أعلاه، بالاستناد إلى بيانات ضمها "تقرير مجتمع المعلومات العالمى لعام ٢٠٠٧: ما بعد القمة العالمية حول مجتمع المعلومات". جرت مراجعة النسب السكانية مع البيانات ذات الصلة الواردة فى كتاب حقائق العالم الصادر عن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية لعام ٢٠٠٧.

هناك بعض الصعوبات الكامنة بالنسبة لهذه البيانات المتعلقة بالبيئات الإسلامية السيبرية. فبعض البلدان غير موجودة فى الاستطلاع لعدد من الأسباب، من بينها حالات الصراع (أفغانستان، العراق). والبلدان ذات الأقلية المسلمة الكبيرة مثل الهند غير مدرجة أيضًا ضمن القائمة. ولا يوضح مؤشر الفرصة الرقمية الفجوة بين الجنسين. فقد تكون هناك مستويات منخفضة للوصول إلى الإنترنت بين المسلمات على وجه الخصوص؛ حيث أشارت مفوضية الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا فى ٢٠٠٥ إلى أن ٤ فى المائة فقط من النساء العربيات يستخدمن الإنترنت. وبما أن "عربى" ليست مرادفًا لـ"مسلم"، فقد وفر هذا مؤشراً إقليمياً.

رغم المشكلات الكامنة المرتبطة بمثل هذه البيانات، فإنها تعطى بعض المؤشرات عن السبب وراء اعتبار الوصول إلى الإنترنت مسألة حاسمة فى سياقات إسلامية متعددة. تؤدى تحسينات البنية التحتية، وتعزيز الفرص الرقمية حتمًا إلى تحولات فى هذا المؤشر، وخاصة فى مناطق مثل إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، إذ سوف يتضح أثر الهواتف المحمولة التى يمكن منها الدخول على الإنترنت منذ جمع البيانات أيضًا على مؤشر الفرصة الرقمية.

لاحَظَ اتحاد الاتصالات الدولية أثر إصلاحات سياسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى ارتفاع نقاط مؤشر الفرصة الرقمية ولا سيما فى سياق إسلامى بالسنغال، حيث ارتفعت نقاطه من ٠.٢٢ فى ٢٠٠٤ إلى ٠.٣٧ فى ٢٠٠٦. حقق السنغال إلى جانب المغرب اثنتين من أعلى عشر علامات فى مؤشر الفرصة الرقمية. ارتبط نمو مؤشر الفرصة الرقمية الخاص فى المغرب بالاستثمار المستدام فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتنافسات فى مجال الهواتف المحمولة التجارية.

يُعتبر عدم ظهور أى بلد ذى أغلبية مسلمة فى أعلى ثلاثين بلداً فى مؤشر الفرصة الرقمية أمرًا له دلالته. متوسط نصيب الفرد من الثروة أحد العوامل الدافعة، حيث تظهر الاقتصادات المزدهرة نسبيًا مثل البحرين والإمارات العربية المتحدة فى أعلى ستين اقتصاداً إلى جانب الاقتصادات النامية مثل تركيا وماليزيا. تقع إندونيسيا، وهى أكبر البلدان ذات الغالبية المسلمة من حيث عدد السكان، فى مكانة أدنى فى المؤشر. قد يعكس هذا توزع السكان فى مئات من الجزر، حيث تتطلب كل جزيرة منها بنية تحتية مستقلة لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فضلاً عن قضايا أخرى تتعلق بالتعليم والدخل.

من غير الممكن عند تحليل هذه البيانات التمييز بين المسلمين والانتماءات الدينية الأخرى من حيث تطبيق الإنترنت. لابد من النظر ما إذا كانت الإشارة تقتصر فى تركيزها على استخدام أجهزة الكمبيوتر الشخصية أو أشكال أخرى من الواجهات مثل الهواتف المحمولة 3G وهذا أمر له أهميته على وجه الخصوص عندما ننظر إلى التطورات ذات الصلة بويب ٢,٠، إلى جانب عدد كبير من المناهج الناشئة والمرتبطة بالدخول على الإنترنت والمساهمة فى محتواه. لهذه التطورات القدرة الكامنة على توفير فرصة أكبر للوصول إلى البيئات الإسلامية السيبرية، التى يمكن أن يكون لها مجموعة متنوعة من الآثار ضمن سياقات مختلفة.

فى ظروف معينة، لاسيما فى تلك الاقتصادات التى تظهر فى المناطق الأعلى من مناطق مؤشر الفرصة الرقمية العليا، يدخل الحصول على التكنولوجيا ضمن مشروعات البناء الجديدة، مثل بناء الفنادق أو المساجد. مثل هذا الاستهلاك التكنولوجى الظاهر للعيان ليس نموذجيًا بالنسبة لغالبية السياقات الإسلامية. كان ثمة حماس لكثير من جوانب تطورات التكنولوجيا الثرية فى المناطق الراقية بالشرق الأوسط؛ حيث يقال إن الإمارات العربية المتحدة احتوت أكثر مراقبى نقاط الشبكة

اللاسلكية فى المنطقة. وظهرت مقاهى الإنترنت داخل نسيج المدن فى مختلف أنحاء العالم حيث يعيش المسلمون، غالباً فى ظلال (إن لم يكن جدران) المساجد والمبانى الدينية الأخرى.

أما فى الاقتصادات الأقل ثراء، وبالنسبة لأولئك ذوى المواقع الأدنى على مؤشر الفرصة الرقمية، كانت تكنولوجيا الإنترنت ولا تزال ذات أهمية. شجعت الحكومات مثل حكومة إيران القطاع الخاص على تطوير خدمات ADSL عالية السرعة. وكان للدافع وراء هذا علاقة بالأعمال والمشروعات التجارية أكثر منه بالدخول على البيئات الإسلامية السيبرية. ففقدان الاتصال بالإنترنت أو عرض النطاق الترددى قد يكون كارثيًا بالنسبة للسياقات الإسلامية، حتى بالنسبة لأولئك الذين يحتلون مواقع أدنى فى مؤشر الفرصة الرقمية. عندما انقطع اتصال الإنترنت فى باكستان فى يونيو ٢٠٠٥، اضطر ١٠ مليون مستخدم للدخول بإنترنت منخفض السرعة، كما لجأت البنى التحتية التى تعتمد على الإنترنت إلى وسائل الاتصال التقليدية (مؤقتا على الأقل).

قد يُثْرى دخول الشركات على الإنترنت ومبادرات البرمجيات تطوير تكنولوجيا المعلومات، لكن هذا لا يمتد تأثيره بالضرورة إلى قطاعٍ أعرض من السكان. فكثير من الشعوب المسلمة لا تزال تعانى من ضعف إمكانية وصولها إلى الإنترنت، رغم وضع الحلول المبتكرة فى الاعتبار: "تملك نسبة مئوية ضئيلة من الـ٨٠٠ مليون نسمة فى إفريقيا أجهزة كمبيوتر. وبما أن بضعة من مشغلى الهاتف الثابت قادرون على مد خطوط الهاتف عبر تضاريس القارة القاسية فى أغلب الأحيان، فإن الاتصال اللاسلكى وسيلة لتوصيل الإنترنت إلى الجماهير".

كان هناك نمو هائل فى قطاع الاتصالات السلكية واللاسلكية فى بعض السياقات الإسلامية، حتى فى تلك البلدان التى يتصور البعض انعدام سلطة

القانون فيها أو عدم خضوعها للإجراءات التنظيمية. يمثل الصومال حالة من تلك، رغم عدم ظهور بياناته فى مؤشر الفرصة الرقمية. يرتبط نمو الوصول إلى الإنترنت فى المناطق الحضرية بالشعب الصومالى فى الشتات، وهم يستخدمون فى المقام الأول البريد الإلكترونى والدردشة على الإنترنت كوسيلة للبقاء على اتصال مع عائلاتهم وأصدقائهم. وبما أنه يمكن كتابة اللغة الصومالية بحروف لاتينية، سهَّل هذا اعتماد الصوماليين السريع للبريد الإلكترونى كوسيلة من وسائل الاتصالات الفاعلة والرخيصة. ظهر محتوى باللغة الصومالية أيضًا من خلال يوتيوب ومجموعة متنوعة من المدونات، من بينها وفرة من ملفات الموسيقى.

لا تزال التكلفة عائقًا كبيرًا يحول دون الوصول إلى الإنترنت فى بلدان أخرى مثل اليمن: "رغم تحرير سوق الإنترنت فى اليمن، تعتقد مجموعة المستشارين العرب أن السوق يعانى من حواجز مرتفعة. كما قد تعوق الرسوم المنخفضة لمزود الإنترنت الحكومى، أى "يمن نت"، مقارنة بمنافستها Y.Net، الدخول على الإنترنت والتى تملك الحكومة حصة الأغلبية فيها أيضًا، كذلك الفرق الهائل فى الحصص السوقية لكل منهما قد يعيق المشاركين الجدد من السعى للعمل فى البلاد". تعنى هذه الصعوبات الانعدام النسبى للمنافسة فى اليمن فى القطاع التجارى، من خلال ممارسة وزارة الاتصالات لإحكام قبضتها القوية على هذه الصناعة.

يعمل الإنترنت بمرونة، وإن كان ذلك بشكل محدود، فى السياقات الإسلامية التى تعانى من الاضطراب السياسى والعسكرى. سرعان ما أُدركت قيمة تكنولوجيا المعلومات فى العراق، خصوصًا بعد إزالة نظام صدام حسين، رغم عدم وجود تمثيل فى مؤشر الفرصة الرقمية خلال هذه الفترة المضطربة من تاريخ العراق. كان الكثير من العراقيين حريصين على الاستفادة من التدريب على الكمبيوتر كجزء من نمو القطاع الديناميكى: "البلد على استعداد، من خلال

المساعدة التى قدمتها الشركات الأجنبية، للوثب بقفزات واسعة بهدف تخطى الكثير من التكنولوجيا التى نُفِّذَت فى المنطقة، ويرى بعض المعلقين أن تكنولوجيا المعلومات تتجه مباشرةً نحو أحدث الحلول - العراق ينتقل من الزحف إلى العَدْو السريع، ويمكنه تجاوز الكثير من جيرانه فى هذه العملية". وهو ما يوحى بأن المزيد من تقارير مؤشر الفرصة الرقمية سيضم العراق بشكل أو آخر.

باتت مقاهى الإنترنت شعبية فى العراق، مع النمو فى افتتاح المقاهى، لأنها توفر اتصالات ذات جودة أفضل من أنظمة الهاتف المنزلى. وربما الأهم من ذلك، بعد معركة حضانة طال أمدها، أطلق العراق وشركة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة (آيكان) نطاق "iq." فى ٢٠٠٥. ومع ذلك، لا يمكن تسجيل النطاق إلا للشركات والمؤسسات وليس للأفراد.

قد يحفز التوسع فى اتصال تكنولوجيا المعلومات عوامل سياسية وأنواع من الصراع. على سبيل المثال، هناك زيادة كبيرة فى الجهود الرامية إلى تعزيز الترابط بين الجاليات الفلسطينية بالخارج والداخل، وخاصة فى مخيمات اللاجئين وفى نطاق السلطة الفلسطينية: "تُشْتَرى خطوط الإنترنت من مزودى خدمة الإنترنت الفلسطينية ويعاد بيعها لعدة عائلات فى المخيم، وذلك باستخدام نفس النطاق الترددى ونفس السيرفر، وفقًا لأحد رؤساء مزودى الإنترنت المحليين. ثم تفتح العائلات مقاهى إنترنت مؤقتة، حيث يؤجرون خطهم بمعدل ٢ شيكل إسرائيلى فى الساعة (٠,٤٥ دولار أمريكى)". قد لا يدمج ترتيب فلسطين فى مؤشر الفرصة الرقمية هؤلاء المستخدمين الذين اشتروا ضمن أنظمة مستخدمين آخرين لكنهم لم يسجلوا على ممارسات جمع البيانات. ويتفاوت انتشار الإنترنت تبعًا للوفرة المالية، حيث لم يدخل على الإنترنت سوى ٧,٥ فى المائة فقط من السكان فى الأراضى الفلسطينية فى ٢٠٠٥ مقارنة بـ ٥٢ فى المائة من العائلات الإسرائيلية.

يشكل هذا جزءًا من نمط شامل من الدخول المقيد على الإنترنت. ذكر تقرير في يناير ٢٠٠٦ من مجموعة ماردار في مناقشة حول المستويات المنخفضة نسبيًا من انتشار الإنترنت في الشرق الأوسط أن "الشرق الأوسط بحاجة لشراء أكثر من ستة ملايين جهاز كمبيوتر شخصي لمواكبة أرقام مبيعات أجهزة الكمبيوتر الشخصية العالمية على أساس أن مستوى انتشار أجهزة الكمبيوتر الشخصية أقل بكثير من المتوسط العالمي. يشتري المستهلكون بشكل جماعي ثلث عدد أجهزة الكمبيوتر التي عليهم شراؤها".

توفر أجهزة الكمبيوتر الأرخص أحد الحلول. يمكن أن يؤثر تطوير برنامج لابتوب لكل طفل، الذي روّج له نيكولاس نيجروبونتي في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا، إذا حقق أهدافه، على السياقات الإسلامية. وفي ٢٠٠٧ أعلن البرنامج أن المستفيدين من الإصدارات الأولى ذات الإنتاج الضخم من هذه الحواسب تشمل الأطفال في أفغانستان.

ثمة إشارة إلى أن المجال العام للإنترنت بـ"العربية"، بما في ذلك السياقات الإسلامية، منخفض نسبيًا. لكن هذا لا ينفي أثر التكنولوجيا على أقلية من هؤلاء الذين يتصلون بالإنترنت. أثيرت هذه المسألة في مؤتمر تنمية الاتصالات في العالم بالدوحة في قطر مارس ٢٠٠٦ حينما قال وزير الاتصالات والتكنولوجيا السوري عمرو سالم: "العالم العربي لا يزال متخلفًا في الثورة الرقمية، حيث يشكل مستخدمو الإنترنت أقل من أربعة في المائة من سكانه ...-الوجود العربي على شبكة الإنترنت لاشيء تقريبًا ... ليس أكثر من بضعة مواقع معلومات على الويب أو مواقع شخصية-".

ربما كان تقييم الأثر هذا محافظًا، استنادًا إلى أرقام من عام ٢٠٠٤: "وفقًا لإحصاءات جمعها اتحاد الاتصالات الدولي التابع للأمم المتحدة الذي شارك في

تنظيم مؤتمر الدوحة الذى استمر لمدة أسبوع وانتهى فى ١٥ مارس، فإن لدى الدول الأعضاء بجامعة الدول العربية الاثنتين وعشرين فقط ١١.٧ مليون مستخدم إنترنت من أصل إجمالى عدد السكان البالغ ٣١٦ مليون فى ٢٠٠٤".

ترتبط الحلول للحد من هذه الفجوة الرقمية أيضًا بإتاحة أجهزة الكمبيوتر والبرمجيات بأسعار منخفضة، إلى جانب إتاحتها باللغات المحلية. تُرِكت البرامج بالنسبة لنظام التشغيل لينوكس مفتوحة حيث يتمتع المستخدمون بحرية تطويرها، خلافًا للأنظمة مثل مايكروسوفت ويندوز أو ڤيستا. يُعتبر نظام برمجيات أوبونتو مثالاً على ذلك حيث يمكن تحميله مجانًا على أساس لينوكس. وطوِّرت نسخة إسلامية من أوبونتو. وإلى جانب نظام أوبونتو التقليدى وذلك المدعوم باللغة العربية، أُدْرِجَت خصائص "إسلامية" فى هذه الحزمة من البرامج شملت أداة الرقابة الأبوية لتصفح آمن للإنترنت، رغم عدم وضوح المعايير الفنية المحددة لتكنولوجيا الفلترة هذه أو كيفية تكوينها بالمقارنة بغيرها من الفلاتر. وشملت العناصر الأخرى تلاوات للقرآن، وبرامج تحديد مواعيد الصلاة، وموسوعة إسلامية، وخلفيات وتيمات إسلامية مختلفة. وفيما كان الكثير من هذا مفتوح المصدر أو برامج مجانية (وبالتالى متاحة عبر شبكة الإنترنت)، فإن ميزة هذه الحزمة الخاصة هى أن كل شىء قد تم إدخاله من قبل، وهو أمر مفيد بشكل خاص لمن لديه إمكانية محدودة للدخول على الإنترنت. من هذا البرنامج الأساسى، ونظراً لطبيعته مفتوحة المصدر، توجد إمكانية تكييف هذه البرامج لأشكال مختلفة للتعبير الإسلامى واللغات الإسلامية. ويمكن لتكامل قواعد البيانات التى تضم الآراء الدينية، والتى يمكن البحث فيها وتقتصر على منظور دينى معين واحد، أيضاً التطور مستقبليًا ضمن حزمة مفتوحة المصدر من هذا النوع. وقد تدمج تعليقات قرآنية تستند إلى رؤى معينة للعالم ومنظورات دينية فى مثل حزم هذه البرمجيات، إلى جانب ترجمات

محددة وتفسيرات تمثل رؤى للعالم سياسية ودينية. وقد تشجع حزمة برمجيات من هذا النوع صودق عليها رسميًا أشكال الوصول إلى الإنترنت مع تجنب مسائل التحكم والرقابة التى تشعر بعض المرجعيات الدينية أنها ذات أهمية. أحد هذه السيناريوهات هو إجبار جميع أجهزة الكمبيوتر التى تباع فى سياقات دينية وثقافية محددة، من خلال التشريع، بإدراج مجموعة معينة من البرمجيات المُدمجة بها. وسيكون لذلك آثار ضمنية على الشركات المصنعة للكمبيوتر ومزودى البرمجيات. ولذلك ففيما توفر برمجيات المصدر المفتوح فرصًا للوصول إلى الإنترنت بطريقة فاعلة من حيث التكلفة، لاسيما فى المناطق التى بات فيها الوصول إلى الإنترنت محدودًا فى الوقت الحالي، هناك أيضًا قضايا محتملة ومرتبطة بحرية التعبير والرقابة. ويمكن للمرء أن يتصور حوارًا فى المستقبل بين المرجعيات الدينية ومطورى أجهزة الكمبيوتر يجرى فيه التفاوض بشأن هذه الحزم. طُوِّرت عناصر من أوبونتو بشكل تعاونى من خلال المنتديات وتبادل البيانات. حافظة تطبيقات أوبونتو هذه هى المعادل مفتوح المصدر لبرامج مايكروسوفت أو أبل، دون الحاجة للحصول على تراخيص مدفوعة الثمن. ويمثل هذا إزالة إحدى العوائق الكبيرة التى تحول دون الوصول إلى الإنترنت.

توفر إتاحة البرمجيات العربية مفتوحة المصدر - التى يمكن تثبيتها واستخدامها وتطويرها مجانًا أو بتكلفة أقل - إحدى الوسائل لتعزيز الوصول إلى شبكة الإنترنت فى السياقات الإسلامية وغيرها. أطلقت إصدارات يونيكس/لينوكس العربية منتجًا عربيًا مجانيًا مفتوح المصدر فى ٢٠٠١، والذى تواصل تحسينه. كما عرضت "الهندسة العربية" أيضًا منتجًا بديلاً مفتوح المصدر. تشجع مثل هذه التطورات، بالتزامن مع زيادة إنشاء تطبيقات الويب بواجهات إسلامية، الوصول إلى الإنترنت فضلاً عن التطور الاقتصادى والمعرفى فى بعض السياقات الإسلامية.

توقع عضو لينوكس مصر أن يكون لبرمجيات المصدر المفتوح تأثير عميق على التعليم فى مصر وخارجها. مبادرات البرمجيات مهمة عندما يُنظر إليها جنبًا إلى جنب مع تطوير المنتجات بعدد واسع من اللغات، ويعد الغياب النسبى للمواد باللغات "الإسلامية" معوقًا للوصول إلى الإنترنت. فى الأيام الأولى للإنترنت، كانت اللغة الإنجليزية هى اللغة المعيارية لكثير من أوائل الشركات التى تبنت التكنولوجيا، من بينها تلك المنتجة للمحتوى الإسلامى- السيبرى. وكان هذا يعكس خلفية البرمجيات ومطورى المواقع التعليمية، فضلاً عن التطبيقات المتاحة.

ثمة مستويات للتغيير فى هذا المجال تتواءم مع تكيف سوق الإنترنت. يوجد الآن قدر هائل من المواد بالتركية والإندونيسية والصومالية والماليزية والفارسية والعربية، لكن لا يزال هناك غياب نسبى للمواد باللغة الأردية والبنغالية. ويظهر النمو فى المواد الإسلامية أيضًا فى أسواق أخرى من بينها إفريقيا جنوب الصحراء وجمهوريات آسيا الوسطى. كما صار الإنترنت فضاء للغات الأقليات والمهمشين فى السياقات الإسلامية. فعلى سبيل المثال، تَواصَل الأمازيغ البربر وتعاونوا باستخدام الويب وروجوا لاستخدام لغتهم، رغم أن هذا لا يعكس محتوىً "إسلاميًا" بالضرورة.

قد يؤدى استخدام واجهات ويب ٢.٠ ضمن هذه السياقات بعناصر من الشبكات الإسلامية إلى زيادة السرعة بصورة مطردة، مع النمو الهائل فى مؤشر الفرصة الرقمية. لابد من التأكيد على أن الشبكات الإسلامية تتجاوز الحدود السياسية الدولية المرتبطة بالدول القومية ولابد أن يكون بحث تفحص مؤشر الفرصة الرقمية لعقد معينة داخل الشبكات الإسلامية مثيرًا للاهتمام. كما أن هناك بعض الشبكات متناهية الصغر المرتبطة بأنماط عُقدية محددة تعتمد اعتمادًا كبيرًا على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتسهيل التعاون والتواصل عبر الحدود

السياسية. قد تكون هذه "أقليات داخل أقليات" - على سبيل المثال، التفرعات الصغرى للمذهب الشيعي مثل البهرة الداوودية (التى تملك بدورها عقدها الخاصة بها). ويحتوى موقعهم الخاص Mumineem.org على مناقشات فنية تفصيلية ضمن مدونة، ومناقشة جافا سكربت، وقواعد البيانات، والتدفق، وقضايا البرمجيات. يتعاون أعضاء الشبكة فى مختلف أوجه هذه المسائل على مختلف المستويات، والتى قد يُنظَر إليها باعتبارها واجبًا دينيًا.

من القضايا المهمة الأخرى غياب مجالات المستوى الأعلى بحروف اللغات "المسلمة" الرئيسية غير المكتوبة بحروف لاتينية مثل العربية والأردية والفارسية. يتطلب النظام فى وقت الكتابة إدخال الحروف اللاتينية لأى عنوان على الويب. سعت حملة نظمها اتحاد أسماء الإنترنت متعدد اللغات لتحدى ما نُظِرَ إليه على أنه حاجز كبير داخل "الفجوة الرقمية".

بالاتساق مع تعليقات ڤاريسكو وأندرسون فى الفصل الأول، نجد أن التوسع السريع فى البرمجيات والمحتوى عبر الإنترنت بلغات "مسلمة" (أخرى) يثير قضايا مرتبطة برصد المحتوى وتحليله. ورغم بقاء الفجوة الرقمية، تطرح الحمولة الزائدة من المعلومات المجردة فى البيئات الإسلامية السيبرية القائمة القضايا والصعوبات. وبما أن البحث حول البيئات الإسلامية السيبرية صار أكثر تخصصًا، فمن المتصور أن تشكل كل لغة (وسياق) خطًا منفصلاً فى الأبحاث.

الإسلام من الداخل: نحو محطة الصلاة

إلى جانب قضايا إمكانية الدخول على الإنترنت والبرمجيات، ظهر عدد من المنتجات ذات توجه إسلامى بالأسواق. وتشمل هذه المنتجات الهواتف المحمولة مع مزايا متكاملة مثل الأذان والنغمات الإسلامية والتقويمات الإسلامية والقرآن. ويمكن أيضًا تكييف الهواتف المحمولة وأجهزة المساعد الرقمية الشخصية عن

طريق تحميل البرامج الإسلامية. بعض هذه البرامج أساسية بطبيعتها، على سبيل المثال، يمكن الحصول على تنبيهات الرسائل القصيرة التى تذكر المشتركين بأوقات الصلاة، والخدمات المماثلة وقد تقدم أيضًا الاقتباسات القرآنية. وعلى حين أنه لم تكن هناك خطط معروفة لتطوير بلاكبيرى إسلامى وآى فون إسلامى حتى منتصف ٢٠٠٧، فبالإمكان استخدام التطبيقات الإسلامية عليهما. كما شاركت حزم المساعد الشخصى الرقمى الإسلامية بعضًا من هذه الخصائص.

ظلت برامج الكمبيوتر الإسلامية متاحة منذ عدة سنوات، من بينها تطبيقات برامج القرآن المتنوعة وأدوات تعليم اللغات. كما تطورت أيضًا مجموعة من الألعاب الإسلامية لاستخدامها على أجهزة الكمبيوتر الشخصى. عرضت شركة سورية للألعاب لعبة تفاعلية ترتبط ببدايات تاريخ الإسلام. وبما أن تمثيل الإسلام والمسلمين من قبل فى بعض الألعاب كان مُحَمَّلاً بمسحة سلبية، مَثَّلَ هذا تطوراً مهماً. ضَمَّ قرص مضغوط للألعاب الإسلامية صوراً إسلامية للألعاب التقليدية، مثل لعبة "أطلق النار على الصنم". وللألعاب الإسلامية ذات المستوى التكنولوجى المنخفض مكان على الإنترنت أيضًا، من بينها البحث عن الكلمات والألغاز استناداً إلى مصادر إسلامية. توفر تطبيقات تشغيل الألعاب مثل نينتندو ويى، ودى إس، وسونى بلايستشن ٣، الدخول على الإنترنت كجزء من حزمتها ويمكن تصورها كواجهات للدخول على البيئات الإسلامية السيبرية.

أثارت بعض المنتجات المتاحة من خلال الويب حفيظة المرجعيات والمعلقين. غدت الهواتف المحمولة التى ترن أثناء صلاة الجماعة "موضوعًا ساخنًا" بشكل خاص: "مع بدء صلاة الظهر، يدعو الإمام المصلين ليقفوا صفًا واحداً ويسدوا الفُرَجَ بينهم. يصبح المسجد جواً شبه مثالى للتأمل والطمأنينة والهدوء والتقوى. وفجأة تفسد أجواء المكان المقدس بفعل دقات الهيب هوب لمغنى الراب "سنوب دوجى دوج"

بلوس أنجليس. يدير المصلون رءوسهم لإلقاء نظرة على الجانى. ويزفرون زفرة امتعاض. مرة أخرى شخص ما لم يغلق هاتفه المحمول". يمكن أن ينظر إلى إزعاج صلاة الجماعة بلا داعٍ بمثل هذه الطريقة على أنه عمل مشين إلى أعلى درجة، ومع تشابهه مع تداعيات "اللغو" فى المسجد، قد يتطلب إعادة الصلاة من جديد. هناك شعور بأن وظيفة "الصامت" على الهواتف المحمولة أثناء الصلاة أصبحت سنَّة (التزاماً).

تحمل الهواتف المحمولة وما يرتبط بها من تكنولوجيا أيضاً سمة إدمانية، قد تكون ضارة بالحياة الأسرية. ذكر أحد المعلقين أثناء نقاش حول البلاكبيرى: "فى حوار جرى مؤخراً بين اليهود والمسلمين، قال لى رجل أعمال مسلم إن زوجته وصفت الأداة الكريهة بأنها "عشيقته"، وطالبته بوضعه فى درج مغلق من مساء الجمعة حتى مساء الأحد، حيث إنه أفسد بشدة عليهما عطلات نهاية الأسبوع الخاصة بهما". يمكن أيضاً أن يتعلق هذا بالقضايا المرتبطة بإدمان الإنترنت، والتى يُسَوَّق لها فى السياقات الإسلامية كذلك.

ورغم هذه المخاوف، زادت شعبية الهواتف المحمولة، من بينها تلك التى تتمتع بقدرة ويب مدمجة، بدرجة أن بعض الأفراد امتلك هاتفيْن أو أكثر. لاحظ أحد المعلقين أن "الاتجاه السائد فى المملكة السعودية أن يكون لديك رقما تليفون محمول على الأقل، وربما ثلاثة -- رقم للعمل، وآخر للأسرة، وثالث "للمتصلين المهمين". للفئة الثالثة معنى غامض بعض الشيء. ولم يسلم النمو الهائل فى مجال اتصالات التليفون المحمول من المنتقدين، وإن كانت احتجاجاتهم محدودة.

أُستهدِفت التطبيقات المعينة التى كان يُتَصَوَّر أنها تخرق القيم الإسلامية. فعلى سبيل المثال، أصدر الشيخ عبد العزيز آل الشيخ تصريحاً ضد التليفونات المزودة بكاميرات: "حظر المفتى الأكبر بالمملكة السعودية الاتجار فى التليفونات المحمولة

المزودة بكاميرات والتى يمكن أن تلتقط صوراً - محرمة -.. باعتباره أمرًا غير إسلامى. يمكن استغلال مثل هذه التليفونات -لتصوير الرذيلة ونشرها فى المجتمع (السعودى) المسلم-؛ كما ذكرت صحيفة "المدينة المنورة" عن الشيخ عبد العزيز آل الشيخ قوله: "التليفونات المحمولة المزودة بكاميرات ممنوعة ظاهريًا فى المملكة، لكن يبدو أنها شائعة الاستخدام وغالبًا ما تكون محور الجدل".

ورغم هذه التصريحات، فلا شك أن الهواتف المحمولة أصبحت شائعة حيث تمثل بيزنس كبيراً فى العديد من القطاعات بالمملكة السعودية: "يتم إرسال نحو ١٨ مليون رسالة تليفون محمول نصية بالمملكة السعودية تتمنى للمسلمين السعادة فى بداية أقدس أيام السنة، وهو شهر رمضان". وفى ٢٠٠٧ ذكرت التقارير أن المصريين ينفقون ٢,١ مليون دولار أمريكى لإرسال ٤٠ مليون رسالة قصيرة للتهنئة برمضان.

من الواضح أن هناك مستويات من "الاستخدام المناسب". كان هناك جدل فى بعض السياقات الإسلامية يتعلق باستخدام أجهزة الكمبيوتر، والتليفونات، وأجهزة المساعد الرقمى الشخصى المزودة بتقنية البلوتوث. تسمح هذه الأجهزة بالاتصالات غير الرسمية، والتى ربما تتجاوز الحواجز التقليدية والدينية، مما يؤدى إلى "إساءة الاستخدام": "فى ليلة دافئة مؤخراً، جلس عبد الله محمد أمام حاسبه الشخصى المحمول فى مقهى فى شارع جانبى بانتظار أن يلتقط بلوتوث جهاز الكمبيوتر الخاص به المستخدمين المتواجدين فى مكان قريب. يقول رجل الأعمال البالغ من العمر ٢٤ عامًا: -أستخدم البلوتوث لمقابلة الفتيات. لا يمكن لهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الإمساك بى-. هذا ما قاله محمد ذو الشعر الطويل الداكن المُصَفَّف إلى الخلف. عندما يرى عبد الله امرأة تمشى أمامه، يضغط على زر البحث على أمل أن يكون بلوتوث تليفونها مفتوحًا".

كانت الهواتف المحمولة موضوع مخاوف أخرى مرتبطة بالأخلاقيات، من بينها استخدامها لتصوير النساء فوتوغرافيًا فى الأعراس والمدارس. ذكر أحد التجار السعوديين: "من المؤسف أن يتعاطى الشباب هذه التكنولوجيا بطريقة غير أخلاقية ... يستخدم الناس فى الخارج الكاميرا لالتقاط لحظات جميلة بين الأصدقاء والأهل من دون إساءة استخدامها لفضح شخص ما أو الانتقام منه. نفس الشىء ينطبق على البلوتوث، يمكن استخدامه لنقل البيانات للعمل أو الدراسة، وليس كاتجاه جديد للمغازلة".

يمكن ربط هذا بتعليق للشيخ عبد الله المنيع عضو هيئة كبار العلماء السعودية. أشار المنيع إلى أن المجتمع السعودى تضرر بسبب إدخال مثل هذه التكنولوجيا، وهو زعم يمكن تفنيده على أساس مثاليته: "حتى وقت قريب، كان المجتمع السعودى نظيفًا وبريئًا، وللأسف، تغير هذا المجتمع نتيجة لعدة عوامل. من بين هذه العوامل العمالة المنزلية التى تأتى من مجتمعات مختلفة، وأيضًا، انتشار الفضائيات والإنترنت التى أدخلت البورنو".

ذكرت صحيفة "الشرق الأوسط" أن البلوتوث تسبب فى صعوبات خاصة بين بعض القطاعات فى المجتمع السعودى: "أثار البلوتوث سخط العديد من السعوديين مثل ليلى الماجد التى تعتقد أن -التكنولوجيا الحديثة ستؤدى إلى تجاوز الأعراف الاجتماعية والتقاليد لأنها سهلت إقامة العلاقات الودية بين أفراد من الجنسين-. كما عبَّرت فدوى الجهنى المستاءة بالمثل من هذه التكنولوجيا عن إحباطها بسبب -الرسائل السخيفة والصور الفاضحة- التى تتلقاها مما جعلها تغلق هاتفها المحمول".

فى ٢٠٠٧، وفى خطوة ربما كانت مفاجئة لمواجهة مثل هذه الأنشطة، اعتمد فرع الرياض بهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على تقنية البلوتوث، وبدأوا فى

إرسال رسائل فى الأماكن العامة فى محاولة لمنع "تجاوزات" البلوتوث، مع التأكيد على أنهم ليسوا ضد التكنولوجيا فى حد ذاتها. ويمكن النظر إلى ذلك فى ضوء الخطط لتطوير مدينة الرياض "كمدينة رقمية".

قد يغطى الأثر الملحوظ للإنترنت على القيم الدينية والثقافية على تأثيراته الأخرى. أصبح الإنترنت مستهدَفًا بخاصة كما أعرب عن ذلك بعض المعلقين، وهو منهج يتجاهل العوامل الأخرى. أثار معلقون هذا الأمر أثناء مناقشة "إدمان" ظاهر للعيان للإنترنت فى الإمارات العربية المتحدة، ولاسيما إتاحة "الجنس السيبرى". ذكرت إحدى السيدات: "الجنس السيبرى فى غرف الدردشة على الإنترنت مرض ... وطلاقى الذى وقع مؤخراً كان بسبب الإنترنت. صار زوجى مدمنًا للإنترنت وكان معتاداً على قضاء الليل بطوله فى غرف الدردشة. فجأة اكتشفت أنه كان يتلقى إغراءات جنسية على النت فى عدة مناسبات، وكان يطلب من النساء مقابلته. كان يكلمهن ويرسل لهن رسائل بالبريد العادى، وأموالاً، أو هدايا. وفى بعض الأحيان، كنت أجد صوراً لنساء عاريات على الكمبيوتر"؛ لذلك رفعتْ دعوى للطلاق أمام محكمة دبى والتى حكمت بطلاقها منه. واُعتُبِرَ هذا نوعًا جديداً من الخيانة الزوجية. هذا أمر مهم على عدد من المستويات، ليس أقلها العنصر الذى يقدم سبباً لطلب الطلاق بسبب الإنترنت. ولكن بغض النظر عن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فمن المحتمل أن الزوج استخدم قنوات أخرى للاتصال لإشباع دوافعه.

تولِّد تطبيقات البرامج مع تحسنها من حيث الجودة التقنية مناقشاتٍ جديدة فى السياقات الإسلامية. أثير القلق فى المملكة السعودية بسبب ما أُعْتُقِدَ أنه غزو للخصوصية من جوجل إيرث، وهو تطبيق لرسم الخرائط والتصوير الرقمى يوفر صوراً بالأقمار الاصطناعية من مختلف أنحاء العالم. لكن ذلك لا يبدو أنه أعاق

خطط جوجل لتحديث الصور المتاحة. فقد ألقيتُ نظرة على صور لمدينة الرياض وجدة ومكة. وإذا أخذنا فى الاعتبار أن هذه الصور لا تعكس "الوقت الحقيقى"، وأنها ذات جودة متواضعة نوعًا، فلم يكن بها ما ينتهك الخصوصية الشخصية فى تلك المرحلة بالضرورة. أما صور "الوقت الحقيقى"، "عالية الكثافة" التى تلتقطها الأقمار الاصطناعية فمسألة أخرى. قد تصبح هذه قضية ينظر فيها عندما يجرى تحديث الخدمة، وتلك التى يقدمها منافسوها، وتحسين جودة الصورة فى بعض المناطق. ربما لابد من تركيز قدر أكبر من الاهتمام على جودة الصور المتاحة للقطاعات العسكرية والأمنية واستخداماتها فى المنتديات الجهادية.

تطلبت بعض المنتجات المتعلقة بالجنس التعديل بما يتواءم مع الأسواق الإسلامية. من الأمثلة غير النمطية التى ظهرت طرح "صديقة افتراضية" تم التسويق لها فى ماليزيا، ويمكن تحميل هذا التطبيق لاستعماله على تليفون محمول 3G. "تراوحت المشكلات بين التجميلية – أعيد برمجة ڤيڤيان بحيث لا تعرى سرة بطنها أو تكشف عن وخزات جسدها فى البلدان المسلمة المحافظة مثل ماليزيا – وبين التكنولوجية".

يمثل هذا قرارًا تجاريًا، لكن من الضرورى الإشارة إلى أن المستهلكين الراغبين فى رؤية أشياء أكثر صراحةً وبدون تحفظات لن يواجهوا كثيرًا من الصعوبات، حتى فى وجود الحواجز التى تضعها الحكومات ومزودو خدمات الإنترنت.

رسخت شركات الكمبيوتر الكبرى أقدامها فى الأسواق التى تضم أعدادًا كبيرة من المسلمين وكيفت منتجاتها وتسويقها ودعمها التقنى وفقًا لذلك. فى ٢٠٠٦ وعدت منشأة صناعية فى دبى بتجميع ١٠٠ ألف جهاز كمبيوتر شخصى فى عام. كما خططت شركة إنتل لإقامة مركز لتعليم تكنولوجيا المعلومات بجامعة غزة

الإسلامية فى محاولة لحفز التجارة والتعليم. شمل أثر الإنترنت على البنى التحتية الإقليمية إنشاء مدينة دبى للإنترنت، والتى أصبحت علامة تجارية حيث سعت إلى تصدير هذا المفهوم إلى أماكن أخرى، من بينها الهند. ويمكن مقارنة ذلك مع ممر الوسائط المتعددة الفائق فى ماليزيا.

رسخت صناعات الكمبيوتر لنفسها موضع قدم وبقوة فى السياقات الإسلامية؛ حيث اجتمع بيل جيتس مع الشركات والمسئولين الحكوميين فى الشرق الأوسط بالتعاون مع منتدى ميكروسوفت للقيادة الحكومية العربية (منتدى القيادة الحكومية العربية). اقترح عدد من الدول شرق أوسطية بنى تحتية لحكومة إلكترونية – لاسيما فى البحرين التى اعتمدت معايير مفتوحة للحكومة الإلكترونية.

البحث عن الإسلام

كان القطاع التجارى أيضًا مسئولاً عن تطوير تكنولوجيا البحث باللغات المختلفة والأسواق الإقليمية. وكان للتحولات فى بنية الويب الأوسع أثرها، لعل أهمها إنشاء محركات البحث باللغة العربية. تنافس كل من Araby.com وسوافى فى توفير محركات البحث وأدواته الراسخة مثل "عجيب" و"أين" و"نسيج". لمحركات بحث جوجل العربية واجهة مهمة، عززتها الأخبار حول افتتاح جوجل لمكتب فى مصر، وهو مؤشر آخر على الإمكانات المالية لمحركات البحث باللغة العربية. كما أطلقت الجامعة البريطانية فى دبى وFAST Search مشروع محرك بحث عربى فى ٢٠٠٦.

أثر تعزيز أدوات البحث فى الوصول إلى المحتوى المتعلق بالإسلام باللغة العربية فى منطقة الشرق الأوسط وما وراءها. وسيكون لتوفر محركات البحث باللغات "الإسلامية" الأخرى وتطورها المستمر صدىً أيضًا فى البيئات الإسلامية السيبرية. ويثير هذا قضايا معقدة ترتبط بالرقابة، حيث إن بعض الحكومات لا ترغب فى

وصول رعاياها إلى أشكال معينة من المحتوى المرتبط بالويب أو الصفحات المُخزَّنة ذات الصلة. ونظرًا لأن نسبة صغيرة نوعًا ما من شبكة الويب العالمية بأكملها هى التى تصل إليها محركات البحث، ويعثر عليها فى قواعد البيانات، لابد من النظر أيضًا فى قضايا استخراج البيانات. وبالرغم من قضايا الحمولة الزائدة من المعلومات، تظل كميات هائلة من المعارف، من بينها ما يتصل بالبيئات الإسلامية السيبرية، غير مكتشفة فى مناطق من الويب التى لا تشكل جزءًا من المستوى الأعلى لمحركات البحث. يؤثر هذا على البحث والمعرفة عن الشبكات الإسلامية وفهم البيئات الإسلامية السيبرية.

جدار النار الإسلامى

مع النمو فى الوصول إلى الإنترنت، والبنية التحتية المصاحبة له، تأتى القضية التى لا مفر منها فى أغلب الأحيان وهى الرقابة. النمو المطرد فى الرقابة على الإنترنت فى السياقات الإسلامية مسألة معقدة. وليس القصد هنا إصدار أحكام قيمية محددة بشأن ما يستحق الرقابة (إن وجد) أو ما هو مدمر بطبيعته. ينطبق عدد من الأساليب فى المجالات التى تعتبر فيها الرقابة ذات صلة.

التجاوزات ضد القيم الدينية أو الهجمات ضد سياسة الدولة أو كلاهما من العوامل السائدة المحفزة لبعض أشكال الرقابة، حتى من قِبَل أولئك الذين يدعون أنهم يدعمون "حرية التعبير". قد تتغير المعايير المحددة لمثل هذه الحرية فى السياقات الإسلامية المختلفة، إذ يوحى بعض النقاد أن هذا المفهوم تسمية خاطئة. يضم مفهوم حرية التعبير عدداً من الموضوعات والقضايا المختلفة، ليست جميعها متوافقة تبادليًا داخل سياق إسلامى ما. وهذا بطبيعة الحال ليس مجرد قضية متصلة بالإنترنت. كانت تبعات نشر سلمان رشدى "آيات شيطانية" (١٩٨٨) تمهيداً لكثير من المناقشات المعاصرة حول الرقابة.

قد يسعى المدافعون عن حرية التعبير السياسية والدينية الإسلامية إلى الرقابة على أولئك الذين يتبنون دعم القيم التى لا تعتبر متوافقة مع رؤيتهم للعالم. بيد أنه حدث تقويض لقنوات التحكم. تذكُر أيكلمان أنه فى سياق الشرق الأوسط: "لم تكن الفوارق بين الكلمات والصور المحظورة وتلك التى يتم التسامح معها فى الشرق الأوسط ثابتة على الإطلاق، لكن الوصول إلى التكنولوجيات الجديدة ضاعف القنوات التى يمكن تداول الأفكار والمعلومات من خلالها ووسع نطاق ما يمكن قوله ولمن. كما أنه أضعف قدرة السلطات على الرقابة والقمع، وعلى فرض رسالة مركزية تحدد القضايا السياسية والدينية لأعداد كبيرة من الناس".

تُعتبر القضية نفسها مؤشراً لوعى مكثف بأثر الإنترنت الكامن والمتحقق على القيم والمجتمعات الإسلامية، إلى جانب استخدامه وسيلة لتحقيق عدد من الأجندات السياسية - الدينية. وفيما يحدث انفتاح للإنترنت فى بعض السياقات الإسلامية، فإن القيود الكامنة على إتاحة الإنترنت تُطَبَّق على مناطق معينة من المحتوى. تقيَّد الفرص المتاحة للتعاون والاتصال بالشبكات، أو فى بعض الحالات، يجرى التحويل إلى قنوات أخرى. يسَّر ويب ٢,٠ أشكالاً بديلة لنشر المواد، مع وجود العناصر التفاعلية التى قد يكون رصدها صعباً - مهما كان مقدار الوقت والمال الذى يُبذل فى بروتوكولات الفلترة والرقابة. وتواجه السلطات صعوبات معينة لمواكبة كمية البيانات التى تنشر فى السياقات المحلية والدولية عنها.

تجلت الرقابة نفسها بعدد من الطرق. فى الكويت، على سبيل المثال، حاولت الجهات الحكومية حجب مواقع الويب الجهادية. وفى بعض السياقات، قد يؤدى مجرد إنشاء روابط تشعبية مع مواقع محظورة على صفحة ويب أو مدونة إلى الملاحقة القضائية. ثمة أمثلة أخرى فى السياقات الإسلامية، أو الأماكن التى بها شعوب ذات غالبية مسلمة، للقيود الكامنة والأخطار المحتملة لاستخدام الإنترنت كوسيلة للتعبير عن الذات.

أما تحديد ما هو عدائى وبحاجة إلى رقابة فمسألة أخرى. فى المملكة السعودية، قد تكون تلك فتاوى أو خطباً أو تفسيرات "تحيد" عن سياسة الدولة. تخضع بعض تفسيرات الإسلام (ومن ضمنها ما يسمى بالتفسيرات المتأثرة بالوهابية وغيرها) للرقابة من قبل السلطات السعودية، حيثما أمكن، بسبب عدم التوافق مع المصالح الدينية الوطنية. وتثار المخاوف إزاء غرف الدردشة غير الخاضعة للرقابة أو تلك البعيدة عن متناول الرقابة فى المملكة السعودية.

بالطبع، يمكن أن تتخذ الرقابة أشكالاً عديدة. يبدو إغلاق مزود خدمة إنترنت محلى يستضيف محتوى عدائيًا أو تشديد الرقابة عليه أسهل من فلترة محتوى مستضاف بالخارج. قد يتطلب بعض المحتوى كلمات السر للدخول عليه، أو قد يتنقل بسرعة عبر مواقع الإنترنت المختلفة، مما يجعل من العسير إخضاعه للرقابة. وفى بعض الحالات، قد يكون مصدر المعارضة أو الاختلاف الأصلى بعيداً عن قبضة الرقابة. فلا تزال خطب الشيخ الشعيبى الراحل المعادية للولايات المتحدة منتشرة على الإنترنت بعد وفاته، مما أدى إلى ملاحقة أتباعه فى المملكة السعودية. وفى حالات أخرى، انتشرت الآراء "المنشقة" من خلال المحتوى الذى يتنكر فى هيئة مصادر مرجعيات "سائدة"، مما يلحق الضرر بسمعتهم.

سعت وحدة خدمة الإنترنت فى المملكة السعودية لفرض الرقابة على "ما رأته أنه صفحات ذات طابع مسىء أو ضار بالمجتمع، والتى تنتهك تعاليم الدين الإسلامى أو الأعراف الاجتماعية". ويشمل ذلك استخدام تقنيات فلترة المحتوى التى طُوِّرت بالتعاون مع شركات البرمجيات الموجودة غالبًا فى السياقات الغربية.

أثار هذا الأمر مخاوف المنظمات المناهضة للرقابة، إلى جانب "نشطاء القرصنة الإلكترونية" الداعين إلى حرية التعبير. تمكن مستخدمو الإنترنت فى المملكة السعودية ودول أخرى كثيرة من الالتفاف حول قضايا الرقابة والوصول إلى

المحتوى من خلال وسائل أخرى. ذكرت "مراسلون بلا حدود": "أنشأت المملكة السعودية واحداً من أكبر نظم فلترة الإنترنت فى العالم. كانت السلطات قد أعلنت رسميًا أنها حجبت الدخول على ما يقرب من ٤٠٠ ألف صفحة ويب، وذلك بهدف حماية المواطنين من المحتوى المسيء والمحتوى [الذى] ينتهك مبادئ الإسلام والأعراف الاجتماعية". ذكرت مراسلون بلا حدود أيضًا أن مواقع مثلية التوجه مثل GayMiddleEast.com، والتى سبق فلترتها، خضعت للفحص بحثًا عن محتواها الإباحى. ثم رُفِعَت القيود المفروضة فى وقت لاحق بعد الضغط الذى مارسه النشطاء بالخارج.

فى بعض الأحيان، تزعم المنظمات ذات التوجه الجهادى العسكرى أن الجهات الحكومية تآمرت لحجب مواقعها على الويب. أشارت حركة الجهاد الإسلامى ضمنًا إلى أن البنتاجون حجب أربعة من مواقعها على الويب "لأنها احتوت على أخبار وصور تدعم المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلى". الرقابة عملية تسير فى اتجاهين (أو أكثر)، حيث اتهمت وكالة أنباء الجمهورية الإيرانية الحكومة الأمريكية بحجب مختلف مواقع الحكومة الإيرانية، من بينها موقع "حركة جهاد الجامعات" والتى زعمت أنه موقع أكاديمى.

كرست لجنة حماية المدونين حملات ضد اضطهاد المدونين وملاحقتهم وسجنهم فى شتى البلدان ذات الغالبية المسلمة. كانت اللجنة سباقة فى جهود حملاتها للإفراج عن المدونين المسجونين، من بينهم أولئك الذين سجنوا للتحدث فى القضايا الدينية. كما شنت منظمة العفو الدولية حملة مماثلة. وأصدرت منظمة مراسلون بلا حدود "دليل المدونين والمعارضين السيبريين"، الذى يقدم النصح والمشورة حول إبقاء الهوية مجهولة، والالتفاف حول الرقابة. قد تكون الرقابة قضية داخلية، تتضمن ضغطًا على صاحب موقع مثير للجدل. كما ووجهت المحاولات التى تقوم

بها الحكومات فى السياقات الإسلامية مثل المملكة السعودية وإيران وتونس لفرض الرقابة على الإنترنت أو تقييد الوصول إليه بمستويات متباينة من الكفاءة.

وجدت الأفكار السياسية ومؤيدوها وسائل مبتكرة للالتفاف حول القيود، أحيانًا بتعديل مكان المواقع على الإنترنت أو إخفائها لإحباط أولئك الساعين إلى إغلاقها أو باستخدام مزودات خدمة إنترنت صديقة أو غير مشكوك فيها. الرقابة قضية حية داخل الإنترنت بصفة عامة، وفى البيئات الإسلامية السيبرية على وجه الخصوص. فهى تطرح قضية السيطرة على الإنترنت، والعوامل المتعلقة بـ"حرية التعبير". وسواء كانت الفلاتر مفروضة ذاتيًا وعلى أساس المبادئ الإسلامية أو مفروضة من الحكومات وعلى أساس القيم السياسية أو كلاهما، فهى قضية من المهم تفحصها لضبط فلترة المتصفح على "محتوى آمن" قد يمثل فضيلة إسلامية.

تطرح الاحتجاجات على فهرسة بعض حكومات السياقات الإسلامية وفلترة المعارضة السياسية، بالاعتماد على برمجيات من الشركات الدولية، قضايا معقدة ملازمة لتدفق المعلومات المنبثقة عن القوى الجهادية وغيرها من قوى زعزعة الاستقرار المحتملة على الإنترنت. لا تعيق الفلترة الملمين بالنت، بل ربما زادت من إثارة اتباع "المحرم". ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ كيفية استجابة المرجعيات الدينية من مختلف المذاهب لمثل هذه القضايا مع تقليل الفجوة الرقمية فى بعض السياقات وتزايد "تهديد" المواد المثيرة للجدل.

استجاب الوزراء بأساليب شتى للرقابة وغيرها من أشكال الضغط. ففى إيران، أدى هذا بوزير سابق إلى إنشاء مدونته الخاصة. كما أطلق الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد مدونة أيضًا فى ٢٠٠٦، رغم أن مدى ما يقوم هو بنشره شخصيًا يبدو محدودًا. حاولت بعض الجهات الحكومية الإيرانية تقييد الوصول إلى أنواع معينة من محتوى الويب، وفى ٢٠٠٦ حجبت مواقع على الويب بها محتوى

أُعتبر ضاراً بمصالح الجمهورية، مثل الخدمة الفارسية بهيئة الإذاعة البريطانية BBC. وفى محاولة لتعزيز صيغة إسلامية محددة من التدوين التى يفترض أنها عنصر من عناصر التحكم، أطلقت الحكومة الإيرانية مهرجان التدوين القرآنى الدولى. قدم هذا المهرجان المشورة والأدوات اللازمة لإنشاء المدونات. تميز المهرجان، الذى اجُتذِب من خلاله ٨٠٠ مدونة بعنصر المنافسة. "قال د. بوترابى الذى يرأس مزود خدمات التدوين، "Persianblog"، إن المدونات وسيلة للكشف عن هوية الإنسان فى الفضاء السيبرى ووسيلة فاعلة للتواصل ... وبما أن المدونات باتت منتشرة على نطاق واسع جداً فى العالم اليوم، يمكن استخدامها لأغراض مقدسة كما فعل المسلمون فى جميع أنحاء العالم الذين نشروا احتجاجات على الرسوم المسيئة فى وسائل الإعلام الدانمركية والغربية الأخرى فى مدوناتهم الخاصة".

كثيراً ما اشتكى مسئولون إيرانيون من طبيعة الإنترنت لكن قدرتهم على السيطرة عليها مقيدة، خارج إيران على الأقل: "قال محمد سليمانى الوزير الإيرانى لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات إنه، فى كثير من الأحيان، يُستخدم الإنترنت - لنشر الأكاذيب - ... دعا سليمانى إلى إلغاء شركة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة (آيكان) ومقرها كاليفورنيا التى تجيز أسماء نطاقات جديدة ذات مستوى عالٍ - لصالح تحكم الأمم المتحدة".

شملت الجهود التى بذلت فى إيران لممارسة نوعٍ من السيطرة على الإنترنت، فى رد فعل متأخر نوعًا على اتجاه التطور التكنولوجى الناشئ، شملت فلترة blogrol-ling.com، وهو تطبيق لنظامٍ للتجميع السريع لقوائم عناوين المواقع، والتى يمكن إدراجها فى مدونات أخرى باعتبارها "قائمة بالمدونات". وبهذا يمكن للمدون أن يشير إلى المدونات والمواقع الأخرى المفضلة مع إمكانية تبادل الروابط.

ظهر عدد من الاحتجاجات - التي تم التعبير عنها على الإنترنت وفي المظاهرات الفعلية - ضد الرقابة على الويب. في ٢٠٠٣ قامت احتجاجات ضد الرقابة الإيرانية في قمة الأمم المتحدة الرقمية في جنيف. عمل نشطاء حقوق الإنسان وجماعات حملات الإنترنت لعدة سنوات على توثيق كيفية ممارسة الرقابة على الإنترنت في السياقات الإسلامية (وغيرها). ليس الغرض هنا مناقشة كل الحالات التي ظهرت. فبضعة أمثلة قليلة تكفي.

في ليبيا، ألقي القبض على الكتَّاب الذين يستخدمون الإنترنت لنشر أفكارهم. ألقي القبض على صحافي الإنترنت عبد الرازق المنصوري في يناير ٢٠٠٥ بسبب كتاباته في "أخبار ليبيا"، وصدر العفو عنه في مارس ٢٠٠٦. وذكرت مراسلون بلا حدود حالات عديدة من سجن الكتاب والصحفيين وإساءة معاملتهم. فالكاتب والصحفي ضيف الغزال، الذي كان يكتب في "ليبيا اليوم" وهي صحيفة إلكترونية مقرها لندن، توفي في السجن. بيد أن مقالاته النقدية لم تركز دائمًا على محتوى إسلامي بصورة حصرية.

وفقًا لمنظمات حقوق الإنسان، تعرّض عدد من الأشخاص في سياقات إسلامية مختلفة للسجن للاضطلاع بأنشطة على الإنترنت. ثمة فروق طفيفة بين الحالات كلٌ على حدة. تركزت إحدى الحالات على تونس، حيث واجه ثمانية مستخدمين للإنترنت أحكامًا مشددة بالسجن في ٢٠٠٤. ألقى وجود مؤتمر القمة العالمي لمجتمع المعلومات في تونس في ٢٠٠٥ الضوء على ما زُعِمَ أنه ممارسات للدولة، وتشمل إغلاق بعض مقاهي الإنترنت واشتراط أن يبرز المستخدمون بالمقهى بطاقات الهوية الشخصية. ذكرت وزارة الخارجية الأمريكية: "تقوم قوات الأمن بصورة روتينية بمراقبة الأنشطة والهواتف ورسائل الإنترنت التي يتبادلها نشطاء المعارضة، والإسلاميون، وحقوق الإنسان، وأحيانًا تتحرش بهم، وتتعقبهم، وتستجوبهم، وتهاجمهم بل وتهينهم هم وأقاربهم وشركاؤهم".

استخدمت الحكومات الإنترنت للاطلاع على الأنشطة المنشقة فى الفضاء السيبرى. وتعنى برامج التشفير الأكثر تعقيداً أن السيطرة على العديد من جوانب الإنترنت أصبح مشكلة بالنسبة للجهات الحكومية فى السياقات الإسلامية وغيرها (على سبيل المثال، فى فرض رقابة على الرسائل المتبادلة بالبريد الإلكترونى). وتتاح النصائح على الإنترنت حول كيفية تفادى تحكمات استخدام الإنترنت مثل الحفاظ على عدم الكشف عن الهوية.

برزت شكاوى من منظورات إسلامية مختلفة تتعلق بالمواد المعادية للإسلام المنشورة على الإنترنت. لم تؤلف أو تنشر كل المواد المُعْترض عليها بالضرورة فى بلدان من تقدموا بالشكوى، مما يجعل الرقابة والقيود إشكالية. على سبيل المثال، وصل الأثر المؤكد والمتزايد لمحتوى الإنترنت إلى الأوساط السياسية-الدينية فى باكستان، مما أدى إلى سلسلة من المراسلات، إضافة إلى رسائل البريد الإلكترونى:

> كتب نائب رئيس جامعة العلوم الإسلامية ونائب المرشد العام للصلاة فى مسجد لال بإسلام آباد، العلاَّمة القارئ عبد الرشيد غازى رسالة مفصلة إلى وزير تكنولوجيا المعلومات الفدرالى، عويس خان ليجارى، منذ حوالى أربعة أشهر ناشده فيها بشأن احتواء بعض المواقع على الإنترنت على مواد غير مقبولة حول العقيدة والتعاليم الإسلامية، والقرآن، وشخصية الرسول والحديث من أجل تضليل الشباب المسلم.
>
> وطالب بضرورة اتخاذ إجراءات فورية لحجب مثل هذه

> المواقع على الويب من خلال نظام حائط نار رقابى،
> على النحو الذى يمارس فى البلدان الإسلامية
> الأخرى، أو لحظرها تماماً.

يعكس هذا الطلب الذى يحرض على فرض الحظر وعيًا محدوداً بإمكانية الالتفاف حول حواجز الإنترنت، حتى في وجود الحوائط النارية. فهو لا يفترض إمكانية تداول المحتوى دون الاتصال بالإنترنت من خلال أقراص الفيديو الرقمية (الدى فى دى) وغيرها من الوسائل. ولا يعانى الأفراد الملمون بالتكنولوجيا، خاصة أولئك الذين نشأوا وهم يستخدمون الإنترنت، من مشاكل تقويض القيود إذا رغبوا فى ذلك.

جرى التحكم فى بعض المواقع الإسلامية "المعادية" من خلال حملات مستمرة على الإنترنت وخارجه. يمكن أن تكون التهديدات أو غيرها من أشكال الإيذاء بمثابة رادع للنشر، وخاصة إذا خضعت المسوغات الإسلامية لفرد ما للهجوم. وجدت غزال أوميد الكاتبة الإيرانية المقيمة خارج إيران أن تقييمها النقدى للجمهورية الإسلامية الإيرانية الذى يضمه موقعها على الويب livinginhell.com أدى إلى سوء المعاملة والتهديدات بالقتل: نعم، يمكننا تتبعها [التهديدات بالقتل]. جاءت معظم التهديدات من تركيا وباكستان وإيران. ذكرت غزال بطريقة شبه متفائلة: الكثيرون قالوا أشياء من قبيل "سوف تُشْوين فى نار جهنم". ويعنى هذا ضمنيًا أنهم عندما يقتلونها، فسوف يبعث الله بها إلى الشيطان.

كما سنرى فى الفصل الرابع فى المناقشة حول المدونات، يجد النقد السياسى- الدينى جمهوراً جاهزًا فى سوريا، بالرغم من آليات رقابة الدولة: "قد يتعرض متمردو الإنترنت الدهاة الذين وسعوا الحوار السياسى للاعتداء عليهم فى أى وقت والزج بهم فى السجن لقيامهم بمخاطبة جمهور الإنترنت المزدهر السورى، ويعتقد

أن العدد يفوق ٥٠٠ ألف شخص". ومع النمو العام فى محتوى الويب، لا تأتى فقط المنتجات التى قد يعتبرها البعض غير إسلامية، بل أيضًا المخاطر المتصورة للحمولة الزائدة للمعلومات. واعترف بذلك حتى رؤساء الدول: "قال الرئيس السورى بشار الأسد إن الميديا والثورة التكنولوجية تكتسح المنطقة والعالم وتساعد أعداء بلاده على تقويض الهوية العربية وسحقها. واستطرد الأسد فى مؤتمر لحزب البعث الحاكم فى سوريا يوم الاثنين قائلاً إن تدفق الميديا ترك العرب -غارقين فى التضليل المعلوماتى- بشأن هويتهم".

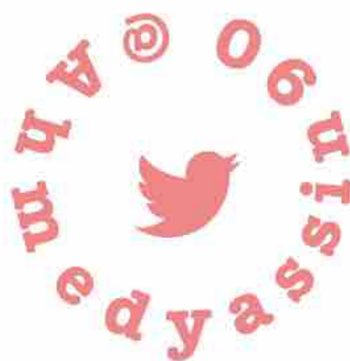
يعتمد هذا "التدفق" بالتأكيد على كيفية إدارة المعلومات، ومراقبتها، وفلترتها، وخاصة فى سياق سورى. لم يكن الأسد يناقش المحتوى المتعلق بالإسلام بالضرورة. ورغم ذلك، أشار الأسد إلى نقطة صائبة بشأن كمية المعلومات المتاحة عن القضايا العربية ونوعيتها. وهذه ليست بالضرورة مرادفة للقضايا الإسلامية، لكن من المستحيل ببساطة مواكبة كل تطور على الإنترنت.

أُولِىَ اهتمامٌ كبير بتمثيل الإسلام والمسلمين، سواء على الإنترنت أو خارجه. لقى الموضوع تركيزًا شديداً خلال "أزمة الرسوم الكاريكاتورية" فى ٢٠٠٥-٢٠٠٦؛ عندما عُبِّئَت الاحتجاجات فى شتى أنحاء السياقات الإسلامية، مما أدى إلى المطالبة بالرقابة. ثار الجدل حينما قامت الصحيفة الدانماركية "يولاند بوستن" بنشر رسوم كاريكاتورية اعتبرها (البعض) مسيئة للإسلام. حجبت منظمات اتصالات باكستانية عدداً من المواقع التى يُعتقد أنها تحتوى على مواد خلافية ذات صلة، من بينها بعض المدونات. يعنى هذا أنه تعذر الدخول على الكثير من المدونات المهمة التى تتخذ من باكستان مقراً لها أو ذات التوجهات الباكستانية فى ذلك البلد أو قيام أصحابها الباكستانيين بتحديثها، رغم أن هناك لا محالة أساليب للالتفاف حول الحَجْب.

تعليق ختامى

لابد للحكومات فى السياقات الإسلامية أن تتكيف مع الإنترنت كظاهرة. اعترفت الكثير منها بأهمية الاتصال بالإنترنت وقامت بذلك بدرجات متفاوتة من الفاعلية، حيث أنشأت مواقع على الويب سواء للجمهور المحلى أو الدولى. يمكن أن تتخذ الرقابة أشكالاً عديدة، حيث تُبْذَل محاولات لمنع التجاوزات الواضحة للمعايير الاجتماعية والدينية. العديد من هذه القضايا ذات طابع شمولى؛ فعلى سبيل المثال، يمثل المحتوى البورنوجرافى نسبة كبيرة من محتوى الإنترنت، ويُعتبر أثرها قضية فى السياقات الإسلامية مثلما هى فى السياقات الأخرى.

لا يزال الدخول على الإنترنت بوجه عام مجالاً بالغ الأهمية، ليس فقط فيما يتعلق بالبيئات الإسلامية السيبرية، ولكن أيضًا فيما يتعلق باكتساب المعرفة والخدمات التى تقلل القضايا المرتبطة بالفجوة الرقمية. سيكون للزيادة فى الدخول على الإنترنت من خلال أجهزة (هاردوير) أرخص وتطبيقات مفتوحة المصدر تأثير عميق على كيفية التعبير عن الإسلام وتشكيل الشبكات الإسلامية فى القرن الحادى والعشرين. ولا تُفَسَّر هذه بالضرورة على أنها آثار حميدة، خاصة إذا دخلت الجماعات الجهادية إلى الفراغ الحالى فى اقتصاد المعرفة. وهناك أيضًا احتمال لأن يكون هناك أثر على صياغات فهم المقدس فى الإسلام وأشكاله، وهذا موضوع الفصل التالى.


@Ahmedyassin90



الفصل الثالث

فك شفرة المقدس:
شفرة المصادر الإسلامية

مناهج مقاربة الظواهر الإسلامية على الإنترنت

تتعلق شفرات مصادر البيئات الإسلامية السيبرية بالمعتقدات والقيم الأساسية التى يُنَصُّ عليها باسم الإسلام. ولكى نفسر العوامل التى تدفع أشكال الحوار والتفاعل متعددة الأوجه، من المهم استكشاف جوانب الظواهر المقدسة المرتبطة بالإسلام والمعتقدات الإسلامية كما تتمثل على الإنترنت. لهذا العنصر من البيئات الإسلامية السيبرية تأثير عميق على أشكال التواصل والتعاون. قد يوفر الإنترنت مساحة شخصية ودينية دينامية نابضة للمسلمين الافتراضيين، بحيث يمكنهم التواصل وتبادل الخبرات والشعور بإحساس الجماعة مع الآخرين الذين يوجدون فى نفس الفضاء الافتراضى.

يمكن أن يوفر هذا المزيج من العناصر فى بوابة واحدة المكونات الأساسية لتجربة دينية إسلامية، وقد تعكس للبعض جوانب من "الدين خارج الإنترنت". تتمثل فسيفساء الحياة الدينية الإسلامية على الإنترنت من خلال المواقع التى تقدم موارد للأعياد وطقوس المرور. قد تركز هذه المواقع على مواد ذات صلة باهتمامات ثقافية أو دينية أو سياسية أو لغوية محددة. ويقدم الارتباط بالمقدس عبر الإنترنت العديد من إمكانات الحياة وجوانبها على مستوى الخبرات والشعائر. يمكن أيضاً تحديد موقع العنصر البشرى على مستوى الأقران من خلال الترابط مع أعضاء آخرين لانتماء دينى ما على الإنترنت، وعن طريق قوائم البريد، ومواقع الشبكات الاجتماعية والفيديو على الإنترنت والمكالمات الهاتفية، والبريد الإلكترونى أو حوار غرف الدردشة أو كليهما مع أحد علماء الدين.

يبحث هذا الفصل فى رقمنة الكثير من المفاهيم والممارسات الأساسية والمرتبطة بالإسلام والراسخة منذ فترة طويلة، من بينها الأفكار عن المقدس، داخل الأطر الإسلامية. ويركز على عناصر المقدس، من حيث الممارسات والقيم الإسلامية، التى يتم إتاحتها من خلال الإنترنت. كما يتفحص أنواع التقاطعات بين الممارسة فى العالم الحقيقى والتفاعل على الإنترنت ويطرح مرة أخرى المسائل المتعلقة بالدين الأونلاين والدين على الإنترنت. وفى قِسْمِه الختامى، يحدد هذا الفصل كيفية استمرار أطر طرق التعبير عنها فى التوسع والتحور والتطور، خاصة فيما يتعلق بجوانب ويب ٢٫٠.

يتعلق أحد العناصر المفتاح التى حفزت دراستى للإسلام والإنترنت حتى الآن بظاهراتية الإسلام كما تتمثل فى الفضاء السيبرى. ظللت مهتمًا بصفة خاصة

بالكيفية التى عُرِضَت بها رموز العقيدة الإسلامية وشعائرها وأطرها المفاهيمية على الإنترنت ضمن مختلف الشبكات الإسلامية. أرى أن بإمكان الإنترنت على بعض المستويات أن يتيح أيضاً لمحة رقمية فى التجارب الدينية المشتركة بين المسلمين.

أميلُ بخاصةٍ إلى منهج آن مارى شيمل للدراسات الإسلامية. يعرض كتابها "فك شفرة علامات الله" (١٩٩٤) منهجاً ظاهراتيًا لدراسة الإسلام يعتمد على مفاهيم وأشكال فهم مفتاح للمقدس. كانت شيمل ذات قدرة على التنبؤ - حيث ذَكَرَت أجهزة الكمبيوتر ضمن مناقشاتها. يتقاطع تحليلها للإسلام إلى مناطق محددة من الشعائر والرمزية مع الكثير من خطوات الفصل بين/ الإسلامية، وهو شىء أطبقه عندما أقوم بتدريس مناهج الدراسات الإسلامية.

من بين المصادر العديدة الأخرى منهج جون رينارد لدراسة الإسلام الذى يعد أيضًا ذا صلة فى هذا السياق. يحيل رينارد إلى مجموعة واسعة من المصادر الإسلامية ضمن إطار يشمل الأصول، العبادات والإلهام والجماليات والجماعة وطرق التدريس والخبرة. يساعدنا هذا عند تفسير الأشكال المختلفة لتبادل المعلومات الإسلامية وشبكاتها داخل اقتصاديات المعرفة التاريخية والثقافية. ورغم أن رينارد كان يعمل على ما كان وقتذاك مصادر بصرية وأدبية إسلامية أكثر تقليدية، فإنها تنطبق كعوامل حاسمة توضع فى الاعتبار عند استكشاف الإسلام على الإنترنت.

ومن سياق الدراسات الدينية، يعد نينيان سمارت مرجعية أخرى لمنهجى فى هذا الموضوع. وعلى حين لم أتبع مفهومه عن "أبعاد الدين السبعة" حرفيًا فى هذا الفصل، فمن المؤكد أن هناك جوانب تنسجم مع نموذجٍ تصنيفىٍ ظاهراتىٍ يمكن تطبيقه على البيئات الإسلامية السيبرية. يناقش سمارت منهجه فى العديد من الأعمال، خاصة تطبيق المفاهيم الرئيسية من البعد العملى والشعائرى، والبعد الخبراتى والعاطفى، والبعد السردى أو الأسطورى، والبعدين الأخلاقى والقانونى، والبعد العقائدى والفلسفى، والبعد المادى.

وبدرجات متفاوتة من التركيز، فإن لهذه الأبعاد صدىً فى العديد من التطبيقات ضمن البيئات الإسلامية السيبرية. وتُطْرَح الأسئلة بشأن المدى الذى تُترجَم من خلاله أبعاد الإسلام الخبراتية إلى الفضاء السيبرى، وما إن كان بإمكانها أن تولد تأثيراً عاطفياً. من الصعب قياس ما إذا كان لهذا ما يكافؤه من التفاعل فى العالم الحقيقى من الناحية العملية، لكن محادثاتى مع المستخدمين بالبيئات الإسلامية السيبرية توحى أنها، فى بعض الحالات، تولد رد فعل عاطفيا وخبراتيا قويا. ربما لا يلزم أن تكون تلك التفاعلات قابلة للمقارنة، لكنها مختلفة فحسب. قد يفتح التفاعل السيبرى أمام الفرد أشكالاً أخرى من التفاعل مع القيم والمعتقدات الدينية، الناتجة والتى ينتج عنها "مزايا". يمكنها أيضًا أن تولد ردود أفعال بين المجتمعات على الإنترنت أو تلك التى تتعاون معاً من أجل هدف دينى مشترك.

وفى حين أنه قد يصعب تحديد المصنفات العاطفية والخبراتية فى الفضاء السيبرى، فإن الأبعاد الأخرى أسهل فى التناول. يمكن أن نجد الشعائر والممارسات، والأبعاد الأخلاقية والقانونية على الكثير من المواقع، ولاسيما البوابات التى تسعى إلى التأثير على القيم وأنماط الحياة الإسلامية. يمكن لهذه الجوانب من اقتصاد المعرفة الإسلامية أن تعمل بمثابة "محلات التوقف مرة واحدة" للمتصفحين الذين يسعون لاكتشاف الإسلام.

أبعاد الفضاء السيبرى الإسلامية

يمكن ملاحظة الأبعاد العديدة لرؤى المسلمين للعالم على الإنترنت، ومن بينها ما يمكن أن يعتبر من أساسيات العقيدة. توفر برامج الكمبيوتر معلومات عن قِبْلَة الصلاة ومواقيتها من أى مكان فى العالم. وهذا مهم بالنظر إلى الحاجة لمعرفة القِبْلَة بدقة. تتغير مواقيت الصلاة على مدار العام لأن التقويم الإسلامى يعتمد التقويم القمرى، كما تعتمد بعض أوقات الصلاة على معرفة موقع الشمس على مدار اليوم. وفى المساجد، قد تُعَلَّق هذه المعلومات عند المدخل ويجرى تعديلها قليلاً

كلما طرأ عليها تغيير على مدار السنة. كما لا تزال للملاحظة والحسابات البشرية دور في العديد من السياقات، إذ قد يكون الحصول على المعلومات الدقيقة عن هذه العوامل فرضا أساسيا، وخاصة بالنسبة للمسافرين.

تقليدياً، يمكن أن يؤذَّن للصلاة من المئذنة أو أى مكان ملائم آخر، ويقوم بهذا العمل مؤذن مخصص لذلك. عيَّن محمد(ص) الصحابى بلالاً كأول من يؤذن للصلاة مدركًا مهاراته ومن بينها وضوح مخارج ألفاظه. واليوم يلجأ الناس إلى تكبير صوت الأذان لمواجهة الضوضاء فى المدن. تتردد أصداء الأذان فى جميع أنحاء البيئات الإسلامية، بدون مراعاة دقيقة للتزامن لتذكر المصلين بالفرائض. ثمة إحساس بالتنافس بين المساجد فى بعض المناطق، من حيث أى أذانٍ هو الأعلى صوتًا.

مثَّل تضخيم صوت "الأذان" ونشره ومعه تنويعة من الدعوات والتلاوات الإسلامية تحدياً تاريخياً لبعض المرجعيات، التى صنفت مثل هذه الممارسات على أنها بدع لا تمت للإسلام بصلة. وبينما اندمجت تلك الممارسات الآن فى الكثير من السياقات المسلمة، ظهرت تحديات أخرى مع ظهور المصادر الإسلامية على الإنترنت. ويتخذ عرض أكثر العناصر الأساسية للشعائر والممارسات على الإنترنت أشكالاً عدة، لاسيما تلاوة القرآن، الذى يشكل العنصر الجوهرى فى الصلاة.

يمكن التزود بالعديد من تسجيلات "الأذان" و"التكبير" ومشاهدتها والاستماع إليها فى توقيتها الحقيقى. هناك العديد من النسخ المتاحة للتحميل لاستخدامها على جهاز كمبيوتر، أو مشغل - MPC4، أو الهواتف المحمولة أو تلك التى تنسخ على دى فى دى. كما يمكن أن تأتى مع تعليقات وترجمات أو تكون متاحة للعرض على موقع يوتيوب أو ماى سبيس.

يمكن الاستماع إلى الكثير من قراء القرآن، أو "المجودين"، على الإنترنت. وفى بعض السياقات، يعد هؤلاء القراء "نجوم بوب" العالم الإسلامى. وجرت العادة على

بث أعمالهم على الراديو أو التليفزيون أو بيعها في الأكشاك والمحال التجارية. وتخصص بعض الرفوف داخل محلات الكاسيت لأحدث إصداراتهم. وتتردد أصواتهم في أنحاء الأحياء والأسواق في البلدان الإسلامية، كما يجرى تشغيل أعمالهم للاستماع إليها في الحافلات والسيارات في الحياة اليومية. ولأنه لا توجد حقوق تأليف ونشر للقراءات القرآنية، اضطر أولئك الذين استفادوا سابقًا من مبيعات التسجيلات إلى تعديل استراتيجياتهم التسويقية. فهي الآن تباع على الإنترنت، لكنها أيضًا تتجاهل اعتبارات حقوق التأليف والنشر، إذ إنها متاحة مجانًا للنسخ والتوزيع عبر الإنترنت.

يمكن تحميل النغمات القرآنية من الإنترنت، وهي ممارسة باتت شعبية لكنها لا تخلو من الجدل. صدر عدد من الفتاوى تتناول مناهج التعامل مع هذه الممارسة لا سيما في ٢٠٠٧، عندما أصدر مجلس أصول الفقه الإسلامي السعودي فتوى تحرم استخدام آيات القرآن الكريم كنغمات تليفون محمول، حيث ذكر العلماء الذين كانوا يحضرون المجلس هذه العبارة: "من الإهانة والتقليل من شأن آيات الكتاب الكريم أن تتوقف فجأة في منتصف التلاوة أو إهمال التلاوة، كما يحدث عندما يتم استخدامها كنغمات في الهواتف المحمولة. وبالمقابل، فإن تسجيل آيات من القرآن الكريم على أجهزة التليفون بنية التلاوة والاستماع إليها فضيلة".

تكرر هذا الطلب في أماكن أخرى، وسط مخاوف بشأن ترويج هذه النغمات وتسويقها. وتعكس المناقشة جدالات أخرى تجرى منذ أمد طويل حول قدسية القرآن، وتطبيقاته الرقمية. يتعلم بعض علماء الدين الآن تكوينات النصوص التشعبية إلى جانب اللغة العربية الفصحى في المؤسسات الإسلامية مثل قُم والأزهر، حيث يعملون على تطوير الواجهات، والتفسيرات، والتعليقات على الإنترنت بشتى اللغات الأخرى.

جَمعتُ عدة مجموعات من التلاوات القرآنية من مصادر على الإنترنت، وشغلتها

على جهاز الآى بود وهاتفى المحمول. تُبين هذه المجموعات مختلف أساليب التلاوة واختيارات "السور". وبعيداً عن الاستماع الصوتى المباشر، هناك واجهات بديلة متاحة لتحسين فهم القرآن. تعتمد هذه الواجهات على التطورات الأخيرة فى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، كما أنها أيضًا دلالات فاعلة على المشروعات التعاونية المتعلقة بالتوزيع والإنتاج.

تُظهر برامج الوسائط المتعددة الآن طرق الصلاة والتلاوة، مع كليبات الفيديو التى تعرض ما يُعتبر الممارسات الدينية الصحيحة. وتخصص هذه الكليبات لمعتنقى الإسلام الجدد، ولأولئك الذين قد يمارسون الشعائر بطريقة غير سليمة. يمكن العثور على خطب مختلفة للأئمة والعلماء أيضًا على الإنترنت، والتى تُرْفَع أحيانًا مباشرةً بعد إلقائها أول مرة فى أحد المساجد. وفى ظل وجود مثل هذه التطورات، باتت المنتجات القرآنية التجارية المتاحة على أقراص سى دى ودى فى دى أقل قدرة على المنافسة فى سوق المعرفة الإسلامية الحيوى.

يمكن للكمبيوتر أن يصبح فضاء مقدساً بالنسبة للمسلمين. فوجود القرآن على الإنترنت له تأثير وجدانى على المستمع ويوفر الانغماس فى المصادر الدينية الإسلامية. وقد ينتج عن هذا رد فعل عاطفى وخبراتى ناقشه من قبل فى سياقات أخرى نينيان سمارت. فى سورة "الأعراف" فى القرآن ترد الآية التالية: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ".

أيمكن أن تتخذ علاقة البشر مع الله واجهة رقمية؟ وكيف تتصل بالأشكال "التقليدية" الأخرى من عتبات الاستجابة الحسية؟ وما الطرق التى تُطَبَّقُ بها الأعراف التقليدية، والطرق التى تطبق بها الأشكال المبتدَعة والمستخدمة فى التفاعل مع المقدس؟ للقرآن نسق قد يبدو معقداً بالنسبة "لغير المسلمين". فمحتواه لا يُقَدَّم على أساس الموضوعات أو استناداً إلى نمط أو سياق زمنى.

فإذا أنا أردتُ قراءة القرآن، بعيداً عن البحث عن مصحف بين الكثير من

المصاحف، والترجمات، والشروح الموجودة على رف الكتب الخاص بى، لدىَّ الآن العديد من الخيارات من خلال واجهات متنوعة تتيح تجارب ونتائج محتملة مختلفة. يمكن أن يتراوح هذا بين مصدر على الإنترنت يوفر قاعدة بيانات يمكن البحث فيها إلى خلاصة آر إس إس يتم تحديثها بانتظام باقتباس جديد من أحد مصادر الشرح أو "التفسير". كما تتيح بعض هذه الواجهات أدوات توفر للفرد "أحدث التطورات" القرآنية، لاسيما بالنسبة لأولئك الذين لم يطلعوا على النص أو لم يحفظوه عن ظهر قلب.

أما اعتبار خبرة قراءة النصوص من على شاشة الكمبيوتر معادلاً لقراءة أو تلاوة جزء من القرآن فى المسجد فمسألة مفتوحة للنقاش. عندما تكون قراءة القرآن من خلال الإنترنت هى الخيار الوحيد، فإنها قد تمثل عملاً فاضلاً، أو حتى وسيلة يمكن بها أن يتقرب المرء إلى الله. شغَّلتُ كثيراً تلاوات قرآنية مستقاة من مصادر على الإنترنت فى محاضراتى، وكثيراً ما تكون مصحوبة ببرامج التصور البصرى للموسيقى المتاحة من خلال مشغل ملفات ريال، وويندوز، آى تيونز. وبدا واضحًا أن الطلاب من مختلف الخلفيات، من بينهم مسلمون، قد تأثروا عند الاستماع للقرآن. كما تشجع بعضهم أيضًا للبحث عن مزيد من المواد القرآنية من خلال النُسخ المطبوعة والموارد المتاحة على الإنترنت.

يوفر القرآن وعروضه التى تتخذ أشكالاً متعددة وسيلة باتجاه فهم شتى أشكال التعبير عن الإسلام فى السياقات المعاصرة. وأصبح العديد من المواقع التى تحتوى على موارد قرآنية لاعبًا رئيسيًا فى البيئات الإسلامية السيبرية، لاسيما تلك التى تبنت التكنولوجيا فى وقت مبكر، ووضعت النص المقدس فى صميم أنشطتها على الإنترنت.

وحتى قبل تطوير واجهات الويب، كان طلاب الجامعات فى الولايات المتحدة فى الثمانينيات يضعون المواد القرآنية على الإنترنت حيث كان. يمكن الوصول إلى هذه

المواد من خلال بروتوكول نقل الملفات (FTP)، وكانت تلك ملفات صغيرة ومتواضعة تكنولوجيًا بوجه عام، ومعدة لتتلاءم مع عرض نطاق ترددى ووصول محدود إلى الإنترنت. قدمت المواقع التى استضافتها سيرفرات الجامعة الفرص للجمعيات الطلابية لتسجيل واجهة مبكرة لوجهات نظرهم الدينية وفرصة للمبرمجين و"المهووسين" بالإنترنت لإثبات قدراتهم.

كان هذا وقتًا مثيرًا بالنسبة لأولئك الذين أدركوا إمكانيات هذا الوسيط. ما زلتُ أذكر أننى كنت أقضى عدة ساعات يوميًا لمدة أسابيع على الكمبيوتر، أبحث عن مواد تتعلق بالإسلام وأقوم بتحميلها. وحتى فى الأيام الأولى من شبكة الويب العالمية، كانت هناك احتمالات لوجود جرعة معلومات زائدة. وخلال هذه الفترة، كنت مسئولاً عن انهيار سيرفر أحد سيرفرات الجامعة فقط بسبب وزن حركة مرور المواد المتعلقة بالإسلام على الإنترنت التى كانت تصل إلى عنوان بريدى الإلكترونى بينما كنت غائبًا فى رحلة ميدانية.

ومع نشأة الويب، تحولت مناهج الاطلاع على القرآن على الإنترنت بحيث غدت تستوعب زيادة فرص الوصول بالنسبة للقراء، والمعرفة المتقدمة وخبرات مطورى المواقع، والتحولات والتحسينات التكنولوجية. وأدى تكامل المواد هذا لظهور إمكانيات جديدة لدراسة القرآن. أوجدت هذه الأدوات أيضًا أسئلة جديدة عن المنهج والممارسة ومقاربة القرآن. وأبرزَ ظهور مجموعة متنوعة من الموارد القضايا المحيطة "بصحة" الترجمة. ضُخِّمَت الآراء المتصلة بالترجمة التى تُنتج من خلال منظورات سياسية/ دينية معينة.

الترجمة على الإنترنت مجال تنافسى. فالكثير من مطورى المواقع يسعون لتقديم ترجماتهم، وتعليقاتهم، وتفسيراتهم، فى محاولة منهم لشرح معنى النص. من الآراء الإسلامية السائدة أن القرآن بلغته العربية الأصلية هو كلمة الله النهائية، ولا يمكن ترجمته بشكل فاعل إلى لغة أخرى. ولم يمنع هذا العديد من مطورى البرمجيات من

التعاون ومن المحاولات المستميتة لاستيعاب المفاهيم التى تحيط بإنتاج واجهات قرآنية سهلة الاستخدام.

تعرض الواجهات الرقمية طرقًا خلاقة لجعل النص الإلهى متاحًا أمام مختلف المستخدمين. غالباً ما تكون المواد القرآنية على الإنترنت مورداً للأبحاث، متعددة اللغة، وسمعية – بصرية. كما تعرض شتى زوايا النظر إلى المحتوى العربى للوحى الإلهى، الذى أوحى به وفقًا للأحاديث إلى الرسول محمد (ص) عن طريق المَلَك جبريل بين عامى ٦١٠ و٦٣٢م. القرآن العربى ثابت ولا يمكن تغييره بمرور الزمن. وقد حُفِظَ فى شكل متسق عن طريق الذاكرة البشرية ثم بالكتابة على الوسائط المختلفة. وأدى ظهور الطباعة إلى تثوير الممارسات المحيطة بحفظ القرآن، لكنها لم تَنْفِ تلك الأساليب الأصلية لضمان سلامة الكتاب المُنزّل.

تحيط الأسئلة بكيفية الحصول على المعلومات القرآنية ومعالجتها من خلال نص تشعبى يمكن البحث فيه. الاستفادة من البيانات الوصفية فى بناء الصفحة والطرق المختلفة التى يجرى قراءة المحتوى وتصفحه من خلالها مهمة عند النظر فى زوايا نظر المسلمين الافتراضيين لمواد المصدر. وفيما تتشابه بعض الموارد الرقمية مع أقراص القرآن المضغوطة التقليدية، صُمِّمَت موارد أخرى ونسقت أو حررت مع وضع مستخدمى الإنترنت على وجه التحديد فى الاعتبار.

تعتبر سهولة الوصول من أساسيات تصفح مواقع القرآن الكريم. لا يمكن استخدام سوى فلتر واحد عند مناقشة الواجهات القرآنية. تشمل القضايا ذات الصلة تصميم صفحات القرآن ولونها وشكلها. هل قراءة الصفحة على الإنترنت مُيَسَّرة؟ هل يمكن تصفحها بصورة فاعلة؟ يُحجم الكثير من المتصفحين عن استخدام موقع على الويب عندما يصعب العثور على المعلومات بسرعة. قد يجعلك التصميم الجيد للمواقع تكسب ثروة وقد يجعلك تخسرها. وتَصْدُق هذه العوامل على البيئات الإسلامية السيبرية مثل انطباقها على القطاع التجارى. أعرف

الكثيرين من مستخدمى البيئات الإسلامية السيبرية الذين يذهبون إلى صفحة أخرى من صفحات القرآن الكريم، والتى قد تحتوى على تعليقات وتفسيرات مختلفة، إذا لم يتمكنوا من العثور على الإجابات التى يريدونها مباشرةً من موقع يظهر فى أعلى قائمة نتائج البحث فى جوجل. كما أن المواقع التى تختفى أو تغيِّر مكانها دون إعلام القراء سرعان ما تفقد جاذبيتها.

تعتبر إمكانية قراءة نص على الإنترنت واعتباره ترجمة أو نسخة أو طبعة "متمايزة دقيقة" من المسائل المهمة. فالطرق التى تُضفِى بها "التفاسير" أو التعليقات على معنى القرآن المزيد من التأويلات للنص المُنزل تمثل طبقة أخرى من الصعوبة المحتملة أمام القارئ. فإعادة إنتاج نسخة مطبوعة من القرآن غير كافٍ. إذ لابد أن تكون الواجهة القرآنية سهلة الاستخدام إذا كان المقصود بها أن تصل إلى جمهورها المنشود، وأن تعرض تفسيرها المحدَّد للإسلام أمام القراء المتباينين فى درجة اطلاعهم على النص. تُصَمَّم المواقع لمجموعة متنوعة من القراء، والذين يتراوحون بين المسلمين الافتراضيين الذين يجيدون العربية الفصحى أو القرآنية ومن لديهم معرفة محدودة باللغة العربية أو الذين يمكنهم مقاربة الوحى بلغة أخرى غير العربية.

يعتبر مزودو بعض المواد القرآنية نشر الدين مهمتهم المحورية؛ فهم يسعون إلى تحقيق المزيد من الاهتمام بالإسلام، غالبًا من منظور دينى إسلامى معين، أو لتشجيع الآخرين على تبنى رؤيتهم للعالم. يسعى الآخرون ببساطة لاكتساب فهم متعاطف مع الإسلام خارج العالم الإسلامى، مصحوبًا بمجموعة محددة من القيم التفسيرية والثقافية.

يتيح IslamiCity مثالاً على المصدر القرآنى الذى يظهر بصورة كبيرة عند إجراء البحث على كلمات مفتاحية معينة على جوجل. وتوفر عضوية قناتها الحصرية مُحَفِّظًا للقرآن، والذى يُبرِز تلاوة المقرئ صديق المنشاوى إلى جانب النص العربى

الفورى والترجمة الإنجليزية وكتابتها بالأحرف. يحتوى قسم الصلاة على مكتبة معلومات أساسية بالنسبة للعقيدة الإسلامية، من ضمنها مواقيت الصلاة، وتلاوات للقرآن لمقرئين بارزين، ومسابقة تلاوة تضم أطفالاً وشباباً. بينما يعرض رابط القرآن قائمة تشعبية من الآيات؛ فمن خلال تحديد جزء من القرآن، تظهر صفحته باللغة العربية، مع خيارات لعرض ترجمة بالإنجليزية أو الاستماع إلى تلاوة الآية أو كليهما. من بين المصادر القرآنية الأخرى على IslamiCity وسائل بحث نصى صوتى، وترجمة إلى ٢٢ لغة، وفهارس تبين المواضيع.

طوّرت شركة "حرف لتكنولوجيا المعلومات" المصرية أحد المواقع المهمة الأخرى التى تمثل علامة فارقة فى هذا الحقل لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية. يملك هذا الموقع المجال عالى المستوى islam.com. أهم ما بهذا الموقع قاعدة بيانات شاملة عن القرآن، تشمل ترجمة متعددة اللغات لمعانيه من النص العربى والقراءات. يمكن البحث فى قاعدة البيانات هذه حسب الموضوع، و"السورة"، ورقم "الآية"، والترابطات للعديد من الموارد الأخرى. كما توجد به روابط للوزارات السعودية المختلفة. كما أنشأت شركة "حرف" موقعاً منفصلاً للقرآن لمجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، والذى يضم أيضًا خيارات تحميل من مختلف المقرئين وترجمات إلى لغات بديلة.

يقدم موقع "الإسلام" المسجل فى ولاية مينيسوتا الأمريكية وجهة نظره بشأن القيادة الدينية وتفسير القرآن (من منظور شيعى). تُبرِزُ المصادر القرآنية عدداً من الترجمات والتعليقات أو التفاسير وتبين كيفية التشارك فى المصادر وإنتاجها بشكل تعاونى، استناداً إلى المحتوى المُنْتَج فى إيران. يتيح القرآن متعدد اللغات الاختيار بين لغة ويندوز العربية ولغة كربلاء العربية، وترتبط الأخيرة على وجه الخصوص بالموروث الشيعى.

تتفاوت مستويات التوجيه والمشورة المقدمة من قبل مطورى المواقع حول كيفية

استخدام موقع قرآنى على الويب، ومن قبل مقدمى المحتوى حول القرآن نفسه إلى حد كبير. ثمة عدد من المفارقات مثل وجود مؤسسات إسلامية كبيرة ذات مواقع قرآنية فقيرة تقنياً ووجهات نظر أقليات ذات موارد سهلة الاستخدام للغاية. يسعى الزوار العشوائيون إلى واجهات سهلة الاستخدام، غير مدركين احتمال وجود وجهات نظر بديلة بتصميمات أقل وأكثر تواضعاً فى أسلوب العرض على الإنترنت. يشدد أحد أحاديث الرسول محمد (ص) على أهمية اكتساب المعرفة حول القرآن الكريم: "عن عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خيركم (أى المسلمين) من تعلم القرآن وعلمه". ومن المفترض، أن هذا ينطبق الآن على الذين يتعلمون القرآن ويعلمونه من خلال شبكة الإنترنت.

وفيما يمتلئ السوق الجماهيرى بشتى إصدارات القرآن على الإنترنت، هناك أيضًا درجات من التخصص فى إطار اقتصاد المعرفة الإسلامى. تحفظ بعض المواقع العلم التقليدى وتنقله إلى جمهور أوسع، من بين تلك المعرفة المخطوطات الإسلامية النادرة، ويمتد ذلك النشاط إلى القطاع التجارى. جمعت رابطة الشبكة العالمية لدراسة الحديث مستخدمى «موسوعة الأحاديث» من خلال قاعدة بيانات يمكن البحث فيها للأعضاء فقط. وفى تطور منفصل، قدم Tradigital نسخاً من القرآن فى شكل رقمى. كما أطلق الأزهر قاعدة بيانات للمخطوطات الإسلامية، تضم فيما بينها نسخاً من القرآن. كما لعبت المؤسسات العلمانية دوراً أيضاً؛ حيث عرضت المكتبة البريطانية نسخاً نادرة من القرآن على الإنترنت كجزء من معرض "المُقدَّس".

أصبح الحفاظ الرقمى على المصادر الإسلامية موضوعًا يناقش فى المؤتمرات، مع التركيز على الحفاظ على المخطوطات الإسلامية من خلال عمليات الرقمنة. يمكن إتاحة القرآن الكريم وغيره من المصادر، لاسيما المخطوطات النادرة المنسوخة بطرق شتى، لجمهور أوسع من خلال قنوات الإنترنت. قد تخدم بعض هذه المناطق

اهتمام الأكاديميين والمتخصصين فقط. إذ إنها تتيح منفذاً للآخرين الذين يسعون إلى تحسين فهمهم لمجموعة من المواد الإسلامية التاريخية.

أصبحت مجموعة النصوص الإسلامية الأصلية ديناميكية وقابلة لإجراء البحث عليها، مع الحفاظ على طبيعتها وقيمها الأصيلة. تتفاوت زوايا مقاربة النص المقدس وتتوجه إلى أنواع مختلفة من القراء. تتناول زوايا النظر المبدعة الموارد القرآنية على الإنترنت بعيداً عن إعادة إنتاج النص والترجمة فى شكل نص تشعبى. عزز تكامل أشكال الوسائط المتعددة، مصحوباً فى بعض الحالات بالرعاية التى سمحت باستثمار الوقت والمال من إمكانية الوصول إلى الكتاب المنزَّل فى أشكاله المكتوبة والمسموعة.

لم يحدث على مر التاريخ الإسلامى، وعبر الشبكات الإسلامية المختلفة، وأن توقف اعتبار طباعة القرآن ونسخه بصفته كينونة مستقلة فضيلة متأصلة عظمى ظلت تلقى التشجيع والدعوة إليها. ينقل القرآن مكنون "بركته" إلى من يسمعه أو يقرؤه أو ينظر إليه، حيث ترى أجزاء من النص مستخدمة كطلاسم وعلاجات. وقد يمنح القرآن مكنوناً مماثلاً داخل البيئات الإسلامية السيبرية، حيث يضفى مجرد وجوده على موقع على الويب وضمن الفضاء السيبرى على الشبكات السيبرية وقرائها نفحة من "بركته". وقد يحتاج القرآن الإلكترونى إلى أن يُكَنَّ له نفس الاحترام مثل النسخ التقليدية. ومثلما ينبغى حماية القرآن المنسوخ باليد أو المطبوع وحفظه بعيداً عن الدنس، قد يتواجد مكان فى جزء منفصل من عتاد (الهاردوير) كمبيوتر المؤمنين، بعيداً عن الأشكال الأخرى من المحتوى ذات الطبيعة غير الدينية، مخصص للقرآن الرقمى.

الأبعاد الإسلامية للمقدس فى الفضاء السيبرى

تُسَهِّل عملية إعادة تكوين الروابط بين أنحاء دار الإسلام التفاعل للمسلمين الافتراضيين والمشاركة فى أركان الإسلام الأساسية والعبادات. للأفكار التى عبَّر

عنها سمارت وغيره أصداؤها فى البيئات الإسلامية السيبرية. هناك العديد من المقاربات الممكنة لفهم الأبعاد الإسلامية للمقدس فى الفضاء السيبرى عبَّر عنها المسلمون الافتراضيون بأنساق وواجهات مختلفة. يستفيد البعض استفادة كاملة من ويب ٢,٠، ومن زيادة عرض النطاق الترددى للترويج لرسائلهم، حيث يتعاونون ويتشاركون فى كثير من الأحيان عبر الشبكات والقارات. وعلى سبيل المثال، تجد المفاهيم المرتبطة بالزمان والمكان والشعائر المقدسة لنفسها مكانًا للتعبير على الإنترنت عن أركان الإسلام الخمسة، وهى الشهادة، والحج، والصلاة، وصوم رمضان، والزكاة. توفر هذه الأركان الأساسية تذكرةِ عند مقاربة الإسلام فى البداية، حيث تشمل مبادئ مهمة كثيرة تشكل جزءًا من حياة المسلمين الدينية. وتتمتع هذه المبادئ بالاتساق عبر الشبكات الإسلامية. يمكن أيضًا أن نطرح السؤال حول كيفية تأثير هذه المظاهر الافتراضية على الممارسات غير الرقمية فى العالم.

"الشهادة". الإعلان الجوهرى فى الإسلام. و"الشهادة" هى أن تشهد بأنه "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله". وحرفيًا، يمثل مصطلح "الشهادة" "أن تدلى بالشهادة" (لربك). وفضلاً عن كون الشهادة من الأعمدة الأساسية للصلاة، يطبَّق هذا الإعلان عند تحول الأفراد أو "عودتهم"، وفقًا لمصطلح البعض، إلى الإسلام.

"الشهادة" عبارة متشابكة فى نسيج البيئات الإسلامية السيبرية. تظهر فى أوضح أشكالها عندما "يعتنق" أحد المتصفحين الإسلام عن طريق الإنترنت. ومن خلال هذه العملية، يصبح الفرد مسلمًا افتراضيًا. يحتفظ موقع IslamiCity بسجل بأعداد "النطق بالشهادة على الإنترنت"، مع ملاحظة أن التحول (إلى الإسلام) على الإنترنت زاد عشرة أضعاف بعد ٩/١١. فالكثير وجدوا طريقهم إلى الإسلام عن طريق قراءة محتويات على الإنترنت:

> عندما كنت أعيش مع أمى كنت أذهب إلى كنيسة جدتى وأغنى مع الجوقة لكن بعد ذلك وقعت ١١ سبتمبر ونشط اهتمامى الكامن بالإسلام مرة أخرى،

> وبدأت أقوم بالبحث، دخلت على الإنترنت للدردشة ودخلت على المواقع، واشتريت ترجمة إنجليزية للقرآن وكتاب عن الإسلام واقتنعتُ بهذه الكتابات بدرجة أننى نطقت بالشهادة على الإنترنت فى ٧ يناير الساعة ١١:٤٥ مساء، ونطقت بها مرة أخرى شخصيًا بعد ثلاثة أسابيع من وقتئذٍ، لم أشعر قط بمثل هذه ... الروحانية العالية!

تكرر تأثير ٩/١١ هذا فى أماكن أخرى، حيث زاد الفضول تجاه الإسلام بشكل عام فى أعقاب الهجمات. لكن من السذاجة اعتبار جميع ردود الأفعال متماثلة، رغم أن عدداً من المواقع ذكر حالات النطق بالشهادة واعتناق الإسلام على الإنترنت. وهذه ممارسة جديدة مثل المجالات الأخرى ذات الصلة بالإسلام والإنترنت. رأى البعض أن ذلك يتطلب تسويغًا واستجابة العلماء كى يتم الاعتراف بها كممارسة إسلامية مسموح بها.

كان هذا مناسبًا لاسيما لأولئك الذين تأثر اهتمامهم بالإسلام وفهمهم له بأشكال الفقه الإسلامى. ويرجع هذا جزئيًا إلى الطرق التى يُقَدَّم بها الإسلام على الإنترنت – عن طريق فاعلين يلهم دافعهم ويسيطر عليه الآراء من مختلف مدارس ("مذاهب") الفقه الإسلامى. تأسست هذه المدارس أو المذاهب فى القرون التالية لظهور الإسلام، وتلعب دوراً مهيمنًا ضمن تطور شتى أنواع العلوم ومبادئ العقيدة الإسلامية. للعديد من الأحكام السابقة التى وضعت خلال هذه الفترة التكوينية فى التاريخ الإسلامى دور تؤديه فى تفسيرات الإسلام فى المجتمع المعاصر، وبالتالى كان الاعتماد على علماء المسلمين الذين تلقوا تدريباً فى العلوم الإسلامية.

ومع تبنى الممارسات الإسلامية مع وضع العصر الرقمى فى الاعتبار، ناقش موقع "الإسلام أون لاين"، المرتبط بالعالم يوسف القرضاوى، "جواز" نطق الشهادة على الإنترنت كجزء من فتوى على الإنترنت. رأى الشيخ أحمد كوتى:

إن استخدام الإنترنت فى مجالات مثل دعوة الناس إلى الإسلام، بل والنطق "بالشهادة" أمر محمودٌ للغاية. ومع ذلك، هناك بعض القواعد التى لابد من الالتزام بها إذا كنا نريد أن نقدم "الشهادة" لشخص يريد أن يعتنق الإسلام على الإنترنت:

"إن الرجل لابد أن ينطق بالشهادة ولا يكتفى بكتابتها. النطق المتقن ليس شرطًا مع الأخذ فى الاعتبار أن الشخص الذى يعتنق الإسلام ليس لديه خلفية عن اللغة العربية. إذا كان الموقع على الويب به نظام للصوت يسمح للناس بالمحادثة الصوتية، فمن السهل إذًا أن نطلب من الشخص النطق بالشهادة عن طريق تكرارها. أما إذا لم تكن هناك وسيلة لهذه المحادثة الصوتية، فبإمكاننا كتابة الترجمة الحرفية لكلمات "الشهادة" ويطلب من الشخص الذى يريد اعتناق الإسلام أن يقولها لنفسه. ويمكن أن نكتبها كما يلى: La 'illaha 'illa llah, Muhammad ra-soolul Allah، أما إذا نطق الشخص بالترجمة فقط، فإنه لا يعد ناطقًا بالشهادة".

توضع بعض المبادئ شديدة الوضوح هنا فى سياقها فى هيئة فتوى. يجرى التأكيد على لغة القرآن بدلاً من الترجمة. ولا يقل بروتوكول الصوت عبر الإنترنت (VOIP) أهمية عن ذلك، الذى يجرى من خلاله تسهيل المحادثات (وحالات التحول إلى الإسلام) فى الوقت الحقيقى عبر الإنترنت. وقد يوفر استخدام "ويب كام" سبيلاً آخر لمثل هذا النشاط. يشكل أحد طقوس المرور الإسلامية المهمة، التى

يخضع خلالها الفرد لعملية تحول لحالة دينية لا رجعة عنها، الآن سابقة شرعية على الإنترنت من فضاء الشعائر والممارسات.

هناك عدد من الإرشادات على الإنترنت تفصِّل كيفية اعتناق الإسلام. يقدم الإنترنت أبسط المتطلبات لجميع المسلمين والمسلمين المحتملين؛ وهى إعلان الإيمان. لهذا سوابقه فى ممارسة الرسول محمد (ص) نفسه، حيث حثَّ أفراد أسرته ومجتمعه على اعتناق الإسلام، بعد أن تلقى بدايات الوحى من عند الله عن طريق الملك جبريل فى غار حراء فى ٦١٠، والآن أخذ هذا الإعلان نفسه شكلاً رقمياً، لكنه لا يزال محتفظًا بجوهره المقدس واستمراريته.

"**الصلاة**". عقب "الشهادة"، فإن الركن التالى الذى ينبغى على المسلم الجديد أن يتعلمه هو "الصلاة". يأخذ هذا أشكالاً عديدة على الإنترنت، مما يدل على الإبداع فى ظل الممارسات التى تستمد مبادئها من سنة محمد (ص). ووفقًا للسنَّة المأثورة، كان الملك جبريل يعلِّم النبى كيفية الصلاة. تعرضت هذه الممارسة للتعديل من حيث عدد الصلوات، أثناء رحلة الرسول محمد الليلية المعجزة ("الإسراء") من مكة إلى القدس وصعوده إلى السماء ("المعراج"). حدث هذا بعد اثنى عشر عامًا من تلقيه الوحى لأول مرة. أثناء الصعود (أو المعراج)، قابل الأنبياء السابقين، وأمَّهم فى الصلاة. بعد بعض المفاوضات، تلقى محمد (ص) عدد الصلوات الخمس المفروضة من موسى (عليه السلام). فُسِّر تسلسل الأحداث هذا بطرق مختلفة ومن وجهات نظر مسلمة متنوعة. فالبعض يركز أكثر على أبعادها الباطنية (الإسراء والمعراج) أكثر من غيرهم.

انتقلت مبادئ الصلاة عبر الأجيال والثقافات والشبكات الإسلامية. هناك اتساق ما يتسم بالاستمرارية فى البيئات الإسلامية السيبرية. من الممكن أن يتعلم الفرد كيفية الصلاة ويتلو صلوات معينة على الإنترنت مع ملاحظة الركعات المتعاقبة. ثمة معلومات عن هيئة الجسم والعقل المناسبة واشتراط النية فى الصلاة. وبينما تُفصِّل

الصلاة فى المسجد، فإن هذا ليس إلزامًا. إلا أنه من المستحسن أداء صلاة الجمعة جماعةً في المسجد كذلك فى الأعياد والمناسبات الإسلامية.

تخضع مسألة ما إذا كانت المشاركة عبر الإنترنت توفر فضاء شعائريًا مناسبًا لأداء الصلاة للتكهنات. يوفر الإنترنت بالتأكيد الأبعاد الشعائرية الخاصة بصوت الصلاة والإحساس بالانتماء إلى جماعة ما. وباستخدام "الويب كام"، يمكن للأفراد أن يصلوا معًا عبر الإنترنت. وتمارس شعائر أخرى بهذه الطريقة. ومع ذلك، لعل أعظم سمات الإنترنت هى تسهيل إتاحة المواد التى تقدم الإرشاد بشأن السلوك المناسب إسلاميًا. يُمَكِّن الإنترنت من تسهيل أبعاد المقدس بالنسبة لأولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى المصادر التقليدية، أو الذين ينشدون وجهة نظر بديلة.

يعتمد الإسلام التقويم القمرى، الذى تُحْسَب فيه أوقات الصلاة والأعياد على أساس مواقع الشمس والقمر. تقدم العديد من قواعد البيانات على الكمبيوتر تطبيقات لحسابات دقيقة لمواقيت "الصلاة" والقِبلَة من أية بقعة فى العالم. يمكن تحميل بعض هذه التطبيقات لاستخدامها فى الهواتف المحمولة، وأجهزة المساعد الرقمى الشخصى، وأجهزة تليفون البلاكبيرى. موقع Moonsighting.com أحد المصادر الراسخة والشاملة التى تضم جوانب تفصيلية عن التقاويم وحساب توقيت الصلاة. وهذا يشمل مناقشة مفصلة لرياضيات هذه الحسابات، وهى معقدة ولكنها ضرورية لفهم التوقيت الدقيق للصلاة ورمضان والأعياد ــــ من بينها "عيد الأضحى" الذى يتزامن مع انتهاء الحج. وتلفت هذه النقاشات الانتباه إلى مختلف زوايا النظر المنهجية للحسابات، استنادًا إلى تفسيرات دينية وتقاليد متنوعة، وهذا موضوع خلافى، حيث يُثار الجدل حول توقيت الأعياد الذى قد يختلف بين مدارس التفسير المتنوعة.

هناك العديد من المصادر المرتبطة بمبادئ الصلاة متاحة على الإنترنت. أحيانًا توجد نسخ معاد إنتاجها من كتب، وإن كانت أقل فائدة فى سياق وسيط حاسوبى.

بينما تنشر مواقع أخرى محتواها بشكل تثقيفى أكثر؛ حيث يوفر موقع Moon-sighting.com مقاطع صوتية وإرشادات حول كيفية أداء الصلوات الأساسية ويزيد عليها مقاطع فيديو لتعليم سورة "الفاتحة"، مستمدة من مصدر ثانوى. هناك تقطيع للصلاة سطراً بسطر، منسوخة بحروف لاتينية لمن لا يتحدثون العربية، إلى جانب شروح مفصلة لأداء الصلاة بطريقة سليمة.

ثمة العديد من الأمثلة على هذا التطبيق فى الوسائط المتعددة. يوفر مركز رالى الإسلامى بولاية كارولينا الشمالية، دليلاً مفصلاً على الإنترنت، مشفوعًا برسوم توضيحية، وتقسيم جوانب الصلاة إلى قطاعات سهلة التناول. قدم موقع Jan-nah.com روابط لعروض ببرنامج فلاش ماكروميديا عن كيفية الصلاة والوضوء. كما استخدم عرض "طريقة الرسول محمد (ص) لأداء الصلاة لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز" الرسوم المتحركة والصور، إلى جانب التلاوة الصوتية وكتابة باللغة العربية. كان الراحل ابن باز من كبار رجال الدين السعوديين حتى وفاته. وهناك دليل على ما يسمى وجهة نظره الوهابية فى هذا العرض.

لا يمكن أن يُصَنَّف المسلمون الافتراضيون وفقًا لنموذج معيارى واحد، لاسيما عندما نناقش أبعاد شعائر الإسلام. فإن أراد أحد مقارنة زوايا النظر المختلفة لشعيرة الصلاة، فإن استكشاف أحد المواقع الشيعية البارزة لا يوفر أوجه الاختلاف فحسب، بل أيضًا يتيح دلالات على المشتركات. عالم الدين العراقى البارز آية الله السيستانى هو محور موقع Sistani.org. روجت منظمة آية الله السيستانى لتفسيراته للإسلام باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والفارسية والأوردية. ويمكن الاطلاع على وجهات نظر رجل الدين الشيعى حول قضايا الشعائر ومسائل القانون والقضايا المعاصرة من خلال موقع Sistani.org، ومن بينها نسخ معاد إنتاجها من منشورات مطبوعة وقسم تفاعلى للأسئلة والأجوبة. كان من المثير، وإن لم يكن مفاجئًا، أن نعلم أن أحد أصهار السيستانى يدير شركة إنترنت فى مدينة قُمْ.

يبرز موقع Sistani.org العديد من تصريحاته المتعلقة بالوضع فى العراق، فضلاً عن نصائح عامة للمسلمين فى جميع أنحاء العالم، وفقًا لنظرة شيعية محددة. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الطريقة التى يناقش بها Sistani.org "الصلاة". فهناك شروح تفصيلية لأساليب الصلاة "الصحيحة" والعناصر الإلزامية والتى تتعلق بمناسبات معينة.

توصف هذه الإرشادات التى يراها غير المسلمين معقدة بأنها "قوانين إسلامية مبسطة للشباب والكبار". كما تعطى فكرة عن الممارسات التى تخص هذا النوع من التشيع. وترد تفاصيل قوانين خاصة ترتبط بالنظافة الشخصية والملابس المناسبة للصلاة. وهذه التفاصيل مهمة لضمان صحة الصلاة من الناحية الشعائرية. كما يصف دور المساجد والواجبات التى تتطلب من المسلمين، خاصة الذكور منهم، أن يكونوا حاضرين فيها. وبينما يوفر الموقع المعلومات على الإنترنت، يؤكد على أن الحضور جزء ضرورى من ممارسة الشعائر الإسلامية. ويُدين الموقع أولئك الذين لا يحضرون الصلاة بالمساجد دون عذر مقبول.

بعد توفير كل الممارسات الموصى بها قبل الصلاة، يتم توضيح مراحل محددة من إعلان نية الصلاة، والوقوف، والركوع، والتلاوة. كما يوصف كل عنصر بالتفصيل. ترد النصيحة حول أجزاء التلاوة المطلوبة، وردود الفعل حال وقوع خطأ أو سهو فى الصلاة. كما ترد تفاصيل أكثر عن الصلاة، مع أحكام محددة لجميع جوانب الممارسة الشعائرية على قاعدة البيانات أيضاً (مقسمة إلى مناطق محددة لسهولة الوصول).

تعد هذه، من نواحٍ كثيرة، إعادة إنتاج للنصوص الفقهية المطبوعة عن جوانب صنع القرار الشيعى. ويرد شرح تفصيلى لتطبيق ("التقليد" الدينى) الخاص بالمذهب الشيعى واتباعه من خلال "المجتهد" (من يقوم بالاجتهاد). ويشمل هذا كيفية تحديد "المجتهد"، والمؤهلات والقدرات المطلوبة له، وكيف ينبغى للفرد أن

يستجيب لفتوى أو حكم، والطرق المختلفة التى تنتقل بها المعلومات الدينية. من المفترض أن وجود هذه الكتب والمصادر (بما فيها موقع السيستانى) على الإنترنت يجعلها جزءًا من معادلة المرجعية. فهى تفتح هذا المنظور الخاص عن الإسلام إلى المسلمين الآخرين. ولا يثير هذا بالضرورة مقاربات متعاطفة، نظرًا لضراوة الحوارات على الإنترنت التى تقع بين بعض الفصائل السنية والشيعية، لتعيد إنتاج الشقاق الموجود فى سياقات العالم الحقيقى.

تعتبر الصلاة وتلاوة القرآن إعادة تأكيد على العهد بين الله والبشر. وَفَّرَ الإسلام دائمًا العديد من القنوات للتواصل مع المقدس. يمكن أن يتمثل واجب الصلاة على أبسط المستويات من خلال إعادة إنتاج ممارسة محمد (ص) الأكثر من كافية فى نظر الله التى تَعِدُ أولئك الذين يؤدونها مخلصين بمكان فى الجنة. سعى البعض لتجاوز هذه المعايير التقليدية ــــ أثار هذا فى كثير من الأحيان ازدراء علماء الدين التقليديين - من خلال السعى إلى طريق صوفى أو روحانى للتواصل مع الله. وأيًا كان الطريق الذى يسلكه الفرد نحو الله، فإنه يبدو وأن شبكة الإنترنت قد تلعب دوراً فى تيسيره.

"الحج". يمثل الحج الرحلة الكبرى إلى مكة التى ينظر إليها باعتبارها إحدى الفرائض التى ينبغى على جميع المسلمين القيام بها إن استطاعوا إليها سبيلاً. تاريخيًا، كان الحج مهمة محفوفة بالمخاطر، إذ كانت ربما تستغرق عدة سنوات فى بعض الحالات، وتصبح قسوة الرحلة جزءًا من العملية الروحية. واعتُبِر لقب "الحاج" الشرفى علامة على الورع بالنسبة لأولئك الذين أنهوا الفريضة. كما أن قصص العديد من رحلات الحج تشكل جزءاً من الأدب الإسلامى عبر الشبكات المسلمة وتُرْوى بعدد كبير من اللغات.

تضاءل عنصر الخطر، فى بعض النواحى، من الحج مع ظهور وسائل النقل الحديثة، من البواخر إلى الطائرة النفاثة. ورغم الجهود التى تبذلها الحكومة

السعودية، ومن بينها استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات كأداة تنظيمية، لا يزال الحجاج يموتون أثناء الحج فى حوادث مأساوية. ويُنْظَر إلى الضحايا على أنهم شهداء لأنهم لقوا مصرعهم وهم فى مهمة مقدسة.

أثرت لقاءات علماء الدين أثناء الحج تأثيراً عميقًا فى اقتصاد معرفة الإسلام. وعبر القرون، انتقلت المعرفة وتواصلت من خلال الحج. وأصبح الحج نقطة التقاء لتبادل المعلومات حول الإسلام. يتجمع المسافرون من مختلف أنحاء العالم الإسلامى للمشاركة فى شعائر مقدسة بدأت خلال زمن محمد (ص)، وترتبط بممارسات ما قبل الإسلام. لا يزال الحج مناسبة يجتمع فيها علماء الدين وغيرهم، ويتيح التماسك السياسى والدينى أحيانًا، المكانة لمن يرعون رحلات الحج تلك أو يعملون على توفير ممرات آمنة فى الطرق الخطرة. ولا يزال للحج دور مهم فى اقتصاد المعرفة، رغم أن التفاعلات الفقهية ذات السوابق التاريخية فى اجتماعات الحج توجد الآن على الإنترنت.

وفيما أنه بالإمكان أن يكون للحج مكان فى الفضاء السيبرى، فإن الحج الافتراضى يفتقر إلى مخاطر نظيره الواقعى. كما أنه لا يمنح المشاركين فيه أى لقب شرفى. ومن الجلىّ أن مسألة تلقى الحاج الافتراضى لأى شكل من أشكال الدعم الروحى من رحلته على الإنترنت مسألة ذاتية. يمكن أن يوفر الحج الافتراضى المعرفة عن أداء الفريضة، وقصص خبرات الحجاج، ومعلومات لوجستية، وبصيرة لأولئك الذين لا يستطيعون أن يقوموا بالرحلة. (قد يرجع هذا إلى التكلفة أو لأنهم ليسوا مسلمين، مما لا يُجيز لهم دخول مكة).

لا يزال الجدل دائراً حول المدى الذى يمكن من خلاله أن يتمثل الحج تمثيلاً كاملاً على الإنترنت. لابد للشخص أن "يكون هناك" لكى يفهم فهمًا كاملاً جسامة رحلة الحج. بالنسبة للمشاهدين يوفر الإنترنت طريقة واحدة للتوصل إلى بعض الفهم لأثر هذا الركن من أركان الإسلام. أما من ناحية الممارسة الشعائرية، فإن

الحج يتمثل على الإنترنت بأساليب كثيرة.

تتضمن مواقع الحج على الويب تعليمات عن رحلة الحج، سواء بالنسبة لفريضة الحج أو العمرة. يشمل هذا روابط لمصادر نصوص إسلامية ذات صلة. ويمكن أن يكون للمواقع بعد تجارى، مع وجود روابط لحجوزات شركات الطيران والفنادق والأمتعة. وتُسَهِّل عناصر الحج اللوجستية من خلال المساعدة فى الحصول على التأشيرة وإرشادات الرعاية الصحية. بالإمكان أن يصبح الانغماس فى تجربة الحج أسلوب حياة مترفا؛ حيث يقدم موقع Islamicity عروضًا فاخرة ومميزة للحجاج الأمريكيين، استُكمل بالحجز فيها عبر الإنترنت. تقدِّم هذه المعلومات وإلى جانبها الصور الفوتوغرافية، والإرشادات المبسطة، والمنتجات التجارية ذات الصلة كالبرمجيات وأشرطة الفيديو.

ترد معلومات فنية حول الكعبة، ومركز الصلاة داخل الحرم المقدس بمكة، على موقع "البوابة الإسلامية". يمكن أن تجد خرائط مفصلة للغاية لمناطق رئيسية بمكة على الموقع، إلى جانب مَسْرد مصطلحات الحج ذات الصلة. وتُربط المفاهيم والأماكن الرئيسية بالعديد من ملفات الصوت والصور، وتوفر المزيد من الإرشادات لمساعدة الحجاج المحتملين والحجاج المُقْعَدين. كما يمكن تسهيل توفير "أضحية" الحاج أيضاً على الإنترنت باستخدام بطاقة الائتمان، فيما تُلبى (بالنسبة للبعض) إحدى متطلبات الشعيرة.

هناك طرق أخرى لمقاربة الحج عن طريق الإنترنت. يتيح "جوجل إيرث" رؤية عن بعد بالأقمار الاصطناعية للكعبة بمكة. وتحتوى صفحة الويب للكعبة 3D التى صممها عابد س. حسين تفصيلات أكثر. وتمثل تلك الصفحة مشروعاً طويل المدى، حيث يطبق نمذجة حاسوبية ثلاثية الأبعاد لإنتاج كليبات فيديو متحركة، من بينها رحلة خلال المناطق المجاورة للكعبة. تطور هذا الموقع على مدى عدة سنوات، مع ظهور صور كمبيوتر محدثة، وزوايا متميزة للبقاع المقدسة، وملفات قابلة للتحميل

على أجهزة الآى بود. يقدم هذا المحتوى المفتوح أمام من يريد الوصول إليه بعداً وفهماً جديداً للكعبة، خالية من الحجاج ومن خلال جماليات حاسوبية متقدمة.

لتغطية الميديا دور فى كيفية تمثيل الحج على الإنترنت. تتكثف التغطية على الكثير من قنوات البث، بحيث تُنقل، على مراحل، تغطية مباشرة متاحة على الإنترنت. يشير موقع "أصوات الإسلام" إلى روابط لموارد وسائط متعددة عن الحج، بعضها مستمد من موارد خارجية مثل قنوات PBS وCNN وABC نيوز. ضمت تغطية قناة ٤ لرحلة الحج، التى أنتجها تليفزيون ليون تحت عنوان "الحج – أعظم رحلة على وجه الأرض" رحلة "حج افتراضى". ووُصِفَ ذلك بأنه "أقرب شىء إلى الحج الحقيقى". تضمن الموقع الصلوات المقررة لكل ركن من أركان الحج، مع تلاوة باللغتين الإنجليزية والعربية. كما تُقدِّم الفتاوى التوجيهات بشأن ممارسة المناسك. عرض أرشيف تغطية فيلمية وتقارير يومية وجهات نظر خمسة حجاج من مختلف الخلفيات الاجتماعية والثقافية. قُدِّمَت هذه الروايات الحيوية لشهود عيان عن العناصر الرئيسية فى "خبرة" الحج فى شكل وثائقى، إلى جانب ملفات الڤيديو ونصوص المقابلات الشخصية.

يمكن أن نجد الروايات الشخصية لرحلات الحج فى جميع أنحاء البيئات الإسلامية السيبرية. تصف إرشاد حسين فى هيئة يوميات خبرات "العمرة" وطوافها حول الكعبة. استندت روايتها إلى رسالة بالبريد الإلكترونى كتبتها فى "إنترنت كافيه" بمكة. وسوف توفر التكنولوجيا الشخصية المزيد من اللمحات عن خبرات "الحج". كما تسمح هواتف 3G المحمولة ذات كاميرات الفيديو بالتقاط الصور والمقاطع ونشرها على الإنترنت مباشرة من مكة، بحيث تتفادى وبشكل واضح القيود التى كانت مفروضة على التقاط الصور الفوتوغرافية المتعلقة بالحج. ولا تتعاطف السلطات بالضرورة مع هذه الممارسات. شوهد حجاج يستخدمون تليفوناتهم المحمولة أثناء "الطواف" لمشاركة خبراتهم مع أقاربهم فى بلدانهم. ربما

توجد ميزة دينية ما فى هذه "المشاركة" فى الوقت الحقيقى لخبرة الحج (لا شك أن أحد علماء الدين سيصدر فتوى عن هذا الموضوع)، رغم أن رأيًا مضادًا يشير إلى أن مثل هذه التكنولوجيا من شأنها تشتيت الحجاج عند تطبيقها أثناء "الطواف". وبالتأكيد فبالإمكان ربطها على مواقع الإنترنت بسلاسة وبثها.

هناك مجال أكبر لمدونات "الحج" الشخصية وغيرها من الروايات الشخصية، التى تعرض على الإنترنت على الفور. كان هناك رواد سعوا إلى تسجيل أفكارهم فى هيئة مدونة. عرضت شبكة CNN فيديو/مدونة فى ٢٠٠٥ للصحفية زين فيرجى كجزء من تغطية "الحج" السنوية. وفى ٢٠٠٧ كان مراسل CNN محمد جمجموم يدون "بأسلوب شبه مباشر" عن طريق التليفون المحمول من "الحج". كما وفرت مدونة Islamiblog لأبى عيسى مذكرات شخصية أقل تطورًا، حيث كانت مؤشرًا على ضخامة "الحج" وأثره على الحجاج، وسجلت المعاناة التى يلقاها الحجاج أثناء الحج: "فيما نبذل الجهد لعبور الجدران والطرق السريعة والصخور والرمال، نركز فقط على شىء واحد فقط وهو الدعاء!".

تعكس مثل تجارب الحج الشخصية هذه أبعاد الحج الشخصية والمجتمعية من حيث المناسك ومعنى الفضاء المقدس. يمكن الآن الوصول إلى مكة عبر الإنترنت، وتُنشر الخبرات عن طريق تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات المحمولة. كما تنشر المقاطع المبثوثة على موقع يوتيوب. ويسهِّل مستوى آخر للتعبير عن التجربة عن طريق عناصر من ويب ٢,٠ أما ما إذا كان هذا التبادل للخبرة الدينية والألفة المتزايدة بالحج يطمس بأى معنى الخشوع فى الحج، لاسيما إنْ مثَّل هذا التبادل تدخلاً ومقاطعة، فهذا أحد الأشياء التى قد تخضع للنقاش مع زيادة الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

"رمضان". يمكن القول إن شهر رمضان فترة تجديد روحى، لاسيما فى ليلة القدر التى يُعْتَقد أن القرآن أُنْزِلَ فيها أول مرة. يتطلب "الصوم" الامتناع

("الإمساك") عن تناول الطعام والشراب والتدخين، والنشاط الجنسى - لكن لم يُشترط الامتناع عن استخدام الإنترنت. يخلق رمضان حالة فردانية من الهوية الإسلامية والتلاحم، سواء على مستوى "العالم الخارجى" أو المجتمع الفرد. ويمكن أن تكون صعاب رمضان الجسدية، خصوصًا عندما يأتى رمضان خلال فصول السنة الحارة، منهكة للصائمين.

يساعد النت بطرق شتى على جمع المسلمين الافتراضيين معًا خلال هذا الشهر الكريم، لاسيما بالنسبة لأولئك الذين يعيشون خارج المجتمعات المسلمة الراسخة. يُسهل النت تبادل المعلومات الهامة حول الممارسات الشعائرية وتوقيتاتها. تدور أبرز أمثلة خطاب الويب القديم على الإنترنت حول رؤية هلال رمضان، والتى تعد لا غنى عنها لتوقيت الصيام، الذى يبدأ وينتهى وفقًا لظهور الهلال واختفائه. وهو موضوع يتجدد حوله الكثير من الحوار سنويًا، على قوائم البريد الإلكترونى وفى غرف الدردشة. وفر معهد الزيتونة ومقره الولايات المتحدة ما أسماه "ساعة الهلال" فى ٢٠٠٧، والتى سعت لمزامنة مشاهدات الهلال فى جميع أنحاء البلاد. كما قدم المعهد نشرات فيديو/صوتية من مؤسسها الشيخ يوسف هانسون، من بينها تأملات حول شهر رمضان والتى يمكن تحميلها كجزء من إنتاج المعهد على الإنترنت.

توصف احتياجات رمضان الخاصة وتُلبَّى فى عدد من المواقع، والتى توضح مناهج مقاربة هذا الركن من أركان الإسلام. بالنسبة للمسلمين الملمين بالتعامل مع النت، تتوافر البطاقات الإلكترونية لمناسبات خاصة معينة مثل شهر رمضان. كما تتوافر العديد من المصادر الشيعية المتعلقة بشهر رمضان على الإنترنت، من بينها محاضرات وخطب وأدعية. يقدم Al-Islam.org ابتهالات رمضانية خاصة فى هيئة ملفات صوتية. بينما يُعتبر Ramadan.co.uk مثالاً جيداً لمحور لتنسيق أنشطة رمضان، ويتضمن روابط لمختلف محطات رمضان الإذاعية المحلية فى المملكة المتحدة. ويُسمح لهذه المحطات بالعمل وفقًا لتراخيص خاصة خلال الشهر،

إلى جانب تقديم التلاوات والمناقشات والخطب وتقديم المشورة. وبينما تلبى هذه المحطات حاجات الجماهير المحلية، فإنها تتمتع بإمكانية كامنة للوصول إلى العالمية من خلال بث الإنترنت. تتجاوز المادة المبثوثة، والتى غالبًا ما تعوض بالحماس ما تفتقده من كفاءة مهنية، تيمة رمضان المحورية.

قدم راديو "الأمة"، ومقره شرق لندن، "عرض الزواج" فى ٢٠٠٥: "يناقش زاهد كل أسبوع مسألة جديدة تتعلق باختيار شريك/ة حياتك، والخِطْبة، وقضايا الحياة الزوجية وجميعها من منظور إسلامى ومعاصر". لم يكن من الواضح مؤهلات زاهد المحددة فى هذا الصدد. عرض راديو رمضان جلاسجو پودكاست برامج الزواج فى ٢٠٠٦. وفى ٢٠٠٧ عمل فريق البث به على عرض "سيت كوم" (كوميديا الموقف) يقوم على أساس الاختلافات بين الحياة فى اسكتلندا والحياة فى باكستان، وذلك باستخدام تيمة موسيقية من مسلسل "عائلة سمبسون". سخرت إحدى الحلقات من مطالب الأزواج المحتملين فى باكستان الذين يسعون للحصول على تأشيرة بريطانية.

ينعكس تكثيف النشاط على الإنترنت أثناء رمضان فى البيئات الإسلامية السيبرية دوليًا، فهى توفر فرصة للمسلمين الافتراضيين للانخراط فى تجارب المجتمعات الأخرى فى السياقات المحلية والدولية. ويتجلى بعض من إمكانات المقارنة هذه فى موقع RamadhanZone، والذى بث فى ٢٠٠٧ عروضًا لممارسات متنوعة فى اثنى عشر موقعًا دوليًا. ناقشت هذه المواقع بعض الاختلافات فى ممارسات الشعائر، من خلال صور توضيحية. كما نسَّق الموقع أيضًا تبرعات خيرية لمؤسسة الإغاثة الإسلامية (التى توزع طرودًا من المواد الغذائية فى جميع أنحاء العالم)، بدعم من الفيديو كليبات. تضمن الموقع آلة حاسبة "للزكاة" (انظر أدناه)، وحث على التبرع عبر الإنترنت. وأحال إلى موقع ذى صلة برمضان للأطفال، والقصص المتداخلة، والموسيقى، والألعاب، والمسابقات، وتوضيحات لأنشطة مؤسسة الإغاثة الإسلامية.

"الزكاة". "الزكاة" هى العُشْر المالى المفروض على جميع المسلمين، على أساس نسبة مئوية ثابتة من ثروة الفرد. وتذهب هذه الزكاة لمساعدة الأقل ثراء فى مجتمع محلى ما أو فى أى مكان آخر من "الأمة". حقق العمل الخيرى الإسلامى بعداً دولياً بشكل متزايد، وتسعى الجمعيات أو المؤسسات الخيرية إلى مضاهاة، وفى بعض الحالات، تكملة أنشطة الجمعيات الخيرية الدولية الأخرى. لبعض القضايا عنصر إسلامى محدد، مثل توفير المصاحف أو بناء المساجد أو حملات تقديم زى إسلامى محدد فى مختلف المناطق. ولا تُفْهَم "الزكاة" باعتبارها ضريبة أو تبرعاً بل كفريضة دينية.

استجابت الكثير من المواقع لهذا الركن بتقديم المشورة والمعلومات، فضلاً عن منح فرص للمتصفحين لأداء الزكاة عن طريق التبرع لصالح قضايا محددة. وفى بعض الحالات، يشمل هذا التبرع مساعدة الموقع فى أنشطته، وبات بناء قاعدة بيانات "فرضًا"، بحيث تجاوز المفهوم التعاليم الأصلية للتخفيف من الفقر. يصف IslamiCity كيفية أداء "الزكاة" لوظيفتها ويوفر برمجيات حسابية، فضلاً عن رابط لنقل "الزكاة" (عبر سيرفر ويب آمن) لصالح IslamiCity لتوزيعها.

يتيح انتشار أهم الجمعيات الخيرية الإسلامية على الإنترنت فرصًا جديدة للأفراد لأداء "الزكاة"، لكن هذا ربما يكون على حساب جمعيات خيرية أخرى أصغر لا تحظى بوجود على الإنترنت. وأصبحت بعض الجمعيات الخيرية الإسلامية هدفًا لحملات مختلفة لما يُزْعَم عن انتماءاتها لقضايا اعتبرها البعض ذات طبيعة مثيرة للجدل. وكانت هناك حالات أدت إلى المحاكمات، بُنِيَ البعض منها استناداً إلى بيانات مستمدة من مصادر على الإنترنت.

الزمان والمكان المقدسان

"الأعياد". ثمة أعياد واحتفالات، فى نطاقات معينة من المعتقدات الإسلامية، لا تندرج ضمن "التيار السائد" أو مجالات الفكر الإسلامى المشتركة. قد تكون هناك

أبعاد مقدسة ومهمة بالنسبة لمعتنقى رؤية معينة والذين تتطور شبكاتهم الدولية بشكل طبيعى عن طريق استخدام الإنترنت. الاحتفال بمولد الرسول (المعروف باسم "المولد" أو "ميلاد النبى") مثال على ذلك، وله مكانه على الإنترنت.

تقدم بوابة الويب الشيعية الإسماعيلية الراسخة الشعر والموسيقى فى هيئة ملفات صوتية للاحتفال "بالمولد". كما ترتبط أيضًا باحتفالات أخرى خاصة بالشيعة والطوائف الإسماعيلية. وتشمل هذه مولد الإمام على وموالد المرجعيات الدينية والشخصيات المهمة تاريخيًا فى الموروث الشيعى الإسماعيلى. لعلى بن أبى طالب، أحد أول من أسلموا وابن عم محمد (ص) وزوج ابنته، أهمية خاصة بالنسبة لكل من المسلمين السنة والشيعة. فى المذهب الشيعى، ينظر إليه على أنه "مؤسس" سلسلة المرجعية والقيادة الروحية. وتشعبت هذه السلسلة على مر القرون لتشكل العُقد المتنوعة بالشبكات الشيعية المسلمة. ويمكن تحديد أماكن الاحتفالات الخاصة بهذه الشبكات على الإنترنت. تشمل هذه الاحتفالات، على "الويب الإسماعيلى"، تلك المرتبطة بأغا خان الحالى (وهو الزعيم الدينى الروحى لكثير من المسلمين من الطائفة الإسماعيلية) وأسلافه.

يمكن تحديد تعبيرات مماثلة تتعلق بزعماء دينيين معينين فى أى مكان آخر على الويب فيما يتعلق بمعتقدات الشيعة الإسماعيلية. يتركز فرع من البهرة الداوودية فى الهند. وهم يتمسكون بالتقليد الفاطمى الشيعى فى الإسلام، الذى يرأسه الداعى المطلق الثانى والخمسون، وهو سيدى محمد برهان الدين. يعرض البهرة الداووديون عالمهم المصغر الخاص من الشبكات والانتماءات على الإنترنت فى سلسلة معقدة من المواقع، من بينها المفاهيم المحيطة بالأعياد والتجمعات الشعائرية، وطقوس المرور. وتدين أنشطة زعيمهم الروحى وتقاليد التواصل التاريخى بالكثير للإنترنت. يقيم البهرة العديد من الأنشطة على الإنترنت، وهذا يتضمن جداول زمنية على الإنترنت لرحلات الزعماء الدينيين فى السياقات المحلية

والعالمية. كما تُشْرَح الأعياد الخاصة والمميزة لهذا الفرع من المذهب الشيعى، مبيناً ما هو مشترك وما هو خاص للغاية بالنسبة لمعتقدات البهرة الداوودية. ويتجذر عند البهرة الداووديون نموذج السلطة من أعلى إلى أسفل، الذى يقوم على تصريحات الداعى. البهرة الداووديون، الذين يتمتعون بفروع فى شتى أنحاء العالم، مثال جيد على اقتصاد المعرفة الإسلامى التعاونى الذى يعتمد على الشبكات الإلكترونية لعرض رؤيتها للعالم.

هناك أمثلة أخرى للطرق التى يمكن من خلالها للبيئات الإسلامية السيبرية التركيز على منهج تفسيرى معين ضمن تنوع الإسلام الشيعى وتكييف التكنولوجيا لتعكس مصالح محددة. توفر "بوابة الإمام" المسجلة بالبحرين مقاطع متحركة ببرنامج "فلاش" عن موضوعات دينية، وموسيقى وصور متكاملة. يشير قسم "المنقذ المنتظر" إلى "استشهاد" حفيد محمد (ص) الحسين بن على فى كربلاء فى عام ٦٨٠م. يتمثل هذا الحدث المحورى فى الإسلام الشيعى من خلال صور وتسجيلات ذات صلة بالاحتفال فى شهر "محرم"، رأس السنة الهجرية وذكرى وفاة الحسين. ويتمثل الفيض العاطفى حول "محرم" تمثيلاً جيداً على الإنترنت. وتبرز قضايا شيعية أيضاً: يسأل "يا فاطمة" عن مكان قبر فاطمة، ابنة النبى محمد (ص). كما يُظهر الدمار الذى أحدثته عناصر معادية للشيعة على مر التاريخ لمختلف المزارات والمساجد المرتبطة بالأئمة الكبار المعترف بهم كمرجعيات رئيسية إسلامية شيعية.

تمتد قضايا الشعائر أيضاً لتشمل هوامش المعتقدات الإسلامية، بعيداً عن التيار السائد السنى والشيعى. ويتضمن هذا أحداث خاصة بطوائف وفصائل إسلامية، لا تحظى بالاعتراف الشمولى بها فى عالم الإسلام الأكبر. من أبرز هذه الأحداث تغطية أمة الإسلام لعيد "المُخَلِّصين"، الذى يحتفل عبر بث على الويب بمولد مؤسس أمة الإسلام والاس فرض محمد فى ٢٦ فبراير. يوفر الويب مساحة للتعبير عن هذه العقيدة والممارسة، والمدمجة فى عرض لرؤى العالم سواء بالنسبة لمعتنقيها أو مراقبيها.

أماكن مقدسة

تحظى أماكن أخرى، بخلاف مكة والمدينة، بمكانة خاصة فى قلوب (بعض) المسلمين. ويمكن أن تستند هذه الأماكن إلى تفسيرات وتأثيرات مرتبطة بمنظورات دينية وثقافية معينة عن الإسلام. ومن الأماكن المقدسة شموليًا من جميع المسلمين مدينة القدس. ويُنْظَر إلى رحلة الإسراء التى قام بها محمد (ص) ليلاً إلى القدس كنقطة تحول فى أقدار النبى وتطور الإسلام. ومما يعزز هذه المكانة وجود المسجد الأقصى و"قبة الصخرة"، التى تمثل نقطة صعود أو معراج محمد (ص) إلى السماوات السبع داخل هذه المدينة المهمة دينيًا.

تُبين مكانة القدس على الإنترنت بعدة طرق؛ فبعض المواقع يرتبط ارتباطًا مباشرًا بالقضايا الإسلامية الفلسطينية والانتفاضات. نشرت وزارة الأوقاف الفلسطينية مسحًا تفصيليًا للمسجد الأقصى والمناطق المحيطة به، مشفوعًا بعدد كبير من الصور التوضيحية والخرائط. وقد تستخدم هذه الصور إلى جانب مصادر عامة مثل "جوجل إيرث" وويكيبيديا من أجل تكوين صورة لمكانة القدس فى السياقات الإسلامية. ونظرًا لأن الكثير من المسلمين الفلسطينيين يواجهون صعوبات فى الدخول إلى القدس، يكتسب وجود المدينة على الإنترنت أهمية خاصة.

يشكل الإنترنت أيضًا واسطة معلومات عن رحلات الحج العديدة والمناسبات الدينية ذات الأهمية الخاصة المرتبطة برؤى معينة للعالم. فعلى سبيل المثال، هناك قوائم لمواقع حج ذات أهمية بالنسبة للمسلمين الشيعة. تحدد هذه المواقع الأضرحة والمزارات التى قد تكون جديرة بالزيارة. كما تشتمل قائمة "موقع Al-Islam" على مواقع فى المملكة العربية السعودية والعراق وإيران وسوريا والقدس ومصر. وترد تفاصيل أهمية كل ضريح، إلى جانب الخرائط والصور الفوتوغرافية. فى بعض الحالات، تتوفر مزيد من المعلومات التفصيلية حول أحد المزارات مثل "تاريخ مشهد"، مصحوبًا بمعلومات تاريخية ومعمارية ودينية عن تلك المدينة.

يمكن أن تندمج هذه المواد الغنية بالمصادر مع البيانات المستمدة من مصادر عامة وتلك التى لا تنتمى إلى رؤى دينية معينة. وتظهر الأماكن المقدسة الإسلامية بشتى مستويات الأهمية – المحلية والقومية والعالمية – فى الفضاء السيبرى. وتوجد تفاصيل عن المواقع الدينية المرتبطة بالإسلام على موقع Archnet، الذى تُظْهِرُ مكتبته الرقمية مبانٍ دينية مهمة من مختلف أنحاء العالم الإسلامى. كما تبرز المصادر على الإنترنت مثل ويكيبيديا مقالات مفصلة عن هذه المواقع، من بينها مقال مطول عن مسجد دمشق. ويحتوى يوتيوب على فيديو كليبات صُوِّرت فى المساجد، ومن الممكن بناء خريطة رقمية لمواقع إسلامية مهمة والصورة التى تتمثل بها على الإنترنت، استناداً إلى خرائط "جوجل إيرث" وغيره من تطبيقات الخرائط الأخرى لتشكيل خريطة رقمية للفضاء المقدس الإسلامى.

طقوس المرور

توجد عناصر من الحياة البشرية (الإسلامية) من المهد إلى اللحد على الإنترنت. ينصب التركيز فى هذا القسم على ثلاث مناسبات هى الولادة، والعلاقات بين الجنسين، والموت. تعطى هذه العناصر مؤشراً عن كيفية اندماج النت فى رؤى العالم لدى بعض المسلمين بالنسبة لعمليات صنع القرار الرئيسية، وكيفية تأثيرها والإعلام بها وتغييرها لأفعال الإنسان الأساسية.

"الولادة". حتى منذ الولادة، يمكن أن يؤثر الويب على حياة الأجيال المستقبلية من المسلمين الافتراضيين – حيث يؤثر بشكل محتمل على هوياتهم نفسها. يمكن للأبوين الاستفادة من قواعد بيانات لتحديد الاسم "الأنسب" لطفلهما وفقًا لمعايير إسلامية. وتسمح قواعد البيانات القابلة للبحث عليها هذه بدرجة من المقارنة بين المواقع. لكن هذا لا يعنى أن الوالدين يفتقران إلى القدرة على تسمية الطفل بدون هذه البيانات عن طريق اتباع تقاليد العائلة أو استشارة زعيم دينى أو غيرها من المعايير الأخرى.

قد تعزز المواقع أيضًا اختيارًا مسبقًا للاسم، فيما يتعلق برغبة المتحولين إلى الإسلام فى اختيار اسم "صحيح إسلاميًا" لأنفسهم. تنافس المصادر على الإنترنت المنتجات التجارية الخاصة بإسطوانات تسمية الأطفال. المحتوى المرتبط تشعبيًا بهذه المواقع، من حيث المعلومات الإضافية والروابط لموارد أخرى، محتوىً كاشف حيث يعمل بمثابة نقاط للدخول إلى بيانات أخرى. موقع Muslimnames.co.uk عبارة عن قاعدة بيانات لأسماء الأطفال إلى جانب ذكر معانيها الأساسية. ويرتبط بهذا المشورة بشأن المبادئ الشعائرية المرتبطة بولادة الطفل، والمدعومة بالتعاليم المستمدة من القرآن.

اشتمل موقع Muslimnames.co.uk على مقتطفات مستقاة من مواقع أسئلة وأجوبة إسلامية من خلال منظورات محددة وهابية التوجه. تتحدد عملية الطقوس الإسلامية المرتبطة بولادة الطفل على الإنترنت. وتوجد شروح للتفسيرات المرتبطة بإعلان الولادة. وتشمل هذه الشروح المشورة حول تسمية الطفل، وترديد الآذان فى الأذن، وختان الأطفال الذكور، وحلق الرأس، وضرورة "العقيقة" أو الأضحية الحيوانية، والمرتبطة بتقليد قص شعر الوليد بعد الولادة بسبعة أيام.

يمكن أن تصدر المواقع أيضًا بعض النصائح التى قد يراها البعض مثيرة للجدل ومبتكرة، و"غير إسلامية". على سبيل المثال، يقود رابط تشعبى على موقع Muslimnames.co.uk إلى مناقشة تروج لمزايا "ختان الإناث"، وهو ليس من الممارسات المتفق عليها من الناحية الإسلامية. ظل الختان أو ما يعرف بتشويه الأعضاء التناسلية للإناث موضوع عدد من حملات دولية متواصلة لمنعه.

الممارسة الأقل إثارة للجدل لكنها لا تزال مُستَفزَّة هى "التحنيك"، والتى يوصى بها موقع "المسار السنى SunniPath". يتطلب "التحنيك" من "عَالِم دين تقى ورع أو أحد الأولياء الصالحين" القيام بمضغ تمرة أو ما يشابهها من الأطعمة الحلوة، والتى تعطى للطفل بعد ذلك. ليس هذا شيئًا يؤيده جميع المسلمين، ورغم ذلك فهى

تتمثل كممارسة مهمة على هذا الموقع ذى الشعبية الكبيرة. ومن الواضح أن هناك مجالا لتعدد الآراء فى البيئات الإسلامية السيبرية، كما هو الحال فى مناطق أخرى من الفضاء السيبرى. من اللازم أيضًا الحذر من تلقى المشورة دون نظرة نقدية. من الصعب تحديد مدى تطبيق مثل هذه النصيحة على الإنترنت، لكن من الواضح أن مكانها على الإنترنت يفتح الباب لتطبيق رؤى معينة للمسلمين الافتراضيين الذين يختارون اتّبا ع خط معين.

"العلاقات بين الجنسين". يركز هذا القسم على العلاقات الزوجية الإسلامية التقليدية وصياغتها فى الفضاء السيبرى، وهو ما يمكن النظر إليه من زوايا تجارية وسياسية ودينية وعاطفية. لا نوحى من خلال هذا أن المسلمين لا يشكلون أنواعًا أخرى من العلاقات والصداقات التى تتمتع بدرجات متفاوتة من "الشرعية"، لكن يمكن أن تُيَسر هذه العلاقات أيضًا من خلال الفضاء السيبرى. يمثل هذا مثالاً آخر على الشبكات الإسلامية المتغيرة والطرق التى من خلالها يكون للقضايا على الإنترنت صدى عملى يناظر ما هو موجود فى العالم الحقيقى. تشير هذه التطورات إلى قضايا تعيين مواضع محددة، وتلك تعاملات غير مرئية فى كثير من الأحيان، تُخْفَى فى كثير من الحالات عن الباحثين والمراقبين الخارجيين. وهذا أمر مفهوم، نظرًا للطبيعة الحساسة المحتملة للحوارات بين الذكور والإناث وحدود الخطاب الواردة فى القرآن وغيره من المصادر.

قد تتجاوز أنواع العلاقات التى يمكن ترتيبها على الإنترنت بين الرجال والنساء القيود الثقافية والقيم الدينية. تتسم هذه الأنشطة بالخصوصية والاختفاء داخل الفضاء السيبرى فى أغلب الأحيان. كما أنها غير معلنة ومتحفِّظة، وعادةً لا تظهر فى عناوين الصفحات الرئيسية، إلا عندما يتعلق الأمر بابتكار تقنى و"انتهاكات" حقيقية أو مفترضة للنماذج التفسيرية للمرجعيات.

يَصْدُق هذا بصفة خاصة فى مجالات التواعد والزواج ووساطة الزواج. يشير

قبول التكنولوجيا داخل النماذج والممارسات التقليدية إلى نزعة عملية ومرونة كامنة، بناء على المعايير الدينية والثقافية البرجماتية. وعلى صعيد آخر، تعزز مثل هذه الممارسات الممارسات التقليدية. فى سياق باكستان، على سبيل المثال، "بدأ الورع الإسلامى والتواعد على الإنترنت فى الظهور كعلامة مزدوجة لبعض الجماعات الباكستانية حيث كانت وساطة الزواج شأنًا عائليًا لفترة طويلة".

يشير هذا ضمنًا إلى وجود علاقة معقدة بين الممارسات الدينية النموذجية والابتكار التقنى. تحدت التكنولوجيا المفاهيم الدينية-الثقافية المرتبطة بالعلاقات بين الذكور والإناث - من بينها "البُردة" أو الارتباط والخِطْبَة - وعدَّلتها وعوضتها. فهى تحتفظ، بلب إسلامى مألوف ومضمر عميق التجذر.

ظهر تطور مكاتب الزواج عبر الإنترنت، التى تذكر حالات التوافق بناء على معايير دينية وثقافية راسخة من خلال مجموعة متنوعة من السياقات. وتلقى هذه المكاتب الدعم على أعلى المستويات. حصل موقع (ومكتب الزواج) Ardabili.com الإيرانى على دعم العديد من كبار رجال الدين. أسس منظم الموقع، جعفر سافالانبور أردبيلى، وهو نفسه رجل دين، الموقع لتشجيع الزواج وتجاوز الحواجز التقليدية التى تقف عائقًا أمام تطوير العلاقات. وتم ذلك بالتعاون مع أنشطته التدوينية. ولم تخلُ أنشطة مماثلة من المخاطرة؛ ففى ٢٠٠٢ اعتقل الباسيج ("قوات التعبئة الشعبية") مستخدمى ومشغلى إحدى خدمات التعارف على الإنترنت فى إيران بتهم "الأعمال المنافية للآداب".

وفيما أنه من الخطورة إصدار التعميمات حول الشبكات الإسلامية، هناك اتجاه بتأييد مضمر من جانب المرجعيات الدينية على الأقل لبعض مواقع الزواج. من المؤشرات الجيدة إدراج الروابط والمقالات التى تُقدَّم من منظورات دينية خاصة. وكما يوضح المقتطف التالى، ظهر الموضوع أيضًا فى غرف الدردشة على الإنترنت ومواقع الأسئلة والأجوبة.

قال الإمام يحيى هندى، وهو مرشد روحى مسلم بجامعة چورچ تاون، إنه تلقى طلبات كثيرة ليكون وسيطًا لمسلمين ومسلمات تعرفوا ببعضهم عبر الويب، ونادراً ما سمع أحداً فى الجالية المسلمة يعترض على التقارب بين الجنسين على الإنترنت.

قال "لا شك أن هناك بضعة طرق أخرى لبناء علاقة حميمة دون أن تكون غير ملائمة"، مشيراً إلى أن المواقع "تعطى فرصة للناس من شتى الخلفيات، ومن جميع المواقع للّقاء والانخراط فى مناقشة مفتوحة وشريفة دون انتهاك لما يعتقدون أنه قواعد الإسلام".

لا تُقدِّم مواقع التعارف بين الرجال والنساء لخدمة الآخرين فحسب، بل كثيراً ما يكون لها هامش تجارى. يفتخر موقع MuslimMatch.com ومقره لندن بأن له "٩٠٣٥٣ عضو مسجَّل تبادلوا ٣٥١٥١٤ رسالة بالبريد الإلكترونى". من الروابط المتوفرة على موقع MuslimMatch.com رابط لموقع SpeedIntros.com، حيث يمكن حجز "التعارف السريع" على الإنترنت (رغم أن اللقاءات تجرى فى الوقت الحقيقى وفى مكان حقيقى): "نقدم كل هذا فى أماكن أنيقة وفخمة لكنها لا تتنافى مع الإسلام! نقدم لك خدمة العملاء المميزة والاهتمام بالتفاصيل، إلى جانب توفير أماكن للصلاة فى نفس المكان! ومع حضور عدد كبير جداً من الناس، فإن الشخص الوحيد الذى لم يحضر بعد هو أنت! ... احجز على الإنترنت اليوم قبل يخطف الشخص المسلم الذى يلائمك شخص آخر!"

يمثال هذا البيع المباشر. عمل الموقع بمثابة محور للحصول على معلومات وخدمات أخرى، كالبث عبر الويب من "قناة الإسلام" Islam Channel وراديو الإسلام Islam Radio. يمكن البحث فى قاعدة البيانات، بناء على معايير متفاوتة

من حيث المكان والعمر والعرق والمذهب الإسلامي. يوفر موقع MuslimMatch "قصص نجاح" لرجال ونساء تزوجوا عبر خدمة هذا الموقع. وهذه القصص مثيرة للاهتمام، حيث إنها تقدم أمثلة على زوايا النظر المتنوعة إلى الويب التي يمكن عرضها مع الحفاظ على أنساق القيم الإسلامية:

"فتحتُ حساباً عادياً في ٢٦ يناير ٢٠٠٤ باسم مستعار هو Kahati - takwa وفتحت هي حسابها في ٢١ يناير ٢٠٠٤ باسم مستعار هو galb. (ننتمي إلى بلدين مختلفين ونعيش أيضا في بلدين مختلفين). في غضون ثلاثة أيام فقط كنت قد لمحتها. أرسلت لها رسالة بالبريد الإلكتروني في يوم عرفة (السبت)، وتمنيت لها عيداً سعيداً. أعلنتُ أيضًا عن نيتي لإقامة علاقة جدية معها. وافقت هي على الفور وردَّت على بريدي الإلكتروني بعد العيد. وفي الأسبوع التالي، كنا قد تبادلنا سلسلة طويلة من رسائل البريد الإلكتروني بيننا ودون أية تسويفات تعهدنا بالزواج فيما بيننا. وكانت قد أبلغت والديها بالفعل بقرارها. لم يبدِ والداها أي اعتراض. وينطبق الشيء نفسه عليّ".

يبدو هذا كأنه اتخاذ قرار سريع. قد يستغرق البعض الآخر وقتًا أطول للعثور على شريك حياة. يقدم MuslimMatch.com المشورة حول أصول "أدب" استخدام النت (الممارسة التفسيرية المتعارف عليها) عندما تسعى للحصول على شريك حياة. يشير هذا إلى الاندماج الكامل بين الممارسة التقليدية والوعي بدور الويب و"فخاخه" المحتملة. تركز الاهتمام على مستويات الحذر عند التواصل مع الغرباء، التي ترتبط بمفاهيم آداب استخدام الإنترنت الإسلامية الناشئة:

> اتخذْ نهجًا محافظًا نسبيًا بشأن الثقة بأي شخص تلتقي به على الإنترنت. إذا كنت تعتقد أن شخصًا ما يكذب، فمن المرجح أنه كذلك، لذلك ابنِ ردود فعلك وفقًا لذلك. تحرك نحو شخص يمكنك الثقة به في

> النهاية. تحكم فى نفسك وعواطفك بطريقة مسئولة. لا تقع فى الحب بعد أول نقرة من الماوس. ولا تدخل فى علاقة حميمة مع شخص قبل الأوان، حتى لو كانت هذه الحميمية تحدث على الإنترنت فقط.
>
> يكمن جمال اللقاء والعلاقات عبر الإنترنت فى إمكانية جمع المعلومات تدريجيًا ومن ثمَّ اتخاذ قرار بالاستمرار فى العلاقة فى العالم الحقيقى. لست ملزمًا على الإطلاق بلقاء أى شخص، بغض النظر عن مستوى علاقتكما الحميمة على الإنترنت.

يؤسس التكيف بين الممارسات التقليدية والرقمية لنماذج على الآخرين أن يحذوا حذوها. شملت نصيحة أخرى من موقع MuslimMatch خطة من ١١ نقطة للسعادة الزوجية، "أمان النساء: وضعه فى المرتبة الأولى!"و "آداب الزواج" للألبانى. تتحدث هذه النصائح عن جوانب العلاقة الزوجية، مثل وقت الصلاة بعد الزواج و"ما تقوله وقت الجماع". هذه النصيحة شاملة بالتأكيد، رغم أننا نفترض أن الزوجين يغلقان أيضًا أجهزة الكمبيوتر الخاصة فى اللحظات المناسبة. أُتهم مؤلف بعض هذا المحتوى، وهو محمد نصر الدين الألبانى، فى مواضع أخرى بأنه "مبتدع" و"سلفى"، بالمعنى الازدرائى.

أدرك الكثيرون الإمكانيات التجارية لهذا الجانب من البيئات الإسلامية السيبرية، من ثم ظهرت خدمات مماثلة. لهذه الخدمات سمات ومنظورات مختلفة، استناداً إلى ويب ٢,٠ فى بعض الحالات. على سبيل المثال، يشمل muslimin-tro.com خلاصات XML وآر إس إس، بما يسمح للأعضاء بأن يجرى إعلامهم فوراً عند انضمام أشخاص جدد إلى الخدمة. من المفترض إمكان استخدام الهواتف المحمولة وتليفونات بلاكبيرى أيضا فى هذه التحديثات. لعل المثير للتشاؤم

إلى حد ما أن يشمل موقع Zawaj الخاص بترتيب الزواج روابط لمقالات الإسلام أون لاين التى تستشهد بيوسف القرضاوى حول "الطلاق البائن".

أدركت بعض خدمات التعارف على الإنترنت "العادية" الإمكانيات التجارية للسوق المسلم وتوفر الآن "مناطق مسلمة"؛ وتشمل هذه المواقع singles-bar.com وغيرها من المواقع التى تركز على الأفراد مع روابط بمناطق معينة مثل Mehn-di.com. اهتم موقع ShiaMatch.com بالسوق الشيعى المتخصص وزاد عدد الأعضاء الناشطين فيه إلى أكثر من ٩ آلاف عضو. ويُلاحَظ فى العديد من قصص النجاح موافقة الوالدين على تلك الخدمات: "الحمد الله وجدتُ فتاة لابنى من موقعكم. ولا يسعنى أن أشكركم بما فيه الكفاية، فكل ما يمكننى القيام به هو أن أدعو الله (سبحانه وتعالى) لكم". جرى التأكيد على مفهوم "الأخلاق" الملائمة والسلوك فى هذا السياق الشيعى. وشدد على الأعضاء فى جميع أنحاء العالم كى يتواصلوا ويتفاعلوا على الإنترنت "بشكل لائق": "شكرًا جزيلاً لخدماتكم. التقيت زوج المستقبل من خلال موقعكم، وهو موقع آمن ونظيف. أشجع أى شخص يبحث بجدية عن رفيق أو رفيقة حياة أن يجرب موقعكم. ومرة أخرى، شكرًا لكم".

تستطيع الأسر أن تعتمد على خدمات الإنترنت لاختيار أزواج محتملين أفضل: "نشعر أنا وعائلتى بغاية الامتنان لأنكم الموقع الوحيد الذى وجدنا من خلاله رجلاً لطيفًا أفضل لشقيقتى الصغرى". أيضًا بإمكان عدم القادرين اجتماعيًا على اللقاءات الاستفادة من فضاء الإنترنت: "نحن الاثنين اتفقنا أن الإنترنت وسيلة جيدة للغاية للتعرف على شخص ما لأنه يحول دون الارتباك الذى تشعر به فى البداية".

هناك اتجاه فى هذه التعليقات بأن الإنترنت يوفر خيارًا أكبر للأزواج المحتملين. يمكن للمتصفحين أن يحاولوا ملائمة اهتمامات تعليمية وثقافية إثنية، ولغوية معينة، فضلاً عن التوجهات الدينية المحددة. ولا تشير هذه الأمثلة إلى وجود تغيير جذرى

فى الممارسة السائدة بالضرورة، ولكنها توضح السبل التى قد يتحدى بها الأفراد التقاليد رقمياً. وينطبق هذا بخاصة فى حالة استخدام الويب وسيلة لنقل موافقة الوالدين على الزواج بصفتها ممارسة دينية وثقافية. من المحتمل لهذه الممارسات أن تحل محل وسائل الاتصال الأخرى كالرسائل، ويمكن الاعتماد عليها بدرجة أكبر لتعزيز التقاليد.

تعرضت هذه "الابتداعات" للمنافسة فى أماكن أخرى على مدى الطيف الإسلامى. "حث" معهد التفاهم الإسلامى فى ماليزيا "المسلمين الماليزيين على البحث عن الحب فى المسجد، وليس على الإنترنت". ولم يُشِر إلى الطريقة التى يمكن بها تسهيل هذه العملية. ربما كان هذا رد فعل مذعوراً أو إشارة إلى تعرض قواعد المجتمع المحلى الثقافية والمجتمعية للتهديد عن طريق خيارات التعارف على الإنترنت. وقد يكون هذا فى نطاق مجتمع أكثر علمانية بخاصة وسيلة يمكن من خلالها تملق الممارسات الدينية والتقاليد الثقافية.

يمكن توسيع تطبيق الويب ليشمل طقوس المرور مثل احتفالات الزواج: "شابنام، العروس البالغة من العمر ٢٦ عامًا، قالت "قبول هاى" (أقبل الزواج بك) للعريس عبد الكلام أمام كاميرا أحد المواقع يوم الجمعة. بينما كانت شابنام تجلس فى مقهى للإنترنت فى مدينة لوكناو المسورة فى الهند، أخذ عبد الكلام وضعه أمام كاميرا أحد المواقع على بعد آلاف الأميال فى مكة بالمملكة العربية السعودية. ولم يَبْدُ الأمر وكأن الاثنين كانا قد اتفقا على الزواج لتوِّهما بينما كانا يتصفحان النت بالصدفة".

أجبرت تطورات الويب المؤسسات على التفكير فى خدماتها وتقديم البدائل، سواء على الإنترنت أو خارجه. ليس لمثل هذه التصريحات أثر على الإنترنت بالضرورة: "يوجد على الإنترنت، غرف الدردشة العربية والفارسية والكردية والآرامية، وغيرها من غرف الموسيقى والحب تجذب عشرة أضعاف الغرف

[الجهادية] المزدحمة بالأنصار. هناك، ستقرأ وتسمع نقاشات عن الحب؛ لا يسعى هؤلاء إلى علاقات منحلة، بل إن تلك الأنشطة هى المراحل الأولى من الثورة الرومانسية". يشير هذا التعليق ضمنيًا إلى أن المواقع رومانسية التوجه تتغلب على غرف الدردشة الجهادية.

يمكن للابتكار التقنى أن يتخذ أشكالاً عديدة على مراحل مختلفة من العلاقات بين الجنسين. فكرة "الطلاق"، أو النطق بكلمة الطلاق، نفسها يمكن تفسيرها بطرق مختلفة؛ فقد رآها البعض صحيحة عندما تصل عن طريق البريد الإلكترونى أو الهاتف المحمول (ما يطلق عليه "رسالة الطلاق القصيرة"). وسط الجدل حول الطلاق البائن، قرأت الخبر التالى، "ذُكِرَ أن رجلاً استخدم البريد الإلكترونى ليطلق زوجته فى حى باريلى. ذُكِرَ أن راحات إقبال، الذى يعيش بالولايات المتحدة، طلق زوجته رباب أنور طلاقًا بائنًا بالبريد الإلكترونى".

يظهر احتمال وقوع كوارث جليًا فى إطار العلاقات بين الجنسين على الإنترنت: "تحولت قصة حب بين رجل وامرأة أردنيين فى مهدها إلى طلاق علنى قبيح عندما اكتشف الاثنان أنهما فى الواقع زوجان يراسلان بعضهما". وفى سياقات أخرى، يؤكد البعض أيضًا على أن الإنترنت أثر بصورة سلبية فى النطاقات الشخصية. شعر عبد الجور الذى يعيش فى لندن بعميق الألم كما هو متوقع عندما هربت ابنته من المنزل إلى الهند لتتزوج من رجل هندوسى التقته على الإنترنت: "الفتيات مراهقات، ولا يُسمح لهن بالخروج بعد المدرسة أو الكلية ونحرص بالتأكيد على عدم اقترابهن من الرجال. لكننا لم نستطع فعل أى شىء لحماية ابنتنا من شر الإنترنت. بينما كنا نائمين جاءنا هذا الشر ودخل بيتنا، وأدى بابنتنا بأن تهرب وتتزوج من فتى هندوسى". عُرِضَ فيلم لهذا الزواج فى جميع أنحاء الهند، وظهر حتمًا على الويب والمدونات التى تعبر عن كل وجهات النظر.

ثمة قدر كبير متاح من المشورة والنصيحة عن إقامة العلاقات بين الجنسين

والحفاظ عليها تشمل الردود التى تُصدِرها هيئة الفتاوى عن أسئلة معينة ومعلومات لأولئك المنخرطين فى مراحل مختلفة من العلاقات. تثير مناقشة الجنس والرغبة الجنسية على الإنترنت فى السياقات الإسلامية أسئلة مهمة داخل نطاقات موضوعات خلافية. ظهرت الثقافة الجنسية "على الطراز الإسلامى" بشكل موجز على موقع lovebeaches.net والذى نظم محتواه مؤسسة قطر للرفاه ومركز رعاية الأسرة: "فى محاضرة عن "الإسلام والرغبة الجنسية" قال عالم النفس المقيم ببريطانيا مأمون مبيض "إن الإسلام حرَّم المثلية الجنسية، والتى ينبغى محاربتها وحماية الناس منها"... وذكرت عائشة، المتخصصة فى الكمبيوتر والمتزوجة منذ عامين ونصف العام أنها "تعلمت أساليب" قرَّبت أكثر بينها وبين زوجها". أبرز الموقع موسيقى وروابط لموضوعات عن الجنس والحياة الجنسية. وقد تضفى زيارة هذه المواقع مسحة إسلامية على المواد التى قد يراها الآخرون ممنوعة أو مثيرة للشهوات. ظهرت قضايا مماثلة على موقع elaph.com الذى نظمه طبيب مصرى، رغم أن التوجه فى هذا الموقع كان "عربيًا" أكثر منه "إسلاميًا".

أنشأ موقع "الصحوة المسلمة" Muslim WakeUp ومقره الولايات المتحدة عمودًا بعنوان "الجنس والأمة". فى أحد الأعداد، كتبت الكاتبة الصحفية مهجة كهف مقالاً أدبيًا عن تجارب النساء فى المساجد. تضمن المقال مجموعة واسعة من التعبيرات البديعية تصور بها الكاتبة أنواع الثواب التى ستكون من نصيب النساء فى الجنة وفقًا لتكهناتها – التى قد لا توائم القارئ التقليدى الحساس دينيًا. ردت العديد من القارئات على العمود بصورة إيجابية، حيث أشرن ضمنيًا أنه يعكس تجاربهن الخاصة. كما أفضى المقال إلى مناقشة مفصلة على الإنترنت عن طبيعة السماء ومثوبتها. ذكرت أمينة ودود قائلة: "أحسنت يا موقع الصحوة المسلمة فى تسليط الضوء على مثل هذا الأمر الصغير الذى تحيط به محرمات كبيرة. ربما استطعنا أن نُخرِج عددًا أكثر قليلاً من خزانة ملابس حفلاتنا الجنسية التنكرية".

أدان آخرون نشر المقال على الإنترنت، بينما أدى الجدل إلى زيادة قراء صفحاته.

> من المحبب خلق جو من المناقشة الحرة للحياة الجنسية بين الزوجين وبين الآباء وأبنائهم فى حدود معينة، لكن ما قمت به ودعوت إليه من فتحٍ للمنتديات التى ألقيتِ من خلالها بالمبادىء الجوهرية للحياء والآداب الإسلامية من النافذة وقبول المفهوم الغربى المنحرف للحياة الجنسية، والذى كان ضرره أكثر من نفعه للعلاقة بين الرجال والنساء، أقول لك ما قمت به محرم ومرفوض تماماً. من الحكمة أن تطلبى التوبة على ما فعلتِ واعملى على تصويب نفسك تمامًا عند التطرق إلى أمور الجنس مرة أخرى.

تبع ذلك حوار مطول بين هذا الناقد وكاتبة المقال. من جهة أخرى، يقدم الموقع روايات أخرى عن الجنس والحياة الجنسية فى سياق إسلامى. وتشمل هذه الروايات، ما كتبته كهف بعنوان "فروسية وداد"، وهى تحكى عن شقيقتين بمكة تتحاوران حول حياتهما الجنسية وزوجيهما السابقين.

لا يمثل هذا النوع من التعبير المتعلق بالحياة الجنسية البيئات الإسلامية السيبرية بصفة عامة. لكنه يشير إلى أن الويب يتيح الوصول إلى مواد تتجاوز النماذج السلطوية التقليدية المرتبطة بالعلاقات بين الجنسين. ودُفِعَت بنغمة أخرى إلى هذا المجال فى "الجنس والأمة" - الذى يَدين عنوانه بوضوح للحلقات التليفزيونية "الجنس والمدينة"- تضمن مقالاً عن المثليين وثنائيى الجنس والمثليات والمتحولين والمتحولات جنسيًا فى المملكة المتحدة، وتفحص أبعاد العوائق التى تواجه هذه المجموعة. وبات الإنترنت ساحة لانبثاق مثل هذه المناقشات من جميع

النواحى. ويمكن لهذه المناقشات أن تشكل أيضًا جزءًا من البيئات الإسلامية السيبرية فى إطار بعض التأويلات. وهى نقاشات غير مقبولة تمامًا بالنسبة للمسلمين التقليديين، لكنها تشكل منطقة مهمة من خطاب الويب.

وجدت المفاهيم المرتبطة بالتوجهات الجنسية، بين قضايا النوع الاجتماعية (الجندر)، قدراً كبيراً من الاهتمام بالبيئات الإسلامية السيبرية. للأفراد والجماعات المتنوعة من المثليين والمثليات والمتحولين والمتحولات جنسيًا وثنائيى الجنس الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين حضور فاعل على الإنترنت، حيث يستخدمون الإنترنت كأداة ديناميكية لإطلاق الحملات. ذكر بريان ويتيكر أنه "فى البلدان التى لا تزال فيها المناقشة العامة للمثلية الجنسية من المحرمات، يصبح الإنترنت غالبًا أهم مصدر للوصول للمعلومات ويوفر الراحة للعديد من الذين جعلتهم حياتهم الجنسية يشعرون بالوحدة والعزلة".

تأخذ هذه الراحة أشكالاً عدة. هناك عدد من المواقع المثلية الراسخة مثل موقع الفاتحة والجهاد اللوطى، والتى انضم إليه أخرون للترويج لأجندات إقليمية وثقافية مرتبطة بقضايا مثلية، وتسهيل حملات معينة. المواقع المثلية مصادر تعليمية ناشطة ولكنها تعمل أيضًا بمثابة محاور اجتماعية واقتصادية بالنسبة لبعض المسلمين الافتراضيين. يمكن أن نرى هذا فى أوجه الاختلافات فى ظاهرة التواعد/وساطة الزواج عن طريق الإنترنت، وهى مهمة موجودة فى بعض السياقات المثلية الإسلامية.

غدا الويب أيضًا وسيلة للإيقاع بالأشخاص فى البلدان التى تعتبر النشاط الجنسى المثلى غير مشروع وضد القيم الإسلامية أو كليهما. قامت الشرطة من خلال ترتيب المهام على الإنترنت فى بعض السياقات باعتقال ممارسى النشاط الجنسى المثلى "غير القانونى" وإدانتهم. يشتعل الجدل حول هذه المسألة برمتها. يذكر بعض العلماء بناء على تفسيرهم للقرآن أن المثلية الجنسية عمل غير إسلامى

ويستحق العقاب الشديد، وبالتالى من المستحيل أن تكون "مثليًا" و"مسلمًا". أبرز الموقع الإلكترونى لإرشاد منجي، وهى "مثلية مسلمة"، هذا الجدل الخلافى. تملك منجى موقعًا على الويب لمناقشة أفكارها حول الحاجة المتصورة "لإصلاح" الإسلام وللترويج لكتابتها.

أُستخدم الويب كأداة للبحث حول قضايا الحياة الجنسية فى السياقات ذات الغالبية المسلمة، وإن كان هذا لا يخلو من خطر على المشاركين. أخرج المخرج المقيم بنيويورك برويز شارما فيلمًا وثائقيًا بعنوان "جهاد من أجل الحب" حول القضايا المثلية، على أساس مقابلات وحوارات عبر البريد الإلكترونى بشكل رئيسى. سلط الفيلم الضوء على المخاطر التى تواجه بعض مستخدمى الإنترنت من المسلمين المثليين الذين يسعون للتعبير عن أنفسهم ودينهم وحياتهم الجنسية.

"**الموت**". تمتد البيئات الإسلامية السيبرية لتتسع للأموات. ويمكن عرض ذلك فى سياق المشورة بشأن طقوس الدفن المناسبة، وفترات الحداد، والمشورة، والوصايا. وكلها تقع فى منتديات المشورة على الإنترنت. يُستقى قسم كبير من هذه التفسيرات من مصادر إسلامية. تستعين بعض المجتمعات بالنت لإعلان وفاة أعضائها، مثل الاتحاد العالمى لجاليات الشيعة الخوجة الإثنى عشرية المسلمة، والتى احتفظت لسنوات عديدة بقائمة الأعضاء المتوفين. كما تحتفظ جالية الشيعة الإثنى عشرية فى ميدلسس بقائمة محلية لمقابر المسلمين.

فى كراتشى، سارت "مقبرة وادى حسين" خطوة أخرى نحو هذه المرحلة، حيث أنتجت موقعًا على الويب لاحتفالات ذكرى الوفاة وكليبات الفيديو للجنازات. ويشمل الموقع أيضًا قاعدة بيانات لفيديو كليبات من الجنازات، والتى تبرز جميع جوانب الطقوس. قاعدة البيانات هذه يمكن البحث فيها بالكامل باسم القبر، واسم الشخص، وشهر/عام الوفاة. ولكل مرجع لقبر صورة فوتوغرافية وتفاصيل عن المتوفى. ويظهر بالموقع العنصر التجارى أيضًا، حيث توجد إعلانات مرتبطة بخدمات الجنازات للجمهور.

وفى سياق مختلف تمامًا، جاء مفهوم الاحتفال بذكرى الوفاة على الإنترنت، فيما يتعلق بالبيئات الإسلامية السيبرية، إلى الصدارة مع تطور الاحتفال بذكرى الشهداء من قبل منظمات كحزب الله وحماس. وُضِعَت هويات ضحايا النزاع المسلمين أيضًا فى الفضاء السيبرى: أقيم تذكار لضحايا نظام صدام حسين على الإنترنت. كما سُجِّلَت أعداد ضحايا الحرب على العراق من المدنيين وتداعياتها على موقع "تعداد ضحايا العراق" الذى يجرى تحديثه بانتظام. كانت هذه التطورات نتيجة طبيعية لأنشطة أخرى على الإنترنت يقوم بها المسلمون الافتراضيون.

شرح الإسلام

"الأشخاص المقدسون". لأولئك المسلمين، الأحياء منهم أو الأموات، الذين يتمتعون بمكانة مقدسة فى تاريخ مجتمعاتهم مكانة بارزة فى الفضاء السيبرى. من أبرز هؤلاء النبى محمد (ص)، الذى تظهر سيرته، وأقواله، وحياته بالتفصيل على الإنترنت. وللخلفاء الذين تبعوه، والمسئولين عن الانتشار السريع للإسلام، مكانة بارزة أيضًا على الإنترنت. يمكن رسم صورة على الإنترنت لأولئك الأفراد المرتبطين بحياة محمد (ص)، وقد لا يُصَنَّف جميعهم على أنهم مقدسون؛ ويضم هؤلاء الأبطال المسلمين وآل بيت النبى، وأوائل أتباعه، وأصحابه، وأنصاره، والمرجعيات المختلفة.

يمكن أن نضيف لهذه البيئة التاريخية على الإنترنت (اعتماداً على منظور الفرد المسلم) مفسرى الشريعة، من بينهم مؤسسو مدارس الفقه السنى ومن يناظرهم لدى الشيعة. للفقهاء أنصارهم ومؤيدوهم عبر الأجيال فى الفضاء السيبرى، إن لم يكن فى أى مكان آخر. تستمر مناقشات الفلاسفة والمفكرين السياسيين المسلمين عبر الشبكات المسلمة التاريخية فى السياق الرقمى.

تتنوع الشروط التى تميز هؤلاء الأفراد وتصنيفاتهم. قد يشمل "الناس المقدسون" الأولياء و"الأبرار" و"المريدين"، الذى يضيفون إلى هذه الصورة من

الحوار والاختلاف واستكشاف المقدس. في السياقات المعاصرة، لأحفاد تلك الشخصيات البارزين مكانهم على الإنترنت، وبعضهم مشاركون إيجابيون في أنشطة الويب. كما تُعْرَض تجسيدات المرجعيات الدينية في أشكالها المختلفة على الإنترنت.

تختلف المرجعية الدينية باختلاف الطوائف الإسلامية. فعلى حين يعتبر الفقهاء نموذجا للمرجعية إلا أنه ليس نموذجا شاملاً بأية حال من الأحوال. قد يكون الإلهام الإلهي الذي يتمتع به زعيم ما أكثر أهمية بالنسبة لبعض المسلمين من عدد من الدرجات العلمية (إن وجدت) التي حصل عليها "العالم" الفقيه من معاهد التعليم الإسلامي. يبدو أن النموذج القانوني الفقهي يهيمن في كثير من الأحيان على الفضاء السيبري. للآراء والفتاوى والمصادر والمعرفة أسس نصية يمكن إعادة إنتاجها وتطويرها على الإنترنت. قد يكون الهدف من إحدى الفتاوى جزءاً من واجب ديني أو حملة سياسية أو كليهما. وينبغي أن ينظر إلى كل رأي من خلال مزاياه الخاصة ويُقَيَّم على هذا الأساس.

يعكس هذا الطبيعة البراجماتية والسياقية لجوانب عمليات صنع القرار الإسلامي التقليدية. لا تتعدى بعض تلك الرؤى كونها آراء وتصريحات تستخدم مرة واحدة فقط ولا تصدر بغرض نشرها على نطاق واسع. فسَّر البعض تطوير مواقع الأسئلة والأجوبة، والالتماسات المستمرة على الإنترنت للحصول على ردود أفعال، بأنه دليل على "الأسئلة الكثيرة للغاية" من المتصفحين الذين لديهم فائض من الوقت تحت تصرفهم. لكن يمكننا القول أيضاً إنه يمثل الانفتاح على المعرفة من خلال الإنترنت – وإن كان ذلك للنخبة الملمة بالويب مصحوباً بإمكان الوصول إلى الوسيط وتوفر الوقت والرغبة في الدخول على الإنترنت.

ومع وجود ويب ٢.٠، تتضمن أشكال نقل المرجعية وبثها البودكاست، ومدونات الڤيديو، ومواقع الشبكات الاجتماعية. يفتح التوسع في الوصول إلى تكنولوجيا

الإنترنت (على سبيل المثال، فى إفريقيا جنوب الصحراء) أسواقًا جديدة لأشكال محددة من المرجعيات الدينية، مما يشكل تحديًا للمعايير التقليدية. قد يمثل هذا جزئيًا انعكاسًا للأنشطة فى العالم الحقيقى لكنه أيضًا يعتبر إلى حد ما تسريعًا لعمليات الدعاية المتنافسة. يتنافس الوسطاء الرقميون الذين يسعون لتقديم كلمة الله على الإنترنت، سواء فى عرض القرآن أو أية أشكال أخرى من المعرفة، للحصول على اهتمام المتصفحين بأساليب أخرى تجذب الانتباه، بعضها أمور دنيوية أكثر إلهاء من غيرها. يمكن أن تدمج البيئات الإسلامية السيبرية بالوسيط مقاربات تفسيرية جديدة تماماً وخارجة عن المألوف، لكنها جميعًا ترتبط بروح المعرفة والتعبيرات الدينية الأساسية، التى تتجاوز، فى نظر المؤمنين، الوسيط الرقمى وتربط الفرد بالله.

يتطلب تحليل التفسيرات الدينية الإسلامية ذات المرجعية، سواء كانت على الإنترنت أو خارجه، استيعاب أفكار التنوع الروحى والفقهى أو الشرعى، وكذلك قبول الخيوط المشتركة لأوجه الفهم الإسلامى. تأتى المفاهيم الجديدة المرتبطة بنقل المعرفة بنماذج التفسير والفهم التقليدية وتدمجها بالأطر الرقمية. بالنسبة للمتصفحين المسلمين الملمين بالتكنولوجيا، يمكن أن تكون هناك علاقة محددة وحميمة بين التكنولوجيات ومعتقداتهم الدينية، فى وجود عنصر حدّىٍ أو مؤقت. ومن المحتمل أن يكون لهذا النوع من المعرفة تأثير على أوجه الفهم فى العالم الحقيقى، وهو الأثر الذى زاد اعتراف المرجعيات الإسلامية التقليدية به.

قد تكون المفاهيم الدنيوية وأوجه الفهم الدينية التى توجد فى الفضاء السيبرى - وإن كان من العسير تتبعها وتفسيرها فى أغلب الأحيان - مهمة كأية فتوى تولّد العناوين الرئيسية بالصحف، والفتوى مصطلح عرضة للتأويل فى حد ذاته. فى سياق البيئات الإسلامية السيبرية، يجرى الإعلان عن فتوى ما على أحد المواقع على الإنترنت لبضعة أيام ثم تختفى بعد ذلك عن الأنظار. وتعنى رسائل البريد

الإلكترونى الخفية، المفقودة، والملفات المحذوفة، والبيانات المشفرة والتوسيهات الممزقة، والجرعة الزائدة من المعلومات بعدد من اللغات، تعنى أن فتاوى معينة تضيع عن أنظار المراقبين الخارجيين، وكذلك متتبعى وجهات النظر الإسلامية وقرائها على الإنترنت.

توجد مجموعة من الفتاوى الإسلامية التى تذكر أنها تمثل مرجعية على الإنترنت. ولهذه الفتاوى مجموعة متنوعة من الأجندات. تتراوح هذه الفتاوى بين تناول القضايا الدنيوية من الحياة اليومية إلى التعليق والحث على اتخاذ رد فعل إيجابى فيما يتعلق بالشئون العالمية. قد يكون من الصعب التعميم، حيث تتباين أشكال المواقع. تشجع بعض المواقع القراء على التقدم بالالتماسات والأسئلة، بمستويات عالية من التفاعل، من بينها تقديم المشورة الشخصية. بينما تفضل مواقع أخرى إبداء رأيها فى قضايا محددة، ربما عبر عرض للمواعظ والخطب.

لا تتجسد المرجعية الدينية بالضرورة فى عالِم دين أو صاحب نظرية، حيث إن القرآن المنزل هو الصوت الإسلامى المرجعى على الإنترنت. تتردد أصداء أصوات أخرى على الإنترنت، بدءًا من محمد (ص) إلى أجيال من المرجعيات والفقهاء والزعماء الدينيين والأئمة والمرشدين. يضاف إلى تلك الأصوات أصوات تفتقر إلى أية خلفيات فى العلوم الإسلامية التقليدية، وممن يستخدمون الإنترنت لعرض وجهات نظرهم الشخصية. سعت بعض الأصوات للترويج لأشكال مختلفة من التفسير الإسلامى، بدءًا مما يعرف باسم الإسلام الليبرالى والتقدمى إلى مفاهيم الجهاد العسكرى.

فى إحدى الفترات حاولت مؤسسات كالأزهر أو قم "اللحاق" بغيرها، فعملت على استثمار الموارد لتطوير مصادر متعددة اللغات. يمكن لخيالنا أن يولد صورة لأحد الأئمة الكبار، أو آيات الله، أو المشايخ وهو يجلس على جهاز الكمبيوتر الخاص به، لتكوين استجابات تشعبية عبر الإنترنت للسائلين. وفى الواقع، فمن

المرجح أن يكون وسطاؤه هم من يقومون بإدخال البيانات، وبناء الصفحات، وإدارة قواعد البيانات.

يثير هذا قضايا كيفية توسط المحتوَى، وترجمته، وتكييفه لغوياً أثناء رحلته إلى النص التشعبى. وبشكل ما فإن الحوارات استمرارية تاريخية مع أساليب التفاعل والتواصل التقليدية. وتعود هذه الأطر والمفاهيم العلمية المتكاملة إلى أنماط من التشاور ونقل المعارف التى أسسها القرآن وسنة محمد (ص).

تعزى الطبيعة المتغيرة للمرجعية الدينية الإسلامية فى جزء منها إلى استخدام الإنترنت إلى جانب أشكال أخرى من الميديا كالقنوات الفضائية: "يؤكد كثير من السعوديين أن قبضة الوهابيين الحديدية بدأت تنفك مع التوسع فى الوصول - جزئيًا عن طريق الإنترنت والقنوات الفضائية - إلى دعاة إسلاميين أكثر اعتدالاً فى كل مكان فى العالم العربى".

قد يمكن لأتباع منظور معين أن يحددوا ما إن كانوا يرون أن أحد المواقع يتمتع بالمصداقية والمشروعية. تشمل هذه الطرق تطبيق تقنيات بحث متطورة مثل البحث عن اسم عالم معين، إلى جانب اطلاع داخلى مستمد من مجتمعاتهم. بعض المواقع أقل شفافية فى هذا الصدد، حيث تجذب القارىء العام لمنظور ما يقدَّم على أساس أنه التفسير النهائى للإسلام.

يثير هذا تساؤلات حول كيفية مقاربة القراء للميديا الرقمية والنت المقدس كوسيط لهم، لاسيما تحديد مدى مشروعية المعلومات والفتاوى. فى بعض الحالات، باتت صورة الأئمة والعلماء وهم ينضدون الفتاوى الدينية مباشرة على جهاز لابتوب حقيقة واقعة. يجابه هذا ظهور "مرجعيات" أخرى على الإنترنت، والذى لا يعكس تدريبهم بالضرورة المدارس المعترف بها أو تلقيهم التعليم التقليدى. هناك مناقشات طويلة حول شرعية "الفتاوى" والمؤهلات اللازمة لإدارة الجدل على الإنترنت. تَدمِج هذه الأفكار أشكالاً ونماذج معيارية من الحوار؛ ويمكن أن تشمل هذه الأفكار

مختلف تعريفات التفسير البراجماتي للمصادر الإسلامية في ضوء الظروف المعاصرة ("الاجتهاد") واستشارة العلماء الآخرين والحصول على إجماعهم ("الشورى"). أشار العلماء الذين ربما تحدتهم مثل هذه المفاهيم الجديدة إلى أن الفتوى ينبغي فقط أن تصدر عن رجال الدين ذوي المرجعية الدينية". ولا تزال هناك أسئلة حول الطريقة التي يمكننا بها تحديد تلك المرجعية.

ارتبط النموذج المعياري التقليدي للسلطة الدينية في الإسلام بتدريب الأفراد، عادةً الذكور، بدرجات متفاوتة في المعاهد و"المدارس" الإسلامية، التي ترتبط غالباً "بمذهب" أو مدرسة معينة من مذاهب أو مدارس الشريعة الإسلامية. ورغم عدم وجود ما يعادل "الكهنوت" في الإسلام، فإن الفرد المؤهل قد يؤم الناس في الصلاة ويصبح مصدراً للإجابة عن التساؤلات الدينية بالنسبة لمختلف مستويات المجتمع. لم يُلْغَ دور الإمام التقليدي، لكن المرجعيات الجديدة الآن بدأت في الظهور بتزايد على الإنترنت، سواء بشكل فردي أو كجزء من منظمات أوسع. يعكس هذا، من نواحٍ كثيرة، حقيقة أن المرجعية المقدسة متعددة الأوجه ويمكن أن تصبح في بعض الأحيان ما وصفها بسكاتوري إيكلمان بأنها "نوع واحد من المرجعية بين عدد من المرجعيات الأخرى".

يمكن أن تظهر المشورة أيضاً من خلال المنتديات خارج سيطرة الأئمة في هيئة الشبكات الاجتماعية على الإنترنت. تثير مشورة الويكي wiki هذه قضايا أخرى، حيث يحاول القراء مساعدة الآخرين في حل مشاكلهم بدرجات متفاوتة. قدم موقع Load-Islam هذه الخدمة، حيث يطلب القراء المشورة بالنسبة للنظام الغذائي والصور والقضايا الدينية والصداقة والهوية.

يمكن النظر إلى هذه الرؤى من خلال اقترانها بشخصيات رئيسية، تهيمن على الأفكار المرتبطة بالمرجعيات المقدسة في البيئات الإسلامية السيبرية وأيضا من منظور التنافسات القائمة بينها. الشيخ يوسف القرضاوي وآية الله السيستاني

اثنان من أبرز الأصوات السلطوية على الإنترنت - وهما صوتان شهيران فى أوساط السنة والشيعة على التوالى. وكلاهما مدعوم بمنافذ الميديا للترويج لرسائلهما وأفكارهما.

وبما أننا ناقشنا إنتاج السيستانى فى موضع سابق فى هذا الكتاب، سوف نركز هنا على القرضاوى المقيم بقطر. جعل أنصاره الإنترنت جزءًا من استراتيجيات الميديا الأوسع التى تتضافر مع عمله بالتليفزيون. وكان لترجمة مؤلفاته على الإنترنت وإعادة إنتاج أعماله على مواقع منسوبة إليه على الويب عظيم الأثر. كان أتباع القرضاوى وراء موقع الإسلام أون لاين باللغتين الإنجليزية والعربية لتفسيرات وفتاوى دينية، من بينها تفاعل مباشر مع العلماء فى جلسات الأسئلة والإجابة.

تركز الاستشارة السيبرية وقاعدة بيانات الفتاوى على موقع "الإسلام أون لاين" على ردود الفعل تجاه القضايا المعاصرة التى تؤثر على المجتمعات المسلمة. تتصف الأسئلة فى بعض الحالات بأنها ذات طابع شخصى للغاية وبعلاقتها الوثيقة بالحياة الشخصية وتأثيرها فيها، خاصة تلك المتعلقة بمسائل العلاقات الإنسانية والنشاط الجنسى. قد تكون هذه الأسئلة مشحونة بالمشاعر الزخمة والاستفزاز، وتمثل تحديًا للمعايير الإسلامية التقليدية. يتبنى أصحاب الأسئلة أسماء مستعارة. يتولى الرد مستشارون أو علماء أو كلاهما، يقدمون رؤيتهم التفسيرية الخاصة لجمهور عالمى ويستندون إلى جوانب من المصادر والعلوم الإسلامية فى هذه العملية. تطبق القرائن القرآنية حين يكون السياق مناسبًا، وتصاغ الإجابات فى إطار دينى.

الويب أيضًا قناة لنقد مثل هؤلاء العلماء؛ فعلى سبيل المثال، كتب المدون "محمود" عن القرضاوى قائلاً: "أنا محتار فى محاولة التصالح مع أحكامه المؤثرة، بالنسبة لعالم مشهور جداً، وشخص يفترض أنه متعلم، كيف يمكن أن تكون الأمور إما سوداء جدًا أو بيضاء جداً فى تفكيره؟" أثارت معارضة القرضاوى لحرب

العراق المزيد من الغضب ضد تلك الحرب على الإنترنت عندما وقّع على إعلان أصدره الإخوان المسلمون (ووقعه عدد من العلماء) لإدانة العمليات الأمريكية فى العراق.

أذكر أننى ناقشت التجول بحثًا عن فتوى دينية حول موضوع ما مع علماء إسلاميين فى باكستان وماليزيا فى الفترة التى سبقت انتشار مواقع الأسئلة والأجوبة الإسلامية على نطاق واسع. باتت الظاهرة الآن بارزة فى خطاب الإنترنت. قد تكون هناك إجابات مختلفة لأسئلة متشابهة، اعتمادًا على أى مواقع يزورها المتصفح. وفى حين زادت مكانة بعض العلماء وشهرتهم، تثار التساؤلات حول ما إن كان قد تحقق قدر أكبر من الوضوح بالنسبة لأولئك الساعين إلى المشورة ضمن اقتصاد المعرفة هذا.

تجاوز إدراك فاعلية الإنترنت كوسيلة لتقديم الخطاب الدينى والمرجعية الدينية الحواجز الجغرافية والدينية والثقافية. دخلت العديد من المرجعيات هذا البعد من أبعاد البيئات الإسلامية السيبرية، مما يدل على بعض إمكانيات التواصل المثيرة للاهتمام. أطلق مفتى سوريا أحمد كفتارو موقعًا رسميًا فى ٢٠٠٥ اشتمل على ترجمات لخطبه بعدة لغات، إلى جانب روابط مع تفاسير قرآنية مستقاة من مصدر باكستانى. ويجرى تحديث الموقع بانتظام بمحاضرات، وسِيَر، وغيرها من المواد باللغات الروسية والإسبانية والألمانية والتركية واليابانية والفرنسية والعربية والإنجليزية. يعمل هذا على تجاوز مرجعية كفتارو مجال نفوذه التقليدى إلى حد كبير.

لا تتسم المرجعيات الدينية بالتعنت فى استخدام الويب فى سياقات محددة. أخبر محمد، وهو داعية سعودى شاب، صحيفة "الحياة": أكثر وسائل الدعوة فاعلية هذه الأيام هى الإنترنت والقنوات الفضائية، رغم محاولة بعض الأشخاص نشر تعاليم أخرى بزعم أنهم هم هؤلاء الدعاة، وبالتالى فهم يدمرون سمعتهم".

لا يقل عن هذا أهمية ظهور الفتاوى الدينية من خارج الأطر التقليدية. يفتح هذا الخيارات لأولئك القادرين على تحدى الفتاوى الدينية "السائدة" والتعاطى معها عبر الويب. يمكن أن يتراوح هذا بين الأئمة المتواجدين فى سياقات "أقليات" "غربية" إلى شخصيات السلطة الجهادية (وهذان ليسا مترادفين) الذين استخدموا التكنولوجيا لتعزيز صورهم وشهرتهم وبصمات مرجعيتهم. ولا تخلو هذه الأنشطة من خطورة على القائمين عليها، حيث قد يتعرضون للملاحقة القانونية.

استخدم هؤلاء الابتكارات التقنية لحشد جمهور غير راضٍ عن التقاليد، وغدا النت بالنسبة لهم المكان الطبيعى للحصول على المعلومات والحوار مع الأقران. من الضرورى تضمين أساليب فهم استخدام الإنترنت المختلفة التى تتجاوز الشرق الأوسط لتصل إلى الثقافات والأطر الإسلامية المتنوعة. سرعان ما ظهرت نماذج جديدة من التعبير الدينى فى التيار السائد بما يتماشى مع معدلات النمو فى الوصول إلى الإنترنت.

تندرج جميع أشكال الإسلام فى إطار هذا التحول الكبير فى نماذج المرجعية الدينية، مع تركيز بعضها على تقديم أشكال «دين الإنترنت». يأتى من القدس موقع يتمحور حول الشيخ عبد الرحمن الشاذلى، وهو المرشد الروحى للطريقة الصوفية الشاذلية. تتأكد أهميته، فى رأى مصممى الموقع، على الإنترنت من خلال موقع يضم لقاءات مع الشيخ ويناقش دوره كشخص يمكن أن يقرب أتباعه إلى الله.

يمكننا أن نشهد تنوع المرجعية الدينية الصوفية من خلال تمثيل الطريقة الصوفية النقشبندية الدولية، إذ تتسم بفضاءات إقليمية متميزة على الويب، وفى مواقع تمثل أتباع الشيخ السنغالى أحمدو بامبا. للأبعاد الباطنية فى الإسلام مظهر رقمى، حيث توفر المؤشرات عبر الإنترنت وجهات النظر الدينية والفلسفات والرموز التى ترتبط بشبكات أوسع من أوجه التفاهم ذات الصلة. قد تتناقض مثل

هذه المواد مع الأطر الشرعية والسياسية والجهادية للتفسير الإسلامى الذى يُعْرَض فى أماكن أخرى كثيرة على الإنترنت. كما ترتبط، باستنادها إلى هامش تكنولوجى، بالتقاليد الإسلامية الراسخة، وأطر المعرفة التاريخية، وشتى الأفكار عن المقدس. وترتبط بمثل هذه الأفكار ذات المرجعية الدينية الخطب التى يمكن الاطلاع عليها على الإنترنت، وهذه تشكل جزءًا من عملية ميديا معقدة. تبث الخطب على الراديو والتليفزيون ومن خلال المادة المطبوعة وتسجيلات الأقراص المضغوطة - وهو جزء من تطور ما يوصف بأنه "الإسلام الصوتى".

اعتمد الداعية المصرى عمرو خالد خريج الأزهر على استراتيجية ميديا متكاملة "للإسلام الصوتى". يحتوى موقع عمرو خالد على نسخ مكتوبة لكثير من "محاضراته"/خطبه. تتنوع الموضوعات وتتميز بتوجهها الشعبوى. يقدم خالد محتوىً لأولئك المسلمين الذين يعيشون فى سياقات أقلية إلى جانب مناقشات حول المسلمين فى بريطانيا واستراتيجية حول إدخال لاعبين مسلمين فى فريق إنجلترا لكرة القدم للعب كأس العالم لعام ٢٠١٠ .

لا يسلم هذا التركيز على الموضوعات "الشعبوية" من النقد، وكان موضوع نقاش حاد فى المنتديات وكما ذكر صاحب تعليقٍ: "عمرو خالد هو ما أحب أن أطلق عليه "بوابة" إلى الجهل الدينى (أو التطرف، اختر أيهما) بنفس الطريقة التى يسمى بها الناس الماريجوانا بوابة المخدرات. يتحدث عن حياة الصحابة، ويزخرفها بقدر ما يستطيع ثم يقارنها "بشباب اليوم" ويجعلك تشعر بأنك غير جدير بأن تدعو نفسك مسلمًا. إلى جانب ذلك يحاول مخاطبة الشباب بلغتهم ويتواصل معهم جيداً، بحيث يجعل نفسه يبدو شخصاً معتدلاً".

بالرغم من مثل هذه التعليقات، لا يزال عمرو خالد يحتفظ بمستوى عالٍ من الشعبية. تستخدم منظمته الويب كجزء من منهج الوسائط المتعددة المتكاملة، تدعمها موارد كبيرة بهدف إيصال رسالته وتعزيز واجهته (أو واجهاته). وبينما

تقبل الكثير من الناس رسالته وصورته على الإنترنت، كان هناك صراع بين عمرو خالد والقرضاوى فى ٢٠٠٦، والذى دار جزء منه عبر الإنترنت، حول الأساليب الواجب اتباعها تجاه أزمة "الرسوم الكاريكاتورية".

أدت قدرة الإنترنت كأداة للانتشار إلى التركيز المتزايد على منتجه. وزادت بقوة محاولات السيطرة على التصريحات على الويب أو مواجهتها. بات بعض رجال الدين السعوديين، على سبيل المثال، مثار غضب السلطة فى دعمهم المزعوم للتشدد وطُلِبَ منهم الرجوع عن مواقفهم التى وردت فى الخطب التى وضعت على الإنترنت. بينما قام "علماء" آخرون بتغييرات كبيرة فى نبرة تصريحاتهم العامة ومضمونها وصاروا أنفسهم أهدافًا لسوء المعاملة على الإنترنت.

يدخل الكثير من متصفحى الإنترنت إلى مناطق الفتوى لأسباب متعددة. استخدم المسلمون الإنترنت لإصدار فتوى ضد أسامة بن لادن، عبر موقع اتحاد الهيئات الدينية الإسلامية. جذبت الفتاوى "الخلافية" قدراً أكبر من الشهرة والنقد عندما نُشِرَت على الإنترنت، ولا سيما الفتوى الصادرة عن الشيخ يوسف الأحمد التى تحظر على النساء العمل كطيارات. ولا يقل إثارة للخلاف البيان الصادر على الإنترنت لدعم الجهاد "المسلح"، والذى وقعه "العلماء" فى المملكة العربية السعودية فى نوفمبر ٢٠٠٤.

رَدَّ المفتى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ على هذه الفتوى وفتاوى مماثلة حينما أعلن (فى تصريح انتشر انتشاراً واسعًا عندما ظهر على الإنترنت) أن الإسلام لا يتسامح مع إراقة الدماء، ومن ثَمَّ فإنه يحرم قتل الناس عشوائيًا سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. أدى الارتباك بشأن ما تُصوِّر أنه إسراف فى الفتاوى، وفى بعض الحالات مضمونها، بالمفتى للدعوة إلى سجن بعض علماء الدين الذين يظهرون على الإنترنت. ذكر المفتى بعد حالة شهيرة انتشرت فيها فتاوى تروج للجهاد فى العراق أن كل من يتعمد الاستهزاء بالأحكام يستهزئ بالدين

والعلماء. وأن مثل هذا الشخص يستحق العقاب وفقًا لقواعد الشريعة الإسلامية لردع الآخرين عن إصدار أحكام مضللة تنتقل عادةً عبر الإنترنت.

أثارت مسألة فتاوى الإنترنت برمتها ووضع علماء الدين جدلاً ساخنًا بالمملكة العربية السعودية، خاصة من أولئك القلقين بشأن الفتاوى التي تظهر بعيداً عن نفوذ المفتين السعوديين الرسميين. جاء أحد ردود الفعل على هذا القرار في صورة مناقشة عامة حول فاعلية الفتاوى:

> على مر السنين، ومنذ وصل الإنترنت إلى المملكة، ينشر أناس يدّعون أنهم شيوخ الفتاوى التي تسمم عقول جيل الشباب يمينًا ويسارًا، وتستخف بذكاء الناس. في العام الماضي، أخبرني زميل لي في عرب نيوز عن فتوى صدرت عن شيخ مغمور على الإنترنت قال فيها إن دخول المرأة على الإنترنت وحدها بدون محرم حرام. مثل هذه الفتوى، في رأيي، مقززة للنفس. ذلك الشخص الذي يدعي أنه يدرس الإسلام ويشك في نوايا جميع نساء المسلمين اللاتي يدخلن على الإنترنت، ويصدر أحكامًا عليهن بارتكاب الآثام مثالٌ للتعصب المحض. الإنترنت، كأي أداة أخرى، يمكن استخدامها في الخير والشر. الرجال مسئولون تمامًا كالنساء عند الدخول على الإنترنت. فلماذا يجب أن نشك في النساء فقط؟ تتزامن هذه الفتوى مع الهراء الآخر الذي نسمعه من الشيوخ، بعضهم على الإذاعة والتليفزيون الوطنيين، والذين يقولون إن النساء عين كل الشرور في العالم، ولابد من إخضاعهن ومراقبتهن بعناية وحرص.

الخطب والتعليقات والفتاوى عناصر محورية فى البيئات الإسلامية السيبرية، حيث توفر كثير من المواقع موارد يتم تحديثها بانتظام. موقع "المنبر" Almin-bar.com، وهو موقع فى مكة مخصص للخطب، ينظمها وفقًا لموضوعها وبلد المنشأ في قواعد بيانات يمكن البحث فيها بالعربية والإنجليزية. يحرص "المنبر" على التعريف بالمساهمين وذكر مؤهلاتهم: "عندما نتصفح المواقع الإسلامية على الإنترنت، نلاحظ أن كثيرًا من المواقع لا تقدم تعريفاً بأولئك الذين يديرون الموقع ويشرفون عليه. هذا رغم حقيقة أن هذه المواقع تقدم مادة متوازنة وموضوعية بوجه عام، وهو أمر جدير بالثناء بطبيعة الحال وشيء نفتخر به فى موقعنا". تظهر بموقع Khutbah.com الخطب مصنفة وفقًا لموضوعات "القضايا المجتمعية"، و"السعى إلى المعرفة"، و"العقائد الإسلامية"، و"العودة الى الله". تتميز المادة فى هذا الموقع بأنها سنية التوجه؛ كما يحتوى أيضًا على مقالات، ومنتدى للنقاش، وقائمة بريد إلكترونى. يُربط موقع "الخطبة" بموقع emanrush.com (الذى يبث مواد سمعية ويروج لحلقات المغرب الدراسية) ومعهد تعليمى، هو معهد المغرب، ومؤسسه الأستاذ محمد الشريف، المقيم فى أوتاوا بكندا الذى يعتبر نموذجًا لافتًا لعالمٍ يعيش فى سياق الأقليات يقدم خطبه لجمهور دولى باللغات الفرنسية والألمانية والإنجليزية. ويمكن الوصول إلى أعماله من خلال منتديات الجالية، التى تركز على "قبائل" من أتباع معهد المغرب الذى أنشئ فى أمريكا الشمالية ويبدو أنه موجه بشكل خاص للشباب (كما يتضح فى إعلان، "المغرب فى ممفيس: الجميع يقولون "ييييييييياااااه!!!!!")

غدا إلقاء الخطب وتداولها على الإنترنت شأنًا كوكبيًا، بدءًا من أكبر معهد دولى للتعليم الإسلامى إلى أصغر مسجد. تجاوزت الخطب الحدود الدولية واندمجت مع نطاق عريض من المصالح. أثر الخطب فى سياقات الأقليات المسلمة مهم لأنها تعرض صوتًا أو أصواتًا تبين أن المسلمين إيجابيون فى التعاطى مع أمور إقليمية

وثقافية محددة، والتى قد تكون مختلفة للغاية عن سياقات الأغلبية.

الواجبات الدينية الأخرى

كما رأينا سابقًا، يمكن أن يجد المسلمون الافتراضيون المشورة والتفسيرات المتعلقة

بجوانب عناصر كثيرة من التفسير الإسلامى عبر قنوات الإنترنت. وهذا أمر مهم عندما يكون الإنترنت نقطة البدء الأولى بالنسبة للبحث عن المعلومات فى العديد من السياقات. يشمل توفير المعلومات على الإنترنت ضرورات الحياة الأساسية، حيث تسعى الكثير من المواقع لتقديم مصادر تعريفية عن الإسلام. يستكشف القسم التالى بعض هذه العناصر بالتفصيل كوسيلة لمقاربة شتى جوانب اقتصاد المعرفة عبر الإنترنت وعلاقته بأبعاد الإسلام المقدسة.

الطعام. يرتبط أحد أمثلة هذا التخصص بالبيئات الإسلامية السيبرية بالقضايا التى تتناول الطعام. هناك معايير صارمة بشأن ما هو مباح (حلال) أو ما يعتبر تناوله غير جائز وفقًا لتعاليم الإسلام. يشمل هذا حظرًا واضحًا على بعض الأطعمة (مثل لحم الخنزير) ومشروبات معينة (مثل أى شىء يحتوى على الكحول). ثمة عمليات محددة متطلبة لإنتاج الأغذية وتشمل الوسائل "المناسبة" لذبح الحيوانات. تستند هذه المعايير إلى القرآن والمصادر الإسلامية الأخرى، وهى موضوعات تُناقَش بالتفصيل على الإنترنت.

كرست بعض المواقع نفسها لهذه المهمة، مثل موقع "كُلْ الحلال" "eat-halal" الكندى. يحتوى هذا الموقع على معلومات عن الأطعمة الخاصة، والمشورة بشأن طرق ذبح الحيوانات، والوصفات، ودليل المطاعم، والمشورة الصحية، ودليل المنتجات. يُدمَج الموقع بروابط تجارية لمنتجات مثل منتجات اللحم الحلال والڤيتامينات.

من الممكن أيضًا البحث عن مطعم مناسب على الإنترنت. يرتبط مصطلح

"الذبيحة" بطرق ذبح الحيوانات. يحتوى موقع Zabihah.com على قاعدة بيانات يمكن البحث فيها حول المطاعم وآراء الزبائن والنصائح. ادعى الموقع الحصول "١٣٩٦٠ رأى من ٣٦١٤ مؤسسة"؛ فى أمريكا وأوروبا بصورة أساسية. يوجد رابط لهذا الموقع المنظم إقليميًا بقاعدة بيانات موقع "كل الحلال". كما تَرِد قضايا السفر فى آراء حول الوجبات التى تقدم على متن الطائرات استناداً إلى مختلف المعايير الإسلامية.

يبين الموقع كيف يمكن أن تربط البيئات الإسلامية السيبرية بموارد وأدوات أخرى من خلال إدماج خرائط جوجل فى الآراء. وتوفر أيضًا الفرصة للقراء ليقدموا المعلومات والآراء الخاصة بهم بشأن موضوعات تتجاوز بين الحين والآخر قضايا الطعام. تلقَّى مصمم الموقع شهيد أمان الله "رسائل غاضبة بالبريد الإلكترونى من أصحاب أسواق ومطاعم الطعام الحلال يشكون فيها من الآراء المسيئة لهم، لدرجة أنهم أحيانًا يهددون برفع دعاوى قضائية".

تفحصتُ قاعدة بيانات موقع "أكل الحلال" لمنطقة شرق لندن بالمملكة المتحدة، حيث إننى أعرف الكثير من المطاعم فى تلك المنطقة. تتسم هذه المنطقة بنسبة عالية من السكان المسلمين، لاسيما فى أحياء تاور هاملتس ونيوهام، التى تتميز بصلات قوية ببنجلاديش وباكستان على التوالى. أثار الموقع قضايا مثيرة للجدل. ناقش المنتقدون على الإنترنت كيفية استخدام "اللحم الرخيص" فى بعض المطاعم، وما يتعلق بذلك من آثار صحية. بينما انتقد آخرون مطاعم الطعام الحلال التى تقدم فيها الكحوليات، حيث يُحَرَّم تناول المُسْكِرات فى المصادر الإسلامية. شكا أحد المعترضين أن "بعض الزبائن غير المسلمين كانوا سكارى". "كيف يمكن لعائلة مسلمة محترمة أو لأخوات فى الإسلام الجلوس فى مثل هذه المطاعم؟ على هؤلاء أن يكونوا قدوة لكنهم غير مهتمين إلا بتحقيق أرباح كبيرة من الحرام. هناك حقيقة أخرى هى أن هناك [أمثال تلك المطاعم] خلف مسجد شرق لندن، والمركز الإسلامى

فى لندن، فلماذا لا يقوم أى أخ مسلم من ذلك المسجد، بمراجعتهم وتصحيحهم".
أثار هذا حوارًا متواصلاً على الإنترنت، رغم أن أحد القراء اعتقد أن الويب ليس المنتدى المناسب لمناقشة قضية السُّكْر. ما يهمنا هنا هو كيف أصبح الويب مكانًا للقضايا اليومية والدنيوية (فى أحد مستوياتها) مثل تناول الطعام فى المطاعم وليس فقط أمور الحياة والموت الكبرى.

"**المعاملات المالية**". تشكلت الشبكات الإسلامية على مر التاريخ غالبًا على أساس التبادل التجارى، والتى توسع من خلالها مدى الإسلام. تمتع التجار مع توسع الإسلام بعيداً عن أصوله العربية بأدوار بارزة فى دخول الناس فى الإسلام من خلال طرق التجارة العالمية. أتى التجار بالإسلام إلى "طريق الحرير" المؤدى إلى الصين، فى أعقاب الفتوحات الإسلامية فى شبه القارة الهندية وخلق فرصاً تجارية فى جميع أنحاء جنوب شرق آسيا. غدت التجارة عنصراً مهمًا أيضًا فى الشبكات الإسلامية المعاصرة على الإنترنت، حيث تعمل طرق التجارة بمثابة قنوات للأفكار والسلع الدينية فى السوق الإلكترونية.

أصبح الإنترنت "سوقًا"، ليس فقط للأفكار بل أيضًا للمنتجات التى تمثل الروح الإسلامية. هناك مناطق على eBay تبيع المصاحف والحجاب والملابس الإسلامية الأخرى، إلى جانب البرمجيات، والتسجيلات متعددة الأشكال، والكتب، والخط العربى، والطعام، والسِّبَح، والمنتجات الأخرى للمتسوقين المسلمين على الإنترنت. عزز تطبيق المعاملات الحلال وتوفير المنتجات الملائمة إسلاميًا عبر الحدود موقف الشركات التى تبيع السلع الإسلامية وفتحت شبكات جديدة للاتصالات والتجارة.

يمكن للجماعات والأفراد المنعزلين العثور على المنتجات التى تتفق مع المعايير الإسلامية على الإنترنت. قد يكون هذا المنتج كتابًا يقدم فهمًا تفسيريًا محدداً للقرآن، متمشياً مع التوجهات اللغوية والسياسية والثقافية الإثنية. وقد يكون قطعة ملابس، بما فيها أحدث موضات الحجاب. وربما تكون موسيقى من فرقة "أناشيد"

فى ماليزيا أو موسيقى ابتهالات من السنغال. يمتد هذا المفهوم أيضًا إلى خيارات التحميل، مثل المادة الموسيقية المتاحة من خلال iTunes أو تحميل الأفلام عبر Bit-Torrent.

يمكن أن تتواجد السلع الإسلامية من خلال الأسواق الإلكترونية السائدة. يخزن Amazon.com مجموعة واسعة من الكتب والموسيقى وأقراص الفيديو الرقمية (دى فى دى) التى يمكن أن تصنف على أنها إسلامية. كما يمكن شراء الأفلام السينمائية التى تتناول تيمات إسلامية أو يمثل بها ممثلون مسلمون أو تجرى أحداثها فى سياقات إسلامية عبر الإنترنت. يمكن أن تكون الصفقة تقليدية، وذلك باستخدام بطاقة الائتمان وباى بال، لكنها أيضًا قد تستخدم الدينار الإلكترونى ("e-dinar")، وهذا نظام للعملة نادت به بعض جماعات الضغط المسلمة على أساس الأوزان والمقاييس من زمن النبى محمد (ص) ومجتمعه الأول.

القطاع المالى عنصر مهم من عناصر إدماج استخدامات الإنترنت الإسلامية فى أساليب حياة المسلمين الافتراضيين. ولهذا الأمر أهمية لاسيما بالنسبة لمن يتعاملون مع البنوك الإسلامية، التى تعتمد فيها الإدارة المالية والرقابة على مختلف مبادئ الشريعة الإسلامية. بصورة عامة، يندمج مفهوم البنوك المتوافقة مع "الشريعة" الإسلامية مع مفاهيم الاستثمار الأخلاقى وممارسة الإدارة المالية التى لا تسعى إلى فرض الفائدة على القروض أو الاستثمارات. ويتطلب إدماج العناصر المصرفية الإلكترونية مع واجهة إسلامية ممارسة المبادئ المصرفية الأساسية، إلى جانب القضايا المصرفية التقليدية الخاصة بالأمان والمعاملات. تتوفر الخدمات الآن بالعديد من اللغات، وهى مصممة خصيصًا لأسواق محددة وجماعات ثقافية ودينية فى قطاعى الأفراد والشركات. كما بدأت البنوك التقليدية أيضًا فى توفير الخدمات المصرفية الإلكترونية الإسلامية لعملائها.

تمتد مبادئ العمل المصرفى الإسلامى فى بعض السياقات إلى أفكار عن

الأماكن لتشمل خيارات الخدمة التى تفصل بين الجنسين، مثل الفصل بين الرجال والنساء فى الطوابير والصرافين وتعامل الموظفين مع العملاء. شهدت البلدان الراسخة فى الخدمات المصرفية الإسلامية والتى تتمتع بسجل واستثمارات فى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (مثل ماليزيا) نمواً كبيراً داخل هذا القطاع. قد يكون العنصر الإسلامى فى البنوك مضمراً أكثر منه علنيًا: يضع بنك إسلام ماليزيا، على سبيل المثال، مواقيت الصلاة بشكل بارز على صفحته الرئيسية، لكن، باستثناء اسمه، فإن هذا البنك لا يرتبط بأية إشارة إلى هوية إسلامية محددة. يعكس هذا، بأشكال مختلفة، خبرة دخول فرع بنك إسلامى حقيقى، فى السياق الماليزى بالطبع. يشمل عملاؤهم أيضاً غير المسلمين الذين ينظرون إلى الخدمات باعتبارها مزايا من وجهة نظرهم المالية الشخصية.

يتيح مفهوم الخدمات المصرفية عبر الإنترنت المبنية على أسس إسلامية المعاملات الحلال فى السوق ويعمل بمثابة تيار تحتى مهم فى اقتصاد البيئات الإسلامية السيبرية. يمكن توسيع ذلك ليشمل مجموعة متنوعة من الاهتمامات والشركات المالية التى تعمل من خلال إطار إسلامى على الصعيدين العالمى والمحلى. ليس من المتخيل ظهور مقاومة لمفهوم اندماج تكنولوجيا المعلومات المساعدة فى العمل المصرفى الإسلامى والعمليات المالية. توظف العديد من البنوك خبرتها الدينية الخاصة، حيث يتواجد العلماء في مجالس إدارتها ويقومون بأدوار استشارية. ورغم ذلك، ربما تكون هناك اعتراضات على الطرق التى تقدم الشركات بها نفسها بوصفها "إسلامية" وتتعامل مع الحكومات والمؤسسات التى يفترض أنها فاسدة. على المستوى الشعبى، كان لشعبية نظام "الحوالة" لصرف العملات، حيث يمكن نقل الأموال مباشرةً من بلد إلى آخر إلكترونياً، أثر عميق.

امتدت الحياة الإسلامية على الإنترنت لتوفر العديد من الفرص الجديدة. قد تعكس هذه الفرص أشكالاً مختلفة من الممارسات التقليدية إلى حد ما، غير أن

المسلمين أيضًا صمموا أشكالاً جديدة من السلوك المناسب إسلاميًا، خاصة من حيث المعاملات. يسعى التجار المسلمون الآن إلى الحصول على تصنيف جيد على موقع eBay أو الإعلان من خلال لافتات إعلانية على مواقع إسلامية على الويب أو من خلال خدمات مثل GoogleAds. تتراوح المنتجات والخدمات المتنوعة التى يتم الإعلان عنها من خلال GoogleAds بين روابط لمواقع تحتوى على مقررات دراسات إسلامية على الإنترنت وطلبات للتبرعات للجمعيات الخيرية الإسلامية إلى تسويق البرمجيات الإسلامية.

أثارت هذه التطورات اهتمام عدد من العلماء، الذين يضطلع بعضهم بدور فاعل فى العمل المصرفى الإسلامى. استلزمت هذه التطورات أيضًا تطور الفتاوى المرتبطة بالممارسات على الإنترنت والمتعلقة بالتمويل. أصدر موقع Islamtoday.com فتاوى مرتبطة ببرامج تابعة له، واستخدام ملفات الكوكيز، وخدمات الإنترنت الإحالية (التى تحيل القارئ إلى مصادر متخصصة).

الدفاع عن المقدس

أُستخدم الإنترنت كأداة للدفاع عما يُتصور أنه القيم الإسلامية. لعل أهم مثال لاستخدام الإنترنت كأداة للتعبئة من قبل الجهات الإسلامية، ذاك التى أعقب نشر سلسلة من الرسوم الكاريكاتورية فى صحيفة "يولاندس بوستن" الدنماركية فى سبتمبر ٢٠٠٥. أدى ذلك فى النهاية إلى إثارة الجدل وردود الفعل الدولية.

جاءت الرسوم الاثنا عشر، التى نشرت فى صفحتين متقابلتين فى النسخة المطبوعة من الصحيفة، كرسوم توضيحية لمقال عن "حرية التعبير". صمم فنانون مختلفون الرسوم على صفحة بعنوان "وجه محمد"، ويبدو أن ما لا يقل عن خمسة من الرسوم قدمت صورة كاريكاتورية للرسول. ارتبط المقال بالصعوبات التى وجدها أحد الكتاب فى وضع الرسوم التوضيحية لكتاب عن محمد (ص)، كان الفنانون مترددين، (حرفيًا) خوفًا من إثارة غضب أطراف إسلامية معينة. ناقشت

هيئة تحرير "يولاندس بوستن" هذه المسألة، وأظهرت سلسلة الرسوم الكاريكاتورية المختارة رداً على ذلك. نُشِرَت هذه الرسوم أيضًا فى النسخة الإلكترونية من الصحيفة، ونسخها لاحقًا القراء على مواقع ومدونات أخرى.

حظى تمثيل محمد (ص) فى الرسوم بتركيز خاص ضمن التعليقات التى تلت نشرها فى البيئات الإسلامية السيبرية. أثار تصوير الرسول فى أى سياقٍ مصوَّرٍ قلقًا إشكاليًا محدداً، خاصة أن بعض السلطات الدينية تدين تصوير الإنسان بأى شكل من الأشكال التوضيحية. كان هذا محوراً للتكهنات، حيث يدل تاريخ الفنون الإسلامية (والفنون التى ينتجها مسلمون) أن للفنون التصويرية دوراً بارزاً فى بعض السياقات الثقافية الإسلامية. جزئيًا وكرد فعل للغموض الذى يحيط بهذه المسألة، ركزت روح الفنون الإسلامية تاريخيًا بدلاً من ذلك على أشكال أخرى من التعبير، كالخط العربى أو الفنون الهندسية.

استخدمت بعض الجهات المسلمة والإسلامية شبكة الإنترنت من أجل توصيل ردود الفعل وتنسيق الاحتجاجات المرتبطة بالرسوم، إذ بات ذلك أداة لتعبئة الرأى الإسلامى عبر الحدود والقارات، فيما يُستخدم كوسيلة أيضًا للتعبير عن أسباب القلق لجماهير أكبر. ظلت الرسوم نفسها فى مكانها على الإنترنت، رغم محاولات القرصنة، لكن الفضاء السيبرى نفسه لم يكن هدفًا محدداً للاحتجاجات. جرت بضع محاولات، على الأقل، قامت بها هيئات مقامة رسميًا مثل المؤسسات الإسلامية، لإغلاق المواقع التى كانت "مهينة" بالنسبة للمسلمين، رغم تطبيق أشكال أخرى من الضغط، والفلترة والردع. كان هذا نقيضًا للجدل الذى أثير حول موقع Suralikelt فى أواخر التسعينيات، عندما حاولت جامعة الأزهر إغلاق الموقع لادعائه أنه يقدم آيات قرآنية "جديدة"، وهى حملة أضافت المزيد من الدعاية والشهرة لمزوِّرى الآيات.

كان من المحتمل أن يثار الجدل حول الرسوم بدون الإنترنت وأجهزة الكمبيوتر،

لكن تنسيق ونشر وجهات النظر ومواد المصدر كان لابد له أن يكون أكثر صعوبة. يمكن مقارنة ذلك بالجدل الذى دار حول "آيات شيطانية" فى أواخر الثمانينيات و"الفتوى" الإيرانية الناجمة عنها ضد سلمان رشدى، الذى أدين لتمثيله الروائى للرسول. اعتمدت هذه الحملة جزئيًا على أجهزة الفاكس لنشر المواد والترتيبات اللوچستية، إلى جانب المكالمات الهاتفية "التقليدية"، لكنها افتقرت إلى "ردود الفعل" والمداخلات من المراقبين والمشاركين العاديين. كانت ثمة مظاهرات ضد "آيات شيطانية"، كما نقلت وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة والمرئية صوراً تم اختيارها وتحريرها للمظاهرات إلى جميع أنحاء العالم. بطبيعة الحال، لا يمكن التشكيك فى أثر أشكال الميديا هذه أكثر فى تجلياتها الأكثر دقة تقنياً والخاصة بالقرن الحادى والعشرين على الجدل حول الرسوم وما أعقبها. ظهرت الصور لأول مرة فى صحيفة واحدة؛ وانتشرت أخبار الاحتجاجات المحلية فى الدنمارك فى كل مكان من خلال التقارير الصحفية والمسموعة والمرئية.

قد يتعرض أى شخص يقوم بتحميل رسوم "يولاندس بوستن" الكاريكاتورية فى سياق مسلم محلى، على سبيل المثال، فى الأماكن العامة كمقاهى الإنترنت، لبعض المخاطر إلا إذا كان التحميل لأغراض القيام بحملات مضادة أو النقد. المهم هنا هو أن الإنترنت بات أثناء الجدل الذى دار حول الرسوم الكاريكاتورية، مكانًا طبيعيًا لعدد لا يحصى من المناقشات حول هذا الموضوع. وفيما أنها ليست أول قضية تُعالج بهذه الطريقة، فهى تمثل علامة بارزة فى البيئات الإسلامية السيبرية. هناك اندماج بين قضايا وسياقات العالم الحقيقى، تضيِّق الفجوة بين الواجهة الإسلامية الرقمية و الاتصالات الإسلامية التقليدية، وتتضخم حينما يكون الدفاع عن المقدس هو الهدف الرئيسى.

تعليق ختامى

لا يكتمل أى تفسير للبيئات الإسلامية السيبرية دون فهم مبادئ الإسلام

الأساسية كما وردت فى الفضاء السيبرى. يمكن للإنترنت أن يلمس أبعاد المقدس ويعطى المتصفحين أفكاراً عن تنوع التعبير والفهم الإسلامى، ويحدث هذا فى أغلب الأحيان بعيداً تماماً عن العناوين الرئيسية اليومية التى تصدرها وسائل الإعلام الأخرى. تتمثل مبادئ الإسلام الأساسية تمثيلاً رقمياً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأوجه الفهم فى العالم الحقيقى بينما تتخذ أيضاً سمات جديدة تتعلق بأفكار الدين على الإنترنت.

يتسم أثر البيئات الإسلامية السيبرية على الممارسات المسلمة فى بعض المناطق بأنه أكثر وضوحاً من غيره. ورغم أن التعميمات أمر مستحيل، لكن من الجلىّ أن هناك حالات فردية تكون فيها الخدمات ذات طابع يغيّر الحياة. كما أن للعناصر التى تتعلق بخدمات الزواج على الإنترنت والمعاملات المالية أثراً واضحاً. لا يمكن تحديد مدى تأثر تفضيلات واختيارات مجالات أنماط الحياة الصغيرة إما بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال التعرض لمحتوى الإنترنت. أما بالنسبة للعناصر الأخرى من السلوك والممارسة الشعائرية، يتصف الأثر بأنه أكثر إضماراً ويصعب قياسه. ولابد من ملاحظة البراهين الإمبريقية وتسجيلها بغرض بناء انطباع أكثر اكتمالاً عن الحياة المسلمة المعاصرة.

قد لا نعرف مطلقاً أثر الفتاوى على الإنترنت بالنسبة للأفراد أو عدد الناس الذين يتبعونها، لكنها يمكن أن تشكل مصدراً مؤثراً للمواد التى يمكن البحث عنها بالنسبة للمتصفحين الباحثين عن إجابات متفردة عن أسئلة صعبة. تشير حقيقة أن العديد من المنظمات والأفراد تبذل جهوداً مستمرة لنشر الفتاوى بانتظام إلى أنهم يعتقدون أن لمحتواها أثراً قد يكون غير مُكلِّف ويمكن مقارنته بوسائل إعلام أخرى فى بعض السياقات.

عادة ما يكون تقييم أثر المواد مشكلاً، وقد مثّلَ لى منهجى الظاهراتى فى معالجة موضوع البحث منظومة مختلفة من التحديات بسبب الحاجة لجمع الأنشطة

الإسلامية وتسجيلها على الإنترنت. كما سنرى فى فصول لاحقة، يمكن أن يكون لأثر وسائل الإعلام الإخبارية على الإنترنت والمدونات يُطوِّر الاتجاهات ويخلق أشكالا جديدة من الشبكات المسلمة على الإنترنت. تشير الأدلة المستقاة من الحكايات التى تتولد فى المنتديات والمدونات، وكذلك المناقشات التى أجريتها شخصيًا مع مجموعة من المعارف، إلى الاهتمام الكبير الذى تحظى به جميع عناصر هذا الخطاب الناشىء حول الإسلام الذى يمكن الاطلاع عليه على الإنترنت.

حيثما تكون قضايا الوصول إلى الإنترنت متاحة بدرجة كبيرة، يمكن للبيئات الإسلامية السيبرية أن تلمس ظواهر وتجارب الناس على مستوى القاعدة الشعبية، فيما تتيح أيضًا نهجا لمقاربة الأشكال المختلفة لتوجيه صنع القرار الذى يقدمه الإنترنت. أصبح الإنترنت بالنسبة لبعض العلماء والمنظمات منفذًا طبيعيًا للنشر السريع للحوارات والمرجعيات الدينية، وتيسير الوصول لمجموعة متنوعة من القراء. ويمكن خلق ولاءات جديدة، وتطوير نماذج للشبكات المسلمة وتحسينها. ويمكنها جميعًا تأكيد صوابها بالاستشهاد بالقرآن الذى لا يزال التيمة المهيمنة فى البيئات الإسلامية السيبرية.



الفصل الرابع

عالم المدونات الإسلامية

باتت المدونات إضافات مهمة بالنسبة لاقتصاد المعرفة الإسلامية. يستعرض هذا الفصل كيف استفادت المدونات من جوانب عديدة مرتبطة بويب ٢,٠ لفتح فضاء حيوى للمسلمين الافتراضيين للمشاركة فى التعاون عبر الإنترنت وفى جمع أشكال المعلومات وتبادلها. تقدم المناقشة لمحة عامة عن المدونات الإسلامية تظهر فيها الكثير من عقدها ومحاورها المهمة. تُعَرَّف المدونات كمنطقة رئيسية تتعلق بالخطاب الإسلامى والمسلم على الإنترنت، كما نقدم أيضًا فكرة عن كيفية تأثير التطورات الأخرى ومداه فى أدوات الشبكات الاجتماعية بويب ٢,٠ على البيئات الإسلامية السيبرية.

زاد الوعى بأهمية المدونات زيادةً مطردة فى سياقات البيئات الإسلامية السيبرية، نظرًا للعدد الهائل من المدونات الإسلامية وذات الصلة بالمسلمين التى ظهرت فى أشكال مختلفة على الإنترنت. رتَّبنا فى هذا الكتاب المدونات المسلمة على أساس إقليمى بهدف إدارة ميجابايتات بيانات المدونات. واعتمدتُ، كما ناقشنا فى الفصل الأول، على مجموعة من الآر إس إس، والخلاصات، والمجمعات، وقوائم المدونات، والمصادر الأخرى فى زيارتى للمواقع.

هناك مجموعة أساسية من الصفحات المعروفة التى كنت أتفحصها مرة كل أسبوع على الأقل. وأثناء كتابة هذا الفصل، غيَّرَت بعض هذه المدونات مواقعها أو اختفت أو أجرت تحسينات تقنية، كما برزت مدونات جديدة أيضًا أضفتُها إلى المناقشة. يوفر هذا فرصة لإبراز العناصر المتميزة لتلك المدونات إلى جانب أوجه

التشابه ولاستكشاف العناصر الإسلامية ذات الصلة التى تشتمل عليها على وجه التحديد.

من غير الممكن إطلاق تعميمات عن ملامح المدونين الاجتماعية فى البيئات الإسلامية السيبرية لوجود جوانب قصور فيما يتعلق بالحصول على البيانات. يبدو من المنطقى، بالنظر إلى العوامل الأساسية الضمنية المتعلقة بالدخول على الإنترنت، أن نَخْلص إلى أن العديد من المدونين الذين تناولتهم المناقشة لا يزالون فى مرحلة ما بالتعليم العالى أو أنهم انتهوا منها. بعض هؤلاء مهنيون، من بينهم متخصصون وخبراء فى تكنولوجيا المعلومات وعلماء وجميعهم يتمتعون بمستويات عالية من الإلمام بالويب. هناك أيضاً عدد من الصحفيين الذين يلجأون لاستخدام المدونات لأن القنوات الأخرى تفرض قيوداً أكثر، أو للترويج لما يكتبونه. وجذب مفهوم المدونات

من يعملون فى الوظائف السياسية والدينية الرسمية، ومن بينهم الرؤساء والأئمة.

تتراوح الروايات بين المُسَيَّس والشخصى. يسعى البعض للتعليق على القضايا التفسيرية، ويحيلون إلى روابط لمصادر وشبكات إسلامية. قد يتخذ المحتوى بنية ذات صبغة شكلية تُدَعِّم المناقشة فيها باقتباسات من القرآن الكريم والحديث ومصادر الفقه. وقد تُصَمَّم المدونة كوسيلة مريحة لنقل المحتوى الذى كان يحتمل له أن يظهر على موقع "تقليدى" على الويب. بينما يعتمد آخرون طبيعة المذكرات للمدونات الإلكترونية ينشرون فيها تدوينات عن أنشطتهم اليومية، ويوردون ردود فعلهم على الأخبار من خلال التعليق ووضع روابط لمصادر أخرى على الإنترنت. هناك، بالطبع، العديد من المراوحات بين هذا وذاك؛ فبعض المدونين لا ينشر بانتظام، فيما يبدو البعض الآخر أنهم "أونلاين دائمًا"، حيث يدونون بكثافة عالية.

أصبح هذا يسيراً بوجه خاص مع التوسع فى الوصول إلى الويب والإنترنت اللاسلكى، فضلاً عن واجهات التدوين المتاحة من خلال الهواتف المحمولة وهواتف البلاكبيرى. وينافس إنتاجهم، الذى قد ينبثق من الشبكات التعاونية التى يمكنها تجاوز الحدود القومية مضمون مصادر الميديا التقليدية. يمكن لأى مدونة أن تترجم أو تحرر مواد مدونات أخرى أو تنسبها لنفسها أو ترتبط بها تشعبيًا، ويشمل هذا على نحو متزايد الفيديو وغيره من محتوى الوسائط المتعددة.

باختصار، التدوين قطاع ديناميكى وسريع التطور فى الفضاء السيبرى يعتمد عليه المسلمون الافتراضيون من مختلف القناعات السياسية والدينية. أفضت سهولة النشر وإتاحة فرص عدم الكشف عن الهوية إلى ظهور المحتوى الجهادى أيضًا ضمن أشكال المدونات. نشرت هذه المدونات مواداً عن أنشطة العمليات وعرضت مواد دعائية، من بينها مقاطع فيديو بمختلف وسائل الإعلام. وكلما أزال مزودو خدمة الإنترنت بعضًا من هذا المحتوى الجهادى، أدت سهولة الشكل إلى ظهوره سريعًا فى أماكن أخرى على مدونة أخرى. وسوف نتعرض للمصادر الجهادية

بالمناقشة بشكل منفصل فى الفصل الخامس.

تظهر الأشكال الجديدة من الشبكات المسلمة بوضوح فى المدونات، لاسيما تلك التى تستفيد من مزايا ويب ٢،٠ (وما جاء بعده من إصدارات). ناقش دان برشتاين كيف جمعت المدونات بين مدى واسع من التكنولوجيات مما حقّق ما كان ينظر إليه بوصفه الإمكانية المتصورة للإنترنت فى التسعينيات. هذا إلى جانب "الوجه الإنسانى الخام للعالم التكنولوجى الجديد الشجاع":

> التدوين إلى جانب كونه ظاهرة هائلة فى حد ذاتها، فهو أيضا رمز أساسى من رموز بناء مجتمع التفاعلية، والمحادثة الحقيقية: شخص لشخص، وشخص لجماعة، وجماعة لجماعة. قد يظل نوع المدونات التى نعرفها اليوم، بعد سنوات من الآن، موجوداً أو قد لا يوجد بشكل بارز كنوع يميزه الحذر، لكن المبادئ المتطورة التى تمثل اختراقًا لبناء المجتمع والأنشطة الاجتماعية التى تمثلها تلك المبادئ ستندمج ضمن الطريقة التى ستعمل بها الكثير من وسائل الاعلام لدينا فى المستقبل. التدوين هو "التطبيق الخارق" للجيل الحالى من ابتكارات الويب، مثلما كان البريد الإلكترونى والرسائل الفورية بالنسبة للابتكارات السابقة.

ذكر برشتاين أيضًا كيفية انقسام المدونات إلى قطاعات، حيث صارت بعضها مشروعات مهنية، حينما دخل لاعبو الميديا الرئيسيون منطقة تزويد الخدمة. البيئات الإسلامية السيبرية جزء من هذا التفاعل ويمكنها نفسها أن تمثل عنصراً حيوياً من عناصر التفاعل فيما بينها ضمن الاهتمامات السياسية والدينية.

يتراوح مدى تأثير المدونات حيث تصل من مقاهى الإنترنت فى "السوق" إلى الهيئات الحكومية ووسائل الإعلام الدولية. يمكن أن تكون المدونات منطلقًا للاحتجاج أو وسيلة للترويج للمعتقدات والقيم الإسلامية أو كليهما. ليس هناك فصل كبير بين عالم الإنترنت والعالم الحقيقى بالنسبة للمدونين من المسلمين الافتراضيين. وأصبحت المدونات إضافة مهمة، إن لم تكن الموضوع الرئيسى، للمحادثة والتحفيز الفكرى والشبكات المسلمة. كما أنها تصل إلى "الذيل الطويل" من قطاعات المستهلكين مع توصيل المحتوى المُحَمَّل بالمعانى، وتعمل مع ظهور المحتوى الذى يتسم بدرجة عالية من التخصص فى جميع قطاعات المدونات الإسلامية.

يشتد هذا الزخم مع زيادة الوصول إلى الإنترنت والإلمام بالتقنية. من المُسَلَّم به أن العديد من العناصر الدنيوية والتافهة موجودة أيضًا فى المدونات، رغم أن هذه فى حد ذاتها يمكن أن تمدنا بفكرة عن الثقافة والأخلاق الشعبية، بما فيها تقاطعها مع الإسلام. ثمة تقابل ملحوظ بين الطبيعة الشخصية للمدونات وبين المناطق الأخرى من البيئات الإسلامية السيبرية، ويتجلى ذلك فى تعليق زيزى باباتشاريسى: "تقدم المدونات التى ينظر إليها بوصفها أحدث اتجاه فى استخدام الإنترنت والنشر استخدامًا للإنترنت يعتمد على الاختيارات الشخصية والمرجعية الذاتية والمنفعة الذاتية، وهو وسيط قُدِّم لأول مرة بوصفه معلوماتيًا وَرسخ بعد ذلك أتباعًا بناء على سبل التواصل الاجتماعى الذى يقدمها».

يُعتبر هذا تمييزا مهما فى فهمنا للبيئات الإسلامية السيبرية؛ إذ تفتح المدونات أشكال الخطاب الإسلامى أمام التحليل الذى قد يكون ذا بؤرة شخصية للغاية. ويمكن أن يتقابل هذا مع ما تقدمه الصحافة فى سوق المعلومات التى لا تزال تقع تحت راية المدونات. يمكن أن تكون هذه التقابلات، بالنسبة للبيئات الإسلامية السيبرية، طرقًا لها نفس المصداقية فى مقاربة خطاب المسلمين الافتراضيين.

لا يُعَرِّف كل المدونين الذين تناولناهم بالمناقشة هنا أنفسهم فى البداية (أو على الإطلاق) بأنهم مدونون "إسلاميون" أو "مسلمون". البعض قد يصف نفسه باستخدام مصطلح "مُدَوِّن"، وهو استخدام مثير للاهتمام للمصطلح المشتق من الفعل "دَوَّن" الذى يعنى "يسجل، يكتب، يقيد، يقدم الكلام كتابةً". تشمل المصطلحات التى تُستَخْدَم فى اللغة العربية "للمدونات" كلمة "المفكرة" التى ترتبط دلالاتها المضمرة بالمذكرات ودفاتر الملاحظات. مما لا شك فيه أن مصطلحات أخرى ستظهر فى السياقات الإسلامية فيما يتعلق بالجوانب الأخرى من الإنترنت. ويشكل هذا جزءًا من استجابة شاملة للتطور التقنى والحاجة لمصطلحات محددة خاصة بتكنولوجيا معلومات الحاسب باللغة العربية. وفى هذا الصدد، كان مشروع عربايز يطور قاموسه العربى - الإنجليزى التعاونى التقنى الخاص.

يمثل التدوين عنصراً مهماً فى عملية تطورية تفاعلية دخلت التيار السائد لتشكل جوهر عمليات الجدل ونشر المعرفة وتعزيز المرجعية. من الأمور المهمة بوجه خاص منظور التدوين ذى الطبيعة الشخصية المفرطة، والذى ابتعد به عن بناء مواقع الويب التقليدية أو المشاركة فى غرف الدردشة، لاسيما من حيث الطرق التى تطورت من خلالها شخصيات المدونات الفردية وتدعمت عن طريق ما تقوم به من نشاط تدوينى.

اتسمت المفاهيم الشعبية المتعلقة بالمدونات كنوع ومكانتها فى غالبيتها بالسلبية فى البداية، إذ كان يُنْظَر إليها بوصفها شكلاً أدنى من الصحافة أو مكانًا للدردشة التافهة. وتنعكس هذه الآراء فى تناول مارك تريمين للأساطير والحقائق المتصلة بالمدونات:

> تكشف قراءة فى الصحافة الشعبية وأوائل الأبحاث
> المنشورة عن المدونات عن بعض التناقضات حيث
> يُوصَف عالم التدوين باعتباره منتدى للنقاش

السياسى، أو من ناحية أخرى، مجموعة من اليوميات الإلكترونية يكتبها مراهقون. كما يوصف بأنه المجال العام الافتراضى ومكان لنشر الشائعات، وأيضا بأنه شديد التفاعلية وبأنه ليس تفاعليًا أيضًا. ووصف بأنه مكان للترويح عن النفس بالنسبة للشباب المتعلم والمثقف تكنولوجيًا والرجال المحافظين إلى جانب المؤمنين بالمساواة. ووصف أيضًا بأنه ظاهرة عالمية تهيمن عليها الولايات المتحدة.

من الجلىّ أن هذه التناقضات والسمات (حسب وجهة نظرك) تعبِّر عن نفسها فى البيئات الإسلامية السيبرية بدرجات متفاوتة. تمثل المدونات أداة تواصل مهمة بالنسبة "لمواطنى النت" من المسلمين الافتراضيين، ولا يزال تأثيرها يزداد قوة فى زوايا النظر المحلية والعالمية. لابد لنا أن نفهم الديناميات المحددة التى تتحرك داخل شتى مناطق التدوين وفيما بينها. بعض المدونات ذات طبيعة صحفية تستهدف غالبًا جمهوراً عريضًا، بينما يشكِّل البعض الآخر جزءاً من جنس فرعى من المذكرات على الإنترنت وتستفيد من العناصر التفاعلية فى ويب ٢.٠. يمكن أن تمثل المدونات ذات التركيز الإسلامى تحديًا لأشكال الميديا السائدة، إلى جانب تأثيرها فى المجالات السياسية والدينية التى نجم عنها، فى بعض الحالات، تعرضها للقمع من جانب السلطات أو ضغط الرأى العام أو كليهما. ولا تزال هناك سلبية مضمرة، فى سياق البيئات الإسلامية السيبرية، من قِبل عناصر أخرى من الميديا فيما يتعلق بالمدونات.

من القضايا الرئيسية التساؤل عن السبب الذى يدفع المسلمين الافتراضيين نحو المدونات. وفى دراسة بحثية عن استخدام المدونات والفائدة من ورائها، بحثت باربرا كاى فى دوافع استخدام المدونات، وقدمت إطارًا قد يكون ذا صلة عند

ارتياد عالم المدونات الإسلامية، "جُمّعت" استناداً إلى مجموعة من بنود الدوافع، هذه البنود "في ١٠ مجموعات أوسع على أساس الدوافع: عرض/خصائص المدونة، وتحقيق الذات، والتعبير/الانضمام إلى المدونين ومستخدمي المدونات، والبحث عن المعلومات، الإشباع الفكري/الجمالي، والشعور بمشاعر مضادة تجاه الميديا التقليدية، البحث عن الإرشاد/الخيارات، والمواءمة، والرقابة السياسية، والتأكد من الحقائق". هذه الفئات ذات صلة بالبيئات الإسلامية السيبرية في نواحٍ كثيرة، لكن لو أُجريت الأبحاث لتحليل دوافع المدونين في المدونات الإسلامية، يمكن أن نتوقع عاملاً دينياً مهيمناً يتمتع بسيطرة أكبر ضمن هذا الإطار. ويمكن أيضاً ربط هذا النموذج بالمناقشة التي تناولناها في موضع سابق من هذا الكتاب عن ملامح القراء لتحديد ما إذا كانت الدوافع تختلف عندما يتصل المسلمون الافتراضيون بالمدونات. وعلى مستوى آخر، فمن الأمور ذات الصلة ربط المدونات بجوانب أخرى من البيئات الإسلامية السيبرية وسياقات ويب ٢,٠ التي قد تندمج بها. ويمكن أن تضاف فئات كاي إلى اقتراح حسين ديراخشان حول إمكانية وصف المدونات باستخدام صور مجازية: "نوافذ (الثقافة والمعلومات)، والجسور (المجتمع والنضال)، والمقاهي (السياسة)". وقد يكون هذا نموذجًا مفيداً بالنسبة لقطاعات أخرى مما يُعْرَف بعالم المدونات، أو شبكات مجتمعات التدوين.

تأتي المدونات، المتعلقة بالشبكات المسلمة، استجابة لفكرة مرونة النماذج التي تستجيب للتغير التقني والمجتمعي، لاسيما في وجود إطار مرجعي يمكن أن تُنْقَل الأفكار فيه فوراً ويتلقاها مدونون متعلمون وملمون بالتكنولوجيا ويردون عليها. يطرح تريمين بعض التعليقات الملائمة فيما يتعلق بعالم المدونات كشبكة، ويذكر مزية أرشفة اتصالاتها في الكثير من الحالات، وإمكانية تتبع علاقاتها الاجتماعية من خلال قائمة مدونات من الروابط الموصى بها ومن خلال روابط لتدوينات أخرى: "تحدد روابط كلا النوعين الاتجاه؛ قد أعتبرك جزءاً من شبكتي الاجتماعية لكنك لا

تعتبرنى جزءًا من شبكتك. تحديد الاتجاه مهم فى حساب مركزية عقدة معينة فى شبكة ما. تُشكِّل هذه الروابط والمدونات التى تتصل بها فى مجموعها عالم المدونات".

يتمثل دور هذه الروابط التشعبية فى كونها مؤشرات مهمة لفهم كيفية قيام عالم (أو عوالم) المدونات الإسلامية بوظيفتها، والعلاقات المعقدة بين المحاور رفيعة المستوى والعقد الهامشية داخل إحدى شبكات الإنترنت. كما تؤثر أيضًا على كيفية إنتاج المعلومات.

> أحد آثار الاتصالات القائمة على الشبكات هو تحويلُ التركيز من إنتاج المعلومات إلى "ثقافة تركيب المعلومات". ولا يمكن رؤية تركيب المعلومات إلا فى أوجه التفاوت فى السلطة على شبكة الإنترنت. يصبح بعض الكتّاب ومواقع الويب نقطة اتصال مركزية عن طريق التحديد الانتقائى للمعلومات وتنظيمها، أو صوتًا شخصيًا قويًا يجذب القراء من خلال توفير التركيب والإدماج. ربما تكون هناك مئات المدونات التى تطالعها مجموعات صغيرة من القراء المهتمين بالشخص أو بالقضية محل النقاش. وفى تلك المدونات، تستقر السلطة فى عدد محدود نسبيًا من المصادر التى تُعِدّ المعلومات وتنظمها وتُجمّعها من جميع أنحاء الشبكة.

من الممكن الحديث عن ثقافات التركيب والإدماج الإسلامية فيما يتعلق بالفضاء السيبرى وشبكات المعلومات. هناك، بالطبع، العديد من الأمثلة على ثقافات التركيب والإدماج الإسلامية التناظرية عبر الشبكات المسلمة أيضًا، وكثير منها تحافظ على

استمراريتها على الإنترنت. يتضح هذا عند البحث فى المدونات فى البيئات الإسلامية السيبرية، حينما نجد، بالتأكيد، أمثلة على تنظيم المعلومات الانتقائى وأيضًا على الأصوات الشخصية القوية. بالرغم من قضايا الوصول إلى الإنترنت والإلمام بها، يفضل قطاعٌ داخل الفضاء السيبرى المسلم المدونات بوصفها أداة للمناقشة والتواصل حول قضايا الدين والثقافة والمجتمع والسياسة والعقيدة. وهناك شعور بالربط بين هذه المناطق وغيرها من قطاعات البيئات الإسلامية السيبرية. كما يوفر التدوين وسيلة للتفاعل تتوسع وتدمج نماذج من أشكال الفهم الإسلامى الرقمية.

فى التحليل النهائى، قد لا يكتب المدونون عن الإسلام أو يُعَرِّفون أنفسهم على أنهم مسلمون، لكنهم لا يزالون يؤثرون فى الوسيلة التى تُفْهَم بها المدونات الإسلامية. قد يدمج هذا منظورات بين - إسلامية، حيث يعرف المدونون والقراء عن أقرانهم من خلال التعبير على الإنترنت. تواجه العديد من المدونات الإسلامية أشكال الميديا النمطية، لا سيما فى السياقات الغربية، مما يجعلها غاية فى الأهمية لفهم شامل للبيئات الإسلامية السيبرية؛ فهى توفر للقراء الوصول إلى الرؤى الشخصية للأفراد حول قضايا شديدة الأهمية. ويحدث هذا فى سياق ينشأ بسرعة، ويطور شبكات وعقدا جديدة.

رصد المدونات الإسلامية

يتطلب رصد تطورات المدونات فحص مجموعة متنوعة من القنوات. تسعى بوابات ومجمعات مخصصة للمدونات، والتى تعتمد على خلاصات الآر إس إس، إلى فهرسة المدونات بدرجات متفاوتة من النجاح، وبالتأكيد دون تطبيق معايير علمية أو أكاديمية. استخدم عدد من المدونين المسلمين المعروفين اللغة الإنجليزية كوسيط للتواصل فى الفترة التكوينية، إذ كانت البرمجيات المخصصة للغات الأخرى محدودة. وكان الكتّاب باللغة العربية يضعون أنفسهم على الإنترنت

باستخدام أدوات ويب تقليدية فى الفترة الأولى من تطور المدونات، لكن هذه الأدوات افتقرت إلى فورية استخدام أدوات التدوين الآلية المحددة وسهولتها. وكانت الأدوات ذات الشعبية مثل Moveable Type وBlogger تعمل بالأحرف الرومانية وتتطلب إلماماً باللغة الإنجليزية.

أتيحت أدوات مشابهة على نطاق أوسع باللغة العربية وغيرها من اللغات والكتابات. وغدا التدوين باللغة العربية، وبعد بداية بطيئة، قطاعًا تنافسيًا بصورة متزايدة بالنسبة لمزودى الخدمات والبوابات التى ترتبط بها. فى ٢٠٠٥، أطلقت "فاست لينك" و"جيران" و"البوابة" و"مكتوب" خدمات التدوين المجانية باللغتين العربية والإنجليزية. أدرك سردال، وهو من المدونين الرواد من الإمارات العربية المتحدة، الأثر المحتمل للمدونات باللغة العربية بالنسبة للشبكات الاجتماعية واحتمالات تغييرها للمجتمع المسلم.

نظرت بعض الجهات الخارجية إلى التدوين أيضاً كفرصة لتعزيز "الديمقراطية" داخل السياقات الإسلامية. أتاح موقع "الروح الأمريكية" Spirit of America أداة للتدوين باللغة العربية فى ٢٠٠٥، رغم المخاوف التى أعرب عنها البعض بشأن إخضاع الناتج المتاح للرقابة من خلال استخدام التطبيق. ودافع الموقع عن نفسه ضد الاتهامات بأنه كان يرصد المحتوى أو يراقبه. دعم موقع "الروح الأمريكية" تطبيق موقع "أمان المدونة"، وهو "ويكى Anoni" للمدونات، الذى قدم معلومات مفصلة عن التدوين مجهول المؤلف باللغة العربية والفارسية، وغيرهما من اللغات.

بحلول عام ٢٠٠١ كان التدوين باللغة الفارسية قد ترسخ من خلال تطوير تطبيقات اللغة. قدَّم موقع Urdustan.com أدوات للتدوين بالأردو كجزء من بوابة محلية تروج لاستخدام اللغة على الإنترنت. كما أصبح التدوين بالبنغالية متاحاً فى ٢٠٠٦، حينما طورت شركة نرويجية مقرها داكا أداة للكتابة البنغالية.

جمع عدد من البوابات والموارد مختارات من المدونات ذات الصلة بالبيئات

الإسلامية السيبرية. أصبح موقع "الأصوات العالمية أونلاين" Global Voices Online نقطة مرجعية تمهيدية محورية بالنسبة لمناقشة المدونات من حيث نطاقها وحسب البلد وشبكة التراسل التى تحتوى على معلومات ذات قيمة. ومن بين الخيارات الأخرى، اختار موقع "توت" "Toot" ١٤٦ مدونة نخبوية يرتبط بها من خلاصات الآر إس إس التى تركز على الشرق الأوسط.

لا يمكننا أن ندرك شيئًا عن التعقيد داخل عالم المدونات الإسلامية إلا من خلال الغوص فى نقاط الدخول تلك. من البوابات الرائدة فى هذا الصدد موقع Islamic Xangans. فى ٢٠٠٦ أورد هذا الموقع قائمة بأكثر من ٢٠٠ صفحة مفردة كجزء من مجتمع للمدونات وشبكة أوسع من الخدمات ذات الصلة. تراوحت المدونات بين مدونة "طلبة العلم" شديدة "التدين" - والتى يركز المساهمون فيها على "حفظ القرآن، والدراسة ... "نعم، إنه لشىء سمج أن أقول هذا لكننى أهوى الدراسة!!" – وبين مدونة Binag3e's الإسلامية المتركزة حول هارى بوتر. يعتبر مزج Bi-nag3e's لمجموعة منتقاة من الموضوعات طريقةً نمطية من الطرق التى تقوم على تركيب للتأثيرات فى هذه المنطقة من البيئات الإسلامية السيبرية.

قدَّم أعضاء Xangan الآخرون مزيجًا خاصًا من الخلفيات والأفكار. فعلى سبيل المثال تناول مايك هولمز العضو فى Xangan نجاته من إعصار كاترينا، وعرضت مدونته صوراً عائلية وشرحت المبادئ الإسلامية. من جهة أخرى، أظهر موقعه خلفية تستند إلى برنامج "ساوث بارك" التليفزيونى. نشر هولمز أيضًا صور السيارات المفضلة لديه، مصحوبة بشعار "المسلمون جدعان".

لم يكن هذا المزيج من التأثيرات شيئًا غريبًا. يمثل موقع Xangans روحًا قوية للشبكات الاجتماعية. تحتفظ المواقع بروابط المدونات الأخرى "المفضلة" ذات الصلة والفرص المتاحة أمام أفراد المجتمع للحوار. يمكن ربط مثل هذا المجتمع المصغر من خلال الكلمات الدلالية الموضوعية لجهات أخرى ذات صلة. وتباينت دوافع الانتماء بين التعارف والصداقة وبين نشر القيم الإسلامية.

ليست الأجندات الإسلامية بالضرورة الأمر الأساسى فى أذهان العديد من المدونين. انخرط هيثم صباح، وهو مواطن أردنى مولود بالكويت من أصول فلسطينية، فى التدوين بسبب شعوره بخيبة الأمل إزاء الكيفية التى تمثل بها الميديا السائدة المسلمين والثقافة العربية. تمثل هذه قضية بالغة الأهمية بالنسبة للمدونين من السياقات شرق الأوسطية أو السياقات الإسلامية الأوسع، وهما غير مترادفين بالضرورة. ويصبح التدوين الأحدث ضمن سلسلة تاريخية من ردود الفعل، الهادئة أو ما عداها، إزاء الاستشراق الذى ناقشه إدوارد سعيد وآخرون وكشفوه.

يمكن للتدوين أن يكون حيلة دفاعية تُستَخْدَم لحماية الثقافة الإسلامية وتعزيزها - جزءاً من استراتيجية شاملة أو مجرد دعوة للمساعدة - وهى فكرة جديرة بالدراسة. ومع ذلك، قد يبدو هذا أمراً سلبياً؛ حيث يمكن التعبير عن الفخر بالدين وتعزيز الثقافة أيضاً من خلال صفحات المدونات. تتمثل إحباطات البعض فى السياقات الإسلامية فيما يتعلق بالحكومات والسياسة أو القضايا الدينية داخل المدونات. ومن الاعتبارات المهمة الأثر العام الذى ينساب من الخطاب على الإنترنت إلى المجتمع فى العالم الحقيقى. كما غدا الفصل بين العالمْين بالنسبة للبعض بلا معنى بشكل مطرد.

فى ٢٠٠٥ ذكر أحمد العمران صاحب مدونة "سعودى جينز" أن التدوين جذب اهتمام وسائل الإعلام العربية من خلال ظهور إرشادات تمهيدية فى الصحف، كما علَّق على وضع التدوين فيما يتعلق باللغة العربية والإنجليزية. أشار العمران، وهو طالب صيدلة مقيم فى الرياض، إلى أن مستخدمى كل لغة بعينها يعيشون فى عالمين مختلفين، رغم أن البعض قد يتجول بين المنطقتين: الشبكات المسلمة ليست متمايزة تماماً، خاصة فيما يتعلق بقضايا اللغة والتعبير.

هناك شىء من الحقيقة فى ذلك. ومع القبول بأنه ليس كل المدونين باللغة العربية إسلاميو التوجه بالضرورة أو يكتبون عن قضايا دينية، تظل العديد من عناصر

عالم المدونات الإسلامية منفصلة وغير متصلة بالضرورة مع بعضها. هناك حواجز لغوية كبيرة داخل المناطق المختلفة من العالم الإسلامى وفيما بينها، كما أن اللغة العربية لا تكسر دائمًا هذه الحواجز الاجتماعية. تشير الأدلة إلى أنه داخل مناطق المدونات العربية والإنجليزية، هناك أيضًا عوالم وشبكات منفصلة كثيرة حول قضايا تتعلق بالعوامل الثقافية والسياسية والدينية بقدر ما تتعلق بالموقع الجغرافى. لابد أن نبتعد عن الصورة النمطية للصوت المسلم الواحد، خاصة فى عالم التدوين، حيث يمكن أن يحدث تبادل حيوى للآراء.

تبين المدونات المسلمة القدرة على الانفتاح وحرية التعبير المتاحة عن طريق الويب، والتى قد تجذب بعض القراء. إلا أن الفهم المتبادل قد يكون مشكلاً على عدد من المستويات؛ قد تتواجد توليفة من كلٍ من المصطلحات الإسلامية ومصطلحات الإنترنت الدارجة داخل المدونات. ويصبح الأمر سهلاً إذا كان القارئ على دراية بكلٍ منهما ويتقبل التداخل فيما بينهما على الإنترنت فى اقتصاد المعرفة الإسلامية هذا.

شبكات المدونات المسلمة فى الشرق الأوسط

تمثِّل الشرق الأوسط على مر التاريخ بطرق عديدة - ثقافيًا ودينيًا واقتصاديًا ولغويًا وجغرافيًا وسياسيًا، وكحالة ذهنية. ويتمثل الآن أيضًا تمثيلاً رقميًا من خلال أصوات المدونات المتعددة، خاصة من خلال من يُعَرِّفون أنفسهم بأنهم "مسلمون". هناك تعريفات متعددة "للشرق الأوسط"، ورغم إدراكى للمشكلات المتأصلة فى المصطلح، فإننى استخدمه هنا ليشمل العالم المتحدث باللغة العربية، إلى جانب إيران وتركيا. تتباين الدوافع الشخصية لدى كل مدون داخل العوالم الإسلامية شرق الأوسطية ولا تختلف عن دوافع المدونين الآخرين من السياقات الأخرى. وقد يملى الإسلام بشكل ضمنى التعليقات، والمحتوى، وحدود ما تجرى مناقشته.

تتيح المملكة العربية السعودية العديد من الأمثلة فى هذا الشأن. قد تكون المملكة

السعودية "محور" العوالم الإسلامية نظراً لوجود الكعبة فى مكة، وهى قبلة الصلاة لجميع المسلمين. كانت شبه الجزيرة العربية مسقط رأس النبى محمد (ص) والبيئة التى دعا فيها إلى الإسلام فى البداية. لكن المملكة السعودية، رغم هذه المكانة، ليست مركز عالم المدونات الإسلامية أو البيئات الإسلامية السيبرية.

يعتبر تحديد عدد المدونات التى تظهر من المملكة، كما هى الحال مع أى بلد، أمراً مشكلاً لمجموعة متنوعة من الأسباب، وليس القصد هنا تقديم أى إحصائيات دقيقة. لا يقدم عدد المدونات التقريبى أى مؤشر مفيد بشأن المحتوى الذى ينتجه المدونون أو جودته أو توجههم أو أصولهم. لعل الأكثر فائدة هو إلقاء نظرة على البوابات والخدمات التى تجمع المدونات وتصنفها لإنشاء قوائم المدونات الخاصة بها. يوفر "مجمع المدونات السعودية" روابط لأكثر من ٢٠٠ مدونة وخلاصة آر إس إس موصى بها (باللغة العربية والإنجليزية، ومزدوجة اللغة).

لدى السعودية ككل العديد من المدونين الأكثر إيجابية، رغم أن النشاط لم يخلُ من خطورة. ففى ٢٠٠٣ سُجِنَ ثلاثة مدونين لمدة ثمانية عشر شهراً بسبب أنشطتهم على الإنترنت. لم يتضح من التصريحات الرسمية ما استندت إليه هذه التهم، لكن هذه الملاحقات القضائية لم تمنع المدونين من الإيجابية والصراحة عند استخدامهم لهذا الوسيط. وتتباين هذه المدونات من حيث الجودة والتوجه.

سعى "المجتمع الرسمى للمدونين السعوديين" (أوكساب) إلى تمثيل التدوين فى السعودية، رغم عدم ثبوت صفته الرسمية. غطى "أوكساب" مجموعة من الفئات. يمكن أن نجد قوائم تتراوح بين الفنون والتكنولوجيا على "أوكساب" ضمن المدونات السعودية، بالإضافة إلى التعليقات على الأخبار والشئون الجارية. وفى ٢٠٠٧ أشار "أوكساب" إلى أن عدد المدونات التى تظهر من السعودية بلغ ١٠٠٠ مدونة، وهو رقم ربما يكون خلافياً. توجد روابط على صفحة "أوكساب" أيضاً للتعليقات على الشئون الجارية تعبر عن وجهة نظر الموقع. وفى سبتمبر ٢٠٠٦ شملت هذه

الصفحة رابطاً لمناقشة رابطة العالم الإسلامى لتصريحات البابا بنديكت السادس عشر المثيرة للجدل عن الإسلام.

أثار تعريف "أوكساب" "للمدونة السعودية" حفيظة عدد من المدونين فى المملكة العربية السعودية. طالب "أوكساب" فى سلسلة من المقالات التى حدّدت الخطوط العريضة لمكونات المدونات السعودية بأن تكون جميع هذه المدونات باللغة العربية، فيما عدا تلك التى تدعو إلى الإسلام. وعلّق أحمد العمران صاحب مدونة "سعودى جينز" قائلاً: "إذا كان أوكساب يظن أن أولئك الذين يدونون بالإنجليزية يفعلون ذلك لأنهم لا يستطيعون التدوين بالعربية، وليسوا فخورين بثقافتهم ودينهم، أو أنهم مصابون بنوع من أزمة الهوية، فهم على خطأ. وإذا كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون بهذه الطريقة التغلب على ريادة المدونات السعودية المكتوبة بالإنجليزية، فإنهم على خطأ. المحتوى هو الأصل، وليس مهماً ما اللغة التى كُتِبَ بها".

يعتقد العمران أيضاً أن "أوكساب" ساوى بين الليبرالية والعلمانية، وظن أن الليبرالية تقف بشكل ما ضد الإسلام. ذكر بسخرية: "حسناً، لا أعتقد أن كونك ليبرالياً مخلصاً لا يتعارض مع كونك مسلماً. أنا ليبرالى، وأنا فخور جداً بذلك. فى الوقت نفسه، أحاول أن أكون مسلماً ورعاً، ولا أشعر بأى تناقض بين الاثنين". نفى "أوكساب" أى مُدْخَل للرقابة على التدوين، وكذلك فعلت لجنة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بالمملكة.

مع ظهور آلاف المدونات ذات الصلة بالسعودية فى الفضاء السيبرى، أضاف التدوين بعداً جديداً للديناميات والنقاش الاجتماعى حول الإسلام والمسلمين والقضايا الإسلامية فى المملكة. يضمن وجود مجموعة من السكان الشباب وميسورى الحال نسبياً أن استخدام أدوات الشبكات الاجتماعية على الإنترنت سيواصل تطوره من حيث الأهمية بالنسبة لمناقشة القضايا السياسية والدينية والاهتمامات الثقافية فى المملكة. استفاد كثير من المدونين السعوديين من فرص استخدام تطبيقات الوسائط المتعددة وويب ٢.٠.

هناك حضور شخصى كثيف فى بعض المدونات من السعودية يوفر نوعًا من الانفتاح (وأحيانًا) يلقى الضوء على الحياة فى المملكة: حملت مدونة "سوالف" لصاحبتها فروحة عنوانًا فرعيًا هو "الثرثرات اليومية لمُزَّة «سعودية» عربية منهكة ومقهورة وضجرة". عرضت مدونتها صورًا فوتوغرافية، مُلتقَطة عادةً بالهاتف المحمول، وتعليقات باللغتين العربية والإنجليزية حول قضايا عن الحياة والهوية داخل المملكة. كانت فروحة، صاحبة المدونة البالغة من العمر وقتذاك ٢٠ عامًا من القصيم فى نجد، تعيش فى الرياض بعد أن قضت فترة نشأتها بولاية فرجينيا. وبين صور مولات التسوق والمتسوقين، كانت فروحة تدردش حول قضايا زى السعوديات ردًا على أسئلة القراء، لتضمر مفارقة ارتداء نظارات شمسية ماركة "ديور" على الحجاب.

بحثت فروحة أيضًا قضايا الدين فى المملكة، ومن بينها الآراء السلبية التى يراها بعض السعوديين بشأن المتحولين للإسلام ومناقشة القيود التى يفرضها الناس على الأفراد فى نجد: "بصراحة تامة، سئمت سماع (لكن ابن باز قال كذا عن الشيعة)، أو (لكن ابن عثيمين قال كيت عن قيادة النساء للسيارات). ابن باز شيخ جليل، وكذلك نظيره ابن عثيمين. حظى كلاهما وسيحظيان باحترامى التام؛ فكلاهما من العلماء المنتجين الذين أسهموا كثيرًا فى الإسلام الحنبلى، إلا أنهم ليسوا أنبياء ولا آلهة. إنهم بشر مثلنا تمامًا، ولو أردنا أن نختلف معهم، فنحن فى نهاية المطاف أحرار فى هذا".

ما إذا كان هذا الرأى حول مشاهير العلماء الإسلاميين السعوديين ومذهب "الفقه الإسلامى الحنبلى" يمثل النظرة النمطية فى المملكة لأمر مفتوح للنقاش. من المثير للاهتمام أن نجد هذا الرأى فى مدونة فى المجال العام وسط مناقشة عن الثقافة الشعبية والتسوق والأصدقاء وغيرها من الموضوعات "العشرينية". اهتمت فروحة بتلطيف محتوى الكثير من تدويناتها وردودها. واستخدمت برنامج

الدردشة/رد الفعل "هالوسكان" Haloscan مما يشير إلى وجود قراء إيجابيين ومتعاطفين إلى حد كبير فى المملكة. قد يكون هذا لأنها كانت تكتب أساساً باللغة الإنجليزية، ويحتمل ألا تثير قلقًا بالنسبة للناطقين بالعربية فى المملكة. ورغم ذلك، اختفت مدونتها. عاودت فروحة الظهور فى أكتوبر ٢٠٠٦ بمدونة "مغامرات أحمر شفاه وَهَّابى"، والذى واصلت فيه التعليق على القضايا الدينية والثقافة الشعبية فى المملكة.

كانت فروحة بمثابة مثال جيد على كيفية اندماج جوانب من ويب ٢,٠ فى المدونات، وهو نمط تكرر فى غيرها من المدونات السعودية الشهيرة مثل سعودى جينز. حققت مدونة سعودى جينز، وهى إحدى المدونتين التى يكتب فيهما أحمد عمران، مكانة بارزة فى الوسط التدوينى السعودى والأوساط التدوينية الأوسع. تناولت المدونة عن كثب قضايا الرقابة، مشيرة إلى أن جهة سعودية حجبت خدمتىْ Interner Wayback Machine وبلوجسبوت. هذا يعنى أن المتصفحين لا يستطيعون الحصول على نسخ مؤرشفة من المدونات التى اختفت من الفضاء السيبرى، ولا يمكنهم استخدام أى خدمة تدوين شائعة، رغم توافر الخيارات البديلة.

ناقش العمران فى تدويناته فى سعودى جينز مواجهات يومية مع السلطة بشتى أشكالها. تأكد ذلك أثناء مناقشة حول "المُطَوَّع" (رجل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) فى سياق نقاش السلطة الدينية والرقابة. وكان من الثقة بما يكفى لتقديم وجهة نظر سيكون التعبير عنها أكثر صعوبة فى محفل آخر - على سبيل المثال، فى مقال رأى فى صحيفة سعودية. كان هناك شعور كامن بالإحباط فى بعض تدويناته ومؤشر على تحيّز بعض العلماء.

شملت سعودى جينز رواية لزيارة قام بها صاحبها إلى المدينة المنورة، حيث يبدو أن القيود حالت دون قيام الناس بممارسات شعائرية معينة. تشير

الأيديولوجيا التى رُبِطَت بالممارسات الوهابية بعبارات عامة إلى أن زيارة المقابر، لا سيما تلك التى لا تزال تحتوى على رفات الشخصيات الدينية الكبيرة، أو الصلاة بها، محظورة أو غير مستحبة. ويرجع هذا فى جزء منه لأنها، بحسب تفسيرهم، تمثل تشتيتًا للاهتمام ببؤرة الإسلام فى مكة. ولذا ربما يكون لرواية العمران التى شاهد فيها تعرض المسلمين الشيعة لمضايقات فى المملكة أثر استفزازى. المسلمون الشيعة أقلية فى المملكة، ويتركزون فى المنطقة الشرقية.

ويكتب العمران فى التدوينة نفسها عن جواز (أو عدم جواز) التقاط صور فى المدينة المنورة، وهو المكان الذى دُفِنَ فيه النبى محمد (ص) وآله، رغم تعرض المزارات المحيطة برفاتهم للتدمير بدرجة كبيرة. لم يمنع هذا العمران من عمل شرائح للصور مكونة من اثنتين وأربعين صورة نشرها على موقع «فليكر» Flick-er. تشمل الأسئلة التى يمكن طرحها كيفية تأثير مثل هذا التدوين على "صورة" المملكة السعودية دوليًا، والأثر السلبى على هذه الصورة فى بعض السياقات فى حال منع هذه المدونة. ظلت مدونة سعودى جينز على الإنترنت فى ٢٠٠٧، مع زيارة العمران للولايات المتحدة بناء على دعوة من وزارة الخارجية الأمريكية.

انبثقت واحدة من وجهات النظر الأكثر إثارة للجدل عن المملكة السعودية من مدونة "المُطَاوعة". كانت هذه من القضايا الحساسة بشكل خاص والمرتبطة بالحرية الدينية – أو ما هو مُتَصَوَّر عن افتقادها – فى المملكة. كان عنوان المدونة يحيل إلى حريق أسفر عن مقتل ١٥ تلميذة فى مكة فى ٢٠٠٢، حيث "لم يسمح رجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [المُطَاوعة] لهن بمغادرة المبنى، ولا سمحت لرجال الإطفاء بالدخول". كان ذلك لأسباب مرتبطة بالفصل بين الجنسين، على أساس التفسير الإسلامى الوهَّابى الذى يعد موضوع انتقادات شديدة فى بعض قطاعات المجتمع السعودى. ادعت المدونة أنها "مذكرات رجل سعودى فى – مملكة السحر–، حيث تضمن هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقاء كل شىء كما كان عليه فى العصور الوسطى".

عرضت مدونة "المُطَاوعة" تعليقات تنتقد فيها العديد من جوانب المجتمع السعودى، وتتحدث بصراحة ضد الملكية السعودية والنظام السياسى. وكانت السلطة الدينية هدفًا آخر، يتم تناولها فى أغلب الأحيان بأسلوب ساخر. يمكن أن نرى ذلك فى تقرير عن وجود إمام كبير من مكة فى لندن كان يفتتح مسجداً جديداً. وأتاح هذا لصاحب المدونة عقد مقارنة بين مختلف أنواع "المُطَاوعة". توقفت التدوينات فى المدونة فى يونيو ٢٠٠٦، حيث توقف صاحب مدونة "المُطَاوعة" عن التدوين لكتابة رواية.

السعودية ليست القطاع الوحيد فى منطقة الشرق الأوسط الذى يشارك بقوة فى استخدام المدونات للتعليق على تفسيرات الإسلام داخل المجتمع. كانت تدوينات مدونة "المُطَاوعة" التى استخدم صاحبها اسمًا مستعاراً غير شائعة نسبيًا. بينما كان آخرون يدونون يوميًا مثل البحرينى محمد اليوسف. علق محمود اليوسف فى مدونته "عرين محمود" على الفساد فى القيادة الدينية وفسّر أسباب "الخمول" فى المجتمع المسلم. نشر اليوسف ردود فعل المدونين الإقليميين الآخريين إزاء الأحداث فى مكة فى ٢٠٠٦، حينما توفى الحجيج أثناء الحج، قائلاً: "لابد أن يكون الحج اختيارياً وليس إلزاميًا، وعلى رجال الدين أن يجدوا وسائل أخرى يمكن للمسلمين من خلالها أن يكفروا عن خطاياهم". ركز اليوسف على قضايا تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، حينما دوّنَ عن قضايا متعلقة بالهواتف المحمولة، وحرية التعبير على الويب، وفلترة الإنترنت. استند اليوسف إلى مفاهيم مرتبطة بالشبكات الاجتماعية والتفاعلية على المدونات، حيث يتحاور مع القراء الذين يتبنون شتى وجهات النظر.

من قنوات المعلومات المهمة الأخرى عن البحرين مدونة "شنعد بحرينى" (اطلق اسمها على اسم إحدى الأسماك)، وتنشر تعليقات سياسية حول قضايا معاصرة مرتبطة بالبحرين. أكدت صور المناسبات الدينية كرمضان وعزف الموسيقى الدينية

(الليوة) الخاصة بالمنطقة، على سمات الطقوس المميَّزة المرتبطة بالبحرين. لم تكن هناك أية ملفات صوتية للأداء، لكن الصور كانت مصحوبة بشرح مفصل لأصول الليوة التاريخية، كما تناولت شنعد أيضًا صور مهرجان محلى يعرف باسم "الحِيَّة بِيَّة" حيث توضع سلال تحتوى على نباتات فى البحر فى نهاية شهر رمضان ووضعت روابط له.

وكما هى الحال فى العديد من المجالات الأخرى، هناك قضايا مرتبطة بالرقابة فى البحرين، لاسيما الصراع بين موقع "البحرين أون لاين" والحكومة البحرينية. سُجِنَ مؤسس "البحرين أون لاين" على عبد الإمام فترة وجيزة فى ٢٠٠٥. كما ذكرت صحيفة "نيويورك تايمز": "يضحك [عبد الإمام] عندما يتذكر القبض عليه ومدى معرفة مستجوبيه الضئيلة بكيفية عمل الإنترنت، حين قرَّعوه بسبب محتوى كل تدوينة".

يمتد جزء من هذه الحيرة المرتبطة بالمدونات من انعدام الوعى بالمفهوم إلى العجز عن تفسير ما يقال. يتضح هذا بشكل خاص فى ردود الفعل على المناقشات التى يضطلع بها "المهووسون" حول التكنولوجيا، لكنها أيضًا جزء من تقاليد التعبير الثقافية بالنسبة للمناقشات على الإنترنت.

يظهر استخدام الدارجة الخاصة بالإنترنت فى العديد من المدونات. خير مثال على ذلك مدونة "Q8ibloger" من الكويت. يكتب فى هذه المدونة باحث "من أصل عربى من قريش من بنى أُمية"؛ والذى يذكر أنه تلقى تعليمه فى إحدى المدارس البريطانية. تضم المدونة لغة قرآنية مع لمحات من الدارجة المعاصرة، والتى تتطلب مستويات واعية من المعرفة الخاصة لتفسيرها تفسيراً كاملاً.

كان Q8ibloger كاتبًا متحمسًا أشار إلى هاجسه عن الصراع بين الواجبات الدينية وحاجته إلى الاستمرار فى التدوين: "بشكل ما أقنعت نفسى بأننى أقوم بشىء جيد أو ربما كان الشيطان يخدعنى وأننى لا أكذب إلا على نفسى". علَّق

Q8ibloger ضمن هذا الخلط بين الاهتمامات على ما تصوره "تدنيًا" فى المجتمع الكويتى:

> كما توقعت ستواصل الكويت تدنّيها أخلاقيًا والنساء يرتدين ملابس تكشف أكثر مما تستر، تعمل النساء حتى فى المطار فى وقت متأخر من الليل!!! تتحدثون عن حقوق الحيوان، ها،، أقصد أيًا ما يكون،، أماكن معينة فى الكويت تتجه نحو أسلوب دبى، لكن يا باشا هذا لا يناسب هذا البلد،،، كثير من الناس يحاولون أن يكونوا غربيين مادرى شنو لكنهم فشلوا فشلاً ذريعًا،،، والآن لو لاحظت الرجال صاروا يهتمون باللبس أكثر من النساء،، سترى رجلاً لابس دشداشة وغترة وعجال بجوار زوجته التى خرجت لتوها من حفلة تخرُّج بمدرسة ثانوية،، عن جد مسخرة ولا حياء،، بعض الرجال ليس عندهم شرف.

لا يزال مدى تمثيل هذا التعليق الدارج للآراء "النمطية" عن الكويت سؤالاً مطروحًا للنقاش، بتعليقاته السلبية عن عمل المرأة و(فى بعض الحالات) أنماط الزى التى يرى أنها تخالف ما يُتَصَوَّر أنه المعايير الإسلامية. ويشيع هذا النمط من الدردشة الحيوية فى الكثير من المحادثات التى تظهر فى المنتديات.

انتشرت المدونات فى دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث انتشر، وفقًا لأحد التقارير، إدمان الإنترنت انتشار النار فى الهشيم. ذكر "مجتمع مدونات الإمارات" أكثر من ٢٠٠ موقع فى يناير ٢٠٠٧، أبرز بعض هذه المدونات الاختلافات الإقليمية التى تميز دولة الإمارات عن أجزاء أخرى من العالم الناطق باللغة العربية، فيما تناولت مدونات الأجانب الحياة فى الإمارات، وقدمت وجهات نظر بشأن الإسلام

والثقافة المسلمة. كما اشتمل عدد من المدونات الإماراتية على محتوى مشحون سياسيًا ودينيًا. قدمت إحدى المدونات اقتراحات "لتغيير العرب"، ومن بينها هذا التعليق على المرجعيات الدينية: "ينبغي على جميع الملالي والمطوعين والأئمة أن يقدموا فائدة حقيقية من وجودهم للمجتمع مثلما أراد الله لهم ويحصلوا لأنفسهم على وظائف".

علَّقت مدونة "العربي السري" على المدونات المرتبطة بدبي، وقدمت نقداً لاذعًا ضد الأعراف والتأثيرات الاجتماعية، من بينها جوانب استخدام التكنولوجيا". كان تعليقه على الانصهار بين الهويات المصبوغة بالصبغة الغربية والإقليمية مهمًا، لاسيما من حيث النماذج المعيارية والقوالب النمطية التى بدأت فى الظهور والتى تتواجد فى نطاق الخطاب. هذا يوحى بأن هذه النماذج والقوالب يمكن التعرف عليها بسهولة بين قراء المدونات.

تحاشت "العربي السرى" الفلاتر الحكومية فى تقديم محتواها الذى قد يكون استفزازيًا، أثناء تناولها لمسألة الرقابة: "الرأى الذى يقف ضد إلغاء التفويض (البروكسى) أكثر نجاعة من وجهة نظر إسلامية، فالإسلام ليس دينًا شكليًا، وينظر إلى حجب مواقع البورنو على الويب والمواد المشابهة على أنه أمر إيجابى للغاية. وبما أن الإمارات بلد - إسلامى - رسميًا، فهذا يعطى "اتصالات" (شركة الاتصالات الإماراتية) كل الحق فى ممارسة مستويات الرقابة".

هذا التحديد الدقيق لنماذج الرقابة أمر مثير للاهتمام حيث إنه يبرر على الأقل بعض سياسات شركة "اتصالات". قَيَّمَ "العربى السرى" مزايا سياسة ملتبسة ومحددة ثقافيًا ومرتبطة بالرقابة وحاول تبريرها. تولى أمر "العربى السرى" صاحب مدونة "مؤرقٌ فى مسقط" فى يناير ٢٠٠٦ لكنه واصل الكتابة فى نفس الموضوعات.

عرضت مدونة e3ashig استكشافًا للمفاهيم والمبادئ الدينية، وهى مدونة لطبيب أجنبى يعمل بالإمارات ومقيم بمانشستر فى إنجلترا، والذى انتقل للإقامة

فى الإمارات فى ٢٠٠٧. ركز صاحب هذه المدونة فى إحدى المناقشات حول إمكانية وجود الجن. الجن بصفة عامة، وفقًا للمعتقدات الإسلامية التقليدية، مخلوقات غير مرئية تتعادل فى بعض الأحيان مع الأرواح، خلقهم الله إلى جانب البشر والملائكة. وردت الإشارة إلى الجن عدة مرات فى القرآن (من بينها لقاءات بين الجن ومحمد "ص")، كما أن السورة رقم ٧٢ فى القرآن سميت بسورة "الجن". وعلى هذا النحو، يمثل الجن جزءًا من أشكال الفهم الدينى الشعبى بدرجات متفاوتة من التركيز فى سياقات إسلامية مختلفة.

سعى المدون e3ashig لتوليف الفهم الدينى مع المعرفة الطبية لتفسير وجود الجن داخل سياق ثقافى معين، حينما سرد أمثلة مختلفة عن وجود الجن، وقدَّم تفسيرات طبية. أدى ذلك إلى محادثة تفاعلية بين e3ashig وقرائه حول صحة مفهوم الجن. كانت هذه مناقشة خارج القنوات الدينية الرسمية المرتبطة بالإمارات، مما يبين أن المدونات قد تمثل مساحة صادقة وشخصية أكثر للتعبير واستكشاف الأفكار الدينية.

على النقيض من الهدوء النسبى فى الإمارات، والتأمل فى المسائل الروحية، أتاحت المدونات رؤىً حول واقع الصراع القاسى، لاسيما فى العراق وحوله. كثيرًا ما تواجدت مساعٍ صحفية جاءت لتكمل مصادر الميديا التقليدية أو تستبدلها. مثلت المدونات العراقية عوامل التغيير الرئيسية فى الوسيط الإعلامى، لكونها نقطة مرجعية للمدونات المنبثقة عن سياقات أخرى. ذكر المدون "عراقى عادى" وجود مدونتين عراقيتين فقط فى ٢٠٠٢، ثم وصل عددها بحلول نوفمبر ٢٠٠٥، وفقًا لحساباته، إلى ٥٩ مدونًا عراقيًا نشطًا، ليسوا جميعًا من المسلمين. ذكر عداد المدونات العراقية ١٧٢ مدونة فى الوقت نفسه، وارتفع ذلك العدد ليصل إلى ٢٤١ مدونة بحلول ٢٠٠٧ رغم اعتبار نسبة منها مدونات "غير نشطة"). لم تضم كل هذه المدونات عنصرًا دينيًا صريحًا فى مضمونها ولم تظهر من داخل السياقات

الإسلامية. وشكَّل الغرباء (المسلمون وغيرهم) نسبة من المدونات الأخرى. وكان لبعض المدونات تركيز كردى ولم تكن كلها تعتبر نفسها مدونات "عراقية".

أيًا كان التصنيف الذى قد تُرَتَّب هذه المدونات على أساسه فلا شك أن أشكالاً مختلفة من المدونات ساهمت فى توفير مدركات مطلعة للصراع فى العراق وعواقبه. وَفَّرَ التدوين بالنسبة للنخبة المميزة التى تدخل على الإنترنت - وإن كانت محدودة فى بعض الأحيان بسبب انقطاع التيار الكهربائى وغيره من العقبات - فرصة لعرض رؤى مغايرة حول القضايا العراقية والمسلمة وإتاحتها. ومن الأمثلة البارزة على ذلك رَفْع الفيلم "غير الرسمى" لإعدام صدام حسين بعد وقت قصير من وفاته فى عدة مدونات. ظهرت هذه اللقطة التى سُجِّلت بالهاتف المحمول وسط مناقشات محمومة حول طريقة وفاته وعواقبها، خاصة أن توقيتها تزامن مع عيد الأضحى، وهو العيد الذى يحتفل فيه المسلمون بانتهاء الحج.

وفى المدونات، تمتزج الروايات عن العنف المفرط مع وصف العناصر الدنيوية من الحياة العادية. لا يمكن للمدونات حول العراق أن تخضع لأنماط مقولبة؛ إذ توفر هذه المدونات العديد من الرؤى المتعلقة بأوضاع الصراع والمعلومات عن القضايا السياسية والدينية. كانت بعض المدونات ذات توجه دينى أكثر من غيرها من حيث اللغة والسياق والمضمون. ليست كل المدونات التى ظهرت من العراق "مناهضة للحرب" أو معادية للغرب، رغم أننا يمكن أن نتساءل، كما هى الحال مع البيئات الإسلامية السيبرية الأخرى، عن مدى تمثيل تلك المدونات للاتجاهات السائدة. ادمجت الموضوعات ذات الصلة بالإسلام - من بينها الهوية، وكما هو متوقع، السياسة - فى موقع "تعداد القتلى العراقيين" الذى جمع مصادر عراقية متنوعة وتقارير مفصلة معاً. فى إحدى التدوينات، تساءل المساهم "كردو" حول الهدف من وراء المدونات: "أعتقد أن بعض (وليس كل الناس) فى الغرب يرون العراقيين رجالاً ملثمين يمسكون بمدافع الآر بى جيه، ومفجرين انتحاريين،

وميليشيات الصدر ... ما علينا القيام به كمدونين هو إبراز الجوانب الإيجابية فى أنفسنا". ويُطرح هنا التساؤل عما إذا كانت مثل هذه النظرة المثالية تناظر الواقع.

وفيما تزامنت حرب الخليج عام ١٩٩١ مع التوسع فى القنوات التليفزيونية الفضائية، تزامن غزو العراق فى ٢٠٠٣ والصراعات اللاحقة مع تزايد الوعى العالمى بإمكانيات المدونات. كان من أبرز هذه المدونات موقع المدون العراقى ذو الاسم المستعار "سلام باكس"، الذى قدم مثالاً على إمكانية أن تصبح المدونات (دون قصد) ظاهرة دولية. سميت مدونة سلام پاكس باللغة الإنجليزية، "أين رائد؟" على اسم أحد أصدقائه الذى انقطع الاتصال به مؤقتًا بالبريد الإلكترونى. قدمت المدونة رؤية واقعية عن الحياة اليومية من خلال مناقشات حول الحياة فى عهد صدام حسين وروايات لشهود عيان عن "تحرير" العراق. من الواضح أن النشر على المدونة كان نشاطًا محفوفًا بالمخاطر، لاسيما أن "سلام" كان شديد الصراحة فى تدويناته حول الجنس والثقافة العراقية والحرب. وشملت هذه التدوينات الكتابة عن الفصائل والأحزاب المرتبطة بالحملة على العراق، مصحوبة بآراء حادة عن حزب البعث والمخابرات العراقية وتعليقات حول استخدام الخطاب الدينى من قِبَل مختلف الأحزاب فى العراق.

كانت "سلام باكس" فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ العراق مساهمة مميَّزة مطلعة من داخل منطقة حرب مسلمة، ترتبط بالخطاب التاريخى والمعاصر الأوسع فى العوالم الإسلامية. ترابطت التدوينات على نطاق واسع على البيئات الإسلامية السيبرية، وعالم المدونات الأوسع، وعبر القنوات الإخبارية العالمية. وأدى تأثير هذا إلى توليد التعليقات باستمرار ونمو واجهة مدونة "سلام" على الإنترنت. أما تأثير جوجل فتمثل فى رفع ترتيب صفحة "سلام"، ربما إلى مستوى من الاهتمام لم يكن يتوقعه عندما بدأ المدونة فى ٢٠٠٢.

ظهرت هوية "سلام" بعد "الغزو" الأمريكى لبغداد، كان سلام الجنابى (الاسم

الحقيقى) يعمل مترجماً لصحفى "نيويورك تايمز" بيتر ماس، الذى لم يكن على علمٍ بأنشطة سلام الأخرى. ونتيجة لشهرته الكبيرة، ألَّف "سلام" كتاباً يستند إلى المدونة، وكتب عموداً فى "الجارديان"، وسيناريو فيلم. كما أجرى سلام مقابلة للبى بى سى BBC مع والده عدنان الجنابى، وهو عضو فى البرلمان العراقى. لا يمكننا وصف مدونات سلام أنها مدونات إسلامية، لكنها قدمت تعليقات لشخص مطلع من الداخل فى المجتمعات المسلمة فى العراق. وتحولت مدونته الأصلية لتصبح مدونة "إخرس أيها المتذمر الغبى!"، وأعاد تسميتها "تقرير العبث اليومى"، والتى واصل التعليق فيها على الأحداث فى بغداد حتى يونيو ٢٠٠٦.

برزت أمثلة أخرى من المدونات العراقية، فى بعض الحالات كيوميات شخصية نُشِرَت على الإنترنت من داخل العراق تعرض آراء العراقيين العاديين. أظهرت هذه المدونات إمكانية التواصل والتفاعل والحوار بين المدونين فى العراق والمتصفحين فى أماكن أخرى. كان رائد جرار، وهو الهدف الذى أسمى "سلام" مدونته الأولى باسمه، يكتب تعليقاته الخاصة فى الشأن العراقى فى مدونة "رائد فى الشرق الأوسط". شملت المدونة تفاصيل حياته الشخصية ورحلاته، وسجل فيها زيارة لمصر شعر فيها بالانزعاج من جهل "سائق تاكسى" بأمور الإسلام.

تمتعت مدونات أخرى بجمهور واسع لما بذلته من جهود تدوينية، وبخاصة فى مدونة "ريفربند". كانت هذه رؤية امرأة من الناجين من حملة التحالف فى بغداد. تشجعت "ريفربند" بعد تجربة "سلام باكس"، حيث كانت فى الرابعة والعشرين عندما بدأت مدونتها "بغداد تحترق" التى قدمت فيها تعليقًا لاذعًا على الأحداث. وُصِفت هذه المدونة بأنها "مدونة فتاة من العراق ... لنتحدث عن الحرب والسياسة والاحتلال". عرضت الآراء حول التغيرات السياسية فى العراق ولمحة عما طرأ على "الحياة العادية" فى المدينة وقتذاك. تمتعت "ريفربند" كمبرمجة كمبيوتر بالدخول على النت والإلمام به بما يتجاوز المعرفة التى كانت لدى الكثير من أهل بغداد وقت وقوع الغزو.

قدمت "ريفربند" تقريراً حول الأثر المباشر لـ ٩/١١ على العراقيين "العاديين"، حيث مزجت المناقشة السياسية بإشارات إلى الحياة المنزلية. كانت هناك ملاحظات شخصية للغاية في الغالب، كتعليقها على ردود الفعل على الدستور العراقي: كان رد فعل جارتها استخدام نسخة من الوثيقة لتنظيف جدران البيت. من جهة أخرى، ظلت "ريفربند" تتحدث عن الأطر السياسية الناشئة والارتباك الذى أعقب غزو بغداد.

حُرِّرت ملاحظات "ريفربند" لاحقًا في شكل كتاب. ذكرت الكاتبة: "لا أعتقد أننى كتبت المدونة لجمهور معين. أردت بكل بساطة التعبير عن مشاعرى وأفكارى ولم أكن متأكدة من سيقرؤها. لم أكن أتوقع أبدًا أن يقرأها كثير من العراقيين داخل العراق لأن العراقيين مشغولون للغاية فى التعاطى مع الواقع اليومى الذى يحول بينهم وبين قراءة المدونات ناهيك عن كتابتها. أحب التدوين باللغة الإنجليزية لأنها لغة يفهمها كثير من الناس في مختلف البلدان. ولو أننى دونت باللغة العربية لكنت مثل من يعظ فريقًا من المرتلين".

تمثل التنوع فى الفكر الدينى والسياسى داخل العراق بصورة لا بأس بها فى عدد من المدونات، ومن بين المدونات الشيعية البارزة مدونة حمورابى. سميت هذه المدونة على اسم حمورابى، الملك السادس من العموريين فى بابل، (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) الذى كان مسئولاً عن وضع أول نظام قانونى محدد فى المنطقة. كما وضعت المدونة رابطًا بارزًا لشرح مفصل "لقصة الإمام الحسين". انتقدت مدونة حمورابى أنشطة "المتمردين" وسخرت أيضًا من تغطية قناتى الجزيرة والعربية التليفزيونيتين للعراق، وخصوصاً عندما وضعت قناة العربية خلفية موسيقية فى الفيلم "الدعائى" الذى يبين الهجمات على القوات الأمريكية.

أضاف التدوين مستوىً آخر من الخطر - كما لو أن هناك حاجة إلى المزيد منه - للحياة فى العراق. ألقت المخابرات القبض على المدون خالد جراف المرتبط

بـ"سلام" و"رائد" و"ريفربند" واحتجزته بعد زيارته لمقهى للإنترنت بجامعة بغداد. أُطْلِقَت حملة عبر الإنترنت لإطلاق سراحه نجحت فى النهاية. نشر جراف تجاربه فى مدونته، ومن بينها تعرضه للاعتداء بينما كان قيد الاحتجاز وافتقار المحققين معه للمعرفة بالإنترنت. شملت هذه الرواية شرح مفهوم المدونات للقاضى الذى كان ملمًا ببعض المعلومات عن الكمبيوتر. تناول جراف فى تدوينات متعددة الظروف القمعية التى احتُجِز فيها هو وغيره؛ حيث استخدم المدونة لتسليط الضوء على حالات سجناء آخرين التقى بهم وأعلن وجودهم لعائلاتهم الذين لم يكونوا قد حصلوا على معلومات عن مكان السجناء. وفَّرَ نوع المعلومات الشخصية التى نقلها جراف فى مدونته أفكارًا جديدة نابعة من تجربته بالنسبة لقضايا الحياة الواقعية بزخمٍ تفتقده الكثير من وسائل الاعلام التقليدية الصادرة فى العراق.

منحت المدونات ذات التوجه السياسى مثل "العراق النموذج" و"بلاد الرافدين" أفكارًا جديدة لشتى الآراء بشأن أثر قرارات السياسة الخارجية فى المجتمع العراقى، ونشر محتواها على نطاق واسع على غيرها من المدونات. بدأت مدونة "العراق النموذج" التى يكتب بها الأخوان محمد وعمر فى نوفمبر ٢٠٠٣، وتأسست كنقطة نقاش لعرض مجتمع عراقى أصلى. كان الاقتراح أن تكون المدونة بمثابة عيون القارئ على العراق، من زاوية محدودة جدًا كما هو واضح، انعكست فى تصريح عمر أن من ضمن الشخصيات السياسية المفضلة بالنسبة له تونى بلير، رئيس الوزراء البريطانى الأسبق.

تناولت "العراق النموذج" الكثير من جوانب الحياة فى العراق بعد سقوط صدام حسين. وتراوح هذا بين أثر ذلك على رعاية طب الأسنان (كان عمر من بين الكثير من أطباء الأسنان المدونين) إلى آثار العنف؛ قتل "المتمردون" اثنين من أصدقاء عمر، إلى جانب سبعة من الجنود الإسبان. غطت "العراق النموذج" التطورات السياسية، لكنها عرضت أيضًا تفاصيل الأنشطة الدينية والثقافية مثل صور

فوتوغرافية لعيد الفطر فى العراق. لم تقدم المدونة هوية أو رسالة دينية صريحة فى مضمونها.

قدم علاء صاحب مدونة "بلاد الرافدين" رؤية مماثلة لرؤية تماثل "العراق النموذج"، لكنها صيغت فى هيئة إحالات ذات توجه دينى بشكل أكثر تفصيلاً. أكدت المدونة بثقة موقفها بشأن الحرب فى العراق والتركيز الذى حصل عليه تنظيم القاعدة وأنصاره فى تغطية الميديا. وكما هى الحال مع المدونات العراقية الأخرى، أطلق علاء اتهامات محددة للجزيرة، فى إشارة ضمنية إلى أنها "مؤيدة للإرهاب". وحاول علاء تحليل أسباب ذلك، مدعيًا أن رعاية الحكومة القطرية للجزيرة كان مؤثرًا فى خطها التحريرى، وأن دافعها هو "التحيز الطائفى" ضد الشيعة. عبَّرت "بلاد الرافدين" عن موقف مؤيد للولايات المتحدة ولجورج دبليو بوش. استخدم علاء خلال حواره لغة دينية بصورة متكررة؛ كما تخللت تدويناته خلال شهر رمضان إشارات إلى الشعائر. حاول علاء أن يقدم شرحاً للإسلام ويقدم رؤية إسلامية بديلة عن العراق إلى القراء. قدمت المدونة رؤية معقدة لمسلم عراقى ناقد للأوضاع ومتدين وموالٍ للولايات المتحدة، متوسلاً بلغة دينية ووصف للشعائر ضمن تحليله.

كان استخدام الصور الفوتوغرافية مهمًا فى العديد من المدونات العراقية الأخرى، بالرغم من الخطورة الكامنة فى نشرها. كان لمدونة "شفاء العراق"، التى كتبها طبيب أسنان آخر، مدونة أخرى لصور فوتوغرافية توثق طقوس شهر "محرم" الشيعية فى قرى جنوب البصرة. ومن العروض الأخرى المدونات التى كان يكتبها مراهقون عراقيون بين فترات انقطاع التيار الكهربائى؛ جمعت "مدونة نبيل" أخباراً عن الرياضة العراقية وتعليقات عن الحياة الثقافية فى بغداد وتقدمه فى الامتحانات.

شملت المدونات العراقية تلك المدونات ذات الاهتمامات الصحفية مثل "٢٤ خطوة نحو الحرية". لم تَخْشَ المدونة التى بدأت فى أغسطس ٢٠٠٥، وحددت موقفها

كمدونة "علمانية" الاتجاه تتصدى للقضايا الخلافية. كتب صاحب مدونة "٢٤ خطوة" بعد تفجير أحد المطاعم فى نوفمبر ٢٠٠٥ تعليقًا صحفيًا مشحونًا ضد المفجرين. كما دوّن أيضًا عن رحلة إلى حلقة دراسية صحفية فى مدينة دورام بولاية كارولاينا الشمالية، تحدث فيها عن مخاطر مهنته فى العراق وكيف يكتب التقارير حول قصص التدمير والخراب.

السعى الشخصى والمجتمعى وراء حياة طبيعية تيمة كامنة فى مدونة "٢٤ خطوة". كتب المدون حول كيفية تضرر الأطفال بسبب الصراع. طورت "٢٤ خطوة" التى عملت مع مختلف الصحفيين الساعين لتغطية الأخبار المرتبطة بالعراق واجهة مُحْكَمة داخل هذا القطاع من عالم المدونات، لكن يبقى السؤال الحاسم: هل يمكننا تصنيف "٢٤ خطوة نحو الحرية" على أنها مدونة إسلامية؟ والسؤال الثانى قد يكون: هل هذا مهم؟ علّق المدون على قضايا تتعلق بالدين كالإرهاب فى قضية الجهاد ودور المرجعيات الدينية فى المجتمع العراقى. وحصل صاحب "٢٤ خطوة" فى وقت لاحق على تأشيرة للدراسة فى الولايات المتحدة.

كانت مدونة "كنز بغداد" محاولة صحفية أخرى تمثل رؤية "علمانية" قاعدية للحياة فى العراق. انخرط "كنز بغداد" فى نقد "ريفربند"، والذى اتُّهِم بأنه ضد الشيعة والإيرانيين. نشرت المدونة يوميات عن الأنشطة اليومية مثل نهاية العيد استناداً إلى تقارير من المراسلين فى أماكن مختلفة فى العراق. سعى هذا لاستعراض تفاؤل الناس فى بغداد رغم المحن، وعرض تفاصيل الاحتفالات بالعيد والناس يملأون الشوارع. استمرت المدونة من بُعد، عندما سافر صاحبها إلى ولاية فيلادلفيا فى ٢٠٠٦ لاستكمال دراسته العليا.

كتب العديد من أفراد الجيش الأمريكى مدونات الحرب الخاصة بهما. يشكل هذا من خلال مدونة "العراق ٢,٠" أيضًا جزءًا من المعادلة الإسلامية السيبرية. كتب ضابط الاحتياط فى الجيش الأمريكى، محمد عمر المصرى، مدونة "العراق

٢٠٠٠" خلال فترة خدمته التى دامت ستة أشهر. ذكر عمر: "أظن أننى أول جندى عربى أو مسلم أمريكى يقوم بالتدوين، ومن المضحك كيف أشعر أحيانًا أن كتاباتى تتراوح بين تحليلات مراسل حربى هاوٍ ومدرس دراسات اجتماعية".

شملت تجربة المصرى فى العراق إعداد مادة مختصرة عن الإسلام لقساوسة الجيش. تناول تربيته، وكيف واجه كمسلم من أمريكا الحياة فى بلد مسلم للمرة الأولى. وثّق المصرى خبراته فى هيئة صور فوتوغرافية، من بينها تقرير عن زيارة جورج بوش لبغداد ولقائه بالمسئولين الأمريكيين. أجرت وسائل الإعلام مقابلة مع المصرى لدى عودته إلى الولايات المتحدة. وتسببت خبرته فى إعادة تقييم موقفه بشأن دور أمريكا فى العراق، معتقداً أنه "الآن قد بدأ بنفسه - فى إصلاح الفوضى التى تسبب فيها القادة السابقون -، ... ومحاولة اكتساب الثقة التى - دمرتها - أمريكا". توقف عن التدوين لكنه ظل يُطْلَب للإدلاء برأيه فى المقابلات التى تعقدها وسائل الإعلام.

ظهرت بعض المدونات غير التقليدية من العراق. كانت مدونة "عشيقة بغداد" تنشر بين الحين والآخر، تدون بها على ما يبدو امرأة من العاصمة العراقية. جاءت أول تدويناتها لتحدد النبرة التى سوف تتبناها المدونة فى التدوينات الأخرى: "هل تظن فعلاً أننى مهتمة بأسامة ابن الزانية؟! تلك مشكلة اليانكى وليست مشكلتى... ماذا؟ ماذا كانت وظيفتى؟ أنا عشيقة. عشيقة وأفتخر. نعم تعودت أن أنام مع الرجال المتزوجين للحصول على الفلوس لأن شهادتى الجامعية لم تستطع أن توفر لى ملابس ماركة شانيل". تناولت مدونتها زبائنها أثناء وجودها عبر الإنترنت لفترة قصيرة فى ٢٠٠٥، وأعطت أفكارًا جديدة عن الحياة فى بغداد. يشمل هذا مصادر الملابس ماركة شانيل ومختلف أشكال الزواج المتاحة فى البلاد. كان هناك اتجاه واضح للسيرة الذاتية فى المدونة، حيث روت "عشيقة بغداد" حكاية زواجها الفاشل، ووفاة والديها، وكيف بدأت العمل فى هذا "البيزنس". إذا لم يكن هناك شىء اسمه

مدونة عراقية نمطية، فإن "عشيقة بغداد" تبين أيضًا أنه ليس كل المدونين الذين يعيشون فى سياق مسلم مشغولين بالدين فى المقام الأول.

على النقيض من العراق وبلدان أخرى فى المنطقة، قدمت سوريا نفسها فى مرحلة مبكرة نسبيا فى عملية تطور المدونات. لاحظت "سانا" التابعة لوكالة الأنباء السورية النمو السريع للمدونات فى ٢٠٠٥، حيث زاد عددها من مدونتين إلى أكثر من ٥٠ مدونة: "الإنترنت أكثر تحرراً بكثير فى سوريا من وسائل الإعلام المطبوعة، ولعل ذلك يرجع لخلفية الرئيس، حيث كان رئيسًا للجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، ودفع لتوسيع نطاق استخدام الإنترنت فى سوريا. كما وعد بأن يحصل كل طفل مدرسة على جهاز كمبيوتر خاص به".

أوردت "مدونة الدمشقية" ما يقرب من ١٠٠ مدونة سورية على صفحاتها فى ٢٠٠٦. هناك دليل على وجود مدونات معارضة تنبثق على ما يبدو من داخل سوريا، فمدونة "قرفان" معارضة لنظام الأسد. سعت مدونته "سوريا المكشوفة" إلى تقديم صورة حقيقية لسوريا، أيًا كانت درجة ذاتية تلك الصورة وصدقيتها. تحتوى المدونة على آراء قد لا تكون ممثلة لكنها بالتأكيد استفزازية. ويظل مدى استهداف تلك المدونة للجمهور المقيم بسوريا موضع تساؤل. فكك قرفان ما اعتبره الأساطير المحيطة بالحياة فى سوريا. وشملت هذه انتقادات حادة للرؤساء السابقين والحاليين، لاسيما سياسة الرؤساء السابقين "للتحول السنى" فى سوريا، والتى اعتبرها مضرة بالمسلمين العلويين.

ذكر "قرفان" تفاصيل خدمته العسكرية (والتى شملت فترة فى لبنان) وآرائه السلبية تمامًا عن حزب البعث السورى. ناقش "قرفان" الحذر الذى يمارسه هو وشريكه المفترض فى النشر عندما ينشر تدوينات مثيرة للجدل. لكن وعقب تلك المناقشة فى يونيو ٢٠٠٥، توقف "قرفان" عن النشر ولم يظهر على الإنترنت حتى أغسطس ٢٠٠٦. كان لدى "قرفان" وشريكه فى النشر مخاوف بشأن أمنهما

الشخصى: "نشأنا فى ثقافة الخوف إلى درجة أننى وقرفان لم نُلْقِ نظرة ولو لمرة واحدة على هذا الموقع من داخل سوريا فى السنة الماضية!"

كانت المدونة صوتًا حاداً داخل المدونات الإسلامية. تعرضت الأصوات المعارضة الأخرى للرقابة، من بينها "الدومرى السورى"، التى قامت على أساس مجلة ساخرة محظورة نشرت رسوماً كاريكاتورية ومقالات فكاهية عبر مدونتها. نشر "المتسامح الدمشقى" من مدونة "بوابات دمشق الخفية" إدانة لما يعرف بجرائم الشرف. ويرتبط هذا بأحد المواقع النسائية السورية وبالتماس متعلق بهذه المسألة. كما تناول "المتسامح الدمشقى" وضع سوريا كدولة علمانية رسمياً وما يتصَوَّره من أنه مفارقة تأثير الإسلام فى البلاد على المستوى الشخصى والمحلى والقومى.

من بين المدونات المهمة الأخرى المتعلقة بسوريا تلك المدونة الخاصة بالمغترب عمار عبد الحميد الذى يعيش فى ولاية ميريلاند الأمريكية، والذى قدم مدونة تفسر نفسها باسم "أمارجى، مدونة مهرطق"، فيما تجاهلت مدونة "عبر سوريا وداخل حمص" السياسة وركزت على مدينة حمص، ووفرت صوراً فوتوغرافية تاريخية وتعليقات تتناقض مع الرؤى الحالية. وبوجه عام، شهد التدوين السورى طفرة نمو خطيرة، كان لها أثر على مستوى القاعدة الشعبية من حيث التعبير والمناقشة والتفاهم الدينى.

ظهرت بعض المدونات السورية من سياقات لبنانية. ففى لبنان نفسه، أورد منتدى المدونين اللبنانيين أكثر من ١٠٠ مدونة. حظيت نطاقات عريضة من القضايا بتعليقات من زوايا مسلمة ومسيحية وغيرها، من بينها الاهتمامات السياسية والدينية. وكانت هناك أيضاً تدوينات ذات طابع شخصى للغاية. كتبت "Linalone" حول الاعتداء الجنسى والانتحار فى مدونتها، كما ذكرت فى إحدى المقابلات ذات الصلة: "أظن أن معظم المدونين اللبنانيين يفتقرون إلى اللمسة الشخصية. إنها السياسة أينما تذهب! ... أترك عالم المدونات؟ لا أعتقد ذلك، فقط لأننى لن أتوقف عن الكتابة، حتى لو كنت أنا قارئى الوحيد والأوحد".

خلال الحرب في ٢٠٠٦ بين حزب الله وإسرائيل، استخدمت المدونات لتوصيل خبرات أولئك الذين تعرضوا لهجوم قنابل جيش الدفاع الإسرائيلي لتسجيل الدمار الذي لحق ببيروت وغيرها من الأماكن الأخرى. شمل هذا الصور الفوتوغرافية والفيديو كليبات، وغيرها من الوثائق. باتت المدونات المكان الطبيعي للحوار وصمام أمان للتعبير عن إحباط اللبنانيين بسبب الغزو الإسرائيلي. كما كانت المدونات مكانًا يمكن من خلاله تبادل التعليقات بين المدونين الإسرائيليين واللبنانيين، بما فيها تبادل الفيديو كليبات. ظهرت صور فوتوغرافية لضحايا الصراع على يوتيوب إلى جانب أفكار نعوم تشومسكي، ودعاية حزب الله، ومقاطع فيديو ممنتجة تبرز الأضرار التي لحقت ببيروت وغيرها من المراكز الحضرية. اعتمدت وسائل الإعلام العالمية على المصادر التي أنتجت في لبنان على الإنترنت، والتي تسلط الضوء بشكل خاص على الطريقة التي كسرت المدونات من خلالها الحواجز الاجتماعية بين مختلف الفصائل والاهتمامات اللبنانية، ولم تكن جميعها ذات توجه إسلامي.

احتل الكتّاب الأردنيون قطاعًا نشطًا في عالم المدونات. كان هذا القطاع مشحونًا بالقضايا السياسية والدينية والثقافية داخل المنطقة ويُنتجه شعب شاب وواعٍ تكنولوجيًا يسكن المدن تمثله خلفية الملك عبد الله نفسه الحاسوبية. ظهرت مدونة هيثم صباح باعتبارها أحد اللاعبين الرئيسيين في المناقشات التي تناولت القضايا العربية على الإنترنت. ترجمت مدونة صباح القضايا الدينية والثقافية وعلّقت عليها، لتولد جدلاً مفعمًا بالحيوية حينما ناقش ظاهرة "زواج العمل" و"زواج العطلات" في المملكة السعودية. كانت أكثر تدوينات صباح "شعبية" (من حيث حركة المرور على الموقع) عن "مزايا" إحدى بنات أخ أسامة بن لادن، وهي وفاء بن لادن، وهي عارضة ومغنية أمريكية المولد ظهرت في مجلة "جي كيو" GQ.

تعزز المدونات الهويات داخل سياقات إسلامية محددة. بدأت مدونة "كوكب الأردن" في أغسطس ٢٠٠٤، لتوفر بوابة مدونة باللغة الإنجليزية. لدى "كوكب

الأردن" أكثر من ٦٠ عضواً وقدمت نقاطاً محورية لإبداء الرأى والحداد عقب تفجيرات نوفمبر ٢٠٠٥ فى عمان. لكن المدونة أوقفت خدماتها فى ٢٠٠٦، مدعيةً انخفاضاً (غامضاً بعض الشيء) فى جودة المدونة.

يرتبط "كوكب الأردن" بموقع MentalMayhem الذى تديره المغتربة الأردنية الصحفية ناتاشا تاينس بمدونة "الأردن أولاً"، التى روجت لفيديو موسيقى يدين التفجيرات بعنوان "يا عمَّان". عرضت "الأردن أولاً" إحالة مأخوذة من صورة من موقع "فليكر" للمظاهرات الصاخبة ضد القاعدة التى اندلعت فى عمَّان بعد التفجيرات. تعكس مثل هذه البوابات صورة متعددة الأوجه للمجتمعات المسلمة. ولا يزال المدى الذى تتخلله مثل هذه الرسائل لتصل إلى عالم المدونات الأوسع، سواء الإسلامية أو غيرها، موضع تساؤل. ويمكن أن يُسَهِّل توسيع نطاق تداول هذه المواد، فى بعض الأوساط، فرصة لمكافحة القوالب النمطية المرتبطة بالمسلمين والإرهاب.

أصبحت المدونات وسيطاً مهماً للمناقشات فى فلسطين والأراضى المحتلة. ويتداخل هذا مع نمط مرتبط بتطبيقات النت الأخرى فى السياقات الفلسطينية، وتحديداً تلك المرتبطة بالتعبير المسلم والحملات من أجل القضايا الفلسطينية المسلمة. أخذ نمو المدونات الفلسطينية أشكالاً كثيرة، من بينها التفاعل الذى يأخذ أشكالاً متباينة بين المدونين الإسرائيليين والفلسطينيين.

أدمجت بعض المدونات مواد من مصادر أخرى؛ فمدونة "الدواء المر" لصاحبها على أبو نعمة استعرضت أعمدة صحفية كتبها لموقع "الانتفاضة الإلكترونية" الذى شارك فى تأسيسه. كما طبَّق "عرجان الفاسد"، وهو أحد مؤسسى الانتفاضة الإلكترونية، تجربته مع المنظمات غير الحكومية فى الكتابة للصحف لتقديم رواية "من الداخل" عن العلاقات الإسرائيلية–الفلسطينية باللغتين الهولندية والإنجليزية. هناك قرائن على التدوين الإسرائيلى والفلسطينى المشترك والمتبادل. ويبرز موقع

Bitterlemons.org تدوينات وحوارات منتظمة يحررها ويكتبها فى بعض الأحيان غسان الخطيب والكاتب الإسرائيلى والمستشار الاستراتيجى يوسى ألفير. نُشِرَ العدد الأول فى أعقاب ٩/١١ فى نوفمبر ٢٠٠١، وظهر أكثر من ٢٠٠ عدد من المجلة على الإنترنت. قُسِّمَ المحتوى بالتساوى بين وجهات النظر العربية والإسرائيلية المرتبطة بالقضايا الجغرافية. لم تدخل المواد الدينية الحوار بشكل صريح، رغم أن القضايا الدينية أملت بعض المناقشات.

وفرت النزعة الإقليمية فى المدونات الفلسطينية تغطيات متنوعة. ضمت التقارير الواردة من رفح تغطية من الداخل، وركزت مدونة "خبراء رفح" على المحتوى ذى الصلة بحماس، وعرضت تقارير وصوراً فوتوغرافية للجنازات. غطت "خبراء رفح"، على سبيل المثال، خبر "اغتيال" أمجد الحناوى، وهو "أحد كبار مقاتلى حماس" على يد الجنود الإسرائيليين فى ٢٠٠٥. ذكر خبر آخر يعتمد على التقارير الواردة من صحيفة "ها آرتس" والـ BBC تفاصيل عن مقتل أحمد الخطيب البالغ من العمر اثنى عشر عامًا على يد قوات جيش الدفاع الإسرائيلى؛ وتبرع عائلته بأعضائه بعد ذلك إلى الإسرائيليين.

تناولت مدونة "مدونى بيت لحم" القضايا الثقافية والدينية المرتبطة بفلسطين والمخاوف المحددة التى يواجهها من يعيشون فى بيت لحم. من القضايا البارزة مشكلة الزواج بين عرب الضفة الغربية والقدس (المسلمين وغيرهم) بسبب صعوبات الحصول على حقوق الإقامة. ضمت تقارير النشاطات اليومية التى قدمتها "مدونو بيت لحم" معاناة المرور عبر نقاط التفتيش وزيارة حديقة حيوان القدس. العنصر الدينى ليس واضحاً فى هذه المدونة، ويعيش فى بيت لحم عدد كبير من المسيحيين. تمثل المدونة رأيًا مهمًا من وسط مسلم، والمسائل التى تتناولها من شأنها أن تؤثر تأثيراً عميقًا فى الكثير فى أوساط السكان المسلمين.

نشرت مدونتا "تربية يوسف" و"العيش فى مدينة غزة" روايات من الداخل عن

الحياة فى فلسطين. شملت هذه الروايات الصعوبات التى تواجه الأفراد عند محاولة مغادرة المنطقة للذهاب إلى خارج مدينة غزة (ولدخولها فى الواقع) وصور وروايات عن الحياة "العادية". كتبت "إيمان"، وهى سويدية اعتنقت الإسلام، مدونة "العيش فى مدينة غزة". وصفت إيمان نفسها بأنها "صحفية هاوية متحيزة لرأيها تحاول التوفيق بين الأمومة والزواج والحياة بشكل عام". احتوت تدويناتها على العديد من الأفكار الجديدة عن الحياة فى غزة، كما استكشفت أيضًا المسائل المرتبطة باعتناق الإسلام، وهو موضوع واصلت إيمان الكتابة فيه بعد عودتها إلى السويد فى ٢٠٠٦.

مدونة "تربية يوسف" لصاحبتها ليلى حداد (أم يوسف) "عن تربية ابنى يوسف فى قطاع غزة المحتل بينما أعمل صحفية، وكل شىء له دلالة من التدريب على الجلوس على قصرية الأطفال إلى عبور الحدود". لليلى الحداد روابط بمدينة دورام بولاية كارولاينا الشمالية الأمريكية التى كان زوجها يعمل طبيبًا مقيمًا بها. احتوت تدويناتها على تقارير فيلمية عملت عليها لصالح قناة الجزيرة. لا يمكننا أن نصف إيمان أو ليلى بأنهما من سكان غزة النمطيين، أو بأنهما مدونتان نمطيتان. فليس هناك شىء اسمه المدون النمطى. قدمت كلٌ من إيمان وليلى رؤية حول الحياة فى المنطقة والضغوط التى لا يرويها أحد فى مواضع أخرى. كما أتاحتا معرفة أكبر بالقضايا اليومية، من بينها تلك القضايا التى تؤثر على الحياة الدينية والثقافية، أكثر من المدونات ذات الاتجاه السياسى.

تعمل مواقع مثل "أم خليل"، و"الأصوات العالمية: فلسطين"، و"مدونات فلسطين ريبلوج" بمثابة بوابات إلى مختلف المناطق المؤيدة للفلسطينيين على الويب. عملت هذه البوابات على توليف الخلاصات باللغات المختلفة لتوفير نقاط تبادل المعلومات والدعاية لقضايا محددة، كما أنه ليس لها بؤرة تركيز إسلامية أو كتَّاب مسلمين؛ فكثير منها مستضاف خارج الأراضى الفلسطينية، أو كما هى الحال مع "أصوات

عالمية"، هى جزء من بوابات التدوين الدولية الأوسع. هناك قضايا محددة خاصة بالبنية التحتية والدخول على الإنترنت تتعلق بالفضاء السيبرى الفلسطينى. ولا يبدو هذا صنواً لسائر قطاعات الناشطين الفلسطينيين والتعبير السيبرى عنهم الذى يستضاف خارج المنطقة.

تعتبر تركيا منطقة مسلمة حيوية بخاصة فى مجال نشاط التدوين، وينعكس ذلك من خلال النمو فى عدد المدونات التى تخرج مباشرةً من تركيا وتلك المدونات التى تبث من خارج تركيا وتصف نفسها بأنها تركية. الوسط التدوينى التركى مهم فى عرضه للهويات التى ليست بالضرورة هويات مسلمة أو إسلامية، أوروبية أو آسيوية، بل تركز تحديداً بدلاً من ذلك على الثقافة والسياسة التركية، إلى جانب تعليقات على القضايا الداخلية والقضايا الأوسع ذات نقاط التركيز الإسلامية.

من بين المدونات الموجودة منذ فترة مدونة "طوق العنق التركى" لأوغور أكينسى، التى بدأت فى ٢٠٠٢ (خلفًا لقائمة بريد إلكترونى). تناولت المدونة مجموعة واسعة من القضايا السياسية والمعاصرة المرتبطة بالحياة فى تركيا، من بينها موضوعات تركز بوجه خاص على هوية تركيا العلمانية، وسياسة الحدود فى البلاد. بينما ركزت المدونة التركية-الأمريكية "تكلمى تركيا" على إنجازات الجالية التركية-الأمريكية. كما بحث موقع Bilgiebinmehakki قضايا حرية المعلومات، خاصة تلك المتعلقة بالإنترنت، من وجهة نظر تركية.

استفاد الصحفيون من المدونات التركية لتوسيع دائرة قرائهم. قدم مصطفى أكيول ندوات "حول قضايا الإيمان والعلم والتسامح الدينى، والقضايا المتصلة بالإسلام". ظهرت مقتطفات من كتابات أكيول فى مدونة "المسار الأبيض" تتعلق جزئيًا بالتفسير الإسلامى. اكتسب تطبيق الويب أهمية خاصة فى كتابات أكيول مع ولوجه مناطق خلافية فى الشريعة وتفسير القرآن والحرية الدينية. أدان أكيول الإرهابيين بسبب تفسيرهم "المعيب" للقرآن. كانت المدونة ذات أهمية أيضًا فى

إشعال الجدل حول "خطة الخلق الذكية"، التى أيدها أكيول من وجهة نظر مسلمة، مما دفعه إلى الارتباط ببعض الجماعات المسيحية فى الولايات المتحدة. حصلت مدونته على تغطية إعلامية كبيرة، وساهمت فى الخطاب على الإنترنت عن هذا الموضوع في موقع "إسلام أون لاين"، وأثارت المزيد من الاهتمام بمدونته من خلال عروض فى مؤتمرات دولية. فى المقابل، شاركت تدويناته فى الخطاب المسيحى والخطاب المعارض له حول خطة الخلق الذكية على الإنترنت.

مرة أخرى، تنطبق قضايا الهوية والتدين لدى التعريف بالمدونات المسلمة والإسلامية. المسلمون والإسلام موضوعات رئيسية فى جميع أنحاء عالم المدونات، خاصة فى إيران، وهى من العقد الرئيسية فى البيئات الإسلامية السيبرية. كان هناك ما يقدر بـ٧٠٠ ألف مدونة فارسية فى الفضاء السيبرى فى فبراير ٢٠٠٦، لكن هذا الرقم لا يدلنا على عدد المدونات النشطة منها. وتظل ثمة مشكلات إحصائية لدى التعاطى مع موضوع المدونات من إيران وعنها.

كان إنشاء أدوات التدوين بالكتابة الفارسية فى عام ٢٠٠٠ نقطة تحول مؤثرة فى خطاب المدونات المسلمة. كان لحسين ديراخشان، وهو صحفى إيرانى مقيم فى كندا، دور مهم فى تطوير أداة تدوين متوافقة مع الفارسية. لم تكن المدونات قبل ذلك تعمل إلا من خلال الكتابة بالحروف الرومانية (اللاتينية). وأدى ابتكار حسين ديراخشان، رغم أنه لم يكن "المدون الإيرانى" الأول، إلى ظهور عشرات الآلاف من الأصوات الإيرانية فى الفضاء السيبرى.

احتُفِيَ بالتطور السريع فى المدونات الإيرانية فى احتفالات المدونات الفارسية. وبحلول عام ٢٠٠٦ اقترحت الجمعية القرآنية الإيرانية إقامة مهرجان للترويج للتدوين حول الموضوعات الدينية. يقع مركز اقتصاد المعرفة الدينية الشيعية الإيرانية فى مدينة قُم التى أعلن فيها عن انطلاق برنامج لتدريب المدونين. يهيمن زخم الثقافة الشعبية والدردشة والأزياء والرياضة والتجارة على العديد من المناطق

على عالم المدونات الإيرانى. سعت مبادرة قم إلى تقديم الآراء التقليدية إلى الفضاء السيبرى كوسيلة لمجابهة المحتويات الأخرى.

كان لتطوير المدونات فى أشكاله التى لا تعد ولا تحصى أثره أيضًا على اللغة الفارسية، ولاسيما "مزيج الفارسية والإنجليزية – المعروف باسم "البينجليش" Pin-glish – والتى أثارت غضب بعض المتحدثين بالفارسية التقليديين". وقد يمثل هذا عاملاً داخل البيئات الإسلامية السيبرية الأخرى، لاسيما فى ظل ابتكارات الميديا المرتبطة بويب ٢,٠ سعى عدد من المدونين الإيرانيين، سواء كانوا يتحدثون "البينجليش" أو الفارسية أو الإنجليزية أو لغة أخرى، إلى تناول قضايا السياسة. وشملت موضوعاتهم طبيعة الزعامة الدينية فى إيران واللغة والمشهد السياسى المتغير. فاجأ ظهور هؤلاء المدونون السلطات الإيرانية. وتزامن التطور الحيوى للمدونات فى إيران ومدونات الجاليات الإيرانية فى المنفى مع احتدام الجدل حول الرقابة على الإنترنت، والتى وصلت إلى أعلى مستويات الحكومة.

بات موقع ديراخشان "رئيس التحرير: نفسى"، إلى جانب صفحات مثل "ميترا" وموقع بدرام معلميان "Eyeranian.net" نقاط اتصال دينامية للمناقشة والتحليل أثناء انتخابات عام ٢٠٠٤ الإيرانية العامة. قدمت المدونات الفارسية والإنجليزية تعليقات "شاهد عيان" على الأحداث كمشاركين نقلوا تجاربهم الشخصية من مراكز الاقتراع وأضافوا إحساسًا بنبض الشارع. "وزَّع" المرشحون أثناء الانتخابات الرئاسية بحلول عام ٢٠٠٥ "بطاقات للدخول على الإنترنت بالمجان ونشروا إعلانات لحملاتهم على المدونات على الويب". جاء هذا لتشجيع الناس على زيارة مواقع الحملات الانتخابية على الويب.

تعرض عدد من المدونين فى إيران للاعتقال والسجن بسبب أنشطتهم على الإنترنت؛ حيث سُجِنَ الطالب أوميد شيخان فى ٢٠٠٤، ليعانى التعذيب والحبس الانفرادى قبل أن يواجه محاكمة بتهمتىْ "إقامة علاقات غير مشروعة" و"إهانة قادة

إيران". وفقًا للجنة حماية المدونين، هناك أدلة حول تعرض إيرانيين آخرين للسجن بتهم مماثلة. سُجِنَ مجتبى سامي نجاد بتهمة نشر خبر اعتقال ثلاثة مدونين آخرين في ٢٠٠٤. انتُقِدَت الاتهامات في مدونات أخرى رصدت المدونين الذين تعرضوا للسجن أو التهديد.

أشارت بعض المرجعيات الإيرانية ضمنياً إلى أن هناك "مؤامرات" تشكّل أنشطة الإنترنت. في سبتمبر ٢٠٠٤ نشرت صحيفة "كيهان" الإيرانية آراء رجال الدين في قم "حول دخول واستضافة وفلترة المواقع التي "تهين مفاهيم الإسلام والرسول والأئمة المقدسة، وتنشر المعتقدات الضارة والمنحرفة لتشجيع الإلحاد واللادينية وتشجع نشر الكتب الفاسدة"... وردَّ آية الله مكرم شيرازي أن الدخول على هذه المواقع من المحرمات الدينية ولا ينبغي لمزودي خدمات الإنترنت تسهيل الدخول إليها، وإذا كان فلترتها أو حجبها ممكنًا، فلابد لأولي هذا الأمر الاضطلاع بذلك". من الواضح أن إمكانية حجب أو فلترة مختلف المواقع والمرافق ومزودي خدمات الإنترنت والمنتديات أثارت اهتمام السلطات الإيرانية، خاصة بعد ظهور محمود أحمدي نجاد في يونيو ٢٠٠٥. آنذاك كان لأحمدي نجاد موقع على الويب به خاصية "أرسل رسالة بالبريد الإلكتروني إلى الرئيس"؛ كما غدا نجاد مدونًا في وقتٍ لاحق.

وصل مفهوم التدوين إلى أولئك الذين يتمتعون بمكانة دينية داخل الهيئات الحكومية. سجل موقع محمد على أبطحي webNevesht.com الأنشطة اليومية بالفارسية والعربية والإنجليزية. من المثير للاهتمام أن أبطحي لديه أيضًا حساب على موقع "أوركت"؛ حيث تمتعت هذه البوابة الدولية للشبكات الاجتماعية بشعبية في إيران، رغم سعي السلطات لحجب استخدامها. كان أبطحي نائب الرئيس للشئون القانونية والبرلمانية في عهد الرئيس خاتمي، لكنه استقال في وقت لاحق في ٢٠٠٤، في ظل ضغوط على ما يبدو من الفصائل المحافظة في إيران. قدَّم أبطحي

نفسه على أنه رجل دين ذو اتجاه إصلاحى يستخدم الويب للرد على الأسئلة الدينية التى يطرحها القراء، ولنشر آرائه الخاصة إزاء الشئون المحلية العالمية. ذكر أبطحى "أنا نافذة الحكومة الوحيدة التى يمكن للناس أن يفتحوها بحرية. هذا النوع من الاتصال بين المجتمع ورجل الدين فى غاية الأهمية والغرابة".

كتب أبطحى بوصفه مستشاراً للرئيس خاتمى عن الاجتماعات التى عقدها مع مختلف الشخصيات المحلية والدولية. وشملت التدوينات صوراً فوتوغرافية لأنشطته، من بينها لقطات غير رسمية (التقطها بهاتفه المحمول) لأهم الشخصيات الحكومية والدينية. ولم يخشَ أبطحى التعليق على الأحداث الداخلية والدولية المضطربة، وانتقد أجزاء من خطاب الرئيس أحمدى نجاد الذى أدلى به فى يوم القدس السنوى، الذى دعا فيه الرئيس إلى تدمير إسرائيل.

ظهرت محاولات لإغلاق مدونة أبطحى، خصوصًا بعد "سرقة" نطاق الويب الأصلى الخاص به بعدما كتب خبراً عن تعرض مدونين للتعذيب فى إيران. ومنحته مكانته مساحة لنشر تعليقات ناقدة غير مباشرة عن أحمدى نجاد وغيره. غيَّر أبطحى اسم نطاق الويب الخاص به ونقل مزوده لخدمات الإنترنت إلى الولايات المتحدة. وأصبح إمامًا مدونًا رفيع المستوى، قادراً على تحدى السلطة القضائية حينما سجنت غيره من المدونين خلال عام ٢٠٠٤.

ركزت كتابات أبطحى على مزيد من الإدانة الدولية لإيران وأجبرت السلطات الإيرانية على اتباع سياسة التراجع المؤقت. قال أبطحى: "– ثمة تغيير فى المناخ. الآن بدلاً من أن يخضع المدونون على الويب للضغط فإن السلطة القضائية هى التى تشعر بحرارته –". ظهر عدد من رجال الدين الآخرين على الإنترنت. وعلى ما يبدو لم يكن مستغربًا، نظراً لنجاح أنشطة أبطحى على الإنترنت، ظهور المدونة التى يكتب فيها أحمدى نجاد فى أغسطس ٢٠٠٦. ورغم أنها تعهدت بالنشر بانتظام، لم يُنْشَر بها سوى مقال طويل واحد خلال أول شهرين من عمر المدونة على الإنترنت.

ثم صارت التدوينات أكثر انتظامًا بالفارسية وترجمت لاحقًا إلى الفرنسية والإنجليزية. أرسل عدد من الأمريكيين عقب الجدل الذى أحاط بكلمة أحمدى نجاد فى جامعة كولومبيا عام ٢٠٠٧ رسائل مؤيدة بالبريد الإلكترونى للرئيس من خلال مدونته. لكن ظهرت أيضًا انتقادات على المدونة من قراء أحمدى نجاد لإنكاره وجود المثليين جنسيًا فى إيران.

لا تقل المدونات الشخصية التى خرجت من إيران أهمية عن المدونات رفيعة المستوى كمدونة أحمدى نجاد. قدمت مدونة "فتاة إيرانية" لصاحبتها "فاطمة" رؤية من الداخل حول الثقافة الإيرانية. بدأت المدونة فى أغسطس ٢٠٠٣، وركزت على وضع الكاتبة كمهنية متعلمة داخل مجتمع طهران. علّقت فاطمة على قضايا دينية كانت ستثير استهجانًا ما لم تحتفظ بوضعها مجهول الهوية. وذكرت أن آراءها ستثير استنكار أصدقائها.

أثارت فاطمة الجدل حينما عرضت رسمًا كاريكاتوريًا بعنوان "كيفية تشكيل الملا"، عُرِضَ به رسم يوضح من خلال مرحلة تلو أخرى رجلاً يُزال مخه ويستبدل بعمامة أحد الأئمة. وفى مواضع أخرى، ذكرت أنها الشخص الوحيد فى أسرتها التى لا تصوم أثناء شهر رمضان - وهو تعليق استفزازى لاسيما فى سياق إيران: "لا فرق إن كنت تؤمن (بالصيام) أم لا، فلابد أن تجوع وتعطش لأن الله يريد ذلك!! وهذا ما تعنيه الحياة فى جمهورية إسلامية، وهذا ما يعنيه الغباء!" فى تقاليد الكتابة على النت، الكتابة بحروف كبيرة (فى اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات التى تكتب بحروف لاتينية) مرادف للصراخ، مما يضفى إيقاعًا على آراء فاطمة وتأكيدًا عليها.

يشير الزخم الذى حققه المدونون الإيرانيون فى فترة قصيرة نسبيًا إلى أنه ملأ بسهولة فجوة المعلومات والمعرفة فى السوق. الدين طبقة واحدة فى الخطاب الأوسع الموجود سواء على الإنترنت أو فى العالم الحقيقى فى السياقات الإيرانية، وكان

دور هذا الوسيط أثناء فترة تقلبات السياسة الإيرانية وتحولاتها دوراً كبيراً ومهماً.

طوَّر المغرب العربى وشمال إفريقيا أيضا قطاعًا ديناميًا وإن كان أقل عدداً فى عالم المدونات الإسلامية، حيث مثَّل التنوع داخل بلدان هذه المنطقة وفيما بينها، وطوَّر كذلك شبكات اتصالات جديدة. ومن بين أبرز هذه الأنشطة شبكات المدونات الحيوية التى ظهرت فى مصر. كان لدى "حلقة المدونات المصرية" ما يقرب من ٥٠٠ من الأعضاء المسجلين على النظام فى ٢٠٠٥، لكن وبحلول بداية ٢٠٠٧ ارتفع هذا الرقم إلى ١٤٨١ مدونة (إلى جانب أكثر من ٩٠٠ مدونة تنتظر الموافقة). من بين هذه المدونات، كُتِبَ ما يقرب من ٦٠ بالمائة باللغة العربية، و٣٥ بالمائة باللغة الإنجليزية، والباقى باللغة الفرنسية. داخل هذه الإحصائيات والأرقام، وُصِفَت غالبية المدونات بأنها "شخصية"، تُعَدُّ السياسة والفن والثقافة فيها تصنيفات أخرى مهمة. لم تحتوِ حلقة المدونات هذه على جميع المدونين المصريين المعروفين، ولن يكون هذا التصنيف مقصوراً على المدونات ذات الاتجاه الإسلامى ولا تحتوى بالضرورة على المدونات كاملة النشاط.

استعرضت المدونتان المصريتان "ملفات الشارع العربى" ومدونة "إسندر العمرانى"، الذى كان يكتب بها رئيس تحرير صحيفة "كايرو تايمز" السابق، عناصر مهمة داخل هذا القطاع من عالم المدونات. كانت هناك مشاحنة مثيرة للاهتمام بين المدونتين فى ٢٠٠٣ حول قضية المثلية الجنسية وقضية "قارب الملكة"؛ حينما وصف العمرانى إحدى التدوينات فى "ملفات الشارع العربى" بأنها "كراهية مثيرة للاشمئزاز للمثليين"، واستخدم هذه القضية مُنْطَلَقًا لمناقشة آداب التدوين وانتهاكات حقوق الإنسان فى مصر.

قدَّم كاتب المدونة ذات العنوان الاستفزازى "تخاريف قرد الرمال" نفسه كـ"قرد رمال ساخط ومُنْحَل وعلمانى ومؤيد للولايات المتحدة وسمج وساخر للغاية. إذا كانت هذه منطقة اهتمامك، من فضلك استمتع بالبقاء هنا، وإذا لم يكن كذلك، يا

ريت تغور من هنا". تشير صفحته أنه قضى خمس سنوات فى بوسطن كطالب قبل عودته إلى بلاده فى مصر، التى وصفها بأنها "مختلة وظيفيًا". احتوت المدونة على تعليقات حول قضايا إسلامية ذات صلة، كما علا صوتها فى معارضتها للأنشطة الجهادية.

كتب "قرد الرمال"، المعروف أيضًا باسم "سام"، وثيقة متقدة العاطفة عن التسامح الدينى تبين خشيته على حياة المسيحيين الأقباط إذا تشكلت حكومة من الإخوان المسلمين. وتحدث عن أثر التكنولوجيا على المجتمع المصرى، مستكشفًا آداب استخدام البريد الإلكترونى و"الأوثان" المصرية التى تشمل الهواتف المحمولة والدين. أدلى سام بتعليقات تأملية انتقادية بشأن الاحتجاجات المتعلقة "بالتدنيس" المزعوم للقرآن فى خليج جوانتانامو حينما أشار: "ربما كنا بحاجة إلى التوقف عن لوم العالم، وتحمل بعض المسئولية الشخصية عن عيوبنا والبدء فى إصلاح المشكلات فى بلادنا والتى تجعلنا متخلفين للغاية". أعطى سام فى سلسلة من التدوينات المتواصلة صورة مثيرة للاهتمام للمشهد السياسى فى مصر، وأشار إلى فرص الجدل النقدى التى يوفرها التدوين من حيث القضايا الخاصة بكل بلد والقضايا الاقليمية (إلى جانب ما يتخللها من مختلف التأثيرات المفاهيمية المسلمة/الإسلامية).

عرضت مدونة "عالم عربى واحد" رؤية كريم الصاحى الصحفية فيما يتعلق بمصر. لا شىء يؤكد روح المدونة أكثر من التدوينة التى أخذت عنوان "لا مزيد من الأكاذيب المُرْضِية للذات" جاء فيها: "صدقونى، كمسلم، لا أحب شيئًا أكثر من الاطمئنان إلى فكرة أن الأمر كله يتعلق بتصوير وسائل الإعلام الغربية لنا. هذا النوع من إنكار المسئولية الذاتية هو أول شىء نحن بحاجة إلى مواجهته". يميز هذا التصدى للصور النمطية التى ترسمها وسائل الإعلام عبر المدونات، وهذا التفكير النقدى فى الهويات العربية والمسلمة مثل هذه المدونات عن الأقسام الأخرى الأكثر

دنيوية من عالم المدونات. هذه المدونات لها أهمية خاصة ضمن أطر سياسية ودينية متغيرة أعقبت نجاحات الإخوان المسلمين فى الانتخابات الإقليمية أثناء عام ٢٠٠٥.

طوَّر أنصار جماعة الإخوان المسلمين وأعضاؤها مدونات أيضًا، من بينها مدونة عبد المنعم محمود، والذى استمرت مدونته بعد اعتقاله فى إبريل ٢٠٠٧. لا يخلو التعليق على الشئون الجارية فى المدونات من خطورة. ففى ٢٠٠٧ تلقى المدون عبد الكريم نبيل سليمان حكمًا بالسجن لمدة أربع سنوات فى مصر بتهمة "إهانة الإسلام" (وكذلك إهانة الرئيس مبارك). ذكرت الصحفية المقيمة فى نيويورك منى الطحاوى: "من المحزن والمثير للشفقة والمُرْضِى فى آنٍ أن نظام مبارك – الذى ظل يحكم مصر لمدة ٢٥ عامًا – وجد أنه من الضرورى إدانة شاب لا يملك -- سلاحًا – سوى لوحة مفاتيح والقدرة على الدخول على الإنترنت. ومهما يكن الحكم بإدانته مرعبًا، فهو بالتأكيد انتصار لكتيبة الشباب أقوياء العزيمة الذين يمتلئ بهم عالم المدونات المصرية والذين – كنبيل – لم يعرفوا زعيمًا آخر [فى حياتهم] غير مبارك". خسر نبيل الاستئناف، وواجه الشاب البالغ من العمر ٢٢ عامًا أربع سنوات فى السجن. سعت حملة دولية قوية على الإنترنت إلى إطلاق سراحه. واستمر نبيل فى "التدوين" من السجن، حيث تعتبر رسائله مصدر التدوينات التى تنشر بها.

لم يَخْلُ التدوين من صعوبات كامنة أيضًا فى ليبيا المجاورة. صدر الحكم بسجن المدون عبد الرازق المنصورى فى ليبيا لمدة ثمانية عشر شهرًا فى نوفمبر ٢٠٠٥. وكان هذا على ما يبدو بسبب حيازته مسدسًا غير مُرَخَّص أكثر من التصريحات التى نشرها فى مدونته. وبات موقع المنصورى الإلكترونى ملتقىً سواء لمقالاته، التى اجتذبت شهرة أكبر بعد إلقاء القبض عليه، أو للحملات التى كانت تسعى لإطلاق سراحه. كان المنصورى معارضًا للنظام الليبى، وتعرض لاحقًا لإصابات فى السجن.

دار نقاش بين المدونين من ذوى الاهتمامات الليبية بشأن إنشاء مجمع لجمع

خلاصات العدد المتزايد من المدونات ذات الصلة بليبيا والتى ظهرت على الإنترنت من داخل البلد وخارجه. قدمت مدونة "من الصخرة"، التى كانت سابقًا مشروعًا لتحديد تاريخ إحدى القرى بالمرتفعات الليبية، التعليقات والتحديثات على عدة مدونات، كما شارك صاحبها فى مؤتمر تونس فى ٢٠٠٥. وقدمت مدونة "المحور الليبى" Ly-Hub، نفسها بأنها "مكان للمدونين الليبيين أو من لديهم اهتمام بليبيا للتواصل وتبادل المدونات والأفكار والمزيد والمزيد"، وسعت إلى تحقيق هذه المزية من خلال الاعتماد على تدوينات من أعضائها (قليلى العدد نسبيًا).

لا يزال المدى الذى تسود من خلاله القضايا الإسلامية عالم المدونات الليبية تساؤلاً مفتوحًا. يمكن أن تكون هناك اختلافات جوهرية بين ما ينشره المنفيون/المغتربون وتلك التدوينات الخاصة بمن يعيشون داخل ليبيا. تقدم المدونات الشخصية مثل "فتاة طرابلس" وجهة نظر فتاة تبلغ من العمر ١٥ عامًا فى ليبيا لكنها تقتصر على نقاشات حول الأسرة والطبيعة. عرضت دنيا هوية مسلمة قاطعة من خلال "مدونة لأنثى مسلمة عربية (ليبية لتكون محددة للغاية) ــــ مع جميع الآراء التى تضمرها هذه الهوية". احتوت المدونة على مختارات من الشعر والمعلومات الثقافية التى تتجاوز ليبيا فى أصولها، وكذلك معلومات عن مناسبات عائلية. شارك فى الكتابة فى المدونة اثنتان من المساهِمات فى فريقها وقامتا بالتعليق على وسائل الإعلام والصحافة وأساليب اللغة العربية.

يبدى المغرب العربى تنوعًا من حيث موضوعات مدوناته وأساليبها. تقدم "مدونة المغرب" Maghreblog، التى تُكْتَب أساسًا باللغة الفرنسية والإنجليزية، نفسها على أنها جهد جماعى من كتَّاب مختلفين يعلقون على الأنشطة المرتبطة بعالم التدوين فى الجزائر والمغرب وليبيا وتونس. ويدير كل كاتب مدونته الخاصة، فضلاً عن المشاركة فى "مدونة المغرب". هناك تنوع كبير على الإنترنت فى هذه المدونة، سواء بين البلدان المختلفة أو داخل البلد الواحد. كما ظهرت العديد من مجتمعات المدونات التى ارتبطت بالمغرب العربى.

فى ٢٠٠٥، أنشأت مدونات تونس مجمعًا لما يزيد عن ١٢٠ مدونة باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية يكتب فيها كتّاب يقيمون فى تونس وغيرها من الأماكن. لا تنتمى كل هذه المدونات انتماء مباشرًا إلى تونس. وتضاعف هذا العدد ثلاثة أضعاف بحلول عام ٢٠٠٧. ولا يزال مدى اعتبار القضايا المسلمة والإسلامية موضوعات سائدة موضع تساؤل، حيث تركز الكثير من المدونات المعلومات عن التكنولوجيا والثقافة والفنون والتاريخ. كما أطلق المدونون التونسيون فى ٢٠٠٥ مسابقة سنوية لجوائز المدونات التونسية مكونة من ثمانى فئات.

قدمت شبكات المدونات التونسية مثالاً لإمام سابق تحول إلى الإلحاد هو "لبيدى كريم محمد"؛ الذى ناقش رؤيته بشأن المصادر والشخصيات الإسلامية فى مدونة "الإسلام لا". ذكر موقع "حرية الدين" أن لبيدى تلقى تدريبًا كإمام فى إيران، وكان موضوع فتوى شيعية أدت إلى قطع اتصاله بالإنترنت وبهاتفه المحمول. عرضت "الإسلام لا" رسومًا كاريكاتورية وتعليقات، إلى جانب مونتاج صادم لصاحب المدونة حلّت فيه المساجد محل رأسه. صحب ذلك تفسير للسبب الذى دعا لبيدى لاختيار مسار يعد "خطرًا" فى سياقات إسلامية كثيرة، على الأقل من حيث التعبير العلنى.

تتناول الرسوم الكاريكاتورية فى "الإسلام لا" موضوعات لابد وأن يعتبرها بعض المسلمين مسيئة، حيث تتضمن صورًا لمحمد (ص) ويسوع. ومع ذلك، أكد لبيدى أنه يحترم حق الآخرين فى الإيمان بالله بينما يعارض مفهوم الإله نفسه! قادتنا هذه المدونة إلى مواقع ذات صلة لمسلمين "ملحدين". وباتت هوية لبيدى مصدرًا لجدل محتدم فى مواضع أخرى من عالم المدونات، مع تساؤلات حول كيفية احتفاظه بمثل هذه المدونة فى تونس وما إذا كانت هويته ستظهر فى "حوار مباشر" على "البالتوك" PalTalk. بدأت "الإسلام لا" تخضع للرقابة فى تونس فى فبراير ٢٠٠٦. وكانت هناك مخاوف حول تسجيل عناوين بروتوكولات الإنترنت الخاصة

بأولئك الذين يتركون تعليقاتهم على مدونة "الإسلام لا"، والتى قد تفضى إلى الكشف عن هوياتهم.

يضم الفضاء السيبرى المغربى المئات من المدونات، وتوجد نسبة كبيرة منها فى فرنسا. أورد موقع Larbi.org أكثر من ٣٠٠ مدونة بها مدى واسع من الرؤى والموضوعات، رغم احتوائه على عدد قليل من الأمثلة المحددة لمدونات تتعلق مباشرةً بالإسلام. ليس هذا بالضرورة مؤشراً على أى "فراغ دينى"، لكنه قد يعكس اهتمامات مؤسسى موقع Larbi.org. ضمت القائمة المدونات التى بدأت استجابةً لأحداث معينة، مثل خطف الرهائن المغاربة فى العراق.

غلبت على المدونات الجزائرية مساهمات الجزائريين المغتربين فى فرنسا. وصفت مدونة "حشيشة" نفسها أنها مدونة جزائرى مقيم فى باريس "فى السراء والضراء". وضمت تعليقات سياسية صادرة عن خبرة العيش فى فرنسا كشخص ينتمى لأقلية إثنية، وكانت ذات أهمية خاصة لاسيما أثناء فترة أعمال الشغب بالمناطق الحضرية فى المدينة فى ٢٠٠٥. ركز المدون رباح المقيم فى مدينة الجزائر على قضايا تكنولوجية مرتبطة بالجزائر، أشار فيها إلى وجود ١,٥ مليون متصفح و٥ آلاف مقهى إنترنت فى الجزائر وفقًا لمصادر حكومية. كما انتقد الخطة الحكومية الخاصة "بجهاز كمبيوتر لكل أسرة"، مشيراً إلى ارتباط الخطة بفرض الحكومة نسبة فائدة باهظة للحصول على قرض رغم أن الخطة "قد تبدو جيدة على الورق".

تعرض مدونة "شخص من البربر فى البيت المجاور" ما يكتبه خالد نور الدين البالغ من العمر ١٧ عاماً، وهو جزائرى - أمريكى يقيم فى الولايات المتحدة وذو جذور شيعية/ صوفية/ مسيحية/ كويكرية. أعلن نور الدين الذى ذكر أنه "مسلم علمانى" قائلاً: "أنا أمقت المسلمين الشوفينيين، لكننى لا أكره الإسلام". ربما كان من الأسهل بالنسبة لنور الدين أن يعلن هذا فى الولايات المتحدة لا فى الجزائر.

أتاحت المدونة نظرة ثاقبة على الهويات المتعددة التى يعبر عنها سواء على الإنترنت أو فى العالم الحقيقى مسلمون ينتمون إلى جذور مختلطة، وهو الأمر وثيق الصلة بوجه خاص فى تجسير الفجوات بين الأجيال المرتبطة بأشكال فهم الهويات. كما عرض نور الدين نصوصاً لمحادثات مع أصدقائه فى الجزائر. فى إحدى المناقشات فى ديسمبر ٢٠٠٥ بين نور الدين وصديق له سأله عن السبب الذى حال دون أن تصبح الجزائر كأفغانستان أثناء فترة حكم طالبان. هذا النوع من الحوار مؤشرٌ على مدى الإمكانيات المتاحة على الإنترنت "للجاليات" المشتتة فى جميع الأنحاء والتى تعرض انفتاحاً فى الرأى حول القضايا السياسية والدينية. ومن التدوينات الصادمة بوجه خاص كان ذلك ما نُشِرَ دفاعًا عن الجزائر كمجتمع ليبرالى وتقدمى، وجاء رداً على مقال عن مداهمة الشرطة لحفل زفاف للمثليين فى الجزائر.

التدوين المسلم خارج الشرق الأوسط

عالم المدونات الإسلامية يفوق كونه ظاهرة إسلامية ذات صلة بالشرق الأوسط؛ فهو مرتبط بالعديد من المناطق المسلمة الأخرى، يتصف بعضها بمحدودية الوصول إلى الإنترنت. يتناول القسم التالى بعضاً من هذا التنوع فى التدوين المسلم، بدءًا من جنوب الصحراء الكبرى، والقرن الإفريقى، وسياقات شرق إفريقيا. كما أن المهاجرين والمغتربين والطلاب إيجابيون بشكل خاص فى كتابة المدونات؛ وتقدم "أرض الصومال" والصومال وإثيوبيا وزنجبار وإريتريا أمثلة نموذجية من هذا النمط.

من بين أبرز المجتمعات المحلية على الإنترنت التى ظهرت من سياقات صومالية موقع Qarxis الذى جذب عدداً كبيراً من الزوار لما كان يعرضه من مقاطع فيديو متنوعة. يقدم أحد هذه المقاطع عبر يوتيوب عرضاً مزعومًا للجن وهم "يتلبسون" فتاة صغيرة. جذب الفيديو آلاف المشاهدات ومناقشات كثيرة ومثيرة داخل المجتمع الصومالى على الإنترنت. عبَّر القارئ "Slick-Horsie" عن رد فعله بلغة إنجليزية دارجة:

> يا صاحبى ذلك الكليب أخافنى جداً! عندما كنت أشاهده، كُنْتُ تمام، أقصد أننى لم أكن خائفًا أو أى شىء، لأننى رجل ولا أخاف من أى فيديو كليب. لكن بعد ذلك، اشش! كل مرة كنت أذهب فيها إلى غرفة اعتقد أننى بمجرد أن أفتح الباب سأرى تلك البنت تردد تلك الكلمات بذلك الصوت اللعين، تحملق فى وجهى. لابد من منع شىء مثل هذا!! ... شاهدت حالة مسّ حقيقية زمان عندما كنت طفلاً، كانت محنة مرعبة ... أعتقد أن هناك جنًا. أنا أتكلم بجد يا صاحبى. ليس داخلى لكن أظن أن شخصًا ما يواصل الوسوسة بأمور سيئة لى لأننى أعمل أشياء لا ينبغى أن أقوم بها، أقول لك لابد أنه من الجن.

كان الكليب غير عادى بالتأكيد. من الأهمية بمكانٍ وجود مناقشة مستمرة، وسط المناقشات التى دارت حول الثقافة/الثقافات الشعبية ذات المنحى الصومالى، حول جوانب الخبرات والتوقعات الدينية المرتبطة بالدين الشعبى؛ وهو ما يؤدى إلى تشكل الرأى من مختلف سياقات التدوين المسلمة. تحتوى مدونة Qarxis على مواد أخرى تتعلق بالمعتقدات الدينية، والتى تعمل بمثابة نقطة محورية للمعلومات المرتبطة بثقافة الشتات الصومالية.

كان إنتاج أحمد كويك، وهو مهاجر من الصومال، ذا أهمية أيضًا فى هذا المجال. أنتج كويك النسخة الإنجليزية من مدونة "صوت أرض الصومال فى الشتات-أوتاوا" التى كانت مركزًا لتبادل المعلومات حول هذا الجزء من منطقة القرن الإفريقى، إلى جانب روابط عديدة للمدونات ذات الصلة. شكّلت الاهتمامات الدينية نصًا تحتيًا فى هذه المدونات، كما سيطرت عليها، بما لا يثير الدهشة، المناقشات السياسية حول الصومال وأرض الصومال.

عمل المدونون فى سياقات إسلامية إفريقية أخرى. جاء التدوين النيجيرى حيوياً ومستنيراً، لكن من العسير تعيين وجود نيجيرى إسلامى معين. طوّر مجمع المدونات النيجيرية نظاماً للخلاصات من مجموعة متنوعة من المدونات ذات الصلة بنيجيريا من المقيمين فى البلد والمغتربين وأبنائهم وأحفادهم. ولم يصنف المجمع نظامه على أساس خطوط دينية. بإمكاننا أن نجد محتوىً مسيحياً واضحاً لكن لم يكن هناك سوى محتوى ضئيل مرتبط بالإسلام.

تمثيل المدونات المسلمة فى سياقات الأقلية محدود أيضاً، رغم وجود إمكانات كبيرة بمجرد زيادة الفرص للدخول على الإنترنت. ففى جنوب إفريقيا، ومن بين المدونات ذات الاتجاه الإسلامى، دوّن نعيم جيناه عن قضايا إسلامية، من بينها أنشطته كصحفى وزعيم للجالية. أصدر جيناه تعليقاته بشأن تصريحات "مناهضة للإسلام" وأعاد نشر بيانات أطلقتها منتديات مسلمة عامة ضد الجهود التى تبذلها الحكومة الأمريكية لإدانة اثنين من جنوب إفريقيا بتهمة الإرهاب. توسع تمثيل الرؤى الإسلامية – الإفريقية الأخرى فى المدونات مع تضاؤل الفجوة الرقمية، خاصة من سياقات غرب إفريقية كالسنغال. ويعكس هذا تحولات الشتات الثقافية المرتبطة بهجرة العمالة (وبخاصة إلى أوروبا الغربية) حيث وفرت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قناة مهمة للاتصالات بين اللاجئين لأسباب سياسية واقتصادية وبين بلدانهم الأصلية.

يمكن أن نجد كثيراً من المدونات تعالج موضوعات ذات صلة بالإسلام فى سياقات آسيوية تتجاوز الحدود الدينية والثقافية. يسَّرت المستويات العالية من استخدام الإنترنت والوصول إليه ثقافة تدوين متطورة، خاصة بين الطلاب والخريجين. بوسعى أن أتذكر خلال زيارتى لماليزيا فى منتصف التسعينيات أن الإنترنت كان قد اخترق بالفعل المنظمات المسلمة إلى جانب استخدامه من قبل جهات ناشطة. مكّن التدوين امتداد الخطاب الاجتماعى المتطور تطوراً عالياً بالفعل

على الإنترنت، وشجعه فى ماليزيا على وجه الخصوص "واواسان ٢٠٢٠" Wawa-san 2020 ("رؤية ٢٠٢٠"). كانت هذه استراتيجية وضعها رئيس الوزراء مهاتير محمد فى ماليزيا وحزب المنظمة الوطنية الماليزية المتحدة فى التسعينيات والتى لعبت تكنولوجيا المعلومات فيها دوراً أساسيًا فى خطط لتطوير الثقافة والمجتمع الماليزى.

تتمتع ماليزيا الآن بثقافة إنترنت متطورة للغاية. ظهرت هناك أيضًا مسائل معينة خاصة بالسيطرة والرقابة فيما يتعلق بالمدونات، والتى لم تَسْلَم من مخاطر الرقابة والملاحقة القضائية. فى ٢٠٠٤ تسبب نقد لتفسير رئيس الوزراء "بدوى" للإسلام على الإنترنت فى تهديد من قام بالنقد بالزج به فى السجن.

تردد صدى مفهوم "الريفورماسى" أو "الإصلاح الإسلامى" فى ماليزيا فى عالم المدونات. كانت الحملات المرتبطة بأنور إبراهيم – وهو نائب رئيس الوزراء الأسبق الذى سُجِنَ فى أحداث مثيرة للجدل بين عامى ١٩٩٩ و٢٠٠٤ بسبب اتهامات بالفساد وممارسة الشذوذ الجنسى – مبتكرة فى نشاطها المتكامل عبر الإنترنت. نجح الاستئناف فى الإفراج عن إبراهيم الذى واصل بعد ذلك استخدام الإنترنت للترويج لرسالته السياسية. ركز هذا النشاط على الإنترنت على مدونات إبراهيم الخاصة باللغتين البهاسا الماليزية والإنجليزية، واللتين كان يدوِّن فيهما بانتظام حول القضايا الدينية والسياسية الإقليمية والدولية. شمل ما نشره على مدوناته الجمع بين مدونات فيديو مصممة خصيصًا للتدوين، يستضيفها يوتيوب، وفيديو لمقابلة على قناة الجزيرة حث فيه مؤيديه على عمل المدونات والمشاركة فى النشاط السياسى على الإنترنت. كان لإبراهيم صفحات على مواقع الشبكات الاجتماعية مثل فيسبوك وماى سبيس، والتى وضعت رابطًا لفيلم وثائقى عن سجن إبراهيم. كما احتوى موقع الشبكات الاجتماعية "فريندستر" Friendster على صور لأنور إبراهيم، إلى جانب روابط "مجموعات أنور" التى ضمت حزب "قرتى إسلام س-مليسيا" الإسلامى المعارض.

يمكن فهم أهمية الروابط التشعبية كوسيلة من وسائل توضيح الولاء لإبراهيم من خلال اللافتات على مدونته التي تضع رابطًا لحزب "ڤرتي كيديلان راكيات" (حزب العدالة الشعبي)، والذي روَّج لرؤية إبراهيم الإصلاحية. ترأس حزب العدالة الشعبي الماليزي زوجة إبراهيم، وان عزيزة وان إسماعيل. كما أصبحت عضوًا في البرلمان الماليزي بعدما فازت بمقعد زوجها البرلماني السابق بعد سجنه. سلَّطَ الضوء على الأنشطة الدولية في رابط جمعية "المساءلة"، وهي جمعية خيرية للتنمية المستدامة، والتي كان إبراهيم رئيسًا فخريًا لها.

وفيما فُرِضَت قيود على أنشطة أنور إبراهيم السياسية الماليزية، ظل قادرًا على الاعتماد على استراتيجية واسعة بالإنترنت أدمجت جوانب ويب ٢.٠ بغرض تعزيز رسالته، مع الأخذ في الاعتبار الاهتمامات التكنولوجية وتطوير البنية التحتية التي كانت السمة الأساسية لبرنامج إبراهيم السياسي عندما كان نائبًا لرئيس الوزراء. وتعززت الدعاية لهذا السياسي الإصلاحي "المتصل بالإنترنت" أكثر من خلال استخدام الإنترنت بهذه الطريقة.

أنشأ سياسيون ماليزيون آخرون مدونات ووضعوا روابط لمواقع الشبكات الاجتماعية، كما تمتلك جميع الأحزاب شبكات ويب متطورة للغاية. بدأ عضو البرلمان بولاية جهور بارو داتوك شهرير عبد الصمد التدوين منذ عام ١٩٩٩، حرص خلالها على تعزيز مفهومه لما يشكِّل "التدوين الملائم" بما يتفق مع مصالح الحكومة الماليزية. رأى عبد الصمد أن المدونين لا ينبغي لهم أن يكونوا مجهولي الهوية، حيث قال: "أنا شخص من الطراز القديم، وما أقوله ملزمٌ لي مثل ما أكتبه. لما تكتبه قوته الكامنة ولذا أتأكد أن ما أكتبه هو ما أرى أنه حقيقة أو رُئِيَ لي، ولذا أوقعه بالاسم الحقيقي".

حملت مواقع أخرى أيضًا رسالة "إصلاحية" مرتبطة بماليزيا، حينما نشرت تعليقات ومقالات صحفية حيث تتواصل أيضًا مع المدونات المتعاطفة الأخرى.

عرض عدد من المواقع المؤيدة لحزب "ڤرتى إسلام س-مليسيا" الاحتجاجات السياسية مشفوعة بالصور ومقاطع الفيديو. أنشأ الحزب مدوناته الخاصة، من بينها مدونة عن الأنشطة البرلمانية. ويرتبط هذا بدوره بموقع الحزب على التليفزيون، والذى يعرض مقاطع الفيديو والتعليقات السياسية. يمثل حزب "ڤرتى إسلام س- مليسيا" نموذجًا جديرًا بالاهتمام حول كيفية استخدام الجهات السياسية جوانب من ويب ٢,٠ كى تقدم رؤيتها عن الإسلام. وكان هذا، فى جزء منه، للتصدى لأنشطة الحكومة الماليزية واسعة النطاق على الإنترنت.

عرضت مدونة "كيكديفيللا" Kickdefella لتعليقات اجتماعية معتمدة على صور مأخوذة "للقرى" التقليدية وشجعت القراء على المساهمة فى رفاه الأفراد المحرومين اقتصاديًا. صاحبُ الموقع مخرج أفلام اشتمل موقعه على سلسلة من أفيشات الأفلام الساخرة التى تتناول شخصيات سياسية ماليزية، تظهر إلى جانبها شخصيات أفلام الرسوم المتحركة مثل "مستر إنكريديبول" Mr Incredible و"شرِك" Shrek. كما احتوت مدونة "كيكديفيللا" على قائمة مدونات تؤدى إلى أكثر من ستين موقعًا ذات توجهات إصلاحية.

أوضح مجمعٌ للمدونات الماليزية (من بينها المدونات التى يكتب بها مسلمون) الموجود على "مشروع شارع بيتالينج" أن المدونات الماليزية احتوت على شتى الاهتمامات الدينية والثقافية والإثنية. ومن بين المدونين الماليزيين الأكثر تنوعًا فى إنتاجهم كاتب مدونة مينج "أفكار نقدية" التى ركزت على ممارسة الإسلام فى ماليزيا. وصف الكاتب محمد إلفى نيشايم جفرى، وهو طالب فى تكنولوجيا المعلومات والحاسبات، نفسه بأنه "ناشط إنترنت مسلم وطالب فى مجال الأديان المقارنة ... مكرس للتصدى للمعلومات المغلوطة عن الإسلام". قد لا يمثل جفرى التدوين المسلم الماليزى، لكنه كان إيجابيًا ونشر فى موضوعات متنوعة.

ساهم جفرى فى مواقع وبوابات أخرى من بينها موقع "باسمك اللهم"، وهو

بوابة متعددة الجنسية تسعى "لتسهيل ردود المسلمين على شتى أشكال الهجوم الكاذب وتشويه الإسلام الذى يقوم به المبشرون المسيحيون وحلفاؤهم المعادون للإسلام المنتشرون على الإنترنت". أثارت قضية إساءة معاملة السجناء المزعومة فى ماليزيا ضجة فى أوساط المدونات عندما نُشِرَ شريط فيديو على الإنترنت لامرأة من إثنية صينية جُرِّدَت من ملابسها أثناء تفتيشها، ونوقش هذا، أيضًا، على صفحات جفرى.

احتوت مدونة "مينج" على إشارات عديدة للثقافة الشعبية. فعلى سبيل المثال، سمح جفرى "البث الكامل" (إلى جانب رابط للتحميل) لأغنية الهيب الهوب الملاوية، "ميناه تودونج"، والتى تنتقد النساء اللاتى يرتدين اللباس الإسلامى التقليدى: "نحن بحاجة إلى مزيد من الأغانى من هذا النوع، وإن كان بلغة أكثر لطفًا. تفتقد فنون هذا البلد وثقافته إلى النقد الاجتماعى إلى حد بعيد". ودافع عن موقفه بشأن الهوية الدينية فى ماليزيا، إذ نظر إلى الهوية الماليزية المتماسكة متعددة الإثنية على أنها "مفهوم فاشل". ظهرت إشارات عبر-ثقافية متعددة مثيرة للاهتمام فى تدوينة تحت عنوان "بعد ألبوم لينكن بارك"، والتى استخدمت دفاعًا تضمن شخصية من رواية سى. إس. لويس "سجلات نارنيا". وأشارت مدونات أخرى ظهرت من ماليزيا إلى وجود خطاب دينامى منفتح فى الاتحاد الماليزى.

أدت مستويات انتشار الإنترنت المرتفعة فى إندونيسيا إلى تمكين مجتمع ملمٍ بتكنولوجيا المعلومات والاتصال بالإنترنت. بات التدوين مضافًا مهمًا للتعبير عن الذات داخل الأوساط المتعلمة الإندونيسية. كان ذلك "من أعلى إلى أسفل" حيث، وهو الأمر المثير للأهمية، امتلك الرئيس الإندونيسى سوسيلو بامبانج يوديونو مدونة تحتوى على بيانات سياسية. وتظل هناك تساؤلات حول كتابته محتواها بنفسه.

نُظِر إلى الوسط الذى عبَّر الإندونيسيون به عن أنفسهم على أنه مهم، إذ يعكس حالة من تجزؤ المجتمع إلى قطاعات وجمهور ذى سمات مختلفة. ونُظِرَ إلى

استخدام اللغة الإنجليزية بأنه مهم لتقديم رؤية الإندونيسيين للعالم إلى القراء الدوليين. فعلى سبيل المثال، انتقل الطالب ديدى و. سنوسى المقيم بالرباط من التدوين بلغة البهاسا الإندونيسية إلى اللغة الإنجليزية لمناقشة تجاربه كإندونيسى يعيش في المغرب. وتعرض مدونة بريادى إيمان نوركايو بريادى "قائمة تحوى أفضل ١٠٠ مدونة إندونيسية"، الأمر الذى يشير إلى مشهد تدوينى حيوى حول مدى من المجالات (احتلت مدونته نفسها المرتبة الثالثة فى هذه القائمة، حيث "سبقته" مدونة ويليام كمبيوتر - وهى صفحة تقنية - ومدونة إندا ناسوتيون). كما أدْرَجَت مدونة بريادى ٢٠٠ مدونة أخرى "لأصدقائه" من أصحاب المدونات.

"المدون الإندونيسى" بوابة مهمة اتسع مداها وتأثيرها عن طريق المساهمات التى نُشِرَت على موقع "الأصوات العالمية أون لاين". شن الموقع حملة لزيادة كم التدوين باللغة الإنجليزية الذى يستند إلى السياقات الإندونيسية. كان صاحب المدونة أ. فاتح سيوهود طالبًا فى الدراسات الإسلامية والعلوم السياسية في نيودلهي بالهند. تخللت هذه التيمات الأكاديمية تدوينات سيوهود، والتى ناقشت العديد من أوجه المجتمع الإندونيسى. تساءل سيوهود فى تدوينة نشرها فى مدونة "المفكرة الإندونيسية": "من المسلم المعتدل؟" ربط فيه المصطلح تحديداً بالسياق الإندونيسى إلى جانب السياق العالمى. وبعد مناقشة الجماعات الإسلامية المعتدلة، كتب سيوهود قائلاً:

> هناك جماعة تسمى "أبانجان" والتى يقصد بها المسلم غير الممارس للإسلام، المسلم الذى توجد هويته الإسلامية فى بطاقتهـ/ا الشخصية فقط، أو فى اعتقادهـ/ا وإيمانهـ/ا بالله والنبى محمد (ص) ولا أكثر من ذلك. يمكنك أن تجد هؤلاء المسلمين فى حانة أو مَرْقَص، يغنى عارياً فى فندق ما أو يصبح عارضاً

عارياً أو عارضة عارية للأزياء فى بعض المجلات شبه الإباحية أو كاملة الإباحية أو ممثلاً أو ممثلة فى فيلم بورنو أو أى شىء قذر وساقط من هذا القبيل. ورغم قولى هذا، لا يحتقر أىٌ من المسلمين المعتدلين (التقليديين أو المحافظين) هذه المجموعة ولا يسقطها من حساباته باعتبارها غير مسلمة. جماعة "أبانجان" لا يزالون مسلمين. إنهم جزء من المسلمين الإندونيسيين المتميزين بالتفرد والتجانس.

من الصعوبة بمكان تحديدهم على وجه الدقة لأنهم فى حالة تغير دائم. فالشخص من جماعة "أبانجان" الآن، قد ينتمى إلى "سانترى" غداً.

يُضمِر مصطلح "سانترى" شكلاً أكثر نقاء من أشكال الإسلام، بينما تشير "أبانجان" ضمنًا إلى نزعة توفيقية فى الشعائر التى يؤديها المسلمون. يتحدى تحليل سيوهود - الذى كان تحليلاً شخصيًا وذاتيًا وخياليًا فى بعض الأحيان فى تعريفه "للأبانجان" - مفاهيم الهوية والفهم الثقافى والدينى.

فى ٢٠٠٦، تضمنت مدونة سيوهود تقريراً من تدوينات تناقش تعدد الزوجات، فى إشارة إلى الزوجة الثانية التى تزوجها الداعية المسلم الشهير أ جيم (عبد الله جيمناستيار): "وهكذا، يعيش الرجل القديس الأكثر فحولة الآن مع زوجتين، وهو الأمر الذى أثار الجدل فى وسط المدونات الإندونيسية بشأن صواب مثل هذا الفعل". أثارت قضية تعدد الزوجات فى الإسلام قدراً هائلاً من التعليقات على الإنترنت، وبخاصة فى وجود منهج جيم الإصلاحى الشعبوى. كانت هذه فرصة لأعداء جيم للتشكيك فى موقفه الأخلاقى، بينما دافع آخرون عن قراره.

كانت تدوينة سيوهود مصحوبة بجدل منفصل يتعلق بفضيحة جنسية وادعاءات

أحاطت عضوًا في البرلمان الإندونيسي وكان وزيرًا للشئون الدينية في حزبه السياسي. تميزت هذه الفضيحة بعنصر محدد من عناصر ويب ٢,٠، كما ذكرت "الأصوات العالمية أون لاين": "خرجت فضيحته الجنسية مع إحدى المغنيات والتي سجلتها باستخدام هاتفها المحمول عن نطاق السيطرة وانتشرت مثل الفيروس بين مستخدمي الهواتف المحمولة الإندونيسية وصارت مثار الحديث بين المدونين الإندونيسيين".

ظهر الفيديو كليب، في نسخ مختلفة، عبر الإنترنت. وزاد ذلك دون قصد شهرة بعض المدونين الإندونيسيين الذين اختاروا نشر هذا الكليب على مواقعهم. إذا نحَّيْنا الفضيحة جانبًا، ينبثق مدى واسع من المدونات من إندونيسيا، وتعكس تنوع الجمهورية الإندونيسية العرقي والثقافي والديني. وعلى الرغم من أن مفاهيم "الإصلاح" جزء صغير من هذه المعادلة، فإن التيمات الثقافية الشعبية المعتادة التي توجد في كل مكان على المدونات تلعب دورًا مهمًا في التعبير الإندونيسي على الإنترنت. يوحي منهج أنصارها التجريبي بأن عالمًا تدوينيًا إندونيسيًا مسلمًا واضح المعالم في سبيله إلى الظهور من خلال العناصر الملمة بالتكنولوجيا في أكبر بلد مسلم في العالم من حيث عدد السكان.

من المهم أن نذكِّر أنفسنا بأن المحتوى الديني ليس بالضرورة موضوعًا مهيمنًا في عدد من قطاعات الفضاء السيبري المرتبطة بالمسلمين. يزيد عدد كتَّاب المدونات الشخصية في أغلب الأحيان عن كتَّاب أعمدة الرأي على الإنترنت، ويعتمد مضمونها على العناصر الدنيوية من الحياة اليومية أو تنشيط الفضائح والنميمة. وإذا تمكنَّا من الاحتفاظ بأرشيفات لمثل هذه المواد في المستقبل، فإننا بذلك نقدم للأنثروبولوجيين والمؤرخين الثقافيين كنزًا نفيسًا من المواد التي يمكن أن تكون موضوعًا للدراسة.

هناك تضمينات محددة في المحتوى متعدد الأجزاء داخل مختلف قطاعات

المدونات الإسلامية، والتى تعكس التأثيرات التاريخية والثقافية والدينية. ينعكس هذا فى الفضاء السيبرى الباكستانى الذى يضم مدونات باللغات الإنجليزية والبنجابية والأوردية والعربية. شهدت باكستان ظهور عدد كبير من المدونات، من بينها تلك التى يُنظِّمها معاً المقيمون والمغتربون، والشعب فى الشتات الباكستانى المسلم. وهناك أيضًا قطاع غير مسلم فى الفضاء السيبرى الباكستانى. قَدَّم المدونون الباكستانيون مصادر للمدونين "من أصل باكستانى"، وأوردوا بها أكثر من ١٠٠ مدون باكستانى، من بينها مدونات باللغة الأوردية. ويتسم المحتوى بلغات باكستان المحلية بأنه محدود.

يسعى الكثيرون إلى تعاطى القضايا السياسية والدينية، إذ ينظرون إلى التدوين بصفته يوفر مستوى من الحرية لا تسمح به وسائل الإعلام الأخرى وتُعتبر مدونة "كل شىء عن باكستان" خير مثال على ذلك. كان عادل نجم مؤسس المدونة فى ٢٠٠٦ ومحررها جزءًا من الفريق الذى تقاسم جائزة نوبل مع آل جور لما قاموا به من عمل حول سياسة تغيُّر المناخ. علَّق فريق "كل شىء عن باكستان" على القضايا الباكستانية بانتظام، فيما تناول أيضًا تاريخها من خلال العديد من الصور والمقالات. أجرت "كل شىء عن باكستان" استطلاعات للرأى على المدونات حول مختلف القضايا، مع التركيز على الاهتمامات السياسية فى باكستان، حيث "قَيَّمَت" قيادة الرئيس مشرف. وفيما كانت الأخبار تياراً تحتياً فى المدونة، ظهرت قضايا ثقافية أخرى بقوة. أوضح الكاتب أن القصد من وراء "كل شىء عن باكستان" "الإحاطة بباكستان من جميع أبعادها بما فى ذلك سياساتها، وثقافتها، وتفاصيلها التافهة، وجمالها، ومآزقها، وشعر وجهها، ورءوسها المعممة، وبراقعها المستديرة، ومشاهير عارضيها الذين جابوا العالم، ومصرفيوها الناجحون للغاية، وفرق الروك بها، وقوّالوها، وشعراؤها، وبائعوها الجائلون، وسياسيوها المخادعون، وموظفوها الحكوميون المتآمرون، وشعبها الذى لا يلين ــ من حيث الجوهر، كل شىء باكستانى".

قدمت المدونة فى صورتها الحالية مستويات متواصلة من التفاعل الخاضع للإشراف، لاسيما حول قضايا الساعة. ويتضح هذا فيما نشره نجم عن حصار و"معركة" مسجد لال فى إسلام أباد فى ٢٠٠٧ ونتج عنه آلاف الصفحات من الآراء ومئات من التعليقات. اعتمدت تدوينات نجم المفصلة على تقارير صحفية ومقاطع فيديو مستمدة من مصادر متنوعة من بينها شبكة BBC. كما أنتجت العضوات المتدينات من "مدرسة" المسجد على ما يبدو مقطعًا آخر.

تميزت المدونات الباكستانية بوجود مجال للسخرية الدينية. نشر عمر ألفى تدوينة بعنوان "منهج مدرسى مجنون" فى مدونة "رزمة ورق الزيتون" نقداً ساخراً لنظام "المدارس" الإسلامية فى باكستان وغيرها. كان ألفى سباقًا فى تقديم نبذة عامة للمدونات الباكستانية فيما ينشره لمدونة "الأصوات العالمية أون لاين". ظهرت المدونات أيضًا استجابة لأحداث معينة فى باكستان، على سبيل المثال، ظهرت سلسلة من المدونات عقب الزلزال الذى وقع فى باكستان فى ٢٠٠٥ من بين ردود الفعل الإنسانية والدينية والسياسية، دار نقاش حول ما إذا كان الزلزال يمثل "عقابًا إلهيًا". نشر أمير سليم صوراً لمدينة بالاكوت قبل الزلزال على موقعه "أيام متساقطة".

استعانت المدونات البنغالية، كما هى الحال مع المدونات الباكستانية، بمجموعة متنوعة من وسائل التواصل والخلاصات والتطبيقات لاكتساب هوية مميزة على الإنترنت حيث مثلت القضايا الدينية فيها دوراً مهماً. كان الطلاب لاعبين بارزين، ومثلت المدونات البنغالية الهويات المتمايزة داخل البلاد. كتب رضوان، البنجلاديشى المقيم فى دكا، مدونة "وجهة نظر العالم الثالث". ركزت هذه المدونة على الأخبار الإقليمية إلى جانب تعليقات من مدونين بنجلاديشيين آخرين عقب انفجار قنبلة فجَّرَها "متشددون إسلاميون".

انبثقت عن "تشيتاجونج"، مدونة "رفعت" التى أطلق عليها اسم "أغمض عينيك

وحاول أن ترى" فى ٢٠٠٤. علّقت هذه المدونة على التكنولوجيا وقضايا النوع والدين وموسيقى الهيفى ميتال البنجلاديشية. قدم رفعت طالب الهندسة معلومات متعلقة بالبريد الإلكترونى فى بنجلاديش، وقيّم ردود فعل زملائه فى الدراسة إزاء تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. شهدت تدوينات رفعت الأولى محاولاته شرح المفاهيم المرتبطة بالتدوين، لكنه سرعان ما انتقل إلى المناطق الأكثر إثارة للجدل فى استكشاف لقضية المثلية الجنسية والإسلام الإشكالية من حيث السياق حينما علق قائلاً: "ربما تكون مثليًا، لكن لا تحاول أن تجعل هذا قانونيًا من خلال زواج إسلامى". ناقش رفعت ممارسة الجنس قبل الزواج، مشيراً إلى أن "الجميع يريد الحصول على شريكة حياة عذراء، رغم أنه/أنها لن تعود عذراء بعد الآن".

من الأهمية بمكانٍ أن هذه القضايا الحياتية عُرِضت فى مدونة ذات هوية مسلمة بنجلاديشية متميزة، رغم أن مدى تمثيل هذا لها "للحكمة" المتوارثة لا يزال موضع تساؤل. تظهر قضايا الشتات خيوطاً مهمة ضمن المدونات البنجلاديشية، تمتد فيها الشبكات وتبادل المعلومات بوجه خاص إلى المملكة المتحدة والولايات المتحدة والشبكات الفرعية التى تتطور على أسس لغوية وثقافية وإقليمية وعرقية.

تتواصل المدونات الهندية المسلمة دوليًا. تطرقت المدونات الجماعية إلى تيمات (هندية) مسلمة كمدونة "تمرد سيبيا" التى ركزت على مجتمعات "الديسى" جنوب الآسيوية والشتات فى جميع أنحاء العالم. ضمت مدونة "تعاونى: السياسة المخللة"، وهى مدونة "بريطانية آسيوية تقدمية" مساهمات من كتّاب مسلمين. كما أثار مقال لفريحة عن دور المرأة، والذى كتبته بناء على خبرة شخصية، أكثر من مائة رد فعل حول "الهدف" من الحجاب. فيما كانت مدونة "حروب غير مقدسة" نتاج فريق مدونين مقيمين فى نيودلهى. ويوحى مضمونها بأن التدوين المسلم يمكن أن يعبر عن قضايا النوع بعمق لا يُسْمَح به داخل قطاعات أخرى.

تتصل بعض العناصر داخل المجتمعات الهندية بالإنترنت بدرجة أكثر من غيرها بحيث يصبح تحديد فضاء تدوينى مسلم محدد المعالم أمراً مُشْكِلاً. أدرجت أكثر من ألفى مدونة فى موقع "شارع المدونات الهند قائمة أفضل ١٠٠ مدونة" Blog-Street India Top 100، رغم أن بضعًا منها توحى بأن محتواها محتوىً إسلامى مباشر. كان التدوين موضوعًا للتفكير والمناقشة فى وسائل الإعلام، حيث طُرِحَت مسائل تتعلق بحرية الكلام ومسئولية النشر. ذكرت دينا ميهتا، وهى مدونة هندية بارزة ومشاركة فى تأسيس مدونة "تسونامى": "هناك مجال لمزيد من المسئولية والأخلاق بالنسبة للمدونين – فالمدونون معروفون بأنهم يصدرون أحكامًا بتطبيق القصاص".

عبأت المدونات ذات التوجهات الكشميرية الدعم بعد وقوع زلزال عام ٢٠٠٥، لكن بصفة عامة، اتسم التدوين الكشميرى بأنه محدود من حيث قضايا مسلمى كشمير. بحثت مدونة "آراء بدوى كشميرى فى القرن الحادى والعشرين" المسيحية من وجهة نظر مسلمة، رغم اتسام الكاتب بنوع من الارتباك. أثارت المدونة جدلاً بين بعض القراء الذين استخدموها كفرصة لمهاجمة الإسلام. ناقش المدون تطلعات الكشميريين المحددة، خاصة من "يُجبِرون" أبناءهم على أن يصبحوا أطباء. أشار "البدوى" ضمنًا إلى أن مثل هذه التطلعات قد تتجاهل وصايا الإسلام الدينية المحددة وأن منهجهم نحو الدين منهج يتصف بالنفاق. كان هذا صوتًا متمايزًا يعكس إحدى الرؤى للإسلام من داخل كشمير، والتى تتحدى الصور المقولبة التى تتمثل فى أماكن أخرى على الويب، خاصة فيما يتعلق بالإسلام الجهادى فى كشمير.

تغطى المدونات المنبثقة من سياقات أفغانية متنوعة الاهتمامات اليومية تغطية فاعلة. استخدم كتَّاب الشتات الويب أداة مهمة حول القضايا المرتبطة بالثقافات

والمجتمعات المسلمة. تشمل الأمثلة مدونة "الخبير الأفغانى" ("لصاحبها الأمريكى من أصل أفغانى") و"الصوت الأفغانى" (الذى علَّق من "وجهة نظر مطلعة" على الأخبار عن أفغانستان). كان التأثير الفارسى واضحًا فى أفغانستان، رغم محدودية المؤشرات التى تتعلق بالمدونات الفارسية التى تظهر فى أفغانستان. لم تظهر بعد مدونة تعادل "سلام پاكس" فى كابول، ولم يكن ذلك أمرًا مفاجئًا نظرًا للبنية التحتية المحدودة لتكنولوجيا المعلومات بالمدينة. ذكرت مدونة "المحارب الأفغانى"، التى يكتب بها مترجم يعمل مع الجيش الأمريكى: "الناس مهتمون حقًا باستخدام الإنترنت، لكن استخدامه مكلف للغاية بالنسبة للشعب - الأغنياء فقط هم من يستطيعون تحمل تكلفته".

وكما يتضح من السياقات الفرانكوفونية، استخدم المسلمون المنتمون لما يُطْلَق عليها الأقليات المدونات باعتبارها بديلاً أو مساعداً فاعلا للمنشورات والتعليقات الأخرى على الإنترنت. تتماهى الخطوط فى كثير من الحالات داخل أوضاع الأقلية والغالبية وفيما بينها، بالنظر إلى مختلف الرؤى المتباينة - والمتعارضة فى بعض الأحيان - والتى قد تتواجد داخل أى سياق مسلم.

تُعتَبر مدونة "المُعَلِّم الشيعى" إحدى المؤشرات الكثيرة على التنوع داخل عالم المدونات الإسلامية، حيث تقدم رؤية "البهرة الداوودية الإسماعيلية الفاطمية الشيعية". راقبت هذه المدونة عن كثب المدونات المسلمة البارزة، إلى جانب ردود الفعل على القضايا لا سيما "الإسلام التقدمى" ومجتمع (أو مجتمعات) الكاتب. وتحدت التغطية الإعلامية للقضايا الإسلامية وأضفت رؤية شخصية حول موضوعات مثل صعوبات السفر الجوى بعد ٩/١١.

استخدم المسلمون فى سياقات الأقليات التدوين باعتباره مساعداً فاعلاً للمنشورات والتعليقات الأخرى. كان أسعد أبو خليل، وهو أستاذ العلوم السياسية

بجامعة ولاية كاليفورنيا ومن أصل لبنانى، يعلق بانتظام على الشئون العالمية فى مدونة "العربى الغاضب". وكان من بين نقاط تركيزه الخاصة وسائط الميديا الأمريكية وتمثيلها السلبى للعرب والمسلمين. كما أدرج أبو خليل استطلاعات الرأى بالبريد الإلكترونى التى يصوِّت القراء من خلالها على القضايا المعاصرة.

فى المقابل، قدمت مدونة مسعود أحمد خان www.Mas'ud نظرة نابضة لجانب من جوانب حياة المسلمين فى بريطانيا. كانت هناك رواية عن انتخابات لجنة أحد المساجد، سبقها "وقوع الكثير من الحوادث [التى] تنطوى على عنف داخل الجالية لدرجة نَصْب كمين فى المسجد نفسه، استُخْدِمت فيه العصىّ والمياه المغلية". أعرب مسعود عن قلقه إزاء تآكل القيم فى جاليته. كان يعلم أن الناس داخل جاليته يقرأون مدونته، وأن تدويناته "المثيرة للجدل" تُطْبَع ويُسَلِّمُها مجهولون إلى أحد كبراء الجالية.

شاركت المدونات المسلمة مشاركة فاعلة باستخدامهن هذا الوسيط بالتعليق على قضايا الساعة المهمة. قد يناقض هذا التركيز الصور المقولبة السائدة عن المسلمات، لاسيما تلك الموجودة فى أماكن أخرى على الإنترنت. تعرض المدونات، كما هى الحال فى مناطق أخرى من الإنترنت، إمكانية التفاعل الرقمى بين المسلمين/ المسلمات من جميع أفرد "الأمة". ضمت مدونة "محجبة من أجل الله" Veiled4Allah، وهى جزء من سلسلة مدونات "المحجبة" الأوسع، مجلة قرآنية وقسماً للنقاب شبه فقهى، والذى ناقش "المسائل الفقهية التى تواجه المسلمين فى الولايات المتحدة". تخللت المناقشات الشخصية مقاربات مدونات "المحجبة" للأحداث الجارية من منظور أمريكى مسلم. ففى ٢٠٠٥ أدانت أعمال الجنجاويد فى دارفور والسودان و"صمت" المسلمين إزاء هذه القضية.

وبعيداً عن الاهتمامات الدنيوية البحتة، عولجت قضايا يومية فى مدونات الآباء

والأمـهـات المسلمـة. تناولت مدونة أم زينب "أفكار عن الأبوة والأمـومـة الإسـلامـيـة" الاهتمامات المنزلية من زاوية "روحيـة" اشتملت على التغذية والرضاعة الطبيعية وتقديم النصيحة للوالدين. واشتكت أم زينب فى موضـوع قد نجده فى أمـاكن أخرى، من عدم وجود مرافق ملائمة للأطفال فى المساجد المحلية. انتقت هذا الموضوع مدونة "نينحجبة" Ninhajaba ذات الاتجاه الشيعى التى ناقشت أثر تواجد الأطفال الصغار أثناء الصلاة. ظهرت مسألة لعب الأطفال أيضًا فى مدونات الأمومة والأبوة؛ حيث تناولت مدونة أم مى "حديقة الأطفال" كيفية تحويل دمية باربى (التى تعرضت للحظر فى بعض السياقات الإسلامية) إلى دمية إسلامية.

قدمت المدونات صوتًا غير متاح فى أماكن أخرى، فضلاً عن النظر فى مختلف الأجندات والقضايا التى تواجه المسلمين. أحيانًا يكون التفحص جادًا يؤدى إلى تغيير الحياة وقد يكون مجرد تأملات فى الثقافة الشعبية فى أحيان أخرى. وثّق ناشط السلام الكندى طارق لبانى رحلته فى العراق، والتى اشتملت على لقاءاته مع المجاهدين. كتب قبل ذلك عن فلسطين ضمن مدونته "الاحتلال يقتل" التى واصل الكتابة فيها أثناء وجوده فى زنزانته بالسجن عندما ألقى جنود جيش الدفاع الإسرائيلى القبض عليه فى ٢٠٠٣؛ ثم تم ترحيله فى وقت لاحق. وجاءت رواياته عن المعاملة التى لقيها بالسجن إلى جانب المعاملة التى لقيها زملاؤه السجناء مروعة.

وفى تناقض لافت، تابعت مدونة "النينجاوات الطليقات" حياة خمس مسلمات بريطانيات، و"النينجا" هنا إشارة ساخرة إلى ارتداء الزى الإسلامى. استشهدت المدونة بشعر ويليام بليك وجلال الدين الرومى، ويرفرف على موقع المدونة علم فريق إنجلترا لكرة القدم. تشير مثل هذه الأمثلة المتناقضة إلى انتشار معقد للمدونات التى تعكس خطابات مسلمة متنوعة.

تعليق ختامى

توسعت المدونات الإسلامية وتطفرت بسرعة. يستخدم المسلمون الافتراضيون

تكنولوجيا التدوين كأداة للتواصل حول القضايا المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالحياة والقيم الدينية أو كليهما. شكَّل التدوين فرصة الأفراد لإجراء الحوار والاستجابة للقضايا المعاصرة أثناء تعزيزهم لأشكال جديدة من الشبكات المسلمة وتطويرهم لها. يتم التعبير عن اختلافات المعتقدات وأشكال الفهم المحددة ويشير هذا ضمناً إلى جوهر الحوار وتبادل المعلومات، الذى لا يجرى دائماً على مستويات عميقة وإن تكن ثاقبة فى كثير من الأحيان. فى بعض السياقات كان التدوين فى مرحلة مبكرة من التطور. باتت اللغة المناسبة وأدوات البرمجيات جزءاً لا يتجزأ من الأطر المرجعية لمستخدمى الإنترنت يتجاوز ما كان متاحاً لأوائل مستخدميه.

اجتاح فائض المعلومات البيئات الإسلامية السيبرية مع ظهور المدونات واختفائها بانتظام. ظهرت مجموعة أساسية من المدونين المنتظمين الذين انخرطوا فى عالم المدونات الإسلامية، حيث نشروا تدويناتهم وانخرطوا فى مجتمعاتهم الصغيرة. بينما يَعْرِض البعض الآخر بؤر تركيز صحفى أكثر من غيرها، ويعنى هذا بشكل أو بآخر أن هذه المدونات تنافس منافذ وسائل الإعلام التقليدية (سواء كانت على الإنترنت أو خارجه). هناك خيارات أمام القراء لاستكشاف القضايا التى قد لا تشكل جزءاً من منافذ وسائل الإعلام التقليدية لأسباب تتعلق بالرقابة إلى جانب جودة التحرير. وبدأت أقسام من وسائل الإعلام السائدة التى تعمل فى السياقات المسلمة فى إنشاء مدوناتها الخاصة الآن. وأصبح دور الإرشادات والبوابات إلى المحتوى عبر الإنترنت، والتى تقوم بتوليف ما ينشره الآخرون، مهماً باطراد.

يستمر نمو المدونات التدريجى، من حيث مجالات الموضوعات الصغيرة واهتماماتها، داخل سوق المعلومات الإسلامى. كان ويب ٢,٠ الأساس لمزيد من فرص التفاعلية والتبادل، والتى من المتوقع لها أن تتوسع كرد فعل لمزيد من

التطورات فى التكنولوجيا والدخول على الإنترنت على نطاق أوسع. يعنى النمو الحتمى فى نوع المدونات الإسلامية أنه لم يعد بالإمكان الحديث عن "عالم مدونات" بصيغة المفرد؛ ولعله من الأنسب مناقشة سلسلة من عوالم التدوين العربية الإسلامية، التى تتشابك مع البيئات الإسلامية السيبرية الأوسع.



الفصل الخامس

آخر منجزات الجهاد العسكرى في الفضاء السيبرى

يركز هذا الفصل على الدلالات العسكرية المضمرة المرتبطة بالجهاد والتعبير عنها على الإنترنت. دخل مصطلح "الجهاد" الخطاب الإسلامى وغيره من الخطابات مصحوبًا بمنظومة من التوقعات والافتراضات، حيث بات مرادفًا فى مناطق معينة من البيئات الإسلامية السيبرية للحرب المقدسة وما يرتبط بها من أنشطة. هذه الافتراضات فى حد ذاتها مثيرة للاهتمام. أثارت صورة الجهاد العسكرى الجدل وولَّدت الإثارة بين القراء بطرق تفوق المناطق الكثيرة الأكثر هدوءًا وذات التوجه الروحى فى الويب والتى تركز على "الجهاد الأكبر"، أى جهاد النفس.

لعب المطورون والمستثمرون فى وادى السيليكون دوراً غير إرادى لكنه حاسم فى الترويج للجهاد – فى نواحٍ كثيرة بما لا يقل أهمية عن دور المؤدلجين الإسلاميين الذين يحثون على الجهاد والذين يتبنون تفسيراتهم للحرب. أثناء الدعاية لأجهزة كمبيوتر مركز الميديا، جرى الترويج لإحدى حملات ميكروسوفت ويندوز ٢٠٠٥ تحت شعار "ابدأ أى شىء"؛ لكن لم يُقْصَد إدراج الجهاد فى تلك الملحوظة الدعائية. من المفارقات الجمع بين تكنولوجيا يهيمن عليها عملاق الصناعة الأمريكى متعددة الجنسية وشبكة أنشأتها جزئيًا للأغراض العسكرية الأمريكية منصة جهادية كانت تحمل اسم قاعدة بيانات حاسوبية. ومع استفادة مطورى المواقع الجهادية من أحدث برمجيات تطبيقات ويب ٢.٠، وأدوات الشبكات الاجتماعية، وحزم برامج تحرير الأفلام، ونظم قواعد البيانات وتكنولوجيا تليفون

الويب WebPhone ، ألقت أنشطتهم الضوء على العلاقة التكافلية بين مطورى الهاردوير والبرمجيات والنشطاء الجهاديين. كان هذا مصحوباً بتعزيز الإلمام بالويب وسهولة الدخول إليه، وتوفّر هاردوير أرخص وأكثر قوة، وعرض نطاق ترددى أسرع وأقل تكلفة.

لا يمكن افتراض تقاطع جميع الشبكات الجهادية؛ وقد تغفل الشبكات عن بعضها لأسباب تتعلق باللغة أو الثقافة أو السياسة أو الموقع، أو بطبيعة المحتوى المضمر. وقد يكون ذلك متعلقًا بعوامل تكنولوجية محددة أيضًا. من غير المحتمل أن تستفيد المواقع التى تعانى من النطاق الترددى المحدود من بث الفيديو أو الإنترنت أو الملفات التى تتطلب الكثير من الوقت لتحميلها. قد يُقصَر دخول الأفراد أو الجماعات التى تفتقر إلى المعرفة أو تكنولوجيا الوصول الآمن للمواد أيضًا على هذه

المنطقة فقط، وخاصة إذا كانت أنشطتهم فى الأماكن العامة والخاصة تُراقَب بأساليب مختلفة.

تُشَظّى الشبكات أيضًا بسبب فائض المعلومات. ربما كان من الصعب أو غير الضرورى الدراية بجميع أنشطة الجهاد على الإنترنت. جعل البعض مهمته القيام بدور جامعى المعلومات ومقدمى خدمات البوابة، وهو عمل يمكن وصفه بأنه جهاد المعلومات. وهذا ملائم بوجه خاص بالنسبة للأجيال الملمة بالحاسوب. صار الإنترنت الآن أداة متداخلة الأجيال، وتستخدم بين الأجيال، رغم أن بعض المستخدمين أكثر تلقائية من غيرهم.

زاد عدد اللاعبين الراسخين فى الفضاء السيبرى الجهادى، وواجهتهم فى بعض الحالات، كيانات وشبكات جديدة تتوحد مع حملات تصمم أشكالاً جديدة من العلاقات والديناميات. ويمكن تحليل المواقع من حيث أسلوب استرجاع مضمونها أو بحثه أو تصفحه وأرشفته؛ ويمكن إعادة استخدام المواد فى هذا السياق الجهادى بأشكال وسياقات مختلفة. فى بعض الحالات، يكون محتوى المواقعَ ذا توجهات جهادية مما يجذب إليها الزائرين، لكن هناك أمثلة تبدو فيها التكنولوجيا فى حد ذاتها هى العنصر الرئيسى الذى يدفع الناس لزيارة الموقع.

يمثل الظهور المباشر للأنشطة الجهادية فى الفضاء السيبرى تقاطعًا مع الصراع الافتراضى والحقيقى وتداخلا معه. اتخذ هذا أشكالاً عديدة من أبرزها تطبيق تنظيم القاعدة لتكنولوجيا الإنترنت، حيث عمل النت كأداة لوجستية، ومنفذا للدعاية، وسلاحا لتعزيز السمة/السمات التجارية الكوكبية تحت أسماء عديدة، من بينها الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين، والجيش الإسلامى لتحرير الأماكن المقدسة، ومجموعة الحفاظ على المزارات المقدسة، والجيش الإسلامى لتحرير المشاعر المقدسة، أو ببساطة تنظيم القاعدة ("القاعدة").

استفادت هذه الشبكة لدرجة أنها طوَّرت محتوى محملاً بالدلالات المضمرة

يستهدف أتباعًا وقراء ومشاهدين يعملون فى سياقات متنوعة. عالجت القضايا الخطيرة، وبررت الحملات، وعرضت الأخبار ووجهات النظر مباشرة مستهدفة الحكومات ومعارضيها من خلال الإنترنت. جرى ذلك من خلال تطبيق الرموز الدينية أو انتحالها وتفسيرٍ للغة والمعانى القرآنية. وقد ينجذب غير الراغبين فى دراسة المنشورات الجهادية أو غير القادرين على ذلك إلى عروض الوسائط المتعددة التفاعلية الديناميكية، والتى يمكن أن تساعد على إحداث استجابة عاطفية بين بعض القراء.

أتاح الويب فرصًا تسويقية غير مسبوقة بالنسبة لكيان القاعدة والتنظيمات المرتبطة بها، والتى اعتمدت بشكل لا واعٍ على استراتيجيات التسويق المرتبطة بالمبيعات عبر الإنترنت. تُصَمَّم المواقع لنشر رسائلها بسرعة، من خلال الصفحات سريعة التحميل وواجهات الرسوم البيانية فضلاً عن اللوجوهات والرموز المألوفة. وتشمل هذه المواقع دلالات محددة مرتبطة بالقاعدة وصور المؤدلجين والمُنظرين. هناك فرص عديدة للحصول على العضوية والمشاركة، إلى جانب روابط لمزيد من المعلومات والمواقع المرتبطة بها. كما يجرى تحديث المحتوى بصورة متكررة، لتشجيع الزيارات مرة أخرى. وقد تعتمد المواقع على مستويات عالية من التفاعل، إلى جانب آخر صيحات التقنيات المتطورة. وتسمح اعتبارات التصميم بالدخول على المحتوى على برامج وواجهات بديلة، بعيداً عن أجهزة الكمبيوتر الشخصية.

الشبكات الجهادية فى الفضاء الافتراضى

استلزم البحث فى الشبكات الجهادية فى الفضاء السيبرى تطوير مناهج جديدة لدراسة الإسلام والشبكات الإسلامية. وهذا مجال متعدد الحقول المعرفية، يضاف إليه مناطق لم تتمثل من قبل بالأكاديميا والأبحاث التى تُسهِم فى هذا الخطاب. من الجلىّ أن هناك دوافع ومنهجيات متنوعة مرتبطة بهذه المناقشة.

على سبيل المثال، أسهم العمل الأكاديمى ذو التركيز الأمنى فى هذا المجال:

كتبت جابرييل وايمان، وهى أكاديمية إسرائيلية وزميلة بالمعهد الأمريكى للسلام، بتوسع، حول موضوع "الإرهاب" المحدد ضمن سياقات متنوعة، من بينها حملات ذات هويات وأجندات إسلامية. نشرت الأكاديميات العسكرية، والهيئات الحكومية، والمرتبطون بها دراساتها لجمهور كوكبى؛ حيث أصدر مركز مكافحة الإرهاب بكلية "ويست بوينت" العسكرية "أطلس الأيديولوجيا القتالية"، الذى رصد بالتفصيل الكتابات الجهادية التى تتبنى توجه القاعدة المتاحة على الإنترنت. كتب كل من دانيال كيميدج وكاثلين ريدولفو تقريراً لإذاعة أوروبا الحرة/إذاعة الحرية يتضمن تحليلاً مفصلاً عن أثر "ميديا المتمردين" السنية التى تبث من العراق، بالتركيز على دراسات حالة منذ ٢٠٠٧. كان هذا ذا أهمية فى تركيزه على تنوع الميديا التى يبثها "المتمردون".

تنشر منظمات مثل مؤسسة جيمستاون بانتظام مادة تحليلة عن العلاقة بين الإنترنت وقضايا الإرهاب. يمكن أن نجد تناولاً أيديولوجياً وسياسياً للمحتوى على الإنترنت من خلال قنوات كذاك الذى تنتجه شبكة شمال شرق الولايات المتحدة الاستخباراتية، ومعهد البحث عن الجهات الإرهابية، ومعهد بحوث ميديا الشرق الأوسط، ولورا مانسفيلد. كما تُولِّد مواقع الويب والمدونات ذات الاهتمامات المحددة بالانخراط فى التعامل مع جوانب الخطاب على الإنترنت المزيدَ من المصادر والنقاشات.

يمكن استقاء المواد أيضاً من الذين يعبرون عن أفكار عاطفية حادة، بعيدة عن الوسط الأكاديمى فى أغلب الأحيان، بناءً على ملاحظة جوانب التفسير الإسلامى المحددة والخطاب الإسلامى على الإنترنت. يمكن أن تعرض المصادر الصحفية ذات بؤر التركيز الإقليمية المحددة بيانات مفصلة مستقاة من الرصد الدقيق لموارد الإنترنت. هناك أيضاً تناول تحقيقى لجوانب هذا الموضوع، من بينها جوانب من مشروعات استشارية صحفية وأخرى تنتمى للقطاع الخاص. صنع عدد من قنوات

البث أفلامًا وثائقية عن القضايا المرتبطة به، تتصف غالبًا بنهج الإثارة بالنسبة للمضمون بالتركيز على جوانب الجهاد. أظهرت الأعمال العامة حول الأفكار الجهادية أيضًا الوعى بأثر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على استراتيجياتها.

أُستخدمت الموارد التقنية والبشرية المستدامة فى نهج كمى لمقاربة جوانب البيئات الإسلامية السيبرية، والتى ظهرت فى حقل دراسات الإرهاب. استفاد مختبر الذكاء الاصطناعى بجامعة أريزونا من استثمار الحكومة والهيئات الأمريكية فى تطوير تحليل مستدام لمحتوى المواد الجهادية على الإنترنت. اشتمل ذلك على أرشيف شامل للمحتوى الذى تم جمعه وفهرسته من الإنترنت. ولا يمكن تصور تطبيق كثير من جوانب المنهجيات والموارد التى يستخدمها مختبر الذكاء الاصطناعى بشكل واقعى على مناطق أخرى أكثر دنيوية نسبيًا والمرتبطة بالإسلام والإنترنت. يعتمد مختبر الذكاء الاصطناعى على الاستفادة من قطاع عريض من التكنولوجيا، وفريق من الباحثين فى علوم الكمبيوتر والمجالات ذات الموضوعات المحددة، وخطة مستدامة للبحث المستقبلى.

استطاع مختبر الذكاء الاصطناعى، باستخدام برمجيات باللغتين العربية والإنجليزية، تقديم تحليل كميات هائلة من الروابط التشعبية، والبيانات، والمواد الأرشيفية المستقاة عن طريق البحث بانتظام فى النت على كلمات رئيسية معينة. استخدم مختبر الذكاء الاصطناعى دراسة قياس الأساليب stylometry، وهو تطبيق التحليل الإحصائى كما يُطبَّق على الأساليب الأدبية والتركيبات اللغوية، كوسيلة لتقييم ما يحدده باسم "شبكة الإرهاب المظلمة". حلل البحث أنماط الأساليب - مثل أنواع الخط والألوان وقدرة المصمم والإخراج العام للصفحة - باعتبارها مدخلاً لتحديد ملكية المواقع وشخصية الكاتب.

طوَّر مختبر الذكاء الاصطناعى تقنية لجمع المعلومات من على الويب، من بينها تحليل الروابط الخلفية (الروابط الخارجية التشعبية المرتبطة بموقع ما) كوسيلة

لاستكشاف الفضاء السيبرى الجهادى. تركز هذه الأدوات الرئيسية على اللاعبين الرئيسيين، على المستوى التنظيمي بشكل أساسى، وهو جزء واحد من الصورة الأكثر تعقيداً. هذه الأدوات ليست بالضرورة مفيدة فى التقاط التفاصيل والبيانات الأكثر دقة في الفضاء السيبرى، ومن بينها إنتاج تلك المواقع التى لا تركز على توليد أعداد كبيرة من الصفحات المطبوعة لسوق جماهيرى. تهتم مثل هذه المواقع فى كثير من الأحيان بالوصول إلى مجموعة صغيرة ومحددة من أتباع تفسير دينى معين أو خلقها.

لا يترك التركيز التنظيمي والمنهجى لمختبر الذكاء الاصطناعى مساحةً لفهمنا للأفراد أو الجماعات الصغيرة، التى ربما تعمل بصورة مستقلة دون روابط مباشرة لأفكار تنظيمية محددة. عدد الروابط أو الزيارات ليست إلا مؤشراً من مؤشرات التأثير؛ وقد يكون لموقع مغلق أثر أكبر على المجتمع المحلى والمجتمع بعامة. وكما هو الحال مع أية دراسة للفضاء السيبرى، فإن أى تحليل مولَّد آليًا عبارة عن لقطة من فضاء معين فى الزمن، والتى يمكن أن تتطور وتتغير بسرعة. استُخدِم استرجاع المعلومات الآلى الذى يشمل لوغاريتمات الفهرسة كوسيلة لاسترجاع البيانات المفاهيمية الرئيسية من أعداد هائلة من المواد. حصل مختبر الذكاء الاصطناعى على منحة قدرها ١,٣ مليون دولار أمريكى من مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية للتركيز على المشاركات فى المنتديات الجهادية، وخاصة تلك المتعلقة بالمتفجرات محلية الصنع. كان هذا البحث يعمل على تطوير تطبيقه التحليلى الآلى المعروف باسم "Writeprint" .

قارب مختبر الذكاء الاصطناعى أيضًا الفضاء السيبرى الجهادى من خلال تطوير البرامج البصرية التى تهدف إلى تمكين القارئ من فهم الترابط بين المنظمات الجهادية على الإنترنت وفى العالم الحقيقى. بينت هذه البرمجيات إمكانات مثل هذه المناهج فى خلقها لتصنيف مواد الفيديوهات الجهادية. أتاح هذا

فئات محددًة على أساس اعتبار ما إن كان الڤيديو عملياتياً، أو أحد المنتجات، أو خاصاً بالرهائن، أو بالبيانات أو متعلقا بالمرثيات أو مكرسا للتدريبات الداخلية أو تعليميًا. فى حالة مختبر الذكاء الاصطناعى، يطمس الأخذ بأحد المعايير السائدة للتحليل (وهو فهم مستوى التهديد) الحكم على الجوانب الأخرى للبيئة السيبرية. ولعل اتباع نهج تحليلى كلى لجميع جوانب المعتقدات كما وُضِعَت على الإنترنت يقدم فرصاً تفسيرية أكثر تفتيتًا وتعقيداً.

يعرض مختبر الذكاء الاصطناعى موارد كبيرة مفيدة كجزء من تحليل شامل لحقل ضخم من حقول التحقيق، رغم فلترتها فى بعض الحالات من خلال مخاوف معينة مرتبطة بالقضايا الأمنية أو المصالح السياسية أو كليهما. هذه المساهمات فى المجال وغيرها مهمة فى تطوير فهم مختلف للمجالات ذات الاهتمام المرتبطة بالإسلام والإنترنت.

الجهاد الڤيروسى

يمكن تعريف تجليات الأنشطة الجهادية فى الفضاء السيبرى باعتبارها جهاداً ڤيروسيًا بمعنى إمكانية تحديد موضع جوانب أنماط التسويق ونماذجه على الإنترنت عبر انتشار الرسالة الجهادية. ويحاكى ربط تلك التجليات الشبكى عبر الويب، إلى جانب المحتوى المنسوخ على مواقع الويب والذى يُبَثُّ فى غرف الدردشة وغيرها من المنتديات، الطريقة التى تُنْتَج بها المنتجات الأخرى الأكثر عمومية على الإنترنت. قد تتكرر رسالة واحدة فى غرفة دردشة بشكل متضاعف من خلال البريد الإلكترونى، وروابط الإنترنت، والمناقشة فى غرف الدردشة، والإشارات إلى ما يُبَثُّ على النت، والنشر فى المجلات، وغيرها من وسائل الإعلام على الإنترنت وخارجه، وكذلك عن طريق ما يدور على الألسن. يحمل هذا بعض الشبه لنموذجٍ لاستراتيجية التسويق الڤيروسى الذى يمكن تعريفها بأنها "(١) توزع المنتجات أو الخدمات، (٢) تنقل المنتجات أو الخدمات للآخرين دون جهد؛ (٣) تتدرج بسهولة من السلع شديدة

الصغر إلى الكبيرة جداً؛ (٤) تستغل الدوافع والسلوكيات المشتركة، (٥) تستخدم شبكات الاتصالات الحالية، و(٦) تستفيد من الموارد الأخرى".

ليس هناك حاجة لكل هذه العناصر لإنجاح استراتيجية التسويق الفيروسي التجاري. ومع ذلك، يبدو أن جميع هذه العوامل تنطبق ضمن إطار الجهاد الفيروسي. ويمكن أن يرتبط الانتشار السريع للبيانات الرسمية، وكليبات الفيديو، والأخبار، وتقديم المشورة اللوجستية، والفتاوى الدينية المرتبطة بالأفكار الجهادية بالعوامل المذكورة أعلاه. المسألة الأخرى هي إلى أي مدى تمثل هذه المواقع "الإسلام"؟ وهل يمكن مساواة فضاء الويب الجهادي بفضاء (الويب) "المقدس"؟ كما هو الحال في مناطق أخرى من البيئات الإسلامية السيبرية، قد يكون من الأفضل أن يُتْرَك الأمر لرأي كل شخص على حدة. كثيرة هي مفاهيم "المقدس" في خطاب تبرير الجهاد. تدخل تداعيات الجهاد العسكري الشعائرية كما عبر عنها مؤيدوها وأنصارها على الإنترنت بوضوح مجال "المقدس" من حيث مستويات عتبات الإدراك وتطبيق الرمزية الدينية. تكتسب هذه الأفعال التي تؤدَّى في كوْنٍ ديني يلعب فيه المشاركون أدوارا حيوية تستمد مشروعيتها ودوافعها من المرجعية الدينية، تكتسب مؤيدين وأتباعا. وهنا نتبين استمرارية للقدوات التاريخية والمعاصرة الذين يتمسكون بقيم مماثلة، والتي قد تُنقل على الإنترنت. يبرر إدماج اللغة القرآنية والقيم الدينية المشاركة بصفتها فعلاً دينيًا، إما كجزء من الخطاب أو كأفعال تؤدى في الزمن الحقيقي. يمكن أن تشكل أنشطة الويب جزءًا من معادلة الجهاد، الذي فُسِّرَ على أنه الركن السادس من أركان الإسلام، المتوائم مع الصلاة والمتشابه معها. فهو يشكل جزءاً من إطار مفاهيمي متكامل يتجاوز السياسة ليصبح واقعاً في شبكة البيئات الإسلامية السيبرية.

توفر المبررات التي يتم التعبير عنها على الإنترنت الدافع للمشاركين المحتملين، وتقدم العزاء لأسر الشهداء، وتوقع الخوف في قلوب خصومها. لكنها لا تبعث سوى

القليل من التعاطف مع الضحايا المجهولين فى غالبيتهم لهذه الأعمال الجهادية (أو الذين سرعان ما يجرى تجهيلهم) الذين ينتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا جزءًا من معادلة إحصائية أخرى: كثير من هؤلاء الضحايا مسلمون. وقد يتساءل البعض: "أين مواقعهم على الويب؟" و"من يتحدث بالنيابة عنهم فى الفضاء السيبرى؟"

تحديد الجهاد الإلكترونى

الجهاد الإلكترونى مصطلح يمكن أن يشمل مجموعة واسعة من أشكال الفهم. يتجاوز مصطلح "الجهاد" النماذج الأقل قتالية من "الجهاد" ليشمل تفسيرات الجهاد "الأكبر". يستند هذا إلى الكفاح أو السعى الروحى لتحقيق الأهداف، بالتركيز على نموذج النبى محمد (ص) الذى يستند إلى المصدر الإلهى للقرآن. الجهاد نفسه مصطلح شامل يغطى الكثير من شتى أشكال من الكفاح فى سبيل الإسلام وقضايا المسلمين. تتطرق المصادر الإسلامية التقليدية إلى تفاصيل كثيرة فيما يتعلق بكيفية تطبيق هذا المصطلح، لكن كثيراً ما يجرى تجاهلها (من جميع الجوانب).

غالبًا ما يلجأ الاستخدام الشعبى "للجهاد" فى السياقات المعاصرة إلى العديد من الافتراضات – لاسيما فى وسائل الإعلام الشعبية – تربط بينه وبين الحرب المقدسة، وهذا مكون من مكونات الاستخدام الأوسع والأدق للمصطلح. وبالتالى، يمكن أن يكون لدينا جهاد من أجل السلام أو جهاد للصلاة، وإذا اعتمدنا تفسيراً أوسع، يمكن لهذه الاستخدامات أن تشكل أيضًا جزءًا من الجهاد الإلكترونى. تركز كل الإشارات إلى الجهاد فى هذه المناقشة على المصطلح واستخدامه فى مواقف الصراع. استخدم الجهاد الإلكترونى فى السياقات السيبرية ممزوجًا بالتفسيرات الكلاسيكية لمصطلح "الجهاد"، رغم ضرورة توخى الحذر حيث أرى أن المصطلح يشمل أفكاراً محملة بإضمارات الفهم الدينى. يمكن للجهاد الإلكترونى أن يتخذ أشكالاً كثيرة تمثل أفكاراً وأشكال فهم متنوعة للإسلام – والتى سبقت ٩/١١.

قد يقدم المشاركون فى هذا الجهاد وأنصاره الأعمال الجهادية العسكرية باعتبارها "إسلامية". رد بعض المراقبين والعلماء والمعارضين والمستنكرين المسلمين بالقول إنها أعمال إجرامية أو شكل من أشكال "الإرهاب" ولا علاقة لها بالإسلام، أو أنها تتعارض معه. هناك قضايا متجذرة مرتبطة برسم صورة نمطية للمسلمين هنا، والتى وقعت فى بؤرة التركيز الحاد بعد ٩/١١ فى مشاركة فى الجهاد العسكرى قضية تتعلق بأقلية من المسلمين، سواء على الإنترنت أو فى العالم الحقيقى. أنفق الأفراد والجماعات المسلمة الكثير من الطاقات - على الإنترنت وخارجه - للنأى بأنفسهم عن مثل هذه الأعمال. بيد أن الهدف هنا ليس هو وصف الأحكام بالنسبة لما يمثل الإسلام، بل التركيز على الأعمال الجهادية التى يقوم بها أفراد يصفون أنفسهم بأنهم "مسلمون" ويحددون تصرفاتهم على أنها "إسلامية".

يشير مصطلح "جهادى" إلى أى موقع أو فرد يناقش، وفى بعض الحالات، يروج ويدعم أفكار الأنشطة القتالية باسم الإسلام. قد يصدر هذا عن وجهات نظر متنوعة وغالبًا ما يطلِق عليه أنصاره والمراقبون مصطلحات أو أوصاف أخرى (ليست دائمًا دقيقة). قد ترتبط هذه الأوصاف أو المصطلحات بالصراعات الإقليمية مثل ارتباطها بالمثل أو المفاهيم الدينية كمفهوم "السلفية" مثلاً. ومصطلح "السلفية" (أو "السلفيون") متعدد المستويات ويستخدم بطرق متعددة فى الفضاء السيبرى وغيره من الأماكن، وغالبًا ما يرتبط بالجماعة الأولى أو "الأوائل" الذين كانوا يحيطون بالنبى محمد (ص). كما يرتبط المصطلح، بناء على كيفية استخدامه، بمختلف الحركات ذات التوجه "الإصلاحى" التى تسعى إلى العودة إلى مُثُل المجتمع الإسلامى الأول.

دخل مصطلح "جهادى" إلى الخطاب الشعبى على الإنترنت حينما تم تطبيقه على أنصار الجهاد الأصغر والداعين له، كما يجرى التعبير عنه فى الفضاء السيبرى وغيره من الأماكن. وفيما يمكن تطبيق مصطلح "الجهاديين" نظريًا على

ألوان مختلفة من الصراعات والتفسيرات، يُضَيِّق نطاق المصطلح فى هذا النقاش يشير إلى تلك التفسيرات المنتسبة أيديولوجيًا إلى الكيان/الشبكات المعروفة بتنظيم القاعدة. ومفهوم القاعدة فى حد ذاته غير متبلور؛ فليس ثمة مقر رئيسى أو بنية للقاعدة، وبينما تركزت القيادة على أسامة بن لادن ورفاقه المباشرين (وخصوصًا أيمن الظواهرى)، تطفر الكيان عديم البنية ليطور هويات منفصلة لكنها مرتبطة به.

قد يكون من الخطأ الحديث عن «القاعدة» بصفتها تنتسب لمنطقة ما، حيث يتسم ذلك الإطار المفاهيمى المعولم بأنه نوع من الرطانة اللغوية. ومع ذلك، ظهرت العقد الإقليمية المهمة، التى تُعَرِّف نفسها بأنها تنظيم القاعدة، فى العراق والمغرب العربى وغيرها من الأماكن. قد يكون من التبسيط المُخِل والمناسب فى آن استخدام مجاز شبكة الكمبيوتر لتمثيل تنظيم القاعدة: بالتأكيد، فإن العقد الفردية يمكن أن تعمل مستقلة عن "السيرفر" المركزى، وربما لا تكون على دراية بالعقد الأخرى ضمن شبكاتها. ومن المؤكد أيضًا أن الاتصالات يمكن أن تكون سريعة وآمنة ومنتشرة بسهولة، وأن يوفر الاتصال أيضًا الدعم اللوجستى والأحاسيس النفسية بالملكية من خلال شتى الطرق والوسائط الإعلامية.

هناك أيضًا رباط عملى بين تنظيم القاعدة وشبكات الكمبيوتر: بدون الإنترنت والأدوات المرتبطة به، لم يكن لتنظيم القاعدة أن يقوم بعملياته بالطريقة التى قام بها. هذا لا يعنى أنه لم يكن ليعمل على الإطلاق، بل إن طريقة عمله وانتشار اتصالاته كانت ستختلف اختلافًا كبيرًا. أدت الصورة النمطية التى رُسِمَت للقاعدة بأنها أمية تكنولوجيًا إلى إعاقة عمل المنظمات الأمنية فى تعقب عناصرها العاملة، بينما استغل التنظيم نقص المعلومات عن استخدام القاعدة الدقيق للإنترنت لصالحه. كان أسامة بن لادن يدرك تمامًا جوانب القصور تلك، وعمل على الاستفادة منها: "أطلق الأمريكيون ادعاءات مثيرة للضحك. قالوا إن هناك رسائل خفية تستهدف الإرهابيين فى تصريحات ابن لادن. يبدو الأمر كما لو أننا نعيش

فى زمن الحمام الزاجل، دون وجود للهواتف، وبدون مسافرين، وبدون إنترنت، وبدون بريد عادى، وبدون فاكسات، وبدون بريد إلكترونى. هذا أمر مثير للسخرية؛ الكلمات التى تستخف بعقول الناس".

إلى جانب الأهمية اللوچستية المضمرة لتكنولوجيا الكمبيوتر بالنسبة للقاعدة، فإن أحد العناصر الرئيسية هى الطرق التى استُخدم الإنترنت من خلالها لتوصيل مختلف الأجندات والأهداف والغايات والنتائج إلى الجماهير بأسلوب محمل بظلال المعانى، وخلاق ومنظم ومهنى فى بعض الحالات. ومن المفارقات أن القاعدة، من حيث إنها منصة إطلاق حملات عسكرية "نشطة"، تمثل للآخرين "قصة نجاح" ونموذجًا يحتذى.

أُستنسخ نموذج القاعدة وتعزز ضمن ميدان نشر الجهاد بشكل أشبه ببرمجيات المصدر المفتوح. أُستخدمت حزم جهادية متعددة الشفرة المركزية وبُدِّلت فيها كى تناسب مختلف نظم التشغيل وشروطها. أحيانًا يتضمن التعديل تحوير اللغة تمامًا مثلا تُعدَّل الأهداف العسكرية. وبالرغم من تعدد المستخدمين، يظل مصدر الإسناد الثانى هو التفسير المحدَّد للقرآن الذى يستند بقوة على نماذج متناظرة راسخة، على أساس التوفيق بين الأبحاث مختلفة وتطويرها مستمدة من عدد كبير من المنظرين من مختلف السياقات التاريخية والمعاصرة.

نشعر فى الوسط الجهادى، بتأثير سيد قطب (١٩٠٦- ١٩٦٦) وعبد الله عزام (١٩٤١-١٩٨٩) بقدر ما نحس بتأثير ابن تيمية (١٢٦٣- ١٣٢٨)، وفى بعض الحالات يواصل هؤلاء العلماء والمنظرون الراحلون الحوار مع علماء معاصرين بعينهم لتبرير الأنشطة ذات التوجه الجهادى. لا يأتى هؤلاء "العلماء" المعاصرون بالضرورة من الخلفيات العلمية المتعارف عليها أو التقليدية، لكن هذا لا ينفى تأثيرهم؛ كما أن بعضهم عزز موقفه الدينى على الإنترنت. لم يحصل أسامة بن لادن (١٩٥٧-) على درجة علمية فى العلوم الإسلامية التقليدية، لكنه أحس أنه

مؤهل بما فيه الكفاية ليضع نفسه (أو يضعه الآخرون) كشخص يمكن أن يَبِتَّ فى قضايا تفسير الجهاد.

تنطبق العوامل الماثلة على أيمن الظواهرى (١٩٥١ -) وأبى مصعب الزرقاوى (١٩٦٦ - ٢٠٠٦) وغيرهم من الذين شعروا بأن أعمالهم مكنتها قدراتهم التفسيرية وسوغتها. قد يرتبط هذا ارتباطًا وثيقًا بالأفكار المحيطة بمؤهلات المرجعية الدينية فى الإسلام، ولاسيما الحجج الراسخة المحيطة "بالاجتهاد". ويمكن ربط هذا المفهوم، لاسيما فى النماذج السنية السائدة، بالقدرة على تفسير جوانب القرآن وغيره من المصادر الإسلامية فى ضوء الظروف والأوضاع المعاصرة. تعتبر هذه القدرة متأصلة فى جميع البشر، وليست مقصورة فقط على أولئك الذين أخذوا على عاتقهم دراسة العلوم الإسلامية.

وَفَّرَ الإنترنت مسارًا مباشرًا لتطوير ترويج هذه النماذج التفسيرية المحددة، والتى تلتف حول النماذج التقليدية للمعرفة والمرجعيات الدينية لتلافيها بل وإبطالها أحيانًا. ينطبق هذا لاسيما فى المجال الجهادى، حيث يمكن أن تتعزز هذه النماذج من خلال تنمية المجتمعات الافتراضية المتماسكة عن طريق أفكار الملكية، والانتماء، والتبرير الدينى. لا تحاكى هذه الشبكات شبكات العالم الحقيقى، بل تتقاطع معها لتقديم ظواهرها وقضاياها الفريدة الخاصة بها. أصبح الإنترنت - من حيث فهم الإسلام والمسلمين، داخل نماذج الهويات المسلمة وخارجها معًا - عاملاً مضافًا حاسمًا للدعم والمعرفة الذاتية بالنسبة للأفراد والجماعات، خاصة ضمن الشبكات الجهادية متناهية الصغر. غالبا، يمكن لهذه الشبكات أن تعمل متجاوزة سلطة المرجعيات الفقهية، بما فيها تلك المرتبطة بالمصالح الدينية، والتجارية ومصالح الدول. ويمكنها التعبير عن حلول لقضايا شعبية بطريقة راديكالية.

وتعتبر هذه نقطة تمييز حاسمة: تتمتع ما تسمى بالقضايا الإسلامية مثل فلسطين وكشمير والشيشان والعراق بشعبية تتجاوز أتباع الخلايا الجهادية، لكن

الأساليب التى يدعو إليها أتباع الشبكات الجهادية ويطبقونها لا تحظى بالضرورة بنفس الشعبية. إلا أن الأمر ربما يتعلق بأن صوتهم هو الأعلى على الإنترنت. المؤكد أن المعارضين للعنف الجهادى عليهم أن يقدموا أدلة مفصلة تدعم وجهات نظرهم أو تدحض حجج الجهاديين من خلال ڤيديوهات متطورة. كما ينبغى أن ندرك أيضًا أن هذه القضايا لا يمكن اختزالها فى نموذج واحد. ولدينا فى كثرة الأصوات "الشيعية" و"السنية" (والعلمانية) التى قدمت نفسها فى العراق مثال على ذلك، و يتواجد الدليل على هذه الآراء على الإنترنت بدرجات متفاوتة.

لتفسير هذا الموضوع سوف أركز مبدئيًا على "القاعدة" ككيان (أو كيانات) مفاهيمية؛ سوف يطوِّر الفصل السادس هذه الموضوعات من حيث مدى صلتها بالسياقات الإقليمية المحددة للعراق وفلسطين.

استكشاف الشبكات الجهادية الإلكترونية

ثمة إشارات توحى بأن المواقع ذات الاتجاه الجهادى الإلكترونى يقرؤها الكثيرون وعلى نطاق واسع فى سياقات الأقلية والغالبية المسلمة. لكن لا توجد بيانات محددة عن عدد زيارات المواقع، الأمر الذى يتطلب بيانات واقعية من مزودى خدمات الإنترنت ومطوِّرى المواقع. تضفى الطبيعة العابرة لأماكن المواقع الجهادية، وعدم معرفة هوية مطوريها وتردد المطورين فى التطوع بالإدلاء بمثل هذه المعلومات هامشًا احترازيًا على هذه المناقشة. فهل يهم كما ذكرت عند الاضطلاع بهذا البحث أن ٨٠٠ شخص حمَّلوا ملفًا ذا صلة بالقاعدة فى ٢٤ ساعة؟ لا نعرف من هم هؤلاء الـ٨٠٠ شخص، أو دوافعهم؛ ولا نعرف عدد الأشخاص الذين نسخوا الملف أو وزعوه أو عرضوه للآخرين؛ كما لا نعرف ما إن كان له تأثير كبير عليهم، أو عدد الأكاديميين والباحثين والصحفيين والمحللين الذين كانوا بينهم.

لا يمكن لباحث أكاديمى جمع هذه الأدلة وحده. واجهت المنظمات والوكالات الحكومية أيضا صعوبات خاصة لاستخراج بيانات مماثلة. ليست جميع البيانات

التى تحصل عليها هذه المنظمات والوكالات متاحة بشكل عام أمام الباحثين الأكاديميين. كما لا يتاح للمشاركين فى الموقع إجراء الحوارات، سواء مجهولة الهوية أو من خلال الاستبيانات. تستند الأدلة إلى التأثير على الحكايات فى جزء منها، مع لمحات من المعلومات التى تَرِد فى محاضر المحاكم بجانب الأحاديث التى تُرْصَد فى غرف الدردشة.

تشير هذه الأشكال المحدودة من القرائن، فى أشكالها المتنوعة، إلى تجنيد بعض الجهاديين مباشرةً من خلال استهلاك المحتوى عبر الإنترنت. وتشمل هذه القرائن بعض المواقع والمنتديات التى تُناقَش فى هذا الفصل والفصل الذى يليه، والتى لديها إمكانية العمل كأدوات راديكالية. إنها مجرد عينة من عشرات الآلاف من صفحات محتوى الإنترنت فى مختلف الوسائط الإعلامية وبلغات مختلفة نشرها الأفراد والجماعات الجهادية من قبل، وتتسم نسبة كبيرة منها بأنها ذات عمر قصير للغاية على الأرفف (حتى بالنسبة "لسنوات الإنترنت"). يعتبر تشكيل صورة لمثل هذا المحتوى أمراً مُشْكِلاً، لكن هناك بعض المعلومات التى يمكن استخلاصها من الأدلة الموجودة. يمكن أن تظهر الانطباعات تدريجيًا، انطباعات قد لا تسهم فقط فى فهمنا للأشكال الجهادية بالبيئات الإسلامية السيبرية، بل أيضًا فى معرفتنا بالأشخاص وراءها وبالأحداث فى العالم الحقيقى.

قد يكون من المفيد تحديد روابط مواقع الويب بين الكيانات المختلفة. أنشأت مجموعة إف إم إس FMS للنظم المتقدمة "متصفح شبكات التهديد" والذى يمكِّن المستخدمين من إنشاء نموذج بيانى للروابط بين الكيانات فى القاعدة. من المرجح أن أى تحديد للمواقع على أساس أيديولوجى سيعكس هذه الروابط، لكن ستتبع تحديد المواقع على الإنترنت أنماط أخرى على أساس مواقع السيرڤرات، وخدمات مزودى الإنترنت، وكتَّاب محتوى الموقع فى مواضع متباينة. يمكن أن تظهر مشاهد المعلومات بطرق متعددة بالصور التى يطورها بها عدد من المتخصصين فى

تكنولوجيا المعلومات؛ وقد لا يتوافق المشهد الجهادى الإلكترونى مع مجازات مدن المعلومات كما تتمثل فى "أطلس الفضاء السيبرى" (٢٠٠١).

أشرت فى الماضى إلى "سوق" الإنترنت الإسلامى الذى قد يشكِّل جزءًا من "مدينة" معلومات. عسيرة هى مهمة إدماج المواد الجهادية فى هذا السوق؛ فهى لا تقع فى وسط "السوق" بل فى شارع خلفى محتمل الخطورة يؤمه أفراد يملكون خريطة سرية مناسبة (خريطة لا يحتمل أن تظهر على موقع "خرائط جوجل"). يوضح تحديد الأماكن تلك مشهداً غنيًا بالمعلومات عن المواقع العسكرية ذات الاتجاه الجهادى على الإنترنت - شريحة صغيرة من البيئات الإسلامية السيبرية بأجمعها، والتى تتطلب مراقبة متخصصة مستمرة وموارد كبيرة من الوقت والتكنولوجيا.

تعرض المواقع الجهادية نموذجًا واحداً للمرجعية الدينية، لكن هذا ينبغى ألا يحجب حقيقة أن الويب أُستخدِم لتقديم مجموعة متنوعة ومتزايدة من أشكال التعبير والفهم الدينى. يستخدم الويب العديد من الشخصيات والمنظمات رفيعة المستوى - فضلاً عن الأفراد الذين يستفيدون من الوسيط لتقديم وجهة نظرهم - أيًا كانت شرعيتها - لجمهور كوكبى "محتمل". عدد من يقرءون هذه البيانات أمر مختلف؛ إذ أن البيان لا يتحدد بعدد الزيارات التى يتلقاها بل بمن يقرؤه.

أى نوع من "التعميد" يتلقاه الباحثون [فى المواقع الجهادية] إذا قضوا عدة ساعات فى المناطق الجهادية من الفضاء السيبرى؟ إذا ربطنا هذا بعملية "الردكلة"، فإن هذا يعنى أننا نستخدم مصطلحًا ذاتيًا. كما أن أى مصطلح مرادف لا يدور بالضرورة فى أذهان أولئك الذين يختارون طريقًا جهاديًا. إذ إنهم يفضلون مفاهيم مرتبطة بمُثُل "الأمة" الإسلامية وبالنماذج الجهادية الأخرى من السياقات المعاصرة أو التاريخية. قد يكون الانتقال من دور المتفحص كقارئ وتحوله إلى ناشط عملية

غير واعية أو علنية، تدريجية أو سريعة. ويرتبط هذا الانتقال بتمويل الجهاد، ونشره، وشبكة الاتصال به، ونشاطه، ومُثُله الدينية بقدر ارتباطه بالإنترنت.

يجعل تنوع القضايا والسياقات الإسلامية إضافة إلى الاهتمامات المحددة تعريف الشخص "الراديكالى" [المتطرف] أمرًا مشكلاً بوجه خاص، أو حتى غير ضرورى لدى الاستناد إلى تلك المصطلحات. يتمثل ما يساعدنا الإنترنت فيه فى إتاحة واحدة من عدة طرق لفهم العمليات والخطابات. وتتضمن هذه الطرق العوامل النفسية بالإضافة إلى أثر محاور المصادر الجهادية، إن وجدت، التى تعمل بمثابة نقاط الدخول إلى المواد الهجومية الأكثر تفصيلاً والتطوير المحتمل لأشكال التعاطف الإيجابية. لا تتم هذه العملية بالضرورة بين ليلة وضحاها، ومرة أخرى ينبغى التأكيد على أن النت أحد العوامل المساعدة الكثيرة المحتملة. وقد تكون هذه عملية طويلة من الدعاية، تسبق أى تطرف، إلى جانب مصادر ووسائط إعلامية مختلفة مثل مشاهدة قناة بى بى سى نيوز ناهيك عن قناة الجزيرة.

ينبغى أيضًا إضافة الديناميات الإنسانية للمحادثات والاتصال فى المساجد والسياقات المحلية/القومية الأخرى، والاجتماعات الرسمية وغير الرسمية والمناقشات التى تدور فى الإنترنت والعالم الحقيقى. ليس الإنترنت بالضرورة أداة وحيدة لمثل هذه العمليات. أشار تقرير أعده جهاز المخابرات العامة والأمن الهولندى إلى أن النشاط بالمساجد، بدلاً من الأنشطة على الإنترنت، بات بؤرة تيسير "الدعوة الراديكالية" - وإن كانت تلك الأنشطة ذات طابع غير عنيف.

لمحة عن الجهاد الإلكترونى وأبطاله

من الأسئلة الرئيسية عند استكشاف النشاط فى البيئات الإسلامية السيبرية تحديد واجهات مؤلفى المواقع وقرائها، وهذه مسألة ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بالمواقع الجهادية؛ وقد يأتى الاهتمام من جهات عديدة، خاصة بعدما ظهرت تشريعات فى العديد من البلدان تحظر الدخول على المواد الجهادية وتوزيعها. تتخذ

الجماعات ذات المنحى الجهادى أشكالاً متنوعة، لكن العديد منها يستغل الإنترنت للترويج لفهمهم الخاص للإسلام وإبراز انتماءاتهم، والحصول على التمويل، وتشجيع التجنيد، وتطوير الصلات مع الشبكات المماثلة لها فى الفكر.

فيما أنه من المهم تجنب تنميط قراء المواقع الجهادية، فقد يكون من الممكن بناء نموذج يحتوى على عناصر استخدام معينة. ويمكن أن تتراوح هذه العناصر بين أنماط تحولت إلى الراديكالية من قبل وبين أولئك المهتمين بقضايا محددة مرتبطة بالحملات الإسلامية. وقد يشمل ذلك غير المسلمين الذين يسعون لتطوير وعيهم بأنشطة الإنترنت الإسلامية. وقد تشكِّل مستويات الاهتمام والدافع والانتماء والمشاركة المختلفة جزءًا من معادلة المتصفح. أضف إلى هذا قضايا التدين الشخصى والهوية والسياسة والثقافة واللغة والتعليم. كما قد ترتبط علاقة قارئ ما بأحد المواقع أيضًا بكيفية العرض على الموقع، والوعى بهذه هذه العوامل فى محتوى موقع ما وتصميمه؛ والمواقع التى تحيطها هالة من "الروشنة" قد تكون ملائمة أيضاً، مع درجات عالية من تفاعلية ويب ٢.٠ وجماليات تصميم ديناميكى. قد يتوقف هذا على ما إن كان القارئ يدخل على موقع لأسباب الحصول على الترفيه أو المعرفة، أو على الطرف النقيض، بسبب اليأس من فشل القنوات الأخرى فى تقديم المعلومات وتوليد الالتزام بقضية ما.

من المهم هنا تجنب الصورة النمطية عن مستخدم/عضو المواقع الجهادية بصفته شخصاً يفتقر إلى التعليم بالضرورة. من بين تضمينات الإلمام باستخدام النت، أن يكون هذا المستخدم/ة على مستوى معين من التعليم والدخل ولا يمثل هذا السياق فى الكثير من السياقات الإسلامية السكان ككل.

من المتوقع أن يسعى منشئو المواقع لتوظيف ولاء مثل هؤلاء الأفراد للاستفادة من مهاراتهم ومعارفهم، خاصةً فى الأنشطة الجهادية، ويعتبر ٩/١١ نموذجًا يسعى البعض لاتباعه، حيث جاء أبطاله الرئيسيون من خلفيات اجتماعية وتعليمية

تنتمى للطبقة المتوسطة. معظم المتورطين فى ٩/١١ من خريجى الجامعة، ويتمتعون بخلفيات تقنية ومعرفة بأسلوب الحياة الغربية. فعلى سبيل المثال، حصل محمد عطا على درجة الماجستير فى جامعة هامبورج التقنية، كما درس أيضًا فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة؛ وتخرج خالد الشيخ محمد فى جامعة كارولينا الشمالية الزراعية والتقنية فى جرينسبورو. وتلقى الجهاديون البارزون الآخرون فى الحملات السابقة، مثل ابن أخ خالد المدعو رمزى يوسف، قدراً جيداً من التعليم وفقًا لمعايير أصولهم الاجتماعية. كانت ليوسف خلفية تعليمية ومهنية فى الهندسة والاتصالات وأجهزة الكمبيوتر.

قد يناقض هذا الإنجازات التعليمية والوضع الاجتماعى المنخفض نسبيًا لـ"الجنود المشاة" الذين يقومون بأنشطة ذات صلة. تشمل هذه الفئة "مفجر الحذاء" ريتشارد ريد، وبعض منفذى تفجيرات مدريد فى مارس ٢٠٠٤ ("إم-١١")، والذين كان من بين أعدادهم موزع المخدرات جمال أحميدان. عبَّر معلم أسامة بن لادن عبد الله عزام عن وقوع مسئولية الجهاد على عاتق جميع المستويات فى المجتمع:

> الجهاد اليوم فرض عين بالنفس والمال على كل مسلم، وتبقى الأمة الإسلامية آثمة حتى تتحرر أخر بقعة إسلامية من يد الكفر، ولا ينجو من الإثم إلا المجاهدون ... لم يعذر الله عزوجل أحداً بترك الجهاد إلا المريض والأعرج والأعمى، والطفل الذى لم يبلغ الحنث، والمرأة التى لا تعرف طريق الجهاد والهجرة، والطاعن فى السن ... وغير هؤلاء ليس لهم عذر عند الله، سواء كان موظفًا أو صاحب صنعة أو من أرباب الأعمال أو تاجرا كبيراً، فهؤلاء ليسوا معذورين بترك الجهاد بأنفسهم وأن يدفعوا أموالهم.

من الواضح أن ثمة تراتبية ضمن المستويات التنظيمية المرتبطة بالأنشطة الجهادية، سواء صُنفت على وجه التحديد على أنها متعاونة مع تنظيم القاعدة أو مرتبطة بشبكات وكيانات أخرى. لكن وعلى جميع المستويات، يبدو أن هناك أفراداً ملمين بالتكنولوجيا يستفيدون من تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل تحقيق أهدافها تحت عنوان الجهاد.

لا يمكن تنميط الملامح الرئيسية لأبطال الإنترنت، نظرا لعدم إتاحة كميات كبيرة من المعلومات. ظهرت بعض الاقتراحات عن هذه الملامح إلى دائرة الضوء أثناء محاكمة الأفراد ذوى الاتجاه الجهادى، من بينهم أولئك المتورطون فى إنتاج المواد على الإنترنت. وتشير هذه بإضمارٍ إلى الخلفيات الاجتماعية التى تتضمن ازدهاراً اقتصادياً وتعليماً نسبياً، إلى جانب المعرفة بالمجتمعات الغربية وقيمها. ومن المتعذر إخضاع المواقع الجهادية، ومؤلفيها، وزوارها لأسئلة البحث المنظم. مع الوقت، قد يظهر تعريف بملامح مشتركة بناء على أسس علمية. تظهر عدد من الصور النمطية فى المناقشات. قد تسيطر صورة أحد المحاربين الجهاديين وهو يضع بندقية كلاشينكوف على مكتبه أثناء تصفحه للإنترنت على أذهان بعض المحللين. فى الواقع فقد وضع موقع jihad-algeria.com وغيره مثل هذه الصورة على موقعه على الويب فى ٢٠٠٤.

قد تكون ثمة مجموعة متنوعة من الملامح الممكنة لمؤلفى المحتوى وقرائه، رغم أن هذه الفئات ليست حصرية بأسلوب تبادلى. قد تتراوح هذه الفئات بين الناشطين المتشددين والمهووسين الجهاديين (مستخدمين قضية جهادية كدليل على براعتهم وتفوقهم السيبرى) وبين قراء عرضيين (مسلمين وغير مسلمين). تركز بعض المواقع على توفير الفرص للحوار والتفاعل. وقد يُصَمَّم محتوى الموقع للاستفادة من احتمال تقبل القارئ للمحتوى الجهادى، ويجمع بين أصداء اللغة الدينية وجماليات التصميم الإسلامى.

علينا الحذر لدى النظر فى مدى الحوار الذى يجرى بالمقارنة مع الحوار "غير المنظور". وينبغى ألا نفترض أن "جميع" القراء سوف يجرى تسييسهم أو أنهم سيتحولون إلى إرهابيين عن طريق استهلاك المحتوى الجهادى على الإنترنت، وهذه صورة نمطية تشير ضمنًا إلى افتقار الخبرة والثقافة اللازمة بين القراء وإلى قابلية بعضهم المتأصلة للوقوع فى الخطأ. بيد أن هذا الحوار يمكن أن يكون عملية فكرية مدروسة، تستند إلى تفسير المصادر ومدخلات "المرجعيات". الإلمام بالنت ووعى الأفراد بالميديا، خاصة إذا كانوا يعالجون مثل هذه "المعرفة" ويسعون وراءها، عوامل مهمة فى تحديد ملامح القراء. يمكن أن تكون اللغة والعلاقات بين الجنسين على الإنترنت مختلفة تمامًا عن تلك الموجودة فى العالم الحقيقى؛ فعدم الكشف عن الهوية يسمح بالتجريب، وبالقراءة السلبية والإيجابية، والنقاط الواقعة بين هذا وذاك.

من العوامل الحاسمة الأخرى مقدار الوقت الذى يقضيه قارئ ما على موقع بعينه - بالتقابل مع القيام بسلسلة من زيارات سريعة لعدة مواقع - حيث يكون المحتوى الجهادى مكونًا صغيرًا لكنه مهم. يقرأ الناس المحتوى على الإنترنت أو يصلون إليه بنفس الطرق التى يقرأون بها الميديا المطبوعة أو يصلون إليها. ويمكن الوصول أيضًا إلى المحتوى الجهادى عن طريق البحث العارض باستخدام محركات البحث أو روابط من بوابات ومنصات ذات توجه غير جهادى. يمكن أن تكون واجهة موقع ما على جوجل مهمة: فطباعة عبارة "الجهاد + الولايات المتحدة + الإرهاب" على محرك جوجل يؤدى إلى موقع "الجهاد الحقيقى" Jihad Unspun، الذى ندد به البعض بوصفه "الناطق" المزعوم باسم تنظيم القاعدة، وإن كانت هناك أيضًا ادعاءات بأنه قد يكون موقعًا "مصيدة" لجذب بيانات مفيدة للاستخبارات. كما صارت المواقع التى تعلِّق على مواقع جهادية معينة أو تنتقدها دون قصد مصادر معلومات وروابط لأنصار الجهاد، وربما تكون قادرة على تتبع الروابط بين

التنظيمات والمواقع؛ فإن تحديد مَنْ يرتبط بأى موقع عن طريق البحث، هو أسلوب آخر أيضاً لإتاحة المواد ذات الصلة.

بيد أنه بالإمكان تكوين الفرضيات عن عناصر الاتساق الرئيسية المتصلة بالملامح والسمات الاجتماعية، فيما يتعلق بنشطاء الجهاد والمسلمين "المتطرفين". ذكر جيمس بيسكاتورى وديل أيكلمان فيما كتباه فى ١٩٩٦ أن المسلمين الناشطين سياسياً ينتمى معظمهم إلى الطبقات المتعلمة والمهنية الحضرية وأنهم حاصلون على شهادات جامعية: "التعليم الجماهيرى يفتح الطريق أمام وصول - ممقرط - إلى النصوص المقدسة، ويتغلب على القيود المتعلقة بمن - يخوِّل - له تفسيرها. ونتيجة لذلك، تتصدى لسيطرة النخب الاحتكارية - سواء تحققت هذه السيطرة فى الواقع أو كانت مجرد طموح - الأعداد المتزايدة من مدعى التفسير الذين ينتمون لخلفيات متنوعة ويتمتعون بتعليم على الطراز الحديث".

كثير من هؤلاء الأفراد لن يشاركوا فى أنشطة من شأنها أن تصنف على أنها ذات توجه "جهادى". زادت فرص تفسيرات النصوص المقدسة هذه زيادة مطردة فى العصر الرقمى. وفى مناقشة حول السياسة الإسلامية السعودية المنبثقة من حركة "الصحوة" ("الصحوة الدينية")، ذكرت مضاوى الرشيد التالى:

> يشمل الصحويون علماء الدين الذين تلقوا تدريبًا رسميًا والذين يصلحون كأعضاء فى طبقة "العلماء"، بالإضافة إلى الرجال العاديين. بعض الصحويين من العلماء والأطباء والمهندسين والكيميائيين والصحفيين، لكنهم درسوا الدين كجزء من تعليمهم. وبالتالى فإنهم جميعًا حَصَّلوا قدراً من المعرفة الدينية التى تمكنهم من التعبير عن آرائهم حول النصوص

الدينية. وهذا يضعهم ضمن فئة من يُعْرَفون بالمفكرين الإسلاميين الذين يشكلون فئة تقع بين "العلماء" التقليديين وعامة الناس.

تقدم الرشيد تفسيراً للصحويين محمَّلاً بظلال من التضمينات، وهو ما قد يصحبه أجندات سياسية ودينية واجتماعية متنوعة مرتبطة بعدد متنوع من الحركات. انخرط عدد من الناس من هذا التجمع الأكبر فى النشاط على الإنترنت، من بينهم فى أوقات مختلفة أولئك الذين تبنوا أشكالاً مختلفة من دعم الأنشطة الجهادية وأثروا فيها.

قد تكون هناك حاجة لتمييز بين هذه الملامح وأولئك المتصفحين الفضوليين غير المشاركين فى أى نشاط والراغبين فى المعرفة - الذين ربما يقومون بزيارة عابرة لموقع ما وليسوا بالضرورة متعاطفين مع قضية ما أو مهتمين بها، لكنهم لا يزالون يسجلون زيارات على عداد الموقع. لا تعرِّف التكنولوجيا القراء بدرجات تعاطفهم أو بملامحهم وسماتهم. يعتقد مصممو الموقع وأنصاره أن الإنترنت ذو تأثير كافٍ لتبرير الوقت والجهد، وفى بعض الحالات، لتبرير تهديد الأمن الشخصى المرتبط بتطوير مثل هذه المواد على الإنترنت. بذل هؤلاء أحيانًا جهوداً مبتكرة ومدروسة بعناية لتقديم المحتوى لجمهور كوكبى.

أدت مرونة كيان تنظيم القاعدة، فى ظل الغياب الملموس للتصلب وسلاسة الاتصال، إلى ادعاء عدد من المنظمات والأفراد على الإنترنت أن أنشطتهم وبياناتهم تمثل القاعدة. ويعكس هذا طبيعة الكيان القابلة للاختراق، وتبنى اسمه فى العديد من الحملات. على سبيل المثال، ادعت كتائب الشهيد عبد الله عزام على الإنترنت مسئوليتها عن الانفجار الذى وقع فى سيناء بمصر فى نوفمبر ٢٠٠٤، وهى منظمة أعلنت انتماءها للقاعدة، لكنه أمر لم يكن معروفًا من قبل.

أدت تفجيرات مدريد (إم-١١) إلى زيادة الوعى بأنشطة القاعدة على الإنترنت،

حيث ظهرت بيانات تنسب المسئولية عن تفجيرات متعددة إلى منظمات مرتبطة بها. أشارت مؤسسة بحوث الدفاع النرويجية إلى وثائق مرتبطة بخطط محتملة لهذه الهجمات، والتى اكتشفتها على الإنترنت، لكنها لم تدرك وقتذاك أن لها معانى ضمنية خطيرة. ويمثل هذا فى نواحٍ كثيرة مشكلة كبيرة فيما يتعلق بالمعلومات الاستخباراتية، وزيادتها المفرطة بارتباطها بالبيئات الإسلامية السيبرية – صعوبة توفير الموارد اللازمة لترجمة مثل هذه الكمية من المواد على الإنترنت ورصدها وتسجيلها.

نَسَبَ البعض تفجيرات ٧ يوليو ٢٠٠٥ (٧/٧) فى لندن أيضًا إلى "القاعدة"، مما أدى إلى بيانات مثيرة للجدل فى المنتديات الجهادية فيما يتعلق بالمسئولية. "ابتهجى يا أمة الإسلام ويا أمة العرب لقد حان الوقت للانتقام من الحكومة الصليبية الصهيونية البريطانية، رداً على المجازر التى ترتكبها بريطانيا فى العراق وأفغانستان. نفَّذ المجاهدون الأبطال هجمة مباركة فى لندن. تحترق بريطانيا الآن من الخوف والرعب والذعر فى أركانها الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية".

كان من الصعب فى ذلك الوقت تحديد مدى صحة بيان صادر عن تابع غير معروف للقاعدة. وعجز تقرير لاحق عن تأسيس رابطة مباشرة، هذا على الرغم من استمداد "الإلهام" الأيديولوجى بوضوح من بيانات أتباع القاعدة، من بينها ما يُفترض أنه مواد مشتقة من الويب.

كان ثمة عنصر بالإنترنت لعب دوراً فى مقتل ثيو ڤان جوخ فى ٢٠٠٤ فى هولندا. كان فيلم "الاستسلام" المثير للجدل لأيان هيرست على وڤان جوخ متوفراً على يوتيوب، وكان ڤان جوخ مدونًا متحمسًا استخدم الويب للترويج لفيلمه ولوجهات نظره حول الإسلام. من الحتمى أن تصوير نساء مسلمات فى الفيلم، والاستخدام "الزخرفى" للقرآن على جسد إحدى الممثلات العارى، ولَّد جدلاً مستمراً على الإنترنت تجاوز كثيراً أصول الفيلم الهولندية: "على موقع mocros.nl المغربى

للشباب الصغار، تعرض ثيو ڤان جوخ للتهديد بالموت على مدى أشهر. وبالفعل فى أبريل ٢٠٠٤، وُضِعَت صورة للمخرج على صفحة إحدى منتديات موقع mo-cros.nl، مصحوبة بالقول متى يأتى الدور على ثيو؟ فى هذا البوستر، وُجِّهَ هدف ذو سبعة ثقوب لأعيرة نارية على رقبته وصدره ورأسه. سوف يقضى الله سريعًا على هذا الخنزير حقيقةً ومجازًا".

استخدم محمد بويرى، قاتل ڤان جوخ، اسمًا مستعارًا على الإنترنت هو أبو الزبير. كان بويرى نشطًا على الإنترنت، حيث كان ينشر مواداً جهادية، من بينها كتيبات وملخصات وترجمات وتعليقات. كما ضمت أعمالاً تشير ضمنًا إلى الجهاد كتبها سيد قطب الذى تركت أعماله تأثيرًا فى تطور "الإخوان المسلمين"، وبعض كتابات السيد أبو الأعلى المودودى، مؤسس "الجماعة الإسلامية" فى باكستان. شارك "محمد ب." أيضًا فى غرف الدردشة واستخدام البريد الإلكترونى للترويج للمفاهيم الجهادية.

لا بد من أن نضع فى الاعتبار تساؤلات حول مصداقية المواقع الجهادية. أشار البعض ضمنًا إلى أن بعض الصفحات ذات المنحى الجهادى لم تكن سوى مواقع أنشأتها مختلف أجهزة الاستخبارات تُستخدم لجمع المعلومات عن زوار الموقع. ذاعت الاتهامات حول مواقع ويب معينة أنشئت كمواقع "مصيدة" أُسست لأغراض جمع المعلومات مثل جمع هويات الزوار، وروابط البريد الإلكترونى، والإحالات الترافقية فى النشر.

استخدم العلماء الذين يدعمون أفكارًا حول الجهاد النت كوسيلة لعرض آرائهم؛ من أمثلة ذلك بيان أصدره أكاديميون سعوديون موجهًا إلى "الشعب العراقى المقاتل". ظهر هذا فى الأصل على موقع "الإسلام اليوم" ثم انتشر على نطاق واسع فى الصحافة وغيرها على الويب. كما أثارت إعلانات أخرى على مواقع الإنترنت الإسلامية الاهتمام، من بينها فتوى تبيح تشويه أى "كافر". من المناطق الحاسمة

ظهور غرف الدردشة على الإنترنت وغيرها من المنتديات حيث تتولد ردود الفعل على مثل هذه البيانات بسرعة وتنتشر، من بينها شروح لجوانب من المرجعية الدينية.

هل يمكن النظر للويب كمدخل للنضال الجهادى أو أداة تعزيز له؟ هذا سؤال افتراضى، لأنه لابد من الحكم على كل حالة من خلال مزاياها الخاصة. يمكن زيارة بعض المواقع بانتظام، خاصة ذات المحتوى "اللزج" أو ذات المحتوى الديناميكى والذى يتغير بصورة منتظمة أو يُبرز المحتوى المرتبط بحملة معاصرة شعبية. توفر خلاصات الآر إس إس فرصة أخرى لمطورى المواقع لتحفيز قرائهم وتنشيطهم بصورة منتظمة. هنا يمكن أن تظهر مزايا إنتاج موقع ما: المواقع سريعة التحميل، وعالية الجودة، وسهلة التصفح التى تحتوى على جرافيكس جذابة ومحتوى سهل القراءة، والذى قد يستهدف منطقة معينة، حيث من المحتمل له أن يتفوق على المواقع الأكثر صعوبة فى القراءة والمواد التقنية أو ذات التصميم الردىء أو كليهما.

قد تولّد البوابات ونقاط الدخول التى تستند إلى هذه الاعتبارات، حينما يُعلن عنها بشكل مناسب من خلال غرف الدردشة وقوائم البريد الإلكترونى، عدداً كبيراً من الزيارات. وقد تنطبق اعتبارات اللغة أيضاً، إلى جانب تكامل الوسائط المتعددة والشعور بالانتماء إلى مجتمع ما من خلال توليد المحادثة والصداقة والأعضاء وجماعات المصالح الخاصة. وبدون الرغبة فى تشويه الفهم، فإن أى بيئة تُشَجَّع فيها "إثارة" القراء أو الإساءة إليهم على أساس معتقداتهم الدينية قد لا تفضى إلى تشجيع القارئ العام. تنطبق استراتيجيات التسويق هنا مثلما تنطبق على عروض الشركات متعددة الجنسية وصُورها.

لكن من ناحية أخرى، يبدو أن بعض المواقع تتمتع بهامش لا يمكن إنكاره من مصداقية المحتوى الذى تقدمه، لاسيما تقارير شهود العيان للأنشطة العسكرية ومقاطع الفيديو. يشير محتوى الكثير من الصفحات ضمنياً إلى عدم

إمكانية أن تكون الجهات الأمنية هى التي وضعتها على الإنترنت. ويمكن تحديد بعض المواقع واقتنائها من خلال فحص وتتبع عناوين المواقع وتحديد ملكيتها عن طريق قنوات أخرى. تولدت مناقشة حول أساليب تنظيم النت، والتى تتجاهل حقيقة أن النت تطور تحديداً كى يكون لا مركزياً وفاعلاً فى أوضاع الصراع.

تسبب التساؤل حول ما إذا كان النت أداة لتجنيد الجماعات الجهادية فى ممارسات للوسائط الإعلامية المتعطشة للعناوين المثيرة، تجمع بين الخوف من الإسلام والخوف من الإنترنت. ربما يكون رد الفعل المحمَّل بكثير من ظلال الافتراضات، والذى ينظر فيه بعين الاعتبار لمزيج من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية - والتى قد يكون النت أحد مكوناتها - أكثر واقعية فى السعى للإجابة عن هذا السؤال. أشار الاستثمار فى الوقت والموارد فى هذه المواقع إلى أن مؤلفى هذه المواقع وأنصارها يعتقدون أنها توفر عائدات كبيرة أو يحتمل لها أن توفرها. وقد تتخذ تلك العائدات أشكالاً متعددة، تتراوح بين الدعم العام إلى المساعدة اللوجستية والمالية.

ظهر التجنيد لصالح القضايا الجهادية عبر الإنترنت أيضًا ضمن سياقات "الأقليات" الإسلامية، وخصوصاً عندما تشير الدلائل إلى اجتذاب عدد من الشباب وتحويلهم إلى الراديكالية بطرق مختلفة:

> دور "المحاربين القدماء" ليس العامل الوحيد الحاسم فى تطور المجندين الجدد. فالديناميات الداخلية ضمن مجموعات من الشباب المسلم الراديكالى تلعب دوراً مهمًا. على سبيل المثال، صارت أنماط النضال المتطورة فى ميادين الصراع مثل الشيشان وأفغانستان والعراق موضوعات مناقشات مكثفة (على

الإنترنت) بين جماعات من الشباب المسلم. بعض أعضاء "مجموعات النقاش" هذه أعمارهم صغيرة للغاية (تبلغ أعمارهم بين ١٦ و١٧ عامًا). ولم يتخذ قليل منهم خطواته الأولى نحو تحقيق الجهاد بالفعل قبل سن ١٨ عامًا. كان هذا هو الحال مع العديد من الشباب الصغير من أصول مغربية والذين ألقى القبض عليهم فى ٢٠٠٤.

(إدوين باكر "الإسلام الراديكالى فى هولندا")

قد تربط المنصات عبر الإنترنت بين مختلف الحملات "الإسلامية". على سبيل المثال، قد توجه المواقع المسلمة التى تركز على فلسطين (وهى ليست قضية إسلامية على وجه الحصر) القراء إلى محتوى ذى صلة بالقضايا والسياقات الأخرى كجزء من حوار عالمى أوسع عن رؤيتهم للإسلام. وهكذا، تترابط الآراء حول أفغانستان والجزائر والبوسنة وكشمير ومسلمى الفلبين والشيشان والعراق والحملات الكردية أو كلها معا على الإنترنت. تنعكس اتصالات العالم الحقيقى ومُثُل "الأمة" العليا، وفى بعض الحالات تُخْلَق وتتيسر عن طريق الإنترنت. وبحسب أحد المعلقين، لابد من أخذ الخبرات "السلبية" للجهاديين الذين جُنِّدوا عبر الإنترنت أيضًا بعين الاعتبار: "يتعرض الجيل الجديد الذى ألهمته الدعاية الإرهابية على الإنترنت أو فى وسائل الإعلام العربية للقتل والإبادة بسرعة كبيرة لدرجة أن مصيرهم صار له أثر سلبى على عملية التجنيد. لم يعد الراديكاليون الإسلاميون من الشباب يهرعون للانضمام إلى الحرب فى العراق حيث لا احتمالات للعودة على قيد الحياة من هناك. وأولئك الذين يعودون سالمين لا يساعدون كثيراً فى التجنيد، حيث يحكون قصصاً عن القوات الأمريكية الفتاكة، وعن شعب عراقى معادٍ".

لابد من تفحص كل حالة وموقع على حدة. بصفة عامة، لاشك أن المعلومات

المقدمة ماكرة وفاعلة، وتتمشى مع جيل متعلم ومثقف رقميًا فى سياقات متغربنة. يعنى تنويع المواقع احتمال وجود المواد الجهادية بالعديد من اللغات. بعض المواقع "غير الضارة" قد تجذب القارئ إلى إطار من المواد المكثفة والتفصيلية التى "قد" تشجع التجنيد والدعم اللوچستى بالنسبة للشخص القابل للتأثر بمثل هذه المواد.

القابلية للتأثر موضوع رئيسى هنا، ومع عدم توفر دراسات حالة تفصيلية تتعلق مباشرةً بالتجنيد على الإنترنت، لا يسعنا سوى تقديم افتراضات. يشير مارك سيدچمان إلى أن الإنترنت وحده ليس كافيًا، وأن الاتصال وجهًا لوجه والتفاعل الاجتماعى عبر مجموعة متنوعة من الشبكات عنصر أساسى من عناصر الأنشطة الجهادية فى مراحل مختلفة. وعلى الرغم من أن دراسات الحالة التى يعرضها سيدچمان عن "الجهاديين السلفيين" مقنعة، لكنها لا تمثل النت بوصفه عنصراً مهمًا لأى نمط من أنماط التجنيد. هذا لا ينفى التأثير اللوچستى لتكنولوجيا المعلومات على ٩/١١ وغيرها من الحملات. نُشِرَ كتاب سيدچمان فى ٢٠٠٤؛ وربما تظهر إلى النور قضايا ومعلومات لاحقة تلقى مزيداً من الضوء على هذه المسألة. أود أن أشير إلى أن مواد الإنترنت توفر مقدمة مباشرة عن المواد الجهادية، ويمكن أن تحفز الانتماءات فى القراء الذين يتشاركون فى ملامح معينة.

يذكر سيدچمان بعد نشر كتابه أن الإنترنت أُستخدم ليشير ضمنيًا إلى تماسك ونشاط تتسم به القاعدة وأنشطة تقوم بها أكثر مما يعكسه الواقع، رغم أنه يبدو أن هذه النظرية تنفى الأنشطة التى تجرى باسم القاعدة فى العراق و تفجيرات لندن فى يوليو ٢٠٠٥: ادعى سيدچمان أن القاعدة - ميتة من ناحية العمليات - ولم يعد لديها اليوم أية شبكة: «عملياتها غير منسقة كما أنها تستخدم الإنترنت لإنشاء مجموعات الدردشة وإعطاء الانطباع بأنها لا تزال قوية، لكن هذا ليس صحيحاً. لم تعد لديها القدرة على إلحاق الضرر بالولايات المتحدة".

تتوقف صدقية هذا الطرح على العناصر التى يُعتقد أنها تشكِّل أية شبكة،

ويمكننا أن نشير إلى أن ثمة حاجة إلى قدر أكبر من فهم الأحداث التى وقعت كى يُطرح مثل هذا التصريح الجرىء. ربما يكون علينا أن نتحدث عن أجيال من عُقَد القاعدة، وتحسن أساليبها وتكيفها لتتناسب مع الظروف المحددة. وأيا كان الوضع، فإن تحديد التأثير أمر ذاتى وشىء يمكن أن يكون بؤرة اهتمام المؤرخين فى المستقبل، بافتراض توفر مواد أرشيفية سليمة. يمكن الاضطلاع ببعض الأنشطة الأولية التى أوردها فى هذه المرحلة من عملية التحليل. وكما هو الحال بالنسبة لدراسات الحالة الخاصة بسيدچمان والتى أجراها على الأفراد ذوى التوجهات الجهادية، فإن ثمة دوراً للفهم المحمل بظلال المعانى لفضاء الويب ذى الاتجاه الجهادى الذى يمكن أن يحدد مستويات معينة من الوصول إلى الإنترنت والمعلومات والانتماءات التى يمكن أن تتولد من خلال مواد معينة على الإنترنت.

تعالج مثل هذه المواد الموضوعات التى تَلْقى صدى لدى الجماهير المسلمة فى جميع أنحاء العالم، رغم أن تفسيرها قد يختلف عن تفسيرات القنوات "السائدة". على سبيل المثال، قد تُعَبِّر صحيفة ما فى سياق إسلامى عن تعاطفها مع المحنة الملموسة التى يعانى منها الشعب العراقى، بمن فيهم مسلمون ذوو أطر عقائدية مختلفة، لكنها لن تؤيد بالضرورة أنشطة «المتمردين» المفترضين. أما المستوى الأعلى (باستخدامنا قياساً مستمداً من ألعاب الكمبيوتر) الذى تُستخدم فيه المواقع والبوابات الجهادية فهى أنها تدعم من خلال الأخبار التى توردها، وغير ذلك من أشكال التغطية، إضماراً أو صراحةً، جوانب الأنشطة الجهادية العسكرية فى العراق وغيره من المناطق. يجرى ربط الحملات عبر العوالم المسلمة أيضاً دون تمييز يُذْكَر بين الأهداف أو وحدة اللغة. يعتمد الخطاب على الدعاية المثبتة وأنماط وعظية تتمشى مع مفاهيم إحدى المرجعيات الدينية والمصداقية مع ربطها بإطار عمل مفاهيمى سياسى. تستخدم التكنولوجيا الرفيعة فى عرض المحتوى الذى قد يكون أيضا، براقا، وماكرا فى أنه يمكن أن يوجه القارئ إلى السعى إلى مزيد من التفاعل والمعرفة.

تمثل بعض البوابات تلاقح الحملات الجهادية، مثل اللافتات التى تنشئها الحملات الجهادية العالمية. وكما هو الحال بالنسبة لخطاب كيان القاعدة وأنشطته، فبالإمكان الربط بين مفاهيم الجهاد والعقيدة الدينية المشتركة عبر جماعات الحملات المتنوعة لتصبح الصورة صورة حملة عالمية ومعولة. ولا بد من توخى الحذر هنا. قد تتمتع هذه الحملات بالشعبية فى بعض السياقات الإسلامية - على سبيل المثال، تحرير فلسطين أو جامو كشمير - لكن منهجية تحقيق هذه الأهداف لا تعبِّر عنها سوى مجموعة صغيرة من المواقع لا تنتمى بالضرورة إلى التيار السائد.

قد تكون الصفحات التى تدعم مثل هذه الأهداف، مستخدمة لغة الجهاد، مؤقتة ويتم إزالتها بسرعة من السيرفرات. ورغم ذلك فهى فاعلة، حيث تولد آلاف الزيارات خلال فترة حياتها القصيرة قبل إزالتها من قِبَل مزودى خدمات الإنترنت، أو قبل أن تتعرض للاختراق، أو تغيير موضعها؛ ويجرى تداول المعلومات حول المواقع الجديدة بسرعة عن طريق البريد الإلكترونى وغرف الدردشة، وكذلك من خلال البوابات. ويعنى انتشار مثل هذه المواقع - وسهولة نسخ البيانات من موقع لآخر، ومن ثَمَّ إلى التكنولوجيا خارج الإنترنت إلى أسطوانة مدمجة وطابعات - أنه من العسير تتبع كمية المادة. ولا يمكن افتراض أن الأفراد الذين يجلسون على أجهزة كمبيوتر فى مواقع ثابتة يقرأون كافة المحتويات على الصفحة. تتيح شبكات النطاق العريض واللاسلكية سهولة تحديد الموقع (أو الانتقال منه إلى آخر) واحتمالية عدم الكشف عن الهوية فى بعض السياقات. كما يمكن قراءة المواد بعيداً عن الطريقة التقليدية أمام شاشات الكمبيوتر، فأجهزة هواتف بلاكبيرى، والآى فون، وأجهزة المساعد الرقمى الشخصى يمكنها أن تضم محتوى الويب. يوفر الاندماج بين تقنيات النت وميديا الترفيه، مثل وسائل البث التليفزيونى الرقمية وبالأقمار الصناعية وتكنولوجيا الألعاب، واجهة بديلة. ويمكن أيضًا بالاعتماد على ويب ٢,٠ تحميل

المحتوى على الإنترنت لتشغيله مرة أخرى فيما بعد وتوزيعه من خلال تقنيات مثل البودكاست، ومصادر الفيديو، و"وسائل البث".

يمكن الاطلاع على المواد باللغات الأوروبية، وكذلك بلغات من سياقات ذات أغلبية مسلمة. جرى احتواء المواقع الجهادية من خلال مزودى خدمات الإنترنت فى مجموعة متنوعة من الأماكن، من بينها مكان يقع مكتبه فى كليفتون بنيو جيرسى: "فى الطابق الثانى، سمحت شركة إنترنت تدعى فورتريس أى تى إكس Fortress ITX حتى وقت قريب بالدخول على موقع ويب باللغة العربية دعا ما نُشِرَ فيه فى الأسابيع الأخيرة إلى شن هجمات ضد أهداف أمريكية وإسرائيلية. كما شُرِحَ، فن الاختطاف، فى النشرات الإلكترونية، إلى جانب، تعليمات عسكرية للمجاهدين، والحرب داخل المدن. يمكن للزوار قراءة التعليمات حول استخدام تليفون محمول لتفجير قنبلة عن بُعْد أو طلب المساعدة فى تصنيع صواريخ صغيرة".

دعا تقرير لجنة بالأمم المتحدة إلى فرض قيود على الإنترنت: "يجب أن ينظر مجلس الأمم المتحدة فى فرض قيود على استخدام الإنترنت للحيلولة دون غواية الناس، للسير فى مسار الإرهاب- بحسب رأى الخبراء ... وذكرت اللجنة أيضًا أن هذه القيود قد تتراوح بين - وقف توزيع المواد المتطرفة التى تحرض على العنف - إلى الطلب من مزودى خدمات الإنترنت التحقق من هوية عملائهم وإلى إضافة أية شركة لتقديم خدمات الإنترنت، تهدف إلى الترويج لأعمال الإرهاب، إلى قائمة الأمم المتحدة".

أدى الإدراك البطىء لأهمية الإنترنت كسلاح لوجستى بعد ٩/١١ إلى إعادة تشكيل الموارد الأمنية وتقييمها. لم تكن البرمجيات والمنهجية المتاحة كافية، وفى الولايات المتحدة، استُكمِل برنامج كارنيڤور للمراقبة بسرية وبشكل تدريجى. وفيما ظلت العديد من القرارات المتعلقة بهذه الأنشطة مغلقة أمام المراقبة الخارجية، أُعْلِنَ عن بعض المشروعات بصورة علنية. كما أنشئت مجموعة متنوعة من قواعد البيانات

مثل "قاعدة معارف الإرهاب"، وهى مورد قابل للبحث فيه ينظمه المعهد التذكارى الوطنى لمكافحة الإرهاب. أعلنت مؤسسة العلوم الوطنية التابعة للحكومة الأمريكية، بالتعاون مع الاتحاد الماليزى، عن مشروع مراقبة الأنشطة فى غرف الدردشة، حيث يُزعم أن بعض أكثر الحوارات الجهادية صخبًا تجرى بها. كما وظفت الحكومة الإندونيسية أتباعًا سابقين فى الجماعات الجهادية بغرض الحصول على المعرفة المطلعة والمعلومات الاستخباراتية.

تعتبر الوسائل التى حاول مصممو الموقع من خلالها إعطاء ثقل للبيانات عن أنفسهم بغرض جذب القراء إلى صفحاتهم وقضاياهم تعتبر من المسائل الشائقة. تحاول بعض الصفحات تنمية إحساس بالصداقة والهوية المشتركة مع القراء، بما فى هذا العضوية التى تتيح الدخول على مناطق خفية بالمواقع أيضًا. بالنسبة لبعض القراء، هناك إمكانية عدم الكشف عن الهوية؛ وقد يُنمى القراء هويات مبتكرة على الإنترنت بعيدة تمامًا عن أنماط حياتهم الشخصية. ربما يكون أحد قراء أحد المواقع الجهادية شابًا فى كافيه له اهتمام بالأسلحة و"البريق" المعروض بالمواقع، ويأتى البُعْد الإسلامى بالنسبة له فى المرتبة الثانية. بل ربما تكون هناك علاقة بين هذا النوع من المحتوى وألعاب الكمبيوتر. كما قد يكون القراء أشخاصًا محرومين من كبار السن يبحثون عن قضية يُقِرُّها الدين، وتأتى التكنولوجيا و"البريق" فى المرتبة الثانية بالنسبة لهذه القضية. قد تكون المواقع التى تفضل ألا تنمط قراءها أو التى تنشئ مناطق مختلفة لمختلف القراء قد تكون أكثر نجاحًا فى الحصول على الدعم لقضاياها بأشكالها المختلفة.

قد ينجذب قارئ ما لمصدر يدعو للراديكالية على الويب لعدد من الأسباب، اعتمادًا إذا كنا نناقش قضايا محلية أو وطنية أو عالمية. لابد أن نكون على وعى بالحدود السائلة فى أغلب الأحيان بين المنظمات والانتماءات الفضفاضة والتى ترتبط بالقضايا الإسلامية. وربما ينجذب القارئ إلى أحد المواقع بنفس الدرجة

كرد فعل لحدث معين أو بحثًا عن أخبار عن منظمة معينة. ربما يطّلعون على عنوان لموقع ما عن طريق محرك بحث أو معلومات فى إحدى المدونات أو غرفة دردشة أو قائمة بريد إلكترونى. وقد تسهم الدعاية من مصدر آخر مثل منشور يُسلَّم خارج أحد المساجد أو ملصق مطبوع. لقد شاهدت بنفسى عناوين مواقع جهادية معروضة فى منشورات مطبوعة ملصقة بطريقة غير قانونية على أعمدة الإنارة فى لندن، وبرمنجهام، وأماكن أخرى.

يمكن أن تسهم وسائل الإعلام المطبوعة الأخرى كالصحف والمجلات فى التوعية بعناوين المواقع. قد يكون تأثير الروابط التشعبية من مواقع أو منظمات أخرى عاملاً محتملاً غير ظاهر للعيان ولكنه مهم فى أى عملية تقييم. يعود بنا هذا إلى نقطة بناء خرائط للروابط بين الأشخاص ومسألة بناء نمط من الاتصال بالشبكات (وعدد النقرات) التى قد تكون بين المنظمات. هل من الممكن قياس هذه الأشكال من الاتصال بالشبكات؟ وماذا يعنى هذا ضمنيًا، إن وجد؟

يمكن أن يضاف لهذه المعادلة عامل الترميز الدينى: ما مدى تأثير استخدام الرموز الدينية كوسيلة لتشجيع التعاطف، والمشاركة، والالتزام برؤية معينة للعالم؟ غدت رموز كالقرآن والكعبة جزءًا مما تشارك به المواقع البيئات الإسلامية السيبرية الأخرى بطرق متعددة: هناك أيضًا رموز تشكِّل ملامح مميزة بالمواقع الجهادية، مثل تجاور القرآن وبندقية الكلاشينكوف (أو أى سلاح شبيه بها) أو صور أولئك "الشهداء" الذين اختاروا "الجنة" فى قضية دينية سياسية.

الجهاد الإلكترونى ٢,٠

روجت العديد من الحملات المحلية والعالمية للجهاد على الإنترنت، مبررة استخدامه بالاستناد إلى أشكال متعددة من المرجعيات الدينية من مصادر معاصرة وتاريخية. نشرت القاعدة على نحو فاعل موادًا استراتيجية ودعائية عبر قنوات الإنترنت، من بينها كتيبات إرشادية للعمليات شبه العسكرية. كما استحضر اسمها

أيضًا فى حملات محلية عبر الإنترنت، حتى تلك التى تقع خارج نطاق تأثيرات القاعدة أو مصالحها. أثارت إمامة أستاذة الدراسات الإسلامية أمينة ودُّود للصلاة فى أحد المساجد ردود فعل متواصلة على الإنترنت: "جرى تداول نداء مجهول الهوية يدعو أسامة بن لادن لاستصدار فتوى على الإنترنت بقتل ودود، مما دفع ڤرجينيا كومنولث [جامعتها] بنقل محاضراتها إلى خارج الحرم الجامعى، مع الربط الهاتفى من على بعد، لبقية الفصل الدراسى".

لم يتسَنَّ إثبات صحة النداء ولم يسفر عن أية ردة فعل من بن لادن. من المثير للاهتمام استحضار اسمه على الإنترنت، ووجود افتراض أنه وبطريقة ما، من خلال شبكة الوسطاء قد تلقى الرسالة، ونوعًا من رد الفعل فى شكل فتوى. فإلى أى مدى يشير هذا ضمنيًا إلى صورة للقاعدة كنوع من التنظيمات "المربوطة بشبكة" والتى قد تستجيب لهذه الرسالة؟ من غير المحتمل أن يكون كبار أعضاء شبكة القاعدة على دراية بودود أو حتى أن يكون لديهم أية مخاوف بشأن أنشطتها مقارنة باهتمامهم بالصورة الكبرى. ومع ذلك، وعلى المستوى المحلى، نُظِرَ إلى مثل هذا البيان الاستفزازى باعتبار أنه يملك القدرة على تحفيز أحد أنصار القاعدة لاتخاذ رد فعل - سواء فى حال وجود فتوى أو عدمه - ومن ثَمَّ كان رد فعل الجامعة بالشكل الذى جاء عليه. حققت الكاتبة شهرة كبيرة، من خلال بيان مجهول المصدر نُشِرَ على الإنترنت، وولَّدَ مستوى من الخوف حول احتمال اتخاذ رد فعل. يمثل هذا فى حد ذاته شكلاً من أشكال استخدام الإنترنت كقوة مزعزعة للاستقرار، وإن كان ذلك على مستوى محلى؛ وهو ما يعكس تأثير الأساليب الاستراتيجية لاستخدام وسائل الإعلام التى عبَّر عنها أتباع القاعدة فى الكتيبات كجزء من سياسة إعلامية شاملة.

نتج عن استخدام القاعدة للإنترنت محاولات مستمرة من قِبل خصومها لإغلاق الوصول إلى مواقعها ومواردها، من بين هذه الطرق القرصنة والاقتحام، والطلب

من مزودى خدمات الإنترنت وقف استضافة المواقع. القرصنة عملية ذات اتجاهين: بعد ٩/١١، ألحِق موقع "النداء" المؤيد للقاعدة عن طريق "القرصنة" بمواقع ويب غير مشتبه فيها، ثم روِّج له بسرعة بين مؤيدى التنظيم عن طريق قوائم البريد الإلكترونى، قبل جذب انتباه مزودى خدمات الإنترنت وإغلاقه -- فقط لتكتمل الحلقة وتبدأ من جديد فى مكان آخر.

صارت المنظمات الإسلامية السياسية والدينية التى تعمل فى مناطق أخرى مرتبطة بمفهوم الجهاد أيضاً منظمات محترفة لتقديم أخبار، من خلال مواقع تتسم بثراء المحتوى وحسن الإدارة. وتعترف منظمات مثل حماس وحركة الجهاد الإسلامى وحزب الله أن الإنترنت وسيط فاعل لتقديم رؤاها وقيمها الدينية من خلاله، من بينها تلك الرؤى والقيم المرتبطة بالجهاد. شاركت الجماعات الإسلامية الناشطة فى الحملات والقضايا الدولية، حيث أرسلت رسائل إلى الشعب الأمريكى أثناء الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٤ – رغم أن استماع الأمريكيين لتلك الرسالة أو عدمه مسألة أخرى: "استخدم الراديكاليون الإسلاميون الإنترنت يوم الخميس للتنفيس عن غضبهم من إعادة انتخاب الرئيس الأمريكى جورج دبليو. بوش، حيث اتهم أحدهم الشعب الأمريكى باختيار «منطق الحرب».

لا شك أن الجهاد الإلكترونى بأشكاله المختلفة ظلت له أهميته فى الخطاب المعاصر عن الإسلام، وأن الوعى به بين التيار السائد فى ازدياد. ذكرت صحيفة نيويورك تايمز ما يلى: "كى نعى حالة الحركة الجهادية الذهنية، لابد أن نستمع إلى اتصالاتها، وليس فقط إلى «الثرثرة» بشأن العمليات التى تجمعها أجهزة الاستخبارات. المحفل الرئيسى لخطاب الإرهابيين اليوم ليس هو الاتصالات الهاتفية السرية لكنه الإنترنت، حيث تمتلئ مواقع الويب وغرف الدردشة الإسلامية بتقييمات للأحداث الجارية، ومناقشات حول الاستراتيجية وتوضيحات مسهبة للأيديولوجيا الجهادية".

يشمل هذا الوعى تغطية إعلامية هائلة داخل السياقات الإسلامية أيضًا، إلى جانب تغطية مجموعة متنوعة من القضايا الدولية والمحلية. وصَحِبَ هذا تصور أن السلطات تتعامل، فى كثير من الحالات، مع الناشطين على أنهم على دراية كاملة بالتكنولوجيا الإلكترونية: "لدى كل جماعة جهادية فى جنوب شرق آسيا موقعها الخاص على الويب وتتعامل بأريحية مع الهواتف المحمولة (شريطة ألا يكون بها نغمات موسيقية). الرؤية التى تتصورها هذه الجماعات، إذن، ليست مجرد إقامة خلافة عالمية، بل خلافة سيبرية".

أُستخدم النت أيضًا كأداة لتنظيم الجهاديين المحتملين. حرصت السلطات السعودية على تقديم شكل من التواصل الوزارى على الإنترنت لمواجهة "المتشددين" من خلال الحوار الإلكترونى. يثير هذا النشاط بعض المسائل اللوجستية المهمة: "يجعل عدم الكشف عن الهوية بالويب من المستحيل التحقق من هوية الـ ٨٠٠ مُحاور الذين يُذْكَر أن وزارة الأوقاف والشئون الدينية السعودية اشتركت معهم فى حوارات. كما أن تحديد البلدان التى كان المحاورون المجهولون يتفاعلون مع الوزارة منها ليس متاحًا أيضًا، وكذلك مسألة ما إن كانت هوياتهم حقيقة أم مزعومة.

وبالرغم من مثل هذه الحوارات، أو ربما بسببها، أدمجت مجموعات متباينة تطورات تكنولوجية جديدة فى استراتيجية انتشارها - وهو ما يتجاوز كثيراً صفحات الويب الأساسية وغرف الدردشة - لتشمل الوسائط المتعددة. وغدت مختلف غرف الدردشة، وأماكن النقاش، ولوحات النشرات أماكن رئيسية لتوزيع المواد. على سبيل المثال، احتوت لوحة نشرة موقع Farouq.com على الكثير من الروابط لمواد ذات صلة بالقاعدة. تشكل مواقع الأخبار والدعاية، التى تضم تبريرات دينية للأنشطة، عنصراً من عناصر الخطاب الجهادى على الإنترنت؛ فهى تقدم رؤى "بديلة"، وإن لم تلق ترحيباً عالميًا، بشأن الأحداث المحلية والعالمية. وقد

توفر بيانات تخص منظمة نشطاء/وجهات نظر دينية ما، من بينها مناطق مغلقة (للأعضاء فقط) تتطلب الاشتراك والموافقة عليها من منسق المنتدى أو صاحب الموقع. ويمكن للمواقع من هذا النوع إتاحة مستويات مختلفة من الدخول على المواقع، مع تحديد البيانات التى تظهر فى المنطقة المتاحة للجمهور العام. هذا لا يختلف مطلقًا، وبطرق كثيرة، عن قطاعات أخرى من الويب، حيث تُستخدم نفس معايير الدخول والعضوية؛ وبالتقابل الخدمات التجارية مثل مواقع البورنو أو القمار، لا يتطلب عادة الدفع للدخول على المحتوى الجهادى. إلا أنه هناك بعض أوجه الشبه المشتركة بين هذه الأشكال الأخرى من النشاط على الإنترنت من حيث الأمن والعضوية واستخدام أدوات التشفير وعدم الكشف عن الهوية، وفى كثير من الحالات، تحديث المحتوى بشكل متكرر.

يبدو مفهوم تلاقح نظم إدارة المحتوى بين المواقع الجهادية ومواقع البورنو لأول وهلة من مفارقات الويب غير المعتادة. كلاهما يتجاوز مجالات الأخلاق والشرعية؛ فقطاع البورنو عمل على تطوير أحدث الابتكارات فى مجال أدوات عرض الڤيديو وخصوصية الإنترنت، فضلاً عن ابتكار طرق يمكن تجنب الرقابة من خلالها. وكما هو الحال مع مناطق البيئات الإسلامية السيبرية، هناك أيضًا قطاعات فى صناعة البورنو على الإنترنت غير خاضعة للرقابة. البورنو أحد الأسباب السائدة للنمو المطرد فى استخدام شبكة الإنترنت وتزايد محتواها كما أنه على رأس قائمة أولويات الدخول على الإنترنت بالنسبة لبعض القراء. كلٌ من البورنو والمواقع الجهادية مناطق ويب تسعى بعض السلطات لحماية القراء "القابلين للتأثر بها" منها بدرجات متفاوتة. كما عُثِرَ على مواقع جهادية "مخفية" على سيرڤرات ومواقع ذات محتوى إباحى، وظهرت مزاعم حول تشفير بيانات جهادية ضمن صور جنسية فاضحة.

أصوات الجهاد الإلكترونى

من الأمور ذات الأهمية الكبيرة فى تطور المواد الجهادية على الإنترنت ترسيخ "الشخصيات" فى أوساط مزودى محتوى الويب. تسعى المناقشة التالية إلى عرض مجموعة مختارة منها، لبيان بعض السمات المختلفة التى تتعرض للهجوم والكشف عن أهم التجسيدات بالقاعدة/الجهادية على الإنترنت. ظهر لاعبون رئيسيون وهويات محددة لـ"منفذى العمليات" وأصوات مهمة تمثل القاعدة والكيانات ذات الصلة. وبين هذه الأسماء المستعارة: "دليل المجاهد"، و"إرهابى٠٠٧"، و"زبيدة ١٤١٧"، و"عبد العزيز المقرن"، و"لويس عطية الله".

يؤدى استخدام عدم الكشف عن الهوية إلى إشكالية فى تحديد "صحة" بعض الشخصيات الرئيسية. هدد "دليل المجاهد" وهو مثال لهؤلاء الأفراد الولايات المتحدة ببدء العد التنازلى النووى فى ٢٠٠٤. وكان أحد الأمثلة الأخرى التى تعمل من لندن هو "إرهابى٠٠٧" الذى واصل نشر مواد جهادية بانتظام، من بينها توزيع شريط فيديو ظهر أيضًا على قناة الجزيرة فى سبتمبر ٢٠٠٥. أنتجت هذا الفيديو على ما يبدو وحدة إنتاج الميديا بالقاعدة المعروفة باسم "السحاب"، والتى أعلنت مسئوليتها عن تفجيرات يوليو ٢٠٠٥، لتعرض بجانب ذلك فيلمًا لأحد المفجرين مع تصريحات مسجلة بالفيديو لأيمن الظواهرى. ولسنا على يقين حاليًا إذا كان "إرهابى٠٠٧" فردًا أم جماعة.

أدى ارتفاع مستوى ما ينشره "إرهابى٠٠٧" على المنتديات ومواقع الويب إلى أن يطلق من يسمون أنفسهم حراس الإنترنت مثل منظمة "هاجانا الإنترنت"(١) حملة شرسة لإغلاق "إرهابى٠٠٧". أشار أحد المصادر، بناء على تحليل البيانات،

(١) هاجانا اسم إحدي العصابات الصهيونية التي كانت تقوم بعمليات إرهابية في فلسطين قبل إنشاء دولة إسرائيل والتي تحولت فيما بعد إلي ما يُعرف الآن بجيش «الدفاع الإسرائيلي» [الترجمة].

أنه كان مقيماً بغرب لندن وأنه لم يمكنه تفهم السبب الذى دعا السلطات البريطانية إلى عدم تتبعه ومحاكمته. بعد سلسلة من الاعتقالات فى ٢٠٠٥، اتهم يونس تسولى المغربى المولد والمقيم بلندن بأنه "إرهابى٠٠٧" وحكم عليه بالسجن عشر سنوات بتهم تتعلق بالإرهاب فى ٢٠٠٧. ولكن، وكما أوضحت صحيفة "الواشنطن بوست" فإن "غياب «إرهابى» عن الإنترنت قد لا يكون ملحوظًا كما يأمل الكثيرون، بل إن القرصان «إرهابى» توقع اختفاءه. وفى الأشهر التى سبقت القبض عليه، أعلن «إرهابى» عن وصيته على الإنترنت، وفيها قدم روابط لمساعدة الزوار لتطوير مهاراتهم الخاصة بأمن الإنترنت والقرصنة فى حالة غيابه – وهذه عادة الجهاديين الذين يبحثون عن وسيلة لتواصل خدمة أهدافهم الشريرة. ربما جرى القبض على «إرهابى»، لكن إرثه على الإنترنت قد يكون صنيعة عدة آلاف من "الإرهابيين ٠٠٧".

وتعتبر هذه مسألة هامة، نظراً لانتشار المهارات اللازمة لوضع موقع على الإنترنت على نطاق واسع لأن الأفراد قد يتميزون بحوافزهم القوية، رغم أنهم قد يكونون براجماتيين من خلال إدراكهم بأن أنشطتها قد تكون محدودة. لكن المطلوب منا الاستفادة من تجاربنا السابقة والمسافة التاريخية التى تفصلنا عنها لتحديد كيفية مواصلة الكثير من اللاعبين الرئيسيين العمل بعد مختلف التصدعات، أو ما إذا كانت الشخصيات المستعارة أو التجسيدات المتورطة "تتميز بالسيولة" بمعنى أن أفراداً عديدين قد يتلبسون نفس الهوية.

بالمثل عملت مواقع "زبيدة ١٤١٧" بمثابة محور تنبثق منه المعلومات الجهادية، التى تشمل كتيبات الأسلحة، والمعلومات التكتيكية، والدعاية. كانت بعض المواقع ذات طبيعة عامة، من بينها أدلة مترجمة عن استخدام أنواع مختلفة من الأسلحة. يعزز التكامل بين مختلف أنواع الصراع فى واجهات بيانية مماثلة مفهوم القضايا المشتركة والتشابه بين الحملات الجهادية عبر العالم. تعتمد اللافتات المرسومة والموجودة على صفحات "زبيدة ١٤١٧" على "رموز" وصور إسلامية محددة من

الصراعات المعاصرة وصممت لتستثير ردود أفعال متعاطفة للتيمات المثيرة للمشاعر. كما أوحت أن "زبيدة ١٤١٧"، سواء كان ذلك الاسم يمثل جماعة أو فرداً مرتبطاً بقضية القاعدة، يتمتع بذائقة بصرية لتصميم الرسومات الجذابة باستخدام الرموز واللون والشكل. تشمل هذه التصميمات سلسلة من الملصقات واللافتات تمثل شرائح متنوعة من أشكال الصراع المسلمة فى مختلف البيئات الإقليمية، تُبْرز زعماء دينيين عسكريين معينين، وضحايا الصراع، والزخارف الإسلامية، من بينها آيات من القرآن.

استضاف "زبيدة١٤١٧" مواقع كانت مراكز تبادل المعلومات عن الجرافيكس، والكتيبات، والوسائط المتعددة، وغيرها من المعلومات للتداول وإعادة الاستخدام. ارتبط "زبيدة١٤١٧" بمركز الزرقاوى الإعلامى الإسلامى، مسلطاً الضوء على تصريحات أبى مصعب الزرقاوى. أشار أحد المراقبين ضمنيًا فى ٢٠٠٥ أن "زبيدة١٤١٧" كان فى الأردن. أضاف الحفاظ على الهوية المجهولة والمستوى العالى نسبيًا من فنون النشر هامشاً ملحوظاً لظهور فضاءات ويب جهادية معينة. ويأتى مع هذا سمات التصميم الواضحة على الأقل فى نسبة من إنتاج الجماعة المظلة ذات الصلة، وهى الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية والمنظمات التابعة لها. وفرت الحيل الظاهرية والمهارات الفنية المرتبطة بإنشاء مثل هذه المواقع ما يشبه "الدمغة" المميزة للكتّاب والمصممين، وهو أمر قد يروق لجمهور الشباب المتيم بمهووسى الكمبيوتر الجهاديين.

كان "لويس عطية الله" واحداً من الماهرين فى النت. فى مايو ٢٠٠٥ ظهرت رسالة كتبها "لويس عطية الله" باسم القاعدة إلى تونى بلير (وأعيد تداولها فى وقت لاحق بعد تفجيرات لندن فى ٧ يوليو ٢٠٠٥)، جاء فيها: "نقولها بكل ثقة، إن أسوأ ما هو قادم لم يأتِ بعد، وإن الغرب سيدفع ثمناً باهظاً عن الجرائم التى ارتكبت ضد المسلمين طوال هذا القرن وقبله".

استخدم "لويس عطية الله" وآخرون النت للهجوم المباشر على قادة أوروبيين، كما انتقدوا بشدة أيضًا المصالح الصحوية السعودية. وصف المعلق الإسرائيلى روبن پاز الذى تركز عمله على عدد من هؤلاء اللاعبين الجهاديين كيفية تطوير "لويس عطية الله" "لهالة" "أو "سمة" قد تنسب له ولغيره من شخصيات الويب، كما "برز بوصفه المفسر الأبرز لاستراتيجية القاعدة، وعالم يحظى بالإعجاب بين الجيل الأصغر من مؤيديه. معظم القراء لا يعرفون اسمه الحقيقى. نجح "لويس" حتى الآن أن يظل شخصية غامضة، وتزيد هذه الهالة من شعبيته، إلى جانب أسلوبه الموهوب باللغة العربية وقدرته على غرس الكثير من التفاؤل فى أذهان قرائه".

تحاور پاز مع "لويس عطية الله" ونشر النتائج على موقع منظمته. توقفت أنشطة "لويس عطية الله" على الإنترنت، وأشار مقال بصحيفة "الشرق الأوسط" فى أكتوبر ٢٠٠٥ إلى أن "لويس عطية الله" كان عراقيًا يدعى "عمر حديد" قُتِلَ فى العراق ليعيش اسمه المستعار بعد وفاته. اعتمد هذا التحليل على رأى من مصدر مجهول. بينما أشار مقال فى وقت سابق من وكالة أدنكرونوس الدولية إلى أن "لويس عطية الله" هو فى الواقع يوسف العيارى، زعيم تنظيم القاعدة فى شبه الجزيرة العربية حتى وفاته فى ٢٠٠٣. ليس هناك أى سبب وراء عدم ظهور الاسم المستعار مرة أخرى، سواء كان "لويس عطية الله" الأصلى هو المسئول عما يُنْشَر به أم لا. وإذا كان قد مات، فإن أفكاره مازالت تحتفظ بقدرتها على التداول على الإنترنت.

وفى أماكن أخرى، كان آخرون يستخدمون النت لعرض رسائلهم الجهادية لجماهير متنوعة. استخدم "عبد العزيز المقرن" فضاء الويب لإرسال بيان إلى سيلڤيو بيرلسكونى: "تعلن الرسالة التى نُشِرَت على موقع إنترنت ونسبت إلى "عبد العزيز المقرن"، زعيم تنظيم القاعدة بالمملكة العربية السعودية، مسئوليتها عن الحصار الدامى الذى فرض على مجمع سكنى فى عطلة نهاية الأسبوع بمدينة الخبر النفطية السعودية الشرقية، والذى راح ضحيته ١٩ من الأجانب وثلاثة سعوديين".

أصدر المقرن أيضًا بيانًا ذا صلة يسعى إلى إبعاد "الكفار" من شبه الجزيرة العربية. لقى المقرن مصرعه فى يونيو ٢٠٠٤ فى تبادل لإطلاق النار بالمملكة العربية السعودية. لكن، فى الفضاء السيبرى على الأقل، لا يبدو أن ذلك كان له تأثير عميق على إنتاج المواد الجديدة ونشرها، وظهر عدد هائل منها فى يوم وفاته، إلى جانب تحديث عنوان بريده الإلكترونى. ظهر منها هذا المحتوى بالرغم من الجهود التى بذلتها بعض السلطات السعودية لإغلاق فضاء الويب الجهادى هذا وغيره. فى بعض الأحيان، تؤدى الضغوط الحكومية - وفى بعض الحالات، الخوف من الملاحقة القضائية أو السجن - إلى إغلاق مواقع الويب.. فى العراق، أُوقفت أنشطة أحد مواقع الويب المؤيدة للقاعدة فى سبتمبر ٢٠٠٥ حينما ألقى القبض على مطور الموقع "أبو دجانة" (ياسر خضر محمد جاسم الكربلى) على يد القوات العسكرية الأمريكية.

أعاقت وفاة محمد بن عبد الرحمن محمد السويلمى أثناء احتجازه، على الأقل لبعض الوقت، أنشطة الإنترنت ذات الصلة بالقاعدة بالمملكة السعودية. وكان يُنْظَر السويلمى على أنه "خبير فى الإنترنت ... والتجنيد والدعاية للجماعات الإسلامية المتشددة فى المملكة السعودية". كان يُعْتَقَد فى البداية أن السويلمى، والذى كان يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا، قد "مات" فى سبتمبر ٢٠٠٥، لكنه قُتِلَ فى النهاية عقب تبادل لإطلاق النار فى ديسمبر ٢٠٠٥: "فى البداية أبلغت السلطات السعودية عن موته فى سبتمبر، مما أعطى الفرصة للسويلمى بأن يطلق شريطًا صوتيًا على الإنترنت قال فيه إنه كان على قيد الحياة وبصحة جيدة. ذكرت السلطات وقتذاك أنها ظنت خطأً أنه أخوه أحمد الذى كان قد قُتِلَ لتوه فى تبادل لإطلاق النار مع قوات الأمن".

أصبح مطورو مواقع الويب وموفرو المحتوى أهدافًا رئيسية للسلطات فى مجموعة متنوعة من السياقات. وفى بيئات الأقليات المسلمة كالمملكة المتحدة، كان

الإنترنت بؤرة اهتمام ومراقبة من قبل جهات تنفيذ القانون، رغم أن هذا لا يؤدى دائمًا إلى اتخاذ رد فعل. استخدم أبو حمزة المصرى الإنترنت على نطاق واسع كأداة لعرض وجهات نظره حول الجهاد والصراع تشمل تسجيلات صوتية لخطبه. وتوجد هذه التسجيلات على موقع "أنصار الشريعة".

من البنود الرئيسية فى لائحة اتهام أبى حمزة التى أعلنت فى وقت لاحق كانت الادعاءات المرتبطة ببيانات استفزازية على الإنترنت بشأن اليهود وغيرهم، إلى جانب اتهامات تقول بأنه كان يدعم القاعدة. أورد موقع "أنصار الشريعة" اتهامات بأن أبا حمزة تعرض للتعذيب أثناء احتجازه. كما نشرت شكاوى من أن الرابطة الإسلامية فى بريطانيا احتلت المركز السابق لأنشطة أبى حمزة، وهو مسجد فينسبرى پارك فى شمال لندن. وفى ثنايا هذا الخطاب، كانت هناك جلسات عبارة عن أسئلة وأجوبة حول "جواز" الهجمات الانتحارية والشروط التى ينبغى توافرها فى الفرد حتى يكتسب اسم عَالِم.

وُجِّهَ إلى أبى حمزة فى نهاية المطاف من جانب السلطات الأمريكية مجموعة متنوعة من الاتهامات تتعلق بالزعم ببناء معسكرات تدريب للقاعدة فى ولاية أوريجون، واستخدام الويب كأداة للحصول على التمويل اللازم لطالبان. لكنه رغم ذلك أُحتجز فى الحبس الاحتياطى بالمملكة المتحدة فى ٢٠٠٤. وفى ٢٠٠٦ أدين فى المملكة المتحدة بعدة تهم، من بينها إثارة الكراهية العرقية والتحريض على القتل؛ وحُكِمَ عليه بالسجن سبع سنوات. وَضَع أنصار أبى حمزة قبل إلقاء القبض عليه وسجنه خطبه التى ألقاها فى مسجد فينسبرى بارك وأماكن أخرى على الإنترنت، مع إنشاء أرشيف للمواد. ويبقى عدد من مقاطع الڤيديو لمحاضراته (باللغة الإنجليزية) على الإنترنت بعد أن استبعدته لجنة المسجد منه. عاود موقع "أنصار الشريعة" الظهور مرة أخرى فى يناير ٢٠٠٥ بعد إغلاقه فى ٢٠٠٤، لتظهر به فى وقت لاحق رسائل داعمة متفرقة.

أغلق عمر بكرى محمد، وهو من أتباع أبى حمزة السابقين، منظمته "المهاجرون" فى ٢٠٠٤. وفى يناير ٢٠٠٥ لوحظت عودته للظهور من جديد على الإنترنت من خلال سلسلة متواصلة من "البث" على "البالتوك" التى تؤيد "جهاد" القاعدة: "رصدت «التايمز» ما ينشره السيد بكرى محمد ليلاً على الويب معلنًا أن «عهد الأمان» الذى بموجبه يعيش المسلمون بسلام فى المملكة المتحدة «انتهكته» تشريعات الحكومة الصارمة لمكافحة الإرهاب. قال ذلك المتطرف المولود فى سوريا: أعتقد أن بريطانيا كلها أصبحت دار حرب. وأضاف أنه لا حرمة للكفار فى حياتهم وممتلكاتهم".

من أجل مزيد من التحديات لسياق هذا البيان من الضرورى إجراء مسح مفصل للنصوص، وخصوصاً عندما تُقرأ فى ظل تفجيرات لندن فى ٧ يوليو ٢٠٠٥. أطلق موقع .Muhajiroun.com عدداً من التصريحات على الإنترنت تتعلق بموقف الزعماء الدينيين الذين يجرى استهدافهم بسبب تصريحاتهم، مع اتخاذ موقف دفاعى يستهدف بشكل حازم الجماعات والأفراد المسلمة وغيرها:

> واجه الشيخ أبو حمزة، والشيخ عمر بكرى محمد والكثير من الناشطين السياسيين المسلمين الآخرين بالمملكة المتحدة انتقادات شديدة من قبل وسائل الإعلام التى جعلت منهم، عن طريق الأكاذيب والتشويهات، العدو العام الأول للشعب البريطانى. ومن ثمَّ لم يكن القبض على الشيخ أبى حمزة اليوم مفاجئًا فى ظل خضوع نظام بلير للوبى اليهودى ... وأذناب نظام بلير من داخل الجالية المسلمة المعروف باسم المجلس الإسلامى فى بريطانيا. ويقصد من الاعتقال أيضًا استرضاء الجماهير خوفًا من هجوم آخر من قبل القاعدة ولصرف انتباه الرأى العام بعيداً

عن سياسات الولايات المتحدة وبريطانيا الفاشية فى
العراق وأفغانستان.

فى أغسطس ٢٠٠٥ لم يسمح لعمر بكرى محمد بالدخول مرة أخرى إلى المملكة المتحدة بعد زيارة إلى لبنان، والتى قام بها جزئيًا كرد فعل للتشديدات فى التشريعات المناهضة للإرهاب والتحريض على العنف، رغم أنه لم توجه إليه أية تهم محددة. واصل عمر بكرى محمد البث عبر "البالتوك" من هاتفه المحمول، من بين ما كان يبثه تفسير قرآنى أسبوعى بعنوان "مباشر من وسط لندن".

أصبحت قضية بابار أحمد مثالاً بارزاً بالنسبة لقضية الملاحقات القضائية المتصلة اتصالاً مباشراً بإنتاج المحتوى الجهادى فى المملكة المتحدة. زعمت السلطات الحكومية أنه على صلة بموقع "منشورات عزام" فى لندن. كما زعمت أيضًا أنه كان يدير مواقع ويب لجمع الأموال وتجنيد المقاتلين لصالح طالبان والمجاهدين. واشتبهت السلطات فى أنه كان يشغل مواقع ويب تربط بينه وبين الزعيم الشيشانى شامل باساييف. حاولت الحكومة الأمريكية العمل على تسليم أحمد. سمحت وزارة الداخلية البريطانية بتسليمه، لكن هذه العملية تعثرت حيث واصل أحمد الاستئنافات داخل المحاكم البريطانية والأوروبية فى ٢٠٠٨. وأُطلقت حملة للإفراج عن أحمد من خلال الويب.

وسواء كان أحمد مرتبطًا بالموقع أم لا، فقد كان لعزام صندوق بريد فى شمال لندن فى الوقت الذى كان الموقع نشطًا فيه. ناقش الموقع الجهاد فى الشيشان، والجهاد فى أفغانستان، وما يرتبط بذلك من تصريحات. كان هناك نسخُ لبيان حول الجهاد العسكرى يستند على أعمال عبد الله عزام، وهو إعلان الحرب ضد الأمريكيين الذين يحتلون "أرض الحرمين الشريفين"، ورسالة من ابن لادن. كانت هناك أيضًا وثائق دينية مفصلة للغاية تستكشف مبررات الحملات والقتال فى سبيل الله، وذلك باستخدام لغة مشحونة بالعواطف ومحاولات شرح المصطلحات الدينية

المحددة من وجهة نظر دينية سياسية خاصة للغاية، إلى جانب أمثلة تُفَسَّر من خلال سوابق من سنة النبى محمد (ص). كما حققت السلطات الأمريكية مع مازن مختار، وهو إمام مسجد مقره نيو جيرسى، وتابع مزعوم لبابار أحمد، بخصوص تهم تتعلق بإدارة موقع موازٍ لموقع Azzam.com.

بعد إغلاق موقع عزام، واصل موقع IslamicAwakening.com نشر أخبار موقع عزام فى نشرة أخباره، "حتى لا نجد البوليس [الشرطة] يدق على بابنا!" استضاف موقع IslamicAwakening.com منتديات ذات صلة، فضلا عن "الأخبار". ويحيل موقع IslamicAwakening.com إلى عناوين دفع فواتير وحسابات بالمملكة المتحدة. وزُعِمَ أن "من المشاركين البارزين فيه ... النازى الإنجليزى ديفيد مايات، المعروف باسم عبد العزيز". يعرض منتدى الجهاد بموقع IslamicAwakening.com روابط لأفلام مرفوعة من العراق وأفغانستان فضلاً عن روابط لمواد فيديو أخرى، والتى تشمل فيديو "الجحيم الروسى ٥" من أوزبكستان؛ وهى "عملية استشهادية قُتِلَ فيها سبعة خنازير، ودُمِّرت معداتهم وسحقت دبابتهم فى الرمادى، بالعراق"؛ و"الحكم بشأن قتل النفس لحماية المعلومات"؛ و"لا بأس بالإرهاب عندما يوجهونه نحونا"؛ واقتراح بنشر كل مقاطع الفيديو لموقع "الكافر" www.terroristmedia.com/nukem: "هنا الأول والأفضل (إنه موقع كافر لكنه يقدم أفضل فيديوهات مجانًا)".

احتوت منتديات موقع IslamicAwakening تعليقات حول أشكال "الجهاد" من القراء.

> المسلمون! يتقاتلون من أجل هذه الدنيا: المال المال المال .... أو النساء والمزيد من المتعة ... يدفعون الآلاف على الكابل وفى الحفلات ... ليس لدى هؤلاء المسلمين سبب يستيقظون من أجله ... أو الاستجابة

لنداء الجهاد الذى ينادى به عدد قليل من الشيوخ.
إنهم يحبون هذه الحياة ويشعرون بالرضا بها ...
وسوف يجازيهم الله فى الوقت المناسب ... لكن ثلة
من الرجال استجابوا للنداء ... لقد اختاروا الله على
هذه الحياة ... ويتعرضون للكثير من الابتلاءات ...
والتى قد تصيب الناس العاديين بانهيارات بمجرد
التفكير فيها ... لقد استيقظوا من سبات عميق ...
أبصروا ما وراء هذه الحياة. لقد اختاروا سنة
الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام).

وفى نفس الصفحات، اعتمد "mujahideen-85" على تفسير من القدوات من التاريخ الإسلامى، كعلى بن أبى طالب (زوج ابنة النبى محمد (ص) وابن عمه)، فضلاً عن اقتباسات قرآنية من أجل التعبير عن وجهة نظره . اتبع هذا الشخص، الذى يظهر أنه كان وقتذاك فى التاسعة عشرة من عمره ويعيش فى الهند، هذا التكتيك فى مواضع أخرى فيما نشره، معلقاً على وضع النساء فى ظل حكم طالبان مقارنة بوجهات النظر "الغربية" لتبرير تفسيره للجهاد.

وفى مواضع أخرى فى قسم الجهاد، عرض منصور على، الذى يقيم على ما يبدو فى وودفورد، إسكس بالمملكة المتحدة، عدداً من "النظريات" وراء هجمات ٩/١١، وهذا يتضمن مناقشة تتكون من تسعة أجزاء (حتى الآن) بعنوان "إسرائيل كانت وراء هجمات ٩/١١. تظهر نظريات المؤامرة أيضاً فى أقسام أخرى من المنتدى؛ حيث قام أحد الأعضاء بادعاءات كثيرة ضد الأمريكى البارز المتحول إلى الإسلام حمزة يوسف هانسون، والذى أُنتقد بشدة "لمساعدة" جورج دبليو. بوش من خلال تصريحات عامة واتهمه بأنه ضابط بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية.

كانت لوحة المناقشة المسماة "فُصلَت" نقطة مركزية أخرى للمواد الجهادية. سميت المناقشة على اسم "سورة فُصِّلت"، وهى السورة الحادية والأربعون بالقرآن، ويعنى الاسم "شُرِحَ بالتفصيل". احتوت اللوحة هذه على سلسلة من الروابط التى تجمع المحتويات ذات الصلة، مما يمكّن القراء من التصفح خلال مواقع استضافة الملفات التى تحتوى على مواد سمعية وبصرية. تستضاف هذه المواقع الخاصة بتحميل/ رفع الملفات بصورة متنوعة على سيرفرات فى أمريكا الشمالية وأوروبا واليابان وإسرائيل(!)، وهى مصادر متاحة للجمهور. لا توحى عناوين المواقع بطبيعة المحتوى (الذى غالبًا ما يكون رموزاً من حروف أبجدية وأرقام). وَضعت "فصلت" أيضًا روابط لمواقع مثل Archive.org، هو أرشيف أمريكى مستضاف على الإنترنت (ومنه نسخة بالإسكندرية فى مصر)، ومواقع تراقب (وتنتقد) الجهاد الإلكترونى مثل موقع Infovlad. رُوِّج لهذه المادة فى ٢٠٠٧ وشملت مجلة مؤيدة للقاعدة تقدم معلومات عن العمليات، وقائمة بالحملات حتى تاريخه. كانت هذه واحدة من بين مئات من المجلات التى ظهرت على الإنترنت فى هيئة PDF/ وورد، وتتضمن نصائح، وخطباً، وقطعاً نثرية، ومعلومات استراتيجية موجهة بدقة نحو قراء وأسواق محددة.

ظهرت مواقع ويب جديدة أيضًا خلال هذه الفترة. جذبت لجنة القاعدة فى بلاد المغرب الإسلامى مجموعات الحملات فى شمال افريقيا ذات الصلة تحت لواء القاعدة. كما أطلق تنظيم اتحاد المحاكم الإسلامية (الصومال) تصريحات مؤيدة للقاعدة، إلى جانب مقاطع ڤيديو لأنشطة العمليات فى الصومال (والذى رُفِعَ على يوتيوب) يظهر فيه أتباع القاعدة وهم يقسمون يمين الولاء للزعماء الإقليميين. كما عُرِضَ نموذج الشاب الصومالى الانتحارى على الموقع. نَشَر اتحاد المحاكم الإسلامية تلك المواد باستخدام أداة المدونات wordpress، وهو تكتيك اعتمدته أيضًا الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية فى مجموعة متنوعة من المواقع باللغات الإنجليزية والعربية والألمانية.

أعلنت الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية "سيْفًا إعلاميًا للدفاع عن أرض الإسلام" على شريط فيديو عبر الموقع خلال هذه الفترة. كما نُشِرَ بيان أبو ليث الليبى (قائد خراسان بالقاعدة) بعنوان "مواجهة حرب السجون". ظهرت بهذا الموقع ملصقات قابلة للتحميل، ويوحى مضمونها بوجود تواطؤ بين الشيوعية والمسيحية واليهودية ضد الشعوب المسلمة. وظهرت الملصقات التى تروج لحملات العمليات بشكل بارز على مدونة "البتار" الإعلامية. وكانت هناك روابط للعبة كمبيوتر قابلة للتحميل بعنوان "ليلة القبض على بوش"؛ حيث يمكن للاعبين المشاركة فى معركة افتراضية للقبض على الرئيس الأمريكى.

ارتبطت الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية بنشاط القاعدة فى لبنان، ولاسيما منظمة فتح الإسلام، التى سعت صفحتها على الويب إلى توضيح علاقتها التاريخية بحركة فتح الفلسطينية: "لقد وصلت إلى مرحلة الآن منحت فيه أمنيتها للتخلص من كل هذا الظلم والشرك والكفر: خرج جند الله ... [فتح الإسلام] بعد أن تخلصوا من أغلال القومية إلى نور التوحيد حينما أعلنت المنظمة انشقاقها عن المرتدين العلمانيين بحركة فتح الأصلية". أشارت فتح الإسلام إلى أهمية الإنترنت بوصفه أداة للتجنيد لحملتها، وفقًا لأحد زعمائها، أبو مصعب: "الإنترنت هو الوسيلة الأكثر نجاحًا لحشد أعداد كبيرة من الشباب من مختلف البلدان العربية والإسلامية، مثل المملكة السعودية وإثيوبيا واليمن والجزائر والمغرب وسوريا. يتحدد عملى فى تجنيد أعضاء جدد بذريعة تدريبهم للقتال فى العراق".

فى موقع الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية الذى يحمل اسمها "اللغز المتجاهَل"، الذى يعرف فى مواضع أخرى باسم "إن شاء الله شهيد"، كانت هناك روابط واضحة بين الحملات فى لبنان والعراق. أبرزت صفحات لبنان أدوار "شهدائها" وعرضت صور النشاط العملياتى، والتى تعرض بشكل واضح الرموز الدينية لمقاتليها وهم يُصلُّون ويمسكون بالقرآن. كما ربطت ربطًا تشعبيًا بصور

مصغرة ومقاطع فيديو قدمتها شبكة الأخبار العالمية والدولة الإسلامية فى العراق، وهما منفذان بارزان للأخبار مرتبطان بالقاعدة فى العراق. شمل هذا فيلم "محاكمة" وإعدام أربعة عشر موظفًا بوزارة الدفاع والداخلية، إلى جانب بيان يعلن الحكم (الخارج عن نطاق القضاء)، والذى جاء فى شكل بيان إخبارى. وفى أكتوبر ٢٠٠٧ كشف تقرير لصحيفة "النيويورك تايمز" النقاب عن صاحب موقع "إن شاء الله شهيد" هو سمير خان، أمريكى يبلغ من العمر ٢١ عامًا ويعيش فى ولاية كارولينا الشمالية. نقلت المدونة موقعها إلى خدمة Muslimpad حيث واصلت أنشطتها فى نوفمبر ٢٠٠٧.

يمكن أن نجد أشكالاً أخرى للتعبير عن الجهاد على الإنترنت، لاسيما فيما يتعلق بالحملات السياسية. من الأمثلة البارزة محمد المسعرى وسعد الفقيه اللذان تمتد جذورهما إلى المطالبة بالإصلاح و"التحديث" الإسلامى فى المملكة العربية السعودية إلى أوائل التسعينيات، والتى أدت إلى تأسيس "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" (مع آخرين).

اضطرت "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" إلى التواجد فى المنفى وانفصلت فى وقت لاحق حيث أنشأ الفقيه برنامجه الخاص وهو "الحركة الإسلامية للإصلاح" فى السعودية. استخدمت كلٌ من "اللجنة" و"الحركة" مختلف قنوات ووسائل الإعلام، بما فيها الإنترنت، لتقديم تفسيراتها لكيفية "تقدم" المجتمع المسلم (وخاصة فى المملكة السعودية). ركز هذا بأساليب متنوعة على تجاوزات الأسرة المالكة السعودية المفرطة وعلى الأساليب التى عرضت من خلالها تفسيرات للإسلام فى المملكة يقال إنها تضر بالحياة والقيم الدينية، لاسيما تلك المرتبطة بأفكار المساواة.

عَملتُ فى التسعينيات أولاً على استكشاف فضاء الويب الخاص "بلجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" و"الحركة الإسلامية للإصلاح". منذ ذلك الوقت، ركزت هذه البرامج على "البث" واستخدام لوحات النشرات الإعلانية لنشر مختلف المواد التى

قد يتعاطف بعضها مع المُثُل السلفية الجهادية. ارتبط التنويع بزيادة توافر عرض النطاق الترددى ونمو الوصول إلى الإنترنت فى البلدان المسلمة، إلى جانب طرق مبتكرة لمواجهة الرقابة. كما استخدمت برامج أخرى هذه العناصر أيضاً.

استخدم محمد المسعرى وأنصاره الإنترنت على مدى طويل للترويج لرؤيتهم عن "الإصلاح" فى المملكة السعودية ودول أخرى كثيرة. ويشمل تكامل النت فى هذه الأنشطة الدردشة المباشرة، ولوحات المناقشة، والخطب تحت لافتة موقع taj-deed.net. فى ٢٠٠٨ ظلت "اللجنة" تعمل من لندن بعنوان بريدى يبرز على صفحتها الأمامية.

يحمل شعار الحركة فى المنتديات فى أوقات متنوعة أوجه تشابه مع شعار الحصان الخاص بالقاعدة. كما ظهرت منشورات تدعى المسئولية عن تفجيرات لندن على الموقع. وعاودت مواقع بديلة لـtajdeed.net، رغم إغلاقه عدة مرات، الظهور على الإنترنت. كان هذا رغم إخضاع السلطات للمسعرى وأسرته للرقابة المشددة والقبض على ابنه ماجد المسعرى فى الولايات المتحدة فى ٢٠٠٥، ودوهم منزل محمد المسعرى فى أبريل ٢٠٠٥ بعد ظهور فيلم قيل إنه يبين مقتل ثلاثة جنود بريطانيين فى هجوم انتحارى على موقعه على الويب. ويعتقد البعض أن الموقع ظل مفتوحاً كوسيلة للحصول على المعلومات الاستخبارية.

أشار بعض المراقبين إلى أن سعد الفقيه كان يملك، أو أنه كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمجموعة مواقع "القلعة"، من بينها لوحات المناقشة، والتى ارتبطت عن كثب بتصريحات من جانب أتباع القاعدة. تضمنت "القلعة" عدداً من المنتديات عن السياسة والشريعة والتفسير ونصائح عن الكمبيوتر والقرآن. ظهر إنتاج الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبى وأتباعه فى أحد المنتديات. أصدر الشعيبى عدداً من الفتاوى ضد "غير المسلمين" بعد ٩/١١، كما هاجم الأسرة المالكة السعودية. توفى فى يناير ٢٠٠٢، لكن ظل عمله وعمل أتباعه متداولاً على الإنترنت؛ واعتبر أتباعه

مسئولين عن شن هجمات في المملكة السعودية في ٢٠٠٣. ارتبطت "القلعة" أيضًا بموقع العالِم المسجون سعد بن سعيد آل زعير. احتجز آل زعير منذ ١٩٩٥ دون محاكمة بسبب هجومه على الأسرة المالكة السعودية، لكن أفرج عنه في ٢٠٠٣. وفي وقت لاحق، اعتُقِل مرة أخرى في ٢٠٠٤ عقب تصريحات ظهرت على التليفزيون عن الأسرة المالكة السعودية، لكن أُطلق سراحه بعد عفو ملكي في أغسطس ٢٠٠٥.

ارتبط الفقيه أيضًا بلوحة مناقشة للإصلاح، والتي ظهرت بانتظام في إطار مجموعة من عناوين المواقع والبث عبر موقعه على الويب. هناك آراء متضاربة بشأن ولاءات الفقيه ووجهات نظره، التي ليست واضحة في إنتاجه على الإنترنت. تسأل مضاوي الرشيد: "هل الفقيه جهادي سري؟ أم أنه صحوي إسلامي يدعو إلى الإطاحة السلمية بنظام «مجدف»؟ هل هو مؤمن "بالجهاد النظري"؟ أم أنه مجرد داعية خفي "للجهاد العملي"؟

يبدو أن الحكومة الأمريكية تعتقد أن تعريف "الجهادي السري" ينطبق عليه: في ديسمبر ٢٠٠٤ حددت وزارة الخزانة الأمريكية الفقيه كمزود أموال للقاعدة وجمدت أصوله المالية. أنكر الفقيه الذي ظلت مواقعه على الويب على الإنترنت قائمة هذه الادعاءات. ذكر موقعه هجومًا على أنصاره في المملكة السعودية: "المشكلة أن السعوديين يستخدمون التكنولوجيا لتتبع واحتجاز المؤلفين والمساهمين غير الجهاديين أيضًا. في الواقع أُحتجز العديد من الأشخاص المرتبطين بمنظمتنا في الأشهر الاخيرة نتيجة لنقل الخبرة التكنولوجية".

حرص الفقيه على ضمان ألا يؤيد المتصلون أعمال العنف أثناء ما يبثه، لكن المواد الأخرى على مواقعه أكثر إشكالية. ضمت "الإصلاح" مقالات عادية مرتبطة بالحركات "الإصلاحية" في المملكة السعودية؛ كما ظهر عنوان "الحركة الإسلامية للإصلاح" على صفحتها الأمامية. احتوت المواد الواردة في "الإصلاح" على

تصريحات وصور تؤيد أسامة بن لادن. وشملت هذه مونتاجاً لصور "الشيوخ" التى تشبه صور القديسين المستمدة من لقطات البث الحى والأرشيف. كما بدأ أبو مصعب الزرقاوى أيضًا فى الظهور على منتديات الإصلاح فى ٢٠٠٤، إلى جانب صور أسامة بن لادن، وأيمن الظواهرى، وغيرهما من المرتبطين بالقاعدة. ونُشر فى لوحة المناقشة نفسها مقال عن سيد قطب و"استشهاده".

عرضت المصادر المؤيدة للقاعدة مواداً على عدد من المواضع، والتى أُستضيفت على مواقع بالمملكة المتحدة. كان موقع Rightword.net موقعًا جهاديًا فى الظاهر، ومسجلاً على عنوان فى بتريفورست بويلز. تضمن الموقع محتوىً باللغة العربية والإنجليزية، ورغم توقف الحساب خلال عام ٢٠٠٦ ظلت الصفحات باللغة الإنجليزية لا تعمل لفترة خلال عام ٢٠٠٥، لكن الصفحات العربية كان يجرى تحديثها بانتظام. سيطر على الصفحة الرئيسية رمز الحصان المرتبط بصفحات النداء والقاعدة. تضمنت صفحات الأخبار بيانات أيمن الظواهرى وصورة فوتوغرافية ساخرة (يصحبها مقال) لآية الله السيستانى يرتدى فيها العلم الأمريكى. اشتمل محتوى موقع Rightword لوحات مناقشة تناولت مجموعة متنوعة من الموضوعات، مع تركيز سياسى معين. كانت هناك أيضًا معلومات لوجستية ترتبط بوجه خاص بالحملات فى العراق. وفى ٢٠٠٣ ظهرت فى الصفحات الإنجليزية بموقع Rightword صورة لأسامة بن لادن على لافتتها، يصحبها "نشيد" أو أغنية دينية تدعو إلى الاستشهاد. أبرزت الصفحات الجديدة أخباراً من أفغانستان والعراق، مشيدةً بجهود المجاهدين "البطولية" فى قتل الجنود الأمريكيين. فيما ضم "قسم خاص" من Rightword محتويات كثيرة حول الأنشطة الجهادية من بينها مقالان بعنوان "أنواع الجهاد الأربعة" و"الجهاد فى القرآن" و"لا عمل يعدل الجهاد" و"سبع خصال للشهيد".

هناك أيضًا عدد من المواقع التى تروج لأشكال الجهاد الإلكترونى. تضم لوحة

إعلانات موقع 3asfh.com منتدى للقرصنة الجهادية، وسط مناقشات فنية أخرى، من أجل تبادل البيانات والمعلومات. يضم هذا المنتدى مقالات حول تجهيل الهويات من مقاهى الإنترنت للمشاركة فى مناقشات "البالتوك"، ورسائل البريد الإلكترونى المتقدمة والتشفير، ومكافحة فيروسات التجسس. أعطى إم إس إن بومرمان MSN Bomherman درسًا تعليمياً حول الإغراق برسائل البريد الإلكترونى/التحديث التلقائى وتعطيل الشبكة العامة. وأفرد أحد الأقسام شرحًا تفصيليًا لبروتوكولات القرصنة لطمس مواقع الويب، مشفوعة بدراسة حالة عن أحد المواقع التى تم اختراقها، إلى جانب إشارات إلى مجموعة واسعة من القراصنة. وفيما أن هناك الكثير من الدردشة العامة عن القرصنة على الموقع، كانت هناك لافتات تتضمن صور أسامة بن لادن وأخرى تحمل صورة لأدولف هتلر (تنص على أن "الأفعال أعلى صوتًا من الأقوال").

تتبادل الشبكات الجهادية الأفكار وتنقلها عبر شتى الواجهات على الإنترنت. على سبيل المثال، تبادلت مجموعة من أربعة عناوين مواقع مستخدمة موقع -ta whed.ws وalsunnah.info وalmaqdese.net وabu-qatada.com يظهر شعار القاعدة على كل صفحة، كما تمتلئ الصفحات بلافتات القاعدة الأخرى. أوضحت الصفحات "دعوة" الموقع، استناداً إلى التبريرات القرآنية. ويمكن العثور على تصريحات و"مواد تعليمية" أكثر تفصيلاً من خلال الاطلاع على الملفات المضغوطة.

لم يساعد استخدام اسم أبو قتادة كأحد عناوين المواقع، ووجوده بجوار شعار القاعدة، قضيته أمام المحاكم عندما اعتقل أبو قتادة (عمر محمود عثمان عمر) بالمملكة المتحدة فى ٢٠٠٥. زُعِمَ أن هذا الرجل الأردنى يتمتع باتصالات وثيقة مع أسامة بن لادن وأدين غيابياً فى تفجيرات فى الأردن فى ١٩٩٨، قبل حصوله على حق اللجوء بالمملكة المتحدة. وبعد اعتقاله فى ٢٠٠١ وإطلاق سراحه دون توجيه أية تهم إليه مرتبطة بجرائم الإرهاب، اعتقل أبو قتادة فى لندن فى ٢٠٠٢ لمدة عامين

دون محاكمة، ثم ألقى القبض عليه مرة أخرى فى ٢٠٠٥. وفى انتظار إبعاد محتمل إلى الأردن، أُفْرِجَ عنه بكفالة بشرط مراقبته (أو "وسْمِه") إلكترونيًا ورصده عن كثب. تمت الموافقة على الإبعاد فى ٢٠٠٧، لكن ظل هذا قيد الانتظار، حيث أدت شتى الاستئنافات إلى إطلاق سراح أبو قتادة بكفالة فى ٢٠٠٨. كما ارتبط أبو قتادة أيضًا بأبى حمزة ومسجد فينزبرى بارك فى شمال لندن. عُثِرَ على تسجيلات خطب أبى قتادة فى منازل مفجرى ٩/١١، وادعى أنه ارتبط بتفجيرات مدريد، وبريتشارد رايد. كما كان على صلة أيضًا بأبى مصعب الزرقاوى. وأثناء احتجازه، استمر تداول خطب أبو قتادة وتفسيراته على الإنترنت.

اتخذت البوابات الجهادية أشكالاً عديدة. كانت "كتائب المجاهدات" مثالاً نموذجيًا لبوابة تحتوى على مجموعة واسعة من الموارد المرتبطة بحملات القاعدة. وتحتوى حزمتها الرئيسية على لافتات تعلن الجهاد والارتباط بمختلف "الكتائب" (ذات الصلة بالقاعدة). كما ظهر شعار القاعدة وصورة أسامة بن لادن الفوتوغرافية على الصفحات العربية. يقود رابط ابن لادن إلى تسجيل صوتى لأحد البيانات، بينما يُظهر رابط آخر لحظات أحد "الشهداء" ووصيته. وقادت "كتائب المجاهدات" بدورها إلى مواقع أخرى ذات أقسام رئيسية عن الجهاد والعراق وفلسطين.

هناك بالتأكيد عنصر اختيار بين البوابات الجهادية. يمثل "دليل أبو البخارى" نقطة انطلاق مهمة للمحتوى المؤيد للقاعدة؛ وكان هذا المحتوى الذى أُستضيف على فضاء ويب مجانى، قابلاً للبحث فيه بسهولة من خلال القوائم المنسدلة، التى تمثل دليلاً جهاديًا، عند مستوى نقطة الانطلاق على الأقل. تحيى "الأناشيد" الجهادية المتصفح. كان هناك اختيار لمحتوى صوتى، يشمل تلاوة قرآنية و"أناشيد" أخرى. كانت البوابة مثقلة بالصور وتستغرق وقتًا هائلاً لتحميلها، مما يجعلها أكثر ملاءمة لدوائر النطاق العريض. وتظهر بالصفحة صور لمحمد عمر بكرى، وأبى قتادة،

وجون ووكر ليند، وشيخ عبد الرحمن، "شهداء" ٩/١١، وتونى بلير، وكولن باول، وصورة متحركة لجورج دبليو بوش (ورأسه مركّب على أحد ضحايا الإعدام). كما كانت هناك أيضًا رسوم تخطيطية لبندقية كلاشينكوف. أشار أكثر من أربعين رابطًا فى مراحل مختلفة من مراحل الإصلاح إلى عالم جهادى عريض، يسلط الضوء على العديد من الحملات، بدءًا من المواقع المناهضة للشيعة إلى الصفحات الشيشانية ومواقع "النداء". كما تحتوى على روابط لمواقع تُتصفح بالوكالة لعدم الكشف عن الهوية عند الدخول على النت. كان الموقع المناهض للشيعة هو dhr12.com وهو موقع مسجل فى الرياض على ما يبدو؛ امتلأت صفحته الأولى بصور لشعائر الشيعة خلال شهر محرم، من بينها جلد الذات، والتى كانت موضع تنديد من الموقع.

هناك حاجة للتمييز بين المحتوى الإسلامى وغيره من المحتويات، وهذه منطقة رمادية عندما نواجه بوابة iraqpatrol.com. ركزت هذه البوابة على أنشطة القوات الأمريكية فى العراق، من بينها أرشيف صور الجنود الجرحى والقتلى والأطفال العراقيين الذين راحوا ضحايا للنزاع [للحرب الأمريكية]. لم تكن هناك صلة مباشرة بالمحتوى "الدينى" فى هذه الصفحة، حيث ركزت بقدر أكبر على الهوية والرموز العراقية. بينما انعكس المحتوى العربى فى الموقع العراقى tunnel.com والذى اشتمل على مختلف "نظريات المؤامرة" المرتبطة بأحداث ٩/١١ وحرب العراق.

كان هناك عدد من محاور المعلومات المهمة عن الإسلام فيما يتعلق بالصراعات، والتى عملت بمثابة نقاط توزيع معلومات بالنسبة لاقتصاد المعرفة الجهادى. أصبح موقع "مفكرة الإسلام" Islammemo، المسجل على عنوان مدينة الخبر فى المنطقة الشرقية بالمملكة السعودية، نقطة مركزية للحصول على الأخبار والمعلومات حول الحملات فى العراق. كما غدا نقطة توزيع لمقاطع الڤيديو (من خلال -islam

light.net) وإسطوانات الدى فى دى. ورد موقع "مفكرة الإسلام" على نطاق واسع فى المدونات والمنتديات الجهادية التى تكتب عن الحرب على العراق، مثل تقرير المقاومة العراقية. وترددت مخاوف فى ٢٠٠٣ عندما أُستضيف الموقع فى كندا. أصبح "مفكرة الإسلام" مركزاً مهمًا لتبادل المعلومات للحصول على الأخبار عن الإسلام والمسلمين والقضايا ذات الصلة. ويجرى ربط هذا بمحتوى ذى صلة يوفره الموقع والمواقع الأخرى التابعة له. اتسم تصميم الموقع بالبريق حيث استخدم الفلاش والوسائط المتعددة، فضلاً عن خلاصات الأخبار.

ثمة رابط لموقع dawah.ws بموقع ansar.net يقدم عروض فلاش حول جوانب الهوية الإسلامية والجهاد. عمل الموقع بمثابة محور لمواقع أخرى مثل eman-way.com، والذى اشتمل على مجموعة متنوعة من الوسائط المتعددة، من بينها ترتيلات وخطب. وقد يكون من الممكن إنشاء خريطة للروابط بين هذه المواقع. فموقع "الحِسْبة" alhesbah عمل بمثابة مركز لتبادل للمعلومات المؤيدة للقاعدة (وأتباعها). وركز هذا الموقع بشدة على الوسائط المتعددة، من بينها تصريحات من أسامة بن لادن ومراثى بمناسبة اغتيال زعيم حماس الشيخ ياسين.

قدم موقع Clearguidanec.com مقدمة للجهاد، مع التركيز على أعمال سيد قطب، وهو داعية "الجهاد" المصرى المؤثر الذى أعدم فى ١٩٦٦. أكد قطب على مركزية القرآن والحديث فى كل عمل مسلم وإسلامى. وأدان أى مجتمع لا يتبع هذا التفسير الخاص للشريعة، وسعى إلى الجهاد لمحاربة "الجاهلية" داخل مصر وفى جميع أنحاء العالم الإسلامى. وظل لتحريض قطب صدى تاريخى متواصل فى أماكن أخرى، خاصة على الإنترنت.

تمثل هذا فى موقع Clearguidance على لافتة تقول: "شئون الإسلام، والسنة، وطريق السلف". تؤكد لافتة جانبية على أن الجهاد هو "الفريضة المنسية" إلى جانب تسليط الضوء على قصص "الشهداء". كما أبرزت مقالات الموقع التى ظهرت

بالصفحة الأولى فى ٢٠٠٣ أعمالاً لقطب؛ ومقالات "الشرعية الإسلامية للعمليات الاستشهادية" بمجلة "نداء الإسلام"، و"لمحة عن حركة طالبان، للشيخ ناصر بن حمد الفهد. بينما كان قطب و"الشهيد" الجهادى الشيشانى شامل باسابيف، والذى توفى فى ٢٠٠٦، بؤرة إحدى اللافتات: "لن ننساك أبدًا وما فعلته لهذا الدين".

تحتوى لوحة المناقشة الخاضعة للإشراف الخاصة بموقع Clearguidance على آلاف المدخلات من مختلف القراء. فى ٢٠٠٢ ردت على احتفالية فى ذكرى ضحايا ٩/١١ نظمتها تنظيمات إسلامية:

إنهم يثيرون اشمئزازى! وماذا عن القتلى فى أفغانستان؟

وماذا عن موتانا فى الشيشان؟

وماذا عن اغتصاب أخواتنا فى كشمير؟

وماذا عن الأخ المسلم الأعزل الذى أطلقت عليه الرصاص فى البوسنة قوات "حفظ السلام" التابعة للأمم المتحدة؟

وماذا عن المليون طفل عراقى الذين ماتوا؟

وماذا عن الأطفال الصغار الذين قتلوا فى فلسطين؟

وماذا عن جثث إخواننا المسلمين المحترقة فى جوجورات؟

ولم تكتمل القائمة بعد!

تركز بعض المواقع على شخصيات فرد محدد فى الطيف الجهادى وإنتاجه. وُصِفَ أبو محمد المقدسى (المعروف أيضًا باسم عصام محمد طاهر البرقاوى) بأنه "المعلم" الروحى لأبى مصعب الزرقاوى. ومع ذلك، لم تكن العلاقة بينهما متناغمة دائمًا، من خلال رفض المقدسى لتكتيكات التفجيرات الانتحارية الخاصة بتلميذه: "أقول وأؤكد أننى أستمع وأتابع الفوضى التى تضطرب اليوم فى العراق، وبهذا الأمر يريدون تشويه الجهاد وصورته الشريفة من خلال تفجير السيارات أو وضع عبوات ناسفة، عن طريق إطلاق قذائف الهاون فى الشوارع والأسواق، والأماكن

الأخرى التى يتجمع فيها المسلمون. ينبغى أن تظل أيدى مقاتلى حركة الجهاد نظيفة حتى لا تتلطخ بدماء من لا يجوز أن يضاروا حتى لو كانوا متمردين وعديمى الشرف". ظهر عمل للمقدسى كاملاً على موقع revivingislam.com الذى اشتمل على هذا البيان عن الجهاد. تشدد المقدسى إزاء عدم الهجوم على المسلمين الآخرين، ورأى أن الأخطاء خطيرة، وأنه من الأفضل أن تترك ألفًا من "الكفار" على أن تقتل مسلمًا واحداً.

تسربت تصريحات المقدسى ونفوذه، لاسيما وجهات نظره حول الجهاد، إلى العديد من المواقع. اشترك موقعه "الرسمى" على الويب tawheed.ws فى صفحته الأولى مع موقع أبى قتادة "الرسمى". انتشرت تصريحات المقدسى، التى كتبت أثناء وجوده فى السجن، على نطاق واسع على الإنترنت. أُطلق سراحه من السجن فى الأردن فى يوليو ٢٠٠٥ كرد فعل جزئى على الدور الذى قيل إنه قام به مع الزرقاوى من أجل حفزه على الاعتدال، لكن سرعان ما اعتقل مرة أخرى بعد التحاور مع الزرقاوى.

ظلت روح المنظرين الجهاديين عملة رائجة من خلال التصريحات على الإنترنت والتفاعل. مصطفى عبد المنعم أبو حليمة (أبو بصير الطرطوسى) منفى سورى وباحث مؤثر مقيم فى لندن. أثار الطرطوسى جدلاً فى بعض غرف الدردشة من خلال إدانته للتفجيرات الانتحارية، وبالدرجة الأولى فتواه: "بيان حول التفجيرات التى وقعت فى مدينة لندن". نوقشت تصريحاته أيضًا فى العديد من الصحف، من بينها صحيفة "الشرق الأوسط"، والتى أعادت نشر مقتطفات من موقع الطرطوسى. ذكر الطرطوسى فى هيئة سؤال وجواب: "تلقيت ألف سؤال حول هذه العمليات، والتى هى بالنسبة لى أقرب إلى الانتحار منها إلى الشهادة. إنها حرام وغير جائزة، لعدة أسباب". واعتمد تبريره على الحديث: «من آذى مؤمنًا فلا جهاد له». قال هذا بالنسبة للشخص الذى يؤذى مؤمنًا فقط، فما بالك بقتله، بل وقتله عمداً"؛ و"من قتل ذميًا فإنه لا يجد ريح الجنة، وإنها لتبعد مسيرة ٧٠ خريفًا".

ثار غضب العديد من مجموعات المناقشة عقب تحليل الطرطوسى للجهاد، إلى جانب اتهامات له بتقديم "تنازلات" بسبب إقامته فى لندن. ذكرت فتواه التى أصدرها فى ٢٤ أغسطس ٢٠٠٥، التى استند فيها إلى مصادر قرآنية وشرعية، للقراء أن العمليات الانتحارية حرام. أصدر الطرطوسى تصريحات لاحقة عن طريق موقعه على الويب altartosi.com (abubaseer.bizland.com)، الخليفة" (انظر أدناه). استخدم الطرطوسى الإنترنت استخدامًا واسعًا، حيث عرض آراءه فى هيئة عروض صوتية مضغوطة.

بأسلوب ما، كانت لندن نقطة محورية على الإنترنت وفى العالم الحقيقى معًا للنضال الجهادى، مما يعكس استمرار النضال ذى الطابع الإسلامى الذى سبق العصر الرقمى. وُصِفَت "الفرقة الناجية" (التى عرفت أيضًا باسم "الغرباء") ومقرها المملكة المتحدة بأنها "خَلَفٌ" لجماعة المهاجرين، والتى كان شخصيتها الرئيسية عمر بكرى محمد قد "نُفِيَ" فى ٢٠٠٥. ذُكِر أن أعضاءها يضمون عضو البرلمان چورج جالواى وغيره الذين ظهروا فى أحد الاجتماعات بشأن العراق وزُعِمَ أنهم كانوا يسعون لتعطيل الانتخابات البريطانية فى ٢٠٠٥. من الواضح أن التحقيق السرى الذى أجرته صحيفة "الصنداى تايمز" لاحقًا أدى إلى الكشف عن أعضاء من الجماعة وهم "يحرضون شبانًا بريطانيين كى يصبحوا إرهابيين ويشيدون بمفجرى مترو الأنفاق باعتبارهم «الأربعة الرائعين»": "شهد المراسل أحد شخصيات الفرقة الرائدة، وهو الشيخ عمر بروكس، وهو يقول لجمهور من الشباب، بمن فيهم الأطفال، إن من واجب المسلمين أن يكونوا إرهابيين ويفخر، قبل أيام فقط من هجمات ٧ يوليو، بأنه يريد أن يموت انتحاريًا". أعلن بروكس (أبو عز الدين)، وهو متحول إلى الإسلام من منطقة الكاريبى، نفسه من مؤيدى عمر بكرى محمد، وقال إن "الاندماج ليس خيارًا بالنسبة للمسلمين". وأدين فى جرائم الإرهاب بالمملكة المتحدة فى ٢٠٠٨.

كان يُحال موقع "الفرقة الناجية" فى البداية إلى عنوان فى جلوستر، لكنه سُجِّل

لاحقًا فى عنوان فى برمنجهام، تملكه ظاهريًا مكتبة سلفية والمركز الإسلامى. خضع الموقع لتغيير طفيف فى الاسم، حيث استبدلت كلمة "المهدية" بـ"الناجية". ظهر فى رأس الصفحة حديث يفسر اسم الفرقة: "قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم): - ستتفرق أمتى إلى ٧٣ فرقة كلها فى النار إلا واحدة (الفرقة الناجية)-". سجلت حركة المرور على الموقع لمدة أسبوع أكثر من ٣٥ ألف زيارة. وكان هناك رابط لعناوين الأخبار تتحدث تلقائيًا عن طريق قناة الجزيرة. اشتمل موقع الفرقة على الويب على لافتة تشير إلى أن الموقع ملك لأتباع "أهل السنة والجماعة"، مما يوحى بوجود خط مباشر يربطهم بسنة النبى محمد (ص) وهذا فى حد ذاته انتماء يميز عددا كبيرا من المسلمين، لكن التأكيد عليه فى موقع الفرقة مثّل وجود أجندة متأثرة بالمفاهيم الجهادية. أشار الموقع إلى ضرورة "الحذر" من "الفرق التى يمكن أن تأخذك خارج حظيرة الإسلام أو على الأقل تحيد بك عن الصراط المستقيم". وقدم قائمة انتقائية ممن يقعون فى هذه الفئة، من بينها مختلف البرامج المسلمة بالمملكة المتحدة (مثل مجلس مسلمى بريطانيا والجمعية الإسلامية ببريطانيا)، وجامعة الأزهر، وموقع "إسلام أون لاين"، و"الجهاد الحقيقى"، وحزب التحرير.

مثلت قائمة الفرقة شريحة عَرْضية من المنظمات الدينية السنية وتأثيراتها فى المملكة المتحدة ومصر وأمريكا الشمالية وغيرها. وفى الوقت نفسه، سعى مجلس مسلمى بريطانيا إلى وضع نفسه ضمن "تيار" الحياة السياسية "السائد" فى المملكة المتحدة، كما حققت الجمعية الإسلامية ببريطانيا شهرة من خلال تنظيم احتجاجات ضد حرب (أو حروب) العراق. يمثل الأزهر معقل الفكر السنى الصادر من القاهرة. اتُهم موقع "الجهاد الحقيقى" بعقد صلات مع القاعدة والتواطؤ مع أنشطة وكالة الاستخبارات المركزية. وفى ٢٠٠٦ سعى تونى بلير إلى حظر حزب التحرير بوصفه حزبًا سياسيًا إسلاميًا خطيرًا، رغم أنه لم يتمكن من العثور على صلات محددة بين حزب التحرير والعنف.

وفى مواضع أخرى من موقع "الفرقة الناجية" كانت هناك مجموعة من أكثر من خمسين "نشيداً"، بعضها أكثر إثارة للجدل من غيرها؛ فنشيد "اضرب يا أسد الفلوجة" و"صبراً صبراً يا بغداد"، على سبيل المثال، يشيران للصراع فى العراق من خلال أغانٍ عسكرية (غير مصحوبة بآلات موسيقية)، مما يوحى بالصبر والثبات فى وجه "المحنة". احتوى العنوان الأخير أصوات مدافع رشاشة وانفجارات، وكذلك نشيد آخر بعنوان "نحن أبطال الجهاد". كما ظهرت عدة عناوين ارتبطت بالقضية الفلسطينية. برزت العديد من الأناشيد على موقع "الفرقة الناجية" فى كليبات فيلمية جهادية على مواقع أخرى، ولم يكن الموقع بأى حال من الأحوال المنفذ الوحيد للتوزيع.

عرض موقع "الفرقة الناجية" رابطًا لنشرة إخبارية محلية فى هيئة ملف PDF وُصِفَت بأنها "رسالة إخبارية جديدة نشرها مسلمون يعيشون فى لوتون [بدفوردشير]". وكما كان موقع "الصديقين" قد قرر أن إعصار كاترينا كان "عقاباً من الله". اشتملت سلسلة المقالات بالموقع على قسم فرعى مكرس للأفكار المرتبطة "بالجهاد" منها مقال بعنوان "كيف سيسيطر الإسلام على العالم". وفى موضع آخر هناك مقال يناقش حالة "شابينا بيجوم"، وهى طالبة بالثانوى أرادت أن ترتدى الزى الإسلامى بالمدرسة. انتقد المقال بشدة دوافعها (رغم عدم قيامه بإعلان "كفرها"). لكن الموقع قد أعلن "تكفير" الشيخ عبد العزيز بن باز، وهو شخصية دينية محورية فى الثقافة السعودية والذى توفى فى ١٩٩٩ حيث إن تصريحاته تهيمن على مناقشات المرجعيات الدينية فى المواقع على الإنترنت مثل موقع "فتوى أونلاين".

ويعد هذا إدانة كبيرة لقطاع مهم فى الفكر الدينى السنى. يتفنن الموقع فى إطلاق التصريحات الاستفزازية التى تستهدف المنظمات "التقليدية"، والحكومات الغربية، والمفاهيم الدينية الأساسية. أعلنت بعض هذه التصريحات عدم افتتانها

حتى بعمر بكرى محمد، ويثير وجودها على الإنترنت بعض القضايا المهمة؛ فمن الواضح أنه من السهل تتبع مديرى الموقع وتعليقاته، وربما كانت هناك أسباب وجيهة لأجهزة الأمن للسماح للموقع بالاستمرار من أجل تعقب أنشطة هذه المجموعة. ونظراً لوجود هذه المجموعة وسط "أقلية"، فإن ميلها لاستخدام وسائل الإعلام لتعزيز مكانتها أصداءً استراتيجية جماعة "المهاجرين"، والتى امتد تأثيرها فى استخدام الوسائط المتعددة إلى غيرها من المنظمات والبرامج، من بينها القاعدة. كان استخدامها "للتكفير" مع مجموعة واسعة من الأهداف استفزازياً بوجه خاص، مما أدى إلى المزيد من الدعاية والشهرة للموقع. جاء الادعاء بأن موقع "الغرباء" كان مؤثراً فى مفجرى لندن ٧/٧ كعامل آخر يتطلب كشف النقاب عنه.

فى أكتوبر ٢٠٠٥ ظهر موقع "غرباء" آخر سُجِّل فى مايو ٢٠٠٥ على أن من أطلقه هو ميزان الرحمن الذى لم يُدْرَج عنوانه فى وثائق التسجيل. ظهرت بالصفحة الرئيسية بالموقع صورة "محارب" يمسك بندقية كلاشينكوف؛ وتبرز على لافتة الموقع عبارة "الدعوة والجهاد". كان محتوى الموقع استفزازياً ومثيراً للجدل فى تبريره الثابت لتفسيره لمفهوم الجهاد. فى هذه المناقشة، استخدم المبررات القرآنية وأمثلة من أحاديث النبى محمد (ص) نفسه "لتبرير" الجهاد، كما أعلن أصحابه بصراحة دعمهم للأنشطة الجهادية.

بررت الصفحات أيضاً التفجيرات فى أشكالها المختلفة، من بينها ٩/١١ . استهدفت الصفحة التى تحمل عنوان "العدو فى الداخل – المنافقين" بحزم أولئك المسلمين الذين عارضوا أيديولوجيا "الغرباء" وأنشطته. وقام الموقع بأرشفة محاضرات ومواد "بالتوك" خاصة بعمر بكرى محمد. كما أثار تساؤلات مهمة: كيف استطاع الموقع الحفاظ على صورته على الإنترنت؟ من كان ينتج المحتوى؟ وهل كان مستمراً كموقع "مصيدة"؟ ألم ترصد "السلطات" ذات الصلة أو مزود خدمة الإنترنت الموقع؟ كما أثار قضايا مرتبطة بحرية الكلام، وكيفية مقاربة التشريع

ومعالجته لمحتوى على الإنترنت. من هذا نشطت أيضا لوحة مناقشة أحد المنتديات ذى صلة بالسنة والجماعة ما بين عامى ٢٠٠٦ و٢٠٠٧، حيث دعت إلى أشكال الجهاد ومناقشات تفسيرية ذات صلة. وفى نوفمبر ٢٠٠٧ استمرت استضافة ڤيديوهات عمر بكرى على الإنترنت، والتى ربطها موقع "قاعدة الإسلام" بموقع يوتيوب. وأدى هذا إلى مطالب أن يقوم يوتيوب بتقليص تسهيلات الڤيديو لموقع "قاعدة الإسلام" ومواقع شبيهة. قد يُمنع فرد ما مثل عمر بكرى من العودة إلى المملكة المتحدة، لكن ظهوره على الإنترنت لا يمكن تقليصه وكذا ظهور المتعاطفين معه.

الجهاد بالوسائط المتعددة

يتصف استخدام مقاطع الڤيديو فى القطاع الجهادى بأنه أداة فاعلة، كان من رواد هذا الاستخدام الجماعات الإسلامية الشيشانية الميليشياوية فى التسعينيات، عندما جرى تداول صور الهجمات وعمليات الإعدام المروعة والنابضة بالحياة فى آن على الإنترنت. رفع الأثر السيكولوجى على المشاهدين لأشرطة فيديو الإعدام، مثل ذلك الڤيديو الذى عرض قتل الصحفى دانيال پيرل فى باكستان، الوعى بإمكانات الويب كأداة للتطرف فى الرؤية الجهادية للعالم.

أثَّرَ الاستثمار فى التكنولوجيا، وتوافر كاميرات أفلام رقمية أرخص وأكثر انتشاراً، وبرمجيات تحرير المواد، وسبل الانتشار على نطاق واسع، وتكنولوجيا تصفح الميديا المحسنة (التى تشتمل على الريال بلاير، وويندوز ميديا بلاير، وماكروميديا فلاش) أثر على نمو هذا القطاع من التكنولوجيا الجهادية. وتلقت دَفْعة جديدة من خلال التوسع فى قنوات توزيع الڤيديو عبر الإنترنت، من بينها يوتيوب وجوجل ڤيديو. ليس من الواقعى فى شىء الظن أن الخلايا والمنظمات الصغيرة لن تستخدم مثل هذه التكنولوجيا لنقل الدعاية لعملياتها على الفور إلى جمهور عالمى محتمل. يصدق هذا بشكل خاص عندما تكون النتائج ذات نوعية فنية تقترب من

البث، ويمكن نسخها وتوزيعها عبر الإنترنت بشكل فاعل وعلى أسطوانات دى فى دى وسى دى، تلتقطها بعد ذلك مؤسسات البث الدولية. ناقش "المتمردون" العراقيون فى مقابلة أجريت فى ٢٠٠٦ استراتيجياتهم الإعلامية: "يرسم أبو عبد الله الخطوط العريضة لمشاركتهم الأخيرة فى حملة الدعاية العالمية المتزايدة: كان قائدنا يعترض دائمًا على أن نصحب معنا الكاميرا الرقمية فى العمليات لأنه رأى أن فى ذلك مخاطرة أمنية ... لكننا الآن نسجل كل شىء لأن الميديا أسيرة الحكومات الأجنبية ... تتيح لنا الكاميرا أن نقول للعالم ما نقوم به".

أصبحت الجودة التقنية للتصريحات والفيديوهات، التى يجرى إرسالها إلى كبرى مؤسسات البث بالإضافة إلى ظهورها على الويب، موضوعًا للتحليل فى حد ذاتها. أنتج أنصار القاعدة مجموعة من المواد لدعم العمليات، من بينها الوسائط المتعددة. كان أثرها ذا أهمية، خاصة استخدام الفيديو بالنسبة لتصوير المواقع وتقارير العمليات. هناك أيضًا أمثلة لطرق غير تقليدية لعرض رسالة القاعدة، ربما كوسيلة لاستهداف شرائح معنية من الجمهور وكنقطة دخول "اللمسة الخفيفة" (نسبيًا) إلى المواد الأخرى. على سبيل المثال، وردًا على أوراق اللعب الأمريكية التى تصور "مجرمى الحرب" العراقيين، أنتج موقع unitedshadeofswords.com مجموعة من البطاقات المؤيدة للقاعدة على الإنترنت فى فبراير ٢٠٠٤ ضمت هذه البطاقات أعضاء بإدارة جورج دبليو بوش وبعض حلفائه، وتذكر كل بطاقة قيمة لكل فرد منهم.

جاءت أغنية الراب/الريجى وفيديو "الكفار الأنجاس" للشيخ تيرا وطاقم موسيقى صلاح الروح كمثال مهم لاستخدام مبتكر للوسائط المتعددة. "الكفار" مصطلح مهين يُطلق على غير المؤمنين. اعتمد شريط الفيديو على مقاطع فيلمية مستمدة من وسائل البث الدولية، فضلاً عن مصادر بالقاعدة؛ تحول هذا الشريط إلى مونتاج "رواه" راپ الشيخ تيرا الذى يتحدث بلكنة بريطانية/كاريبية لكنه ملثم

تمامًا بغطاء رأس أو "كوفية"، وامتدح أسامة بن لادن وأحداث ٩/١١. كان هذا مـهمًـا وذلك لأن الأغنية ظهرت أولاً من خلال موقع "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" ومقرها المملكة المتحدة.

قدم المونتاج المشكّل من مقاطع فيديو مختلفة كلمات أغانٍ وصور معادية لليهود، ومعادية للولايات المتحدة، ومعادية للمملكة المتحدة تألفت منها الأغنية. كما أُدرجت صور متحركة لچورچ دبليو بوش، وكوندوليزا رايس، وكولن باول. وتجاورت صور للقرآن مع فيلم يصور ضحايا النزاع تشمل الإعدامات ومقاطع إخبارية للطائرة التى ارتطمت بمركز التجارة العالمى. كانت هناك ادعاءات لا دليل عليها فى إحدى غرف الدردشة أن الشيخ تيرا كان فى الواقع "فنان ريجى شهير فى لندن (بين مجتمع الريجى) والذى سلطت عليه الأضواء لأكثر من ١٢ عامًا، بل ولديه ٤٠ أغنية حققت شهرة مدوية».

كان ڤيديو "الكفار الأنجاس" استخداماً مبتكراً للشكل؛ كما نُسِخَ على دى ڤى دى/سى دى تم توزيعها خارج المساجد. ويعد هذا الڤيديو التى حقق بصمة إعلامية خارج الدوائر الجهادية أحد أمثلة الأساليب المبتكرة التى من خلالها يمكن استخدام مواد لتطوير التعاطف من القراء. ظهرت ردود أفعال ساخنة تجاه الڤيديو فى غرف الدردشة فى الأسابيع التالية. ولم يتلقَ الڤيديو مدحًا عامًا من المسلمين، من بينهم الشباب من الجمهور المستهدف، بالنظر إلى أن استخدام الموسيقى فى بعض السياقات الإسلامية مثير للجدل وأُدينت موسيقى الراب على وجه الخصوص من قبل بعض المعلقين.

ظهر جدل ذو صلة على الإنترنت تزامن مع توزيع فيديو عن طريق يوتيوب مكون من أغنية منفصلة لفرقة الهيب هوب الناشطة بالمملكة المتحدة "فَنْ- fun-Da-Mental، التى يقودها الناشط السياسى آكى نواز، بعنوان "دليل الطهو اصنعه بنفسك". أُخذت هذه الأغنية من ألبوم "كلها حرب: فوائد الجـ-هاد"، الذى أطلق كإصدار تجارى. اعتمدت الأغنية على تعليمات تفصيلية مأخوذة من الإنترنت حول

صنع "القنابل القذرة؛ وقارنتها بأشكال أخرى من الأسلحة النووية التى تنتجها الولايات المتحدة. يتضمن الألبوم أيضًا أغنية تستخدم كلمات أسامة بن لادن ككلمات أغنية. الفيديو والألبوم الكامل أُتيحا من خلال موقع "فَنْ-دا - منتال" على الويب لتحميل ملفات الـ MP3، وتوزيع السيديهات التقليدى ولا يمكن تصنيفها على أنها تنتمى إلى النوع الجهادى.

فى يوليو ٢٠٠٥ أصدر مغنيا الراب الهولنديان يوسف وكمال أغنية تدين عضو البرلمان جيرت فيلدرز، والتى نُشِرَت أيضًا على أحد المواقع على الويب وجرى تحميلها على يوتيوب. ولا يزال تأثر هذه الأغنية الراب "بنجاح" الشيخ تيرا موضع تساؤل، ويمكن أن نقول إنها تفتقر إلى التطور من حيث قيمة الإنتاج الواضحة فى فيديو "الكفار الأنجاس". شكلت الأغنية ما تصوره فيلدرز أنه تهديد، حيث أبلغ الشرطة، حينما ساوره القلق من أن الجمع بين صوت إطلاق نيران البنادق الآلية وصورته قد تصبح حقيقة واقعة. استهدفت الأغنية بقوة جمهورًا محليًا فى هولندا (مسلمون وغيرهم) أكثر من جمهور جهادى عالمى طموح. وعلى هذا النحو، لم تستقطب الأغنية إلا اهتمامًا محدودًا فى المنتديات الجهادية وغرف الدردشة. كان هذا فى ظل اغتيال ثيو فان جوخ الذى تسبب فيلمه "استسلام" الذى ينتقد جوانب من الإسلام فى إثارة جدل محتدم عبر الإنترنت.

من الأمثلة الشائقة الأخرى لاستخدام الوسائط المتعددة "جهاد الكاميرا الخفية" التى رفعها فى سبتمبر ٢٠٠٥ موقع "مسلم مُوَحِّد" Mousslim Mouwaheed. يبدأ الكليب باقتباس من القرآن: "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ"، ويعرض كاميرا فيديو رقمية متحركة، ويظهر على الشاشة شعار الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية الذى يشمل القرآن وسيفين متقاطعين. تضمن أيضا شريط فيديو ممنتجاً من مقاطع مستمدة من هجمات ضد القوات الأمريكية فى العراق، يصحبها صوت ضحكات مسجلة وتأثيرات سمعية بصرية "كوميدية"

سارت على منوال برامج تليفزيونية مثل "الكاميرا الخفية" أو "ظَهَرْتَ فى كادر الصورة". تشمل عناوين الكليبات "على قيد الحياة بعد هجوم قناص"، و"طرزان سليل القرود"، و"البحث عن البطاقة الخضراء"، و"مجروح"، و"المصارعون". يبدو أن هذا الفيلم استخدم حزمة برامج أساسية لتحرير الفيديو وأشار إلى أن له «تتمة».

ظهرت أيضاً مواد فيديو أخرى تتصف بميزة أنها "محلية الصنع". فى أكتوبر ٢٠٠٥ ظهرت رسوم متحركة تصور الجزر البريطانية وهى تحترق على لوحة إعلانات الفاروق على الإنترنت. ورُفِعَ هذا إلى ٢٥ موقعًا مختلفًا. وعرض صورا ممنتجة مشينة للقوات البريطانية فى العراق، من بينها صور لجنود يقومون بتفتيش النساء المحجبات ويسيئون معاملة السجناء، وكذلك صور لضحايا النزاع [الحرب على العراق]. وبرزت أيضًا صور من سجن أبو غريب التى تظهر تصرفات القوات الامريكية. وكان هناك تعليق يشير إلى أن "على المواطن البريطانى (أو المواطنين البريطانيين) اتخاذ القرار الآن"، بما يعنى ضمنا أنهم قادرون على التأثير على قرار الانسحاب من العراق.

اشتملت أفلام الأنشطة الجهادية فى العراق على لقطات للعمليات تصحبها تلاوة قرآنية و"أناشيد" (مضافًا إليها تعليقات المشاركين). تتباين جودة الفيديوهات الفنية، مع الأخذ فى الاعتبار أن عدداً منها يُصَوَّر من داخل السيارات. تشمل الكليبات جميع مراحل العمليات الانتحارية، وهى المقابلات مع المشاركين، ومراحل البناء الفنية، ونطق "الشهيد" للشهادتين وأداء الصلاة الأخيرة. من الأنواع الفرعية الأخرى أفلام هجمات القناصة. جُمِعَت هذه المواد فى مختارات "الأفضل فى" -- من بينها قائمتان "لأفضل عشرة" – شملت فى بعض الأحيان ترجمة للتعليقات. كما تظهر أيضًا صور لجثث الجنود الأمريكيين، ومخازن الأسلحة، والمعدات العسكرية الأمريكية التى غنموها أثناء العمليات. لم تقتصر مثل هذه المواد على الويب فقط، لأنها كثيراً ما كانت تُسَلَّم إلى قنوات بث مثل الجزيرة (رغم أنها لم تكن تعرض

دائمًا). وزعت كتيبة إعلام الجهاد شريط فيديو مجمعًا طوله اثنتا عشرة دقيقة، يشمل فيلمًا مترجمًا لأسامة بن لادن وآخر من الحملات فى العراق، يصحبه ملف صوتى لنشيد.

أظهر فيلم آخر الشيخ عبد الله الرشود وهو يلقى خطبة وتوجد على مكتبه مجموعة متنوعة من الأسلحة. وتوقف أثناء انتقاداته الشديدة التى ذم فيها أمريكا لسحب مسدس من الجزء الخلفى من ثوبه، ووضعه على طاولة بجوار قاذفة صواريخ. قُتِلَ الرشود فى يونيو ٢٠٠٥ أثناء غارة أمريكية على الحدود بين سوريا العراق. رثى الزرقاوى الرشود لاحقًا معلنًا أنه شهيد.

كان عدم الكشف عن الهوية على الويب فى إنتاج مثل هذه المواد فاعلاً أيضًا، حيث واجهت السلطات صعوبات فى تعقب أعضاء فريق القاعدة لإنتاج شرائط الفيديو، المعروف باسم "السحاب". جذب استخدام الشعارات والرموز المرتبطة بكيان القاعدة جمهوراً ملمًا بالنت والميديا وعلى دراية بالقنوات الإخبارية فائقة التطور، بالإضافة إلى عناصر إنتاج "مهنية" من حيث التحرير والإضاءة والملفات الصوتية وتجاور الصور. صنعت مثل هذه المواد "المبثوثة جهاديًا" أو المنشورة التى نُسِخَت لاحقًا لعرضها على الإنترنت، واجهة قوية لجذب المشاهدين. عُزِّز ذلك من خلال تكرار رسائل سياسية دينية أيديولوجية وعلامات هوية دقيقة مثل الشعارات، بما فيها تلك المستمدة من مصادر دينية.

تتسم عملية التوزيع بالتعقيد. وفيما يمكن رفع المحتوى فى بعض السياقات إلى الويب على الفور، فربما تحدث بعض التأخيرات فى بعض المواقع بسبب عوائق البنية التحتية فضلاً عن القضايا الأمنية. على سبيل المثال، يمكن تهريب المواد التى يجرى تصويرها فى أفغانستان عبر الحدود على شريط فيديو لتحريره فى باكستان وتوزيعه على أسطوانات دى فى دى/سى دى والإنترنت. استخدم المصور قارى محمد يوسف، الذى كان "فى مهمة" لتصوير فيلم يظهر به أيمن الظواهرى، على ما

يبدو، عربة صغيرة كاستوديو متحرك لأن ذلك لا يجذب النظر. ومن المفترض أن هذا التكتيك يهدف إلى تجنب مراقبة وسائل التسجيل بالڤيديو وتعقبها.

تتخذ مواد الدعوة نيابة عن القاعدة أشكالاً عديدة. أدخلت مجلة "اللواء" خيارات لتحميل المواد على أجهزة المساعد الرقمى الشخصى. حقق فيلم القاعدة الدعائى "بدر الرياض" تداولاً واسعًا على الإنترنت فى ٢٠٠٤. اتخذ الفيلم الشكل الوثائقى، وعرض تدريب أعضاء التنظيم ومقابلات مع المشاركين فى هجمات بالمملكة السعودية. رفعت جماعات "إسلامية" مثل جماعة أبى مصعب الزرقاوى التوحيد والجهاد (أنذاك) وجماعة أنصار السنة أشرطة الڤيديو كأداة للإعلان عن احتجاز الرهائن وإعدامهم باسم الإسلام. اعتمد الزرقاوى على الويب لإصدار التصريحات، وأخبار العمليات، والتفسيرات الدينية، من بينها الإعلان الرسمى عن تغيير اسم منظمته إلى تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين.

تمتاز غرف الدردشة، مثل نشرة إعلانات موقع Farouq.com (الذى ينظمها الفقيه)، بأنها مناطق رئيسية لتوزيع المواد. ويحتوى هذا الموقع على روابط كثيرة لمواد ذات صلة بالقاعدة. روّج موقع "الفاروق" وغيره من القنوات لقناة "صوت الخليفة" الإعلامية الخاصة بالجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية، التى كانت معدة لأن تكون محورًا تنبثق عنه جميع الأنشطة الإعلامية. تمهيدًا لإطلاقها فى ٢٠٠٥ وُزِّعَت تصريحات أبى مصعب الزرقاوى على نطاق واسع عبر الإنترنت على موقع "الفاروق".

استُخدمت الوسائط المتعددة أيضًا للإعلان عن خطف الرهائن. ففى حالة بول جونسون الذى أُختطف فى يونيو ٢٠٠٤، ظهرت أيضًا حملة على الإنترنت يُدَّعى أن منظمها أحد أصدقائه السعوديين، وهو الأمر الذى يصعب التكهن بصحته. لكن ذلك لم يمنع قتل جونسون فى وقت لاحق، حيث ظهرت صور جثته بعد ذلك على الإنترنت. استُهدف جونسون على وجه الخصوص لأنه كان موظفًا لدى شركة

تطوير مروحيات الأباتشى. ظهرت رسائل على الإنترنت عبر صفحات "صوت الجهاد" وغيرها والتى تسعى إلى الإفراج عن سجناء القاعدة فى تبادل لإطلاق سراحه.

روَّج موقع "الفاروق" والقنوات الأخرى لقناة "صوت الخليفة" الإعلامية الخاصة بالجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية. اشتمل ذلك على روابط لمحتوى بالوسائط المتعددة، بالإضافة إلى تصريحات محددة أدلى بها قادة أيديولوجيون. أظهرت صورة معروضة على موقع "صوت الخليفة" (وغيره) شعارات وسائل البث الدولية مثل البى بى سى، والسى إن إن، وفوكس نيوز، ورويترز، وقناة العربية، وقناة الجزيرة تضطرم بها النيران. كما أظهرت صورة أخرى عبارة "صوت الخليفة" تتشابك مع سيفين متقاطعين وخنجر يعمل نصله على "الإرسال" على غرار جهاز إرسال إذاعى، وهو مستمد من شعارات ذات الصلة ظهرت على مواقع لتنظيم القاعدة على الويب. أدمجت شعارات أخرى رموزاً من القرآن بكلمات عبارة "صوت الخليفة" وسيفان يتقاطعان داخل كرة أرضية.

فى سبتمبر ٢٠٠٥، قدم "صوت الخليفة" "بثه" الافتتاحى فى هيئة نشرة إخبارية. لم يكن هذا على عنوان "صوت الخليفة" الرئيسى فى البداية. غطى المذيع وجهه طول الوقت الذى كان يعلق فيه على الأخبار، ويقرأ من نص صحفى. استقرت بندقية كلاشينكوف على مكتبه بجوار نسخة من المصحف (باليد اليسرى). كان شعار القاعدة يقع فى الجانب الأيسر من الشاشة، بينما كان شعار "صوت الخليفة" على الجانب الأيمن. ناقشت التقارير الإخبارية إعصار كاترينا (الذى أُعتبر عقاباً إلهياً لچورچ بوش)، و"تحرير" غزة، وبيانا صوتيا مطوَّلاً من الزرقاوى ترافقه صورة فوتوغرافية. اعتمدت كليبات الڤيديو على وسائل البث التقليدية من بينها قناة الجزيرة. كما شمل البث على الويب أيضاً "إعلاناً تجارياً" بعنوان "الجهاد الكامل". افتقر العرض إلى المهنية التى يتصف بها أى بث تقليدى، كما كتم اللثام الذى تلثم

به مذيع الأخبار صوته. خُصِّصَت نشرة لاحقة وذات مدة زمنية أقصر للصحفى تيسير علونى الذى كان يعمل بقناة الجزيرة، وحُكِمَ عليه بالسجن لمدة سبع سنوات بسبب "الدعم" الذى قدمه للقاعدة -- وهو نص يحتمل له أن أعاق أية فرص يمكن من خلالها لعلونى استئناف الحكم بنجاح.

أبرز بث ثالث على الويب قضايا من فلسطين. بدأ البرنامج بتلاوة قرآنية وشعار فلاش متحرك "لصوت الخليفة" - بنادق تطلق النار عبر كرة أرضية، بينما تسقط الخراطيش الفارغة وسط النيران - إلى جانب مختلف شعارات وسائل البث الدولية. وأشار قارئ الأخبار فى مقدمته إلى فلسطين والشيشان، والصراعات العراقية. كما أظهر البرنامج رجل أعمال إسرائيلى سجين، يُدَّعَى أنه تابع للاستخبارات الإسرائيلية، وتعرض رخصة قيادته كدليل. ظلت نسخة المصحف على مكتب قارئ الأخبار معظم فترة البث على الويب، رغم اختفائه فى وقت آخر، مما يوحى بأن البث أُعِدَّ على فترات متقطعة. كان ثمة رشاش يتجه إلى الكاميرا، فيما ارتدى قارئ الأخبار نظارات القراءة، وكتم اللثام صوته. كانت الخلفية عبارة عن ستارة. وكان يتحدث بنبرة محسوبة، مستخدمًا بروتوكولات قراءة الأخبار، من بينها تحية المشاهدين بعد فترة "الفاصل الإعلانى".

كان التحرير متطوراً حيث ناقش قارئ الأخبار تعليقات من أيمن الظواهرى، والهجمات فى أفغانستان، وكليبات من الهجمات على الجنود الأمريكيين، وكان هذا مصحوباً بأناشيد عسكرية. لقى سجن علونى مزيداً من الاهتمام من خلال مونتاج فيديو مكوَّن من صور له. اختتم البث بإشارة أخرى إلى إعصار كاترينا وتعليق على الوضع السياسى فى النيجر. من اليسير نسبيًا إعادة إنتاج عناصر البث الرئيسية، حيث لا تتطلب أى مكان لصنعها. تُتاح المواد نفسها التى يجرى بثها داخل عدد من غرف الدردشة الجهادية، من بينها غرفة "التجديد" التى ينظمها المسعرى.

ظهر بث رابع على الويب في أكتوبر ٢٠٠٥ كان طول العرض سبعا وعشرين دقيقة ظهر به قارئ للأخبار ملثما "بكوفية". كان هذا العرض أكثر تطوراً من خلال استخدامه لرسومات الجرافيكس والنقلات؛ إلى جانب تحسين جودة الصوت أيضاً. لم تعد هناك بندقية على المكتب. لكن ظهر بدلاً منها خلفية لخريطة العالم، وشاشة تليفزيون تعرض رسومات جرافيكس وكليبات فيلمية. كما ظهر بالجزء السفلى من الشاشة شعار متحرك للجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية ولافتات باللغة العربية، تذكر عبارات مثل "عمل الجهاد". كان هذا قارئًا مختلفًا للأخبار من عمليات بث سابقة. بدأ البث بمجموعة من كليبات أفلام من العراق، مستمدة من مصادر أخرى كالجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية وغيرها، تشمل لافتات ورسومات جرافيكس ذات صلة. قدم العرض فيلماً لعمليات التفجيرات وتدريب الجنود. كما وردت أخبار عن امرأة انتحارية، شملت صوراً فوتوغرافية وأيضاً شريط فيديو لعملية إعدام.

أعقب هذه السلسلة أنباء واردة من أفغانستان مشفوعة بالخرائط التوضيحية والأفلام الإخبارية (المنقولة عن الجزيرة)؛ وأنباء عن انتخابات فى مصر ضمت فيلماً عن احتجاجات الإسلاميين، وآخر الأنباء من مناطق الأخرى. جاء فاصل إعلانى لتهنئة المشاهدين بشهر رمضان الكريم، تتضمن شريط فيديو من حماس أشاد بفضائل الجهاد كوسيلة لتحرير القدس.

فى نوفمبر ٢٠٠٥ استخدمت شكل البرامج الحوارية فى برنامج بعنوان "ويستمر الجدل"، بينما عرض فيلم آخر فى ديسمبر ٢٠٠٥ للمشاهدين كيفية تفكيك بندقية كلاشينكوف. شعرت بأثر مثل هذه المواد كثير المجتمعات الاستخباراتية والعسكرية. أوضح رئيس وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السابق جورج تينت أن القاعدة "لا تزال، منظمة متطورة واستخباراتية ذات قدرات هائلة. وأضاف أن القيادة الثانوية الناشئة تبنت تصوراً، لحركة عالمية لا مركزية، توقفت قدرتها على التزايد على الإنترنت بصورة حاسمة، الأمر الذى مكّنها من تبادل المعلومات

بدءا من طرق إعداد المتفجرات إلى أفضل الطرق التى لم يكتشفها أحد بعد للوصول الى العراق. كما ذكر أن الجماعة، كانت بلا شك تعيِّن مواقع نقاط الضعف فى شبكات اتصالاتنا السلكية واللاسلكية".

أراد الجنرال جون أبى زيد بالقيادة الأمريكية الوسطى تقديم سبل لفلترة محتوى الإنترنت لمنع مثل هذه التطبيقات، لكنه لم يُشِرْ إلى منهجية ملائمة يمكن استخدامها. بل إن مقترحاً على مثل هذا المستوى الرفيع لإمكانية وضع قيود على الإنترنت كان يشير ضمنيًا إلى افتقار عميق للوعى بكيفية عمل الإنترنت. اعترف كبار المسئولين العسكريين بأن "القاعدة والإسلاميين الراديكاليين لا يزالون يكسبون الحرب الدعائية ضد الولايات المتحدة"، وبأن "سياسات إدارة جورج دبليو بوش فى الشرق الأوسط، وفشلها الجوهرى فى فهم العالم الإسلامى وانعدام الابتكار فى استخدام تقنيات اتصالات جديدة كلها عوامل مسئولة".

أشار وزير الدفاع دونالد رمسفلد أيضًا إلى أثر الإنترنت على "القضية" الأمريكية فى العراق: "تكيَّف الإرهابيون بمهارة على القتال فى حروب عصر الإعلام اليوم، لكن أمريكا والديمقراطيات الأخرى لم تتكيف، فى أغلب الأحيان ... إنهم يعلمون أن الاتصالات تتجاوز الحدود، وأن تقريراً إخبارياً واحداً يمكن أن يُضرَّ بقضيتنا – ويساعد قضيتهم، إذا ما عولج بمهارة، كأى هجوم عسكرى. كما أنهم قادرون على العمل بسرعة بعدد قليل نسبيًا، وبموارد متواضعة، مقارنة بالإجراءات البيروقراطية الواسعة والمكلفة التى تتبعها الحكومات الديمقراطية".

كثيراً ما ألقى اللوم على وسائل الإعلام لفشل الحملات العسكرية فى الماضى، لكن من غير المعتاد أن يُلْقى باللائمة على وسائل إعلام المعارضة فى هذه الحالة. فقد اعترفت القاعدة نفسها بنجاح الاستراتيجية الإعلامية. كما أشار إعلان من الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية إلى "أن الإنترنت يعمل بمثابة أفضل البدائل للبث التليفزيونى للمسلمين للقيام «بنوع من الجهاد» يشمل الوعظ ونشر المعلومات".

المجلات السيبرية

يعزز وجود كتيبات على الإنترنت قضية القاعدة والمنظمات المرتبطة بها، إذ أصبحت بحكم الواقع القناة الرئيسية للتحفيز والمعرفة، وللتعبير الدينى فى بعض الحالات ـــ رغم أن هذا يحدث من خلال فهم تفسيرى معين للجهاد. ويتصل بهذه الكفاءة الواضحة فى تطبيق تقنيات الاتصالات انتشار المجلات على الإنترنت، التى تعرض بيانات لوجستية فضلاً عن المبررات الدينية لأنشطة الجهاد العسكرى فى عدد من الجبهات.

تُنْتَج الكتيبات "بصورة مهنية"، إلى جانب الرسوم التوضيحية ورسومات الجرافيكس. تظهر الكتيبات فى قنوات مختلفة على الإنترنت ومنتديات للتوزيع السريع، عادة فى هيئة ملفات (PDF) وكثيراً ما تكون متاحة لفترة محدودة من خلال مواقع رفع الملفات المجانية، حيث يرفعها شخص أو أشخاص مجهولون. أحتفظُ فى أرشيفى الشخصى بمئات الكتيبات والوثائق المختلفة ذات الصلة، من بينها الخطب والتصريحات فى هيئة شكل مماثل، باللغة العربية بصفة أساسية.

تعْرِض الكتيبات نفسها كتنويعة من الأشكال، تشيع بينها ملفات PDF، والوورد، مما يوحى بوجود طرق شتى يمكن من خلالها قراءتها، وأنها موجهة إلى جماهير مختلفة. ربما تكون وثيقة وورد أسهل من وثيقة PDF لتعديلها أو توزيعها أو تحريرها بشكل شخصى بالنسبة للبعض. ولا يتسع المقام فى هذا الكتاب لتحليل محتوى كل كتيب تفصيليًا. فبينما ترتبط التيمات الرئيسية بالنشاط والتنظيم العسكرى، الذى يشمل معايير للعضوية والاعتبارات الاستراتيجية وطرق التعامل مع المعلومات الاستخباراتية العسكرية، وإخفائها، تُفلتر هذه الموضوعات باستخدام اللغة والمبررات الدينية التى تستند إلى أحداث سابقة من حياة محمد (ص) وغيره من الشخصيات من التاريخ الإسلامى كما تستند أيضًا إلى أمثلة عامة "للممارسات الصالحة ".

تظهر هذه الكتيبات كثيراً فى فضاء الويب المجانى ومواقع خدمات تبادل الملفات. بُذِلَت الجهود لإغلاق الخدمات التى تقدم هذا المحتوى. إلا أنه وكجزء من تقليد مستمر، تُرْفَع عادةً نُسَخ متعددة على مجموعة متنوعة من مواقع الخدمات للحد من أية محاولات لإغلاقها. قد تكون الأشكال المستخدمة مشفرة فى بعض الأحيان، لكنها تتاح للجمهور عامة فى كثير من الأحيان.

يتجاوز استخدام فضاء الويب المجانى وسهولة بناء/نقل المواقع عن طريق نقل وعناوين بروتوكول الإنترنت (IP) إلى موضع آخر، إلى جانب احتمال عدم الكشف عن الهوية، يتجاوز قضايا التسجيل المرتبطة بنطاقات المستوى الأعلى. من الجلىّ أن السعى إلى تسجيل موقع "al- neda.com" أو أى موقع مماثل أمر غير عملى. لكن التصرف المباشر هو الذهاب إلى مقهى للإنترنت والتسجيل بأسلوب مجهول على خدمة نت مجانية، ورفع موقع بمعلومات ذات منحى جهادى. وبعيداً عن هذا النطاق المرئى من المواد، فمن الأهمية بمكانٍ أن نضيف أن ما يتجاوز إمكانية الملاحظة قد يكون أكثر أهمية، ويشمل ذلك نشر محتوى مُعيّن لانتقاء الأفراد من خلال استخدام أدوات التشفير أو غرف الدردشة المغلقة.

تستخدم نسبة من المواد الجهادية بيانات عامة مثل مواد عن الدعم اللوجستى والأسلحة. يُضاف إلى هذا مواد مصممة خصيصاً للقراء على الإنترنت، حيث يسهل البحث داخل المحتوى، إلى جانب إمكانية تحميل الملفات بسرعة لتوزيعها فى العالم الحقيقى. تتوفر كميات هائلة من البيانات يمكن تحميلها، لكن قد يتطلب الأمر تخزينها أولاً على قرص صلب ثم إيجاد الوقت الكافى لدراستها بالتفصيل. ولا تزال هناك تساؤلات حول كيفية استخدام الكتيبات والوثائق الأخرى المرتبطة بشتى الحملات، وما إن كانت تضفى دلالة افتراضية عن المنظمات التى قد تتجاوز وجودها فى العالم الحقيقى.

لدى جميع الجماعات الجهادية التى تركزت فى العراق وسوريا والجزائر

والمملكة السعودية وأفغانستان والشيشان وكشمير والمغرب مجلات على الإنترنت. ركزت تلك المجلات أيضاً على زعماء بعينهم، وأصوات بارزة تتمثل فى أسامة بن لادن، وأيمن الظواهرى، وأبى مصعب السورى، وأبى مصعب الزرقاوى. ويمكن أن يرجع بعض المحتوى فى هذه المجلات إلى "موسوعة الجهاد الأفغانى"، وهى موسوعة مختصرة من أحد عشر مجلداً تعرض بالتفصيل لأساليب التعامل الاستراتيجية والعسكرية مع مجموعة متنوعة من المواقف. تمتاز الكتيبات بأنها مصممة جيداً وتفصيلية، وتحتوى على معلومات لوچستية وخطب تبرير دينى إلى جانب معلومات عملية عن الأسلحة والتكتيكات. ومن أمثلة ذلك مجلة "ذروة السنام" الناطقة باسم القاعدة فى العراق. جاء تصميمها ملوناً ونابضاً بالحيوية. كما تضمنت رسالة من ابن لادن، فضلاً عن معلومات تكتيكية ومواد من الخطب والمواعظ.

من العناوين الرئيسية بين هذه المنشورات تسعة وعشرون إصداراً من "صوت الجهاد" التى تعود إلى عام ٢٠٠٢ فصاعداً، واثنان وعشرون إصداراً من "معسكر البتار" الذى يعود إلى ٢٠٠٣ فصاعداً. هناك مجموعة متنوعة من الإصدارات الخاصة بمنطقة محددة أو "الإصدارات الخاصة" أو كليهما من مصادر تنتسب إلى روح القاعدة، لم ينشر البعض منها سوى إصدارين فقط. يمكن فى كثير من الأحيان الحصول على المنشورات من موقع مركزى، وإن كان موقعاً ما يفتأ يغيِّر مزود خدمات الإنترنت الخاص به وهويته. يمكن من خلال موقع واحد تحميل أعداد مختلفة من مجلة "البتار" وغيرها من الوثائق ومقارنتها. غالباً ما تكون هذه الأعداد فى هيئة ملفات مضغوطة ومتاحة من خلال مجموعة متنوعة من عناوين مواقع فضاء الويب المجانى، وكثيراً ما توصف بأنها متوفرة لفترة زمنية محدودة. من أشهر أماكن الكتيبات فى ٢٠٠٤ موقع Pages4free.biz ومقره نيو ساوث ويلز بأستراليا؛ وكما هو الحال فى الكثير من المواقع المجانية، كان هذا الموقع أيضاً

يستضيف صور بورنو وما يتصل بها من دردشة حية على صفحته الأمامية.

غُطِّيت القضايا الدينية الأساسية أيضًا في بعض المجلات على الإنترنت. على سبيل المثال، ظهرت طرق التعامل مع الجهاد أثناء شهر رمضان في إحدى إصدارات "البتار". كما أتيحت الأخبار أيضًا، ربما كدافع لأنشطة مستقبلية، وتقديم نماذج أو مُثُل يقتدى بها. بينما شرح عدد من مجلة "صوت الجهاد" "المنطق" وراء قتل المسلمين الآخرين، من بين ذلك الرهائن.

في قضية "الولايات المتحدة ضد أحمد عبد الستار وآخرين" في ٢٠٠٢، تُرْجِمَت كتيبات مختارة معروفة باسم "كتيب القاعدة في برمنجهام بالمملكة المتحدة"، من اللغة العربية إلى الإنجليزية، مما زاد الاهتمام بهذا النوع. ويمكن أن تستمد بعض هذه المواد جزئيًا من الإنترنت. كما قد تظهر الكتيبات المتخصصة أيضًا؛ لاحظ أحد المراقبين ظهور كتيب للأسلحة النووية من إنتاج "ليث الإسلام"، وقُدِّمَ لأول مرة على منتدى alfirdaws.ofg. ظهرت في وقت لاحق روابط للكتيب على منتديات أخرى على الإنترنت حيث جرت مناقشته فيها بتعمق.

شُجِّعَت مجموعة من الجماهير المحتملة للاطلاع على المجلات. استهدف موقع OBL Crew الشباب الملمين بالتكنولوجيا، وهو يتضمن موادًا خاصة حول القرصنة و"المنطق" وراء قطع الرءوس كشكل من أشكال الإعدام. كما قدَّم أيضًا تعليمات حول كيفية المشاركة في الجهاد؛ ويشمل هذا روابط للحصول على معلومات عامة حول التدريب على الأسلحة النارية (من الجيش الأمريكي) والمشورة بشأن التدريب على الأسلحة. قدم كتيب آخر "دليل قناصة المتمردين العراقيين" الذي يوضح أكثر الأهداف ملاءمة والأضرار النفسية التي ستقع من جراء كل عملية قتل. تضمن الكتيب صورة لجورج دبليو. بوش بجوار صور متعددة لقادة العالم تحت عنوان: "على من تطلق النار؟" كان هذا مُصَمَّمًا لتمرين تدريبي. ذكر الكتيب أيضًا: "استهدف القوات الخاصة الأمريكية. إنهم أغبياء جدًا لأنهم مصابون «بعقدة رامبو»، إذ يظنون أنهم الأفضل في العالم؛ فلا تكن متغطرسًا مثلهم".

هناك مجلة جهادية للنساء أيضاً، وهي مجلة "الخنساء" التى نُشِرَ منها إصدار واحد. كان "أم أسامة" الاسم المستعار لكاتبة عُرِفَت أيضاً باسم "الخنساء"، والتى يُدَّعَى بأنها كانت تكتب بالنيابة عن القاعدة فى شتى المنتديات. لكن، وكما هو الحال غالبًا على الإنترنت، ليست كل الأشياء بالصورة التى تبدو لنا: "اتضح أن أم أسامة الحقيقية فتاة مصرية فى منتصف العشرينات من العمر تعيش فى المدينة المنورة وذات اهتمام بالتواصل مع المتطرفين. ألقى القبض عليها وأفرج عنها بعد اكتشاف أنها كانت تستخدم لوحات رسائل الإنترنت لملء الوقت". هذا الاستخدام للأفاتار مسألة حاسمة فى "فهمنا" لمثل هذه الأنشطة على الإنترنت، وتوحى بضرورة توخى الحذر دائمًا عند مناقشة محتوى الويب. يظل مفهوم من هو الشخص "الممثل" بالضبط على الإنترنت منطقة مبهمة، وخصوصاً عندما يبذل كتَّاب المواقع ومنظموها جهداً كبيراً لعدم الكشف عن هويتهم. لمحتوى المواقع الجهادية مستويات مختلفة، يُؤمَّن بعضها عن طريق كلمات السر. كما تتضمن شعارات مميزة تعرض "أنواع" الجهاد، ويمكن التعرف على بعض المساهمين من خلال أسماء لمستخدمين أو أسماء مستعارة مألوفة. استخدمت منظمة الزرقاوى اسم أبى ميسرة العراقى كهوية رئيسية.

يمكن أن نضيف إلى هذه الخلاصة الوافية من الكتابات على الإنترنت كتيب الجهاد "دعوة المقاومة الإسلامية" الذى ألفه أبو مصعب السورى (مصطفى ست مريم نصار) ونُشِرَ على الإنترنت فى ديسمبر ٢٠٠٤. كتب السورى، وهو عضو بارز فى القاعدة، هذه الوثيقة البالغ عدد صفحاتها ١٦٠٠ صفحة كوسيلة استراتيجية ولوجستية أى الدعوة لجهاد القاعدة، والميادين المحددة التى تنجح فيها مثل هذه الدعوة. تعتمد بعض الإرشادات على المواد العامة أيضاً، مثل دليل القتال بأسلوب النينجا.

نشرت مجلة أخرى هى "المأسدة الجهادية" دليلاً لتصنيع "قنبلة قذرة". وكتب

سيف العدل، وهو أحد كبار القادة فى القاعدة، فى "البتار" حول التكتيكات المتبعة فى صنع الأسلحة المختلفة، بما فيها المواد النووية والبيولوجية. اشتملت بعض الكتيبات على تفاصيل كيفية تسهيل "سرقة الهوية"؛ فالكتيبات التى يجرى تحميلها تُنسخ وتُتداول بسهولة عبر وسائل الإعلام الأخرى، وفى ٢٠٠٣ ركزت قوات الأمن السعودية طاقاتها على أولئك الذين يوزعون دليل تصنيع القنابل واعتقلت أربعة من أصحاب متاجر الكمبيوتر فى منطقة جازان.

أهم الكتّاب الرئيسيين مشاركون فاعلون أيضًا فى القاعدة، قُتِلَ بعضهم فى نشاط عملياتى. كتب فهد بن على الغلبان عدداً من كتيبات تصنيع الأسلحة قبل مصرعه فى تبادل لإطلاق النار فى فى يوليو ٢٠٠٤، بينما وقّع سعود بن حمود العتيبى، رئيس تنظيم القاعدة بشبه الجزيرة العربية، مجلة "صوت الجهاد" عند ظهورها. ولا تزال كتابات يوسف العايرى (١٩٧٣-٢٠٠٣) مؤثرة فى "صوت الجهاد" بعد وفاته، وخصوصًا الأعمال التى تحلل مبررات القيام بعمليات محددة باسم القاعدة.

ظهرت مجموعة متنوعة أخرى من مجلات الإنترنت اتخذت أشكالاً شتى، وارتبط بعضها بالوسائط المتعددة. وفيما كان عسيراً على وكالات الاستخبارات إغلاق الكثير من هذه المجلات، كان موقع alsunnah.org، وهو مجلة منشورة بالمملكة المتحدة، هدفًا لاهتمام وكالات الاستخبارات فى ٢٠٠٥، زُعِمَ أن هذا كان "بغرض حث المهاجمين الانتحاريين على مهاجمة القوات الأمريكية وقوات التحالف فى العراق، بالإضافة إلى الهجوم على الإسرائيليين".

قدم أحد المنتديات المشورة بشأن وسائل وحيل "التخفى" المناسبة لخداع قوات الأمن كجزء من تمرين "تجنيد" الجهاديين: "عند السفر ارتدِ بنطلون جينز واحمل جهاز استماع (ووكمان) - حاول ألا تبدو كأصولى إسلامى - ولتلقى التعليمات الدقيقة حول كيفية الاتصال بالجماعات العراقية «اتصلوا بالدعاة السلفيين

الجهاديين فى بلدانكم». ليست هذه سوى بعض النصائح والاقتراحات قبل السفر والمقدمة على موقع إنترنت إسلامى للمجندين المحتملين للقاعدة من مختلف البلدان العربية والغربية والذين أعربوا عن رغبتهم فى الذهاب إلى العراق لمحاربة القوات الأمريكية". نفترض أنه قد تم تحديث الاقتراح بضرورة حمل جهاز استماع (ووكمان) سونى (أيقونة الثمانينيات التقنية) إلى جهاز آى پود لما بعد عام ٢٠٠٠. تواصل ظهور مجلات الإنترنت الأخرى الداعمة للقاعدة، والتى تستهدف مختلف القراء.

لم تكن مثل هذه التكتيكات حكراً على المجلات فى الشرق الأوسط. فى الصراع فى إقليم مولوكو، صاغت لاسكار جهاد ("عسكر الجهاد") نهجًا على الإنترنت للدعاية لتفسيرهم "للجهاد". وفى إندونيسيا، نشر الإمام سامودرا، وهو أحد منفذى تفجيرات بالى، كتابًا بعنوان Aku Melawan Teroris ("أنا أحارب الإرهابيين") والذى شجّع أشكال "الجهاد عبر الإنترنت." وَفّرَ كتاب سامودرا (المكتوب باللغة الإندونيسية) مقدمة أساسية للقرصنة وكذلك المشورة بشأن إنتاج بطاقات الائتمان المستنسخة. بينما لم يكن ذلك الكتاب الأكثر شمولاً من بين المصادر الأخرى، جاء إدماجه لمذكرات المحرض على تفجيرات بالى مهمًا: "هناك فصلٌ غير واضح بالجزء الخلفى من الكتاب البالغ عدد صفحاته ٢٨٠ صفحة من قالب مختلف تماماً بعنوان ـــ القرصنة، لم لا؟ ـــ حث سامودرا فى ذلك الفصل زملاءه الراديكاليين المسلمين لنقل الحرب المقدسة إلى الفضاء السيبرى عن طريق مهاجمة أجهزة الكمبيوتر الأمريكية، ولاسيما بهدف تزوير بطاقات الائتمان. ثم يقدم الفصل الخطوط الأساسية للبدء". أشار المقال إلى أن سامودرا استخدم النت للحصول على تفاصيل حول تزوير بطاقات الائتمان ويُزْعَم أنه طلب "تصريحًا دينيًا" للقيام بمثل هذه الأنشطة.

بعامة، يمكن لموضوعات مجلات الإنترنت أن تشمل مبررات قرآنية للضلوع فى

الأنشطة "الجهادية"، وتعليقات سياسية، والمشورة العملياتية واللوجستية. قد يتضمن هذا كتيبات عن التدريب على الأسلحة وتصنيعها، تصحبها فى أغلب الأحيان صور فوتوغرافية توضيحية. كما شمل أحد الإصدارات الإرشادية معلومات تفصيلية عن رشاشات عوزى الإسرائيلية. وتضمنت المواد التكتيكية تفاصيل طرق التعامل مع أخذ الرهائن والاختطاف والاغتيال. كانت بعض المواد تُستمد من مصادر عامة، فى حين كُتِبَت نسبة كبيرة منها خصيصاً لهذه الكتيبات الإرشادية.

العمليات على الإنترنت

"شوهد" أعضاء بارزون فى القاعدة فى مقاهى الإنترنت فى أوقات مختلفة، رغم أن الكثير حاولوا عدم جذب انتباه الآخرين لهم، لضمان تغليف أنشطتهم على الإنترنت بستار من الهوية المجهولة. لا يعنى هذا أن استخدام الإنترنت لا يخلو من المخاطر بالنسبة للجهاديين وأنصار القاعدة. فى الأردن، حوكم ناشط الإنترنت مراد العصيدة لأنه شكَّل على ما يبدو تهديداً للمملكة من خلال استخدام البريد الإلكترونى والنت كوسيلة لتسهيل الجهاد الإلكترونى. سُجِنَ العصيدة فى وقت لاحق لمدة سنتين ونصف، بعد أن كان الحكم الأصلى خمس سنوات قبل أن يجرى تخفيفه.

هناك الكثير من الأدلة على استفادة عملاء المستوى الأدنى من الإنترنت كأداة لوچستية؛ فعلى سبيل المثال، فى المملكة المتحدة، سُجِنَ ساجد بادات لتخطيطه لأحد التفجيرات، واستخدم البريد الإلكترونى للانسحاب من مهمته فى آخر لحظة. من غير المستغرب أن هناك بعض المؤشرات على استخدام مقاهى الإنترنت أيضاً لأغراض التخطيط اللوچستى فى أماكن أخرى. أشار أحد التحقيقات إلى أن مقهى كهذا كان جزءاً أساسياً فى التخطيط للهجوم على السفارة الأمريكية فى باريس فى ٢٠٠١، حيث كان لدى أعضاء الخلية خلفية فى علوم الكمبيوتر وكان الآخر موظفاً

سابقًا بمقهى للإنترنت. وضع جميل بِغَال، وهو الشخصية المحورية فى الهجوم، خطة شملت افتتاح مقهى للإنترنت، جزئيًا لتسهيل الاتصالات مع أعضاء القاعدة الآخرين. حُكِمَ على بغال بالسجن لعشر سنوات، وتلقى المشاركون الآخرون أحكامًا أقل. وفيما كانت السلطات غير قادرة فى معظم الأحيان على العثور على مصدر تصريحات محددة أو على المحركين الرئيسيين لمواقع معينة، أصبح الإنترنت بؤرة اهتمام عدد من التحقيقات. وأصبحت مقاهى الإنترنت محاور لأنشطة متعلقة بالقاعدة. من الواضح أن تفجيرات إسطنبول فى ٢٠٠٣ كان وراءها مستخدمو مقهى بينجول ميرزيكى للإنترنت في جنوب تركيا، وكان يملكه أحد أشقاء أولئك المستخدمين.

التشريعات، ولوائح الاتهام، والمحاكمات

لعبت المحاكمات دوراً رئيسيًا فى تطوير مفاهيمنا عن الفضاء السيبرى الجهادى. هناك شعور بأن هذا ليس سوى عنصر صغير فى واجهة تقنية أكبر حجمًا من "الدعوة" والانتشار والتصميم والقراءة على عديد من المستويات.

أجريت المحاكمات فى مجموعة متنوعة من السياقات. ففى أستراليا، أُتهم بلال خزال حامل الحقائب بالمطار بتأليف كتاب عن الجهاد ونشره على موقع ويب. يراقب مكتب التحقيقات الفدرالى FBI مثل هذه المواقع أيضًا ويستخدمها كوسيلة لإبعاد الأفراد الذين يُزْعَم أنهم زاروا غرف الدردشة ومناطق التجنيد على الويب. كانت تشنوبا حيدر، وهى طالبة بنجلاديشية تبلغ من العمر ١٦ عامًا تعيش فى مانهاتن، تستمع إلى "مواد مبثوثة" لعمر بكرى محمد على "البالتوك"؛ ورُحِّلَت إلى بنجلاديش رغم إعلان براءتها.

أشار سعد بن على الشهرى، وهو من المخضرمين فى حملات المجاهدين، أيضًا إلى أثر الإنترنت فى تجنيد عناصر الجهاد: "أضاف الشهرى أن الإنترنت جعل من السهل استهداف الشباب القابلين للتجنيد، لكنه أعرب عن تفاؤله إزاء ردة الفعل

العنيفة الحالية ضد الجهاد العالمى: - أنا متفائل جداً من أن الكثير من الرجال الذين ضلوا يعودون إلى سواء السبيل، حتى أن بعض الشيوخ أعربوا عن الندم على إصدار فتاوى عنيفة وصححوا موقفهم منذ آنذاك ... وصل الكثير منهم إلى السبيل القويم بعد صدور عفو ملكى-. أنهى محارب المجاهدين المخضرم حديثه من خلال إعادة التأكيد على حاجة الآباء والأمهات للعب دور متزايد فى السيطرة على تعرض أبنائهم للدعاية المنحرفة".

أُشير فى عدد من المحاكمات إلى الاقتراح بأن زيارة مواقع الويب المتصلة بالجهاد والمشاركة فى أنشطتها يشكل خطراً على المجتمع الأوسع. فى ٢٠٠٤ ألقى القبض على أحد رجال الحرس الوطنى الأمريكى الذى اعتنق الإسلام، رايان أندرسون (أمير طلحة) فى الولايات المتحدة بتهمة احتمال ممارسة النشاط الجهادى، وتضمنت لائحة اتهامه أدلة على زيارته لمواقع "راديكالية". وفى ٢٠٠٤ أدين طلحة "بالخيانة لمحاولة مساعدة جماعة القاعدة الإرهابية"، وحُكِمَ عليه بالسجن مدى الحياة.

جذب نصير الجهاد الذى تحول إلى الإسلام آدم جادان انتباه وسائل الإعلام كونه "أُلْهِمَ" لاعتناق الإسلام بعد زيارة غرف الدردشة. جرى لفت الانتباه إلى ماضيه كهاوٍ سابق لموسيقى الهيفى ميتال وإلى خلفيته الريفية بولاية كاليفورنيا. زُعِمَ أن جادان كان المتحدث الملثم الذى ظهر فى فيديو القاعدة الذى يهدد المدن الغربية فى ٢٠٠٥، كما ظهر بدون لثام مع الظواهرى فى ٢٠٠٦. ظهر جادان أيضاً، والمعروف أيضاً باسم عزام الأمريكى، فى شريط فيديو فى ٢٠٠٦ يدعو فيه الأمريكيين للإسلام، وفى ٢٠٠٧ حذر أمريكا من أن عليها اتخاذ إجراءات محددة بغية تجنب المزيد من الصراع. أدانت محكمة الولايات المتحدة الإقليمية «عزام» بتهم الخيانة فى ٢٠٠٦، ووضعه مكتب التحقيقات الفيدرالى على قائمة "أكثر المطلوبين"، ورُصِدَت مكافأة بمبلغ مليون دولار أمريكى للقبض عليه.

نشر الطالب الأمريكي مارك روبرت ووكر بيانات فى منتديات على الإنترنت تدعم الجهاد "تحت اسمىْ «عبد الله» و«عبد الله ٣١٣". ومن بين التعليقات التى يُدَّعَى أنه أدلى بها: «أكره الحكومة الأمريكية، وكنت أتمنى أننى قدت واحدة من تلك الطائرات فى ١١ سبتمبر»". ألقى القبض عليه بعد محاولة الالتقاء سرًا مع أحد "الجهاديين" فى مقهىً للإنترنت بولاية تكساس، تلقى بعدها حكمًا بالسجن لمدة عامين "بعد اعترافه بأنه مذنب فى محاولة تقديم مساهمة بالسلع والخدمات لأحد الإرهابيين المعروفين".

سلَّط الادعاء فى محاكمة سامى عمر الحسين بولاية إيداهو الضوء على نشره مواد جهادية على الإنترنت. كانت القضية مهمة، حيث برِّئ الحسين من تهمٍ تتعلق بالإرهاب لكنه رُحِّل بعد ذلك إلى بلده الأصلى (المملكة السعودية) بتهم تتعلق بالهجرة. وأشار الحسين إلى هذا الشأن قائلاً: "إنه كان يعمل فقط على صيانة مواقع الويب التى يشعر أنها تدعو إلى الإسلام، وأن أى محتوىً على هذه المواقع المتطرفة لا يعكس معتقداته. برأته هيئة المحلفين من تهم تتعلق بالإرهاب، لكن سُدَّ أمامه الطريق بشأن تهم الهجرة الثمانية.

أثارت القضية بعض المسائل المهمة من خلال التمييز بين مختلف أنواع محتوى الإنترنت المرتبط "بالجهاد". أُكتشف أن الحسين هو المسئول عن إدارة مواقع من بينها موقع islamway.com وأنه مساهم مزعوم فى منتديات متعددة. لكن القضية حددت أن الإدارة لا تعنى دائمًا المسئولية عن رفع المحتوى، إذ إن معرفة كلمة السر تسمح لأى أحد بالدخول على الموقع. أشار أحد خبراء الأدلة الجنائية فى الحاسب الآلى فى الادعاء أنه على الرغم من تحليل محركيْن للأقراص الصلبة لحاسبيْن يملكهما الحسين، لم يثبت أن المدعى عليه كان لديه سيطرة تامة على المحتوى المنشور على موقع Islamway.com.

الإلمام بالنت جزء مهم فى تنظيم الحملات وقد جرى التركيز عليه فى تدريب

عناصر في معسكرات بأفغانستان وأماكن أخرى. وفى حين أن الرقابة الحكومية المشددة على المواقع، وغرف الدردشة، وحركة البريد الإلكترونى قد تكون أثرت سلبًا على بعض هذا التخطيط اللوچستى أو دفع العملاء ببساطة إلى المزيد من "السرية" على الويب، فإن هؤلاء العملاء اتبعوا بروتوكولات محددة لضمان أمنهم وخصوصيتهم الشخصية.

أتاح القبض على محمد نعيم نور خان، خبير كمبيوتر بتنظيم القاعدة، فى باكستان بعض الأفكار حول طرق التعامل مع توزيع المعلومات فى مختلف المناطق. تضمن ذلك استخدام خدمات الشحن فى التوصيل الشخصى للأسطوانات المدمجة (سى دى) واستخدام عناوين إلكترونية متعددة بأسماء مزيفة ذات حياة محدودة. من بين التقنيات تطبيق التشفير، وهناك إشارة منفصلة إلى تعليم هذه المنهجيات وغيرها سواء على الإنترنت أو فى مختلف المعسكرات. وتبين أن خان طوَّر نظم التشفير الخاصة به والتى لا يمكن كشفها. وهناك إشارة ضمنية إلى أن خان، المعروف أيضًا باسم أبى طلحة، كان يساعد السلطات الأمريكية عقب اعتقاله عن طريق مواصلة تغذية المعلومات ورصدها داخل الشبكات المختلفة على الإنترنت، وحتى "تفجر" غطاؤه بشكل مثير للجدل.

ظهرت أمثلة أخرى إلى جانب الأدلة فى محاكمة أقيمت فى إنجلترا أدين فيها سبعة متهمين بأن لهم صلات بتنظيم القاعدة وبالتخطيط لتفجيرات. اعتاد المتهمون استخدام كلمات مشفرة فى رسائل البريد الإلكترونى وكانوا يتخلصون من معدات أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم بانتظام دون أن يتركوا أثرًا؛ وزُجَّ بهم فى السجن فى ٢٠٠٧. فى نفس العام أدين محمد عاطف صديق فى اسكتلندا فى جرائم إرهاب، من بينها توزيع أشرطة ڤيديو جهادية على ثلاثة مواقع ويب. كما احتوى القرص الصلب بجهاز الكمبيوتر الخاص به فيديوهات مشفرة ومخفية: "عمل خبراء بوحدة الجرائم الإلكترونية فى شرطة وسط اسكتلندا، بمعاونة متخصصين من

إدارة مكافحة الجريمة والمخدرات الاسكتلندية على فحص أجهزة الكمبيوتر، واستعادة الملفات المحذوفة، واستطاعوا في بعض الحالات، قراءة المواد التي تمت الكتابة فوقها إلى حد ما".

وفي وقت لاحق من ٢٠٠٧، حوكمت عاملة بإحدى المطارات البريطانية سامينا مالك في المملكة المتحدة بموجب قانون الإرهاب لعام ٢٠٠٠ بسبب قصائدها المنشورة على الإنترنت وتصريحاتها المؤيدة للجهاد. نشرت سامينا هذه القصائد وغيرها باسم "شاعرة الإرهاب" القتالية، وتضمنت موضوعاتها الاستشهاد، وقطع الرءوس؛ كما أطلقت على نفسها أيضاً "غريبة في انتظار الشهادة": "عثرت الشرطة على نسخة من إعلان أسامة بن لادن الحرب وفقرة مدحت فيها زعيم تنظيم القاعدة، وأضافت: «لن نجعلكم تهنأون بأى سلام. لن نريكم أية رحمة ولا شفقة ولا ندم» ... في إحدى قصائدها، بعنوان «تربية الأطفال المجاهدين»؛ أوصت بتلقين الجهاد للأطفال من سن السابعة، وأضافت: «اعرضوا أشرطة الفيديو وصور المجاهدين على الأطفال وأخبروهم أن يكونوا أقوياء مثلهم».

تمتاز القصيدة بلغة تشبه بشكل ملحوظ التصريحات والمفاهيم التي يضمها موقع Azzam.com مثل: "أروهم صور المجاهدين وشجِّعوهم كي يصبحوا مثل هؤلاء الناس على الأقل". حوكمت سامينا مالك بتهمة حيازة مواد جهادية من بينها كتيبات ومحتوى من إنتاج وتوزيع العديد من المواقع التي نوقشت في هذا الفصل مثل "الفرقة الناجية"، وأتباع أهل السنة والجماعة، وعمر بكرى محمد. ولدينا في هذه الحالة تحديداً، شخصية تأثرت هي نفسها تأثراً عميقاً بالمحتوى على الإنترنت، ونشهد تطوير جيل وشكلاً جديداً من المواد. وأُخلِيَ طرفها بعد الحكم عليها بمدة تسعة أشهر مع وقف التنفيذ عقب دعوى الاستئناف في يونيو ٢٠٠٨.

كثفت التحولات في التشريعات - التي تجعل تطوير المحتوى الجهادي وتوزيعه مخالفة جنائية - التركيز على الخطاب الجهادي الإلكتروني. نقَّحت الحكومات أشكال فهمها القانوني لهذا الخطاب، وقدمت تدابير بعيدة المدى في محاولة للقضاء

على استخدام الشبكات الجهادية لوسائل الإعلام. على سبيل المثال، فى ٢٠٠٧ اقترح مفوض الاتحاد الأوروبى فرانكو فراتينى تشريعًا لتجريم أى محتوى على الويب يمكن استخدامه لأغراض التدريب أو التحريض.

فى الولايات المتحدة، دشّن قانون منع التطرف العنيف والإرهاب الداخلى لعام ٢٠٠٧ اقتراحاً بافتتاح مركز التميّز لدراسة النزعات المتطرفة العنيفة والإرهاب الداخلى بالولايات المتحدة، وليكون مقره فى إحدى الجامعات. أقرت تحقيقات الكونجرس دور الإنترنت كأداة جهادية أثناء تمرير القانون عبر مجلس النواب فى طريقه إلى مجلس الشيوخ: "ساعد الإنترنت فى تيسير النزعات المتطرفة والعنيفة، والعنف القائم على أساس أيديولوجى، وعمليات الإرهاب الداخلى فى الولايات المتحدة عن طريق تعريض مواطنى الولايات المتحدة لتيارات واسعة ومستمرة من الدعاية الإرهابية ذات الصلة". وربما يشير النقاد أن هذا الاعتراف الرسمى جاء متأخراً بعض الشىء.

سوف تفتح التشريعات والملاحقات القضائية إلى حد ما آفاق المعرفة بالشبكات الجهادية الإلكترونية واقتصادات المعرفة، بحيث تعطى حساً بطريقة عملها وقدراتها التقنية. كما أنها تمثل مدخلاً من حيث تطوير فهمٍ للطرق التى يستخدم مختلف اللاعبين من خلالها الإنترنت للترويج لتفسيراتهم للجهاد. سوف تستمر هذه الأساليب فى التطور بما يتمشى مع ويب ٢,٠ لكنها قد تدفع الجهاد الإلكترونى أكثر إلى دهاليز الفضاء السيبرى المظلمة، مما يجعل المراقبة والتحليل أكثر إشكالاً.

تعليق ختامى

من الضرورى أن نميز بين استخدام النت كأداة دعاية وتجنيد واستغلاله كأداة لوجستية. وسوف تتضح الصورة كاملة بمرور الوقت. وسيتطلب هذا تحليلاً للقضايا المرتبطة بقطاعات التشفير، والحركة المالية، والعضوية "المغلقة" على الأعضاء فقط فى الويب، واستخدام النت فى مجموعة متنوعة من عمليات النصب

لجمع الأموال. هنا ينبغي تحليل القضايا المرتبطة في اصطياد المعلومات الشخصية عن طريق الإنترنت، والاحتيال على البنوك، وغيرها من الأنشطة الإجرامية التي استخدمت محليًا لتمويل أنشطة موالية لتنظيم القاعدة.

لمفهوم التخفّي والسرية سوابق أخرى في محيط العوالم الدينية. ولا يزال التساؤل مطروحًا حول ما إذا كان من الممكن وصف مثل تلك الأنشطة في هذه الحالة بأنها إسلامية. ويبين هذا أن طرق التعامل مع فضاء الويب الجهادي ينبغي أن تكون متعددة الأوجه والموارد بطبيعتها. يتطلب هذا وعيًا بتنوع زوايا التحليل حيث يحاول القراء ذوو المصالح والأجندات المختلفة التوفيق بين واقع جهاد يُدْعَى إليه رقميًا وما يناظره في العالم الحقيقي. وبالنظر إلى نطاق المحتوى، وتشابك العالمين الرقمي والحقيقي وتوازيهما، ربما لا يكون من الضروري الفصل بين هذين المجالين في بعض السياقات، لكن النظر إليهما بدلاً من ذلك كعالمين متشابكين ومتفاعلين.

قد يرى البعض أنه لا يمكن وضع الأنشطة الإسلامية التي تحركها دوافع سياسية في منطقة الخطاب الإسلامي البحت، لكن تلك لن تكون وجهة نظر شخصيات الإنترنت الرئيسية الذين يسعون لإقناع طائفة عريضة من القراء بأن أنشطتهم تحركها القيم الدينية المحضة. بينما قد يشير آخرون إلى أن النشاط الديني المحض مثالي إلى حد ما ويتجاهل الدوافع الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تنبض خلف الأجندات الجهادية (الإلكترونية). من الجليّ أن "الحقيقة" التي قد تشتمل على تفسير دقيق لهذه العوامل، مسألة ذاتية. ما يبدو هنا هو أن الأطراف الفاعلة المسلمة، بدافع من تفسيرها للقيم القرآنية، تنفذ هذه الأنشطة والحوارات باستخدام لغة إسلامية.



الفصل السادس

ساحات القتال الجهادية الرقمية
العراق وفلسطين

استخدمت منصات جهادية مختلفة الإنترنت فى أنشطة تتعلق بالصراعات فى العراق وفلسطين. ثمة نوع من الاستمرارية بين هذا الفصل والفصل السابق، قد يدل على التفاعل بين ما هو عالمى وما هو محلى. تنطبق الاعتبارات المتصلة بما إذا كان بالإمكان تعريف الأنشطة بأنها إسلامية أو جهادية أو متمردة أو إرهابية أو عراقية أو فلسطينية أو عربية - أو مزيجًا ما من هذه الأوصاف - بطبيعة الحال، اعتمادًا على وجهة نظر المراقب الفردية.

استخدمُ مصطلح "الجهادى" هنا، كما فى الفصل السابق، بحذر للجمع بين مجموعة عريضة من الرؤى والإجراءات والخطابات. ليس الغرض من هذا الفصل التوثيق الزمنى للإنتاج الكامل لشتى المنصات على الإنترنت فى هذه المناطق، لكن لمناقشتها من روح إسلامية محددة. كانت نسبة من مواقع الويب والكتيبات والمواد السمعية البصرية المشار إليها فى الفصل السابق تتعلق بقضايا تتصل بالعراق وفلسطين. وقد يسهم هذا فى إيجاد إطار تفسيرى شامل من خلال المزيد من تحديد السمات الرئيسية للفضاء السيبرى المتعلق بالأنشطة الجهادية فى هذه السياقات.

ساحات القتال العراقية الرقمية

تُعتبر ساحة القتال الرقمية بالعراق وتداعياتها فى العالم الحقيقى من القضايا

البارزة فى التحليل والمناقشة المتعلقة بالبيئات الإسلامية السيبرية. كان الإنترنت عنصراً حاسماً فى مختلف الحملات المرتبطة بالعراق، لاسيما إنتاج مواد القيديو ذات التأثير العالمى. تضمنت هذه المواد أشرطة ڤيديو تظهر عمليات إعدام الرهائن المختطفين، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، إلى جانب المواد التى جرى تصويرها على الخط/الخطوط الأمامية. لكنها أيضًا منطقة من الويب محملة بمختلف الأنشطة، حيث توجد المدونات والصفحات المرتبطة بالعلماء وبمنظمات معينة منبثقة من العراق وبالمصادر ذات المنحى العراقى والخطاب السياسى المحدد الذى يدخله عنصر إسلامى أو لا يدخله.

وقعت العديد من الأحداث التى كُتِبَ عنها فى العالم الحقيقى أثناء إعدادى لهذا الفصل وأنا أكتب الآن من قلب العاصفة. كانت هناك صلة متبادلة لبعض الوقت بين

مدخلات مدونتي ومحتوى هذا الفصل. وعندما كنت أكتب في ٢٠٠٨ بدا لى أن أمامي طريقا طويلا للانتهاء من تحليل الموقف العراقي. كان بإمكاني أن افترض نتائج محتملة، لكن الزاوية العسكرية كانت أصعب في تحديدها. اللغة مشحونة في أي تحليل لأي من الأطراف، وتشتعل العواطف، لاسيما في الفضاء السيبري. أضِفْ إلى هذه المعادلة ديناميات نظم الأخبار المعتمدة على الويب حيث كانت النتيجة في الكثير من الأحوال صراعًا كاملاً مُورِسَ بتفاصيل جوهرية ومروعة أحيانًا على الإنترنت. قد يُفَسَّر مثل هذا المحتوى عند عرضه على شاشة كمبيوتر بطريقة مختلفة وشخصية بأكثر مما سيكون في حالة مشاهدته جماعيًا على شاشة التليفزيون. من المؤكد أنه لا يسعنا تجاهل عناصر التفاعل، رغم أنها قد تُصاغ بصورة نمطية أيضًا في بعض الأحيان.

بالعودة إلى المسألة التي أثيرت في بداية هذا الفصل، إن هوية أو هويات من يضطلعون بهذه الأنشطة على الإنترنت ذات أهمية كبيرة. هل هم إسلاميون تحديدا أم أكراد أم شيعة أم جهاديون أم سلفيون أم بعثيون أم قاعدة أم قبليون أم سياسيون، أم خليط من هذه العناصر أم لا شيء من هذا إطلاقًا؟ هناك أشكال متباينة داخل كل هذه المصطلحات العامة وفي بعض الأحيان تحولات في الهويات لا تخطؤها العين. كما أن بعض الشخصيات الرئيسية في الفصائل الجهادية ليسوا بالضرورة عراقيي المولد. كان ثمة تصادم بين شخصيات أخرى في حركات «التمرد» في العراق مع طريقة إدارة العمليات ذات الصلة بالقاعدة، حيث إنها كانت ذات تركيزات قبلية وعلى بينة بالعواقب اللوچستية والأيديولوجية الخطيرة عند استهداف الشيعة. يتمثل التركيز الأساسي هنا على أتباع القاعدة ذوي التوجه السني.

كانت هناك أيضًا إشارات مضمرة من حيث توازن التغطية، وخصوصا من حيث المقارنة بين النشاط الجهادي ذي الصلة بالقاعدة و"التمرد" الذي لا صلة له

بتنظيم القاعدة. المؤكد أن الكفّة على الإنترنت ترجح لصالح النشاط الأول، رغم أن مواقع مثل "معلومات من العراق المحتل" عملت على تقديم موقف لتمرد عراقى متمركز حول القومية. ويمثل هذا عاملاً عامًا فى جميع التغطيات الإخبارية لهذه القضية، وهو عامل لن يأخذه بالضرورة من يتلقون بث الأنشطة العسكرية بعين الاعتبار.

ثمة عامل آخر وهو ما إن كان نشاط الإنترنت يمثل ما كان يحدث على مستوى القاعدة الشعبية؛ وهذا أمر من الصعب تحديده. المؤكد أن نسبة من المحتوى أتت من مصادر عراقية، مثل محتوى الوسائط المتعددة والبيانات "الرسمية"، لكنها وُزِّعَت على سيرفرات وفضاء ويب متاح فى جميع أنحاء العالم. لم يكن هناك نمط محدد، رغم أن الفضاء المجانى كان خيارًا شائعًا، وظهرت مواقع الرفع الموجودة فى اليابان بكثافة بين عامى ٢٠٠٥ و٢٠٠٧. يشمل هذا الإنتاج الذى أشير إليه فى الفصل السابق باعتباره تجليات الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية وما شابهها من منصات. وبات اختزال المحتوى فى المجال الجغرافى نوعًا من الرطانة بشكل متزايد – رغم أنه أسلوب تقليدى من حيث العملية الأكاديمية – فى محاولة تقديم نماذج التصنيف الأساسية لشبكات المعلومات المنتشرة التى يتعذر الإحاطة بها.

كان الإنترنت مصدرًا مهما لمعرفة التطورات فى العراق فى أوائل القرن الحادى والعشرين؛ مصدرًا كان أنصار الجهاد ومؤيدوه، بالتأكيد فى المراحل الأولى لغزو العراق، أكثر وعيًا به بأكثر من مؤيدى قوات التحالف التى تهيمن عليها الولايات المتحدة. ليس هنا مقام تفحص المناهج والأهداف الاستراتيجية لجميع الأطراف بل إنه ببساطة لا يتعدى استعراض كيفية تسهيل الإنترنت لقنوات المعرفة المتعلقة بالأنشطة وتزويدها بالمعلومات لتصبح جزءًا من الجهاد العسكرى. عمل النشطاء على ضمان تسجيل الانتحاريين على شرائط ڤيديو قبل تنفيذ عملياتهم، وتصوير استشهادهم أيضًا، وتصوير عمليات الإعدام مع مراعاة الجودة التقنية، وصدور

البيانات عن الشخصيات الرئيسية، غالبًا قبل معالجة وسائل الإعلام الرئيسية للخبر أو كوسيلة لتوفير منظور إخبارى بديل. كما كان يجرى إرسال المحتوى بالبريد الإلكترونى أيضًا وتوزيعه على قنوات وسائل الإعلام فى شكل وسائط متعددة وبيانات محظورة رسميًا. ذكر كيميدج وريدولفو جهاديين من سنَّة العراق نشروا مجموعة كبيرة من الصور، والبيانات، وأشرطة الڤيديو فى مدة يومين فى ٢٠٠٧، تراوحت بين النشرات الصحفية أو البيانات العملياتية أو المعلومات اللوچستية أو الدعاية الدينية أو مواد فى هيئة مجلة أو كل ذلك معًا. قدَّم كيميدج وريدولفو تحليلاً للبيانات وفقًا لنموذج تصنيفى، وطرحا تصنيفيا لأنشطة العمليات وأشكال الميديا إلى جانب هويات جماعات "المتمردين" المحددة التى تنشر المحتوى على موقعين رئيسيين. ليس هذا إلا جزءًا من الصورة المعقدة، يضاف إليها توزيع كمية هائلة من المحتوى من قِبَل الأطراف والمصالح الأخرى.

وفَّر الإنترنت أيضًا من الناحية العملياتية سبل تنظيم وتسهيل الإجراءات اللوچستية والتمويل والدعاية للجماهير المحلية والإقليمية والعالمية من جميع الانتماءات الدينية بدقة. سعى الكثير، لكن ليس كل مقدمى المحتوى، إلى تسليط ضوء دينى على موادهم باستخدام رموز ولغة دينية. كانوا يعملون على ضمان توزيع المحتوى، بسرعة بطريقة تجنب بها الرقابة (حتى التوزيع المبدئى على الأقل) وقدموه فى هيئة أشكال عالمية يسهل نسخها. أتيحت المعلومات بشأن أماكن المواد من خلال قوائم البريد الإلكترونى، ولوحات المناقشات، والسيرڤرات المركزية. هناك إشارة إلى "المصداقية"، لكنها ليست مضمونة دائمًا، باستخدام شعارات محددة ومعايير تصميم المواقع ومن خلال طبيعة المحتوى الجرافية التى يصعب تقليدها. استحوذت الطبيعة المباشرة للڤيديوهات على اهتمام وسائل الإعلام والحكومات الدولية بل وقطاع من الجمهور المسلم العالمى أيضًا.

شكَّل مثل هذا المحتوى جزءًا من خلفية أوسع لتصوير العنف الذى يحدث فى

العراق بوجه عام، ولاسيما تصوير ضحايا التفجيرات بالڤيديو (من كل الأطراف). يمكننا أن نتساءل إلى أى مدى يتحصن جمهور مشاهدى التليفزيون، خصوصًا عندما يظهر المحتوى المعروض على قناتى الجزيرة والعربية أكثر وضوحًا وصراحة فى إظهار العنف (ونتائجه) من وسائل الإعلام الغربية. ربما شعر منتجو أشرطة ڤيديو الإعدام أنه كان عليهم الوصول بدرجة العنف إلى مستوى معين لتحقيق الأثر المطلوب. لم يُبْدِ جمهورهم بالضرورة تعاطفًا جامعًا مع مثل هذه المواد، وأعرب الكثيرون عن ذلك على الويب. ربما عانوا بشكل مباشر أو غير مباشر بسبب وجود هذه الأفلام والدعاية التى استقطبتها، لاسيما فى سياقات الأقليات المسلمة.

ثمة اقتراحات مفادها أن بعض الجهاديين المحتملين صاروا متطرفين من خلال المحتوى الاستفزازى والعنيف وأنهم سيقوا إلى طلب المشورة بل والعضوية عبر فضاء الويب ذى الصلة. هناك إشارة أيضًا إلى وجود اعتقاد حتى بين بعض أنصار القاعدة وأتباعها أن لدى بعض المحتوى على الإنترنت القدرة على تحويل التعاطف والدعم المحتملين بعيدا عن القضايا الجهادية، خصوصًا عندما يكون الضحايا مسلمين آخرين ويُعرض مصرعهم ضمن المواد التى تبث على الويب. بات موفرو المحتوى ومنظموه على الإنترنت لاعبين مهمين فى كيفية التعبير عن الأنشطة الجهادية أمام العالم الأوسع، حيث صاروا جزءًا من الخطاب على الإنترنت الذى يعرض خصومهم، فضلاً عن المتعاطفين معهم، وغيرهم من المراقبين. وتشكل قدرة قوات الأمن على "التسلل" ومراقبة مثل هذا المحتوى أيضًا جزءًا من معادلة المعرفة.

من المحتمل أنه كان لتوقف موفرى المحتوى عن الإنتاج – المؤلفين سواء أفرادًا أو جماعات والمترجمين والناسخين والمصممين والقائمين على فلترة المعلومات والمهوسين بالتقنية – سواء نتيجة لوقوعهم فى الأسر أو الوفاة أو الرقابة على مزودى خدمات الإنترنت، كان لهذا أثره على نوع الأنشطة التى كانت تحدث فى

"العالم الحقيقي". ويتطلب وضع الأفلام الرقمية على الإنترنت، في هيئة نُسخ تخضع للمونتاج إلى جانب وضع الشعارات والبيانات، وجود سلسلة من الوسطاء. ومن المحتمل أن غيابهم أو توقفهم القسري كان له أثرٌ على توقيت العمليات.

بدا أن الناشطين في العمليات كانوا على وعي عالٍ بإمكانيات استخدام وجودهم على الويب لتبرير أنشطتهم من خلال صور ولغة دينية. كان توفير شريط فيديو على الويب وغيره من وسائل الإعلام لحظة حدية ذات أهمية، تتيح انتقالاً من المؤيِّد إلى الشهيد والعكس صحيح. تيسر ذلك من خلال استخدام أدوات فاعلة تكنولوجيًا بصورة متزايدة (في كثير من الحالات) من إضاءة وموسيقى وصوت ومونتاج وخلفية والرفع على موقع مناسب. وفيما كانت الإصدارات السابقة في معارض صور وفيديوهات الشهداء تنشر بأثر رجعي في أغلب الأحيان حيث كانت تعرض عادةً ناشطين قضوا منذ فترة طويلة، أصبحت الإصدارات الآن فيديوهات استباقية تجهز بصفحات معدة للنشر على الإنترنت مباشرة بعد تنفيذ العملية.

للمشهد العراقي أهمية كبيرة في هذا الصدد، حيث أصبح سياقًا للتكثيف المطلع لتطبيقات التقنيات المستندة إلى الإنترنت للدعوة للجهاد. وتماشى ذلك مع تحسينات تكنولوجية متوازية مثل إمكانية الوصول إلى الاتصالات السلكية واللاسلكية وعرض النطاق الترددي، ومونتاج أفلام الفيديو، وفضاء الويب المجاني، وأدوات عدم الكشف عن الهوية، والمعدات الأرخص، وزيادة الإلمام بالتقنية في أوساط أهم الجهاديين وجمهورهم. أتاحت كثافة الأنشطة المبنية على الويب والمتعلقة بالعراق، بطرق عديدة استنبات الأبحاث وتنميتها. قد لا يتمتع بعض المحتوى ببريق التكنولوجيا الرفيعة التي تمتاز به منتجات الوسائط المتعددة، لكن المؤكد أن هناك فرصًا للاستفادة من حزم برامج المونتاج الرقمية والرسوم المتحركة، وشرائح العرض، وتكنولوجيا البث.

هنا أيضًا يجب أن نستحضر مسألة التسويق الفيروسي بخاصة، كما أن دور

البوابات المحددة حيوى فى تسهيل تسويق الأنشطة الجهادية فى العراق عالميًا ومن شخص لآخر. اكتسب ربط هذه المواد بالقضايا الإسلامية أو السياسية الأخرى أو كليهما أهمية أكبر مع ظهور الصور الفوتوغرافية التى التقطت لإساءة أفراد الجيش الأمريكى معاملة الأسرى فى سجن أبو غريب على الإنترنت.

تحدد ظهور عناصر الجهاد الإلكترونى المرتبط بالعراق، عقب غزوه من قبل قوات التحالف فى ٢٠٠٣، من خلال سلسلة من البيانات والتصريحات العنيفة والمصممة بأسلوب تفصيلى على الإنترنت. وكان لهذا علاقة مباشرة بخلق واجهة للأردنى أبى مصعب الزرقاوى (المعروف أيضًا باسم أحمد فضيل نزال الخلايلة [١٩٦٦- ٢٠٠٦]). وكان ذلك بالتعاون مع منصاته المرتبطة به وهى جماعة التوحيد والجهاد وقاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين.

لطبيعة هذه الأنشطة علاقة مباشرة بتواجد تكنولوجيا المعلومات، ولاسيما الطرق التى عملت من خلالها على التوزيع السريع للرسائل الدينية والسياسية المرتبطة بهذا النوع من العمل (عن طريق أنصارها). فى الثمانينيات وحتى منتصف التسعينيات، كان من المحتم أن تكون طبيعة تلك الرسائل وانتشارها غير عملية ومستحيلاً فى السبعينيات، بل وربما أنها مثلت تحديًا لوجهات النظر الإسلامية الأخرى، خاصة المنصات الأقل صخبًا والأكثر هدوءًا سياسيًا الساعية إلى إيجاد حلول بديلة للقضية العراقية، وأيضًا تلك التى تمتاز بوعى أقل بالتكنولوجيا.

لابد من التأكيد على أن المنهجيات التى استخدمها الزرقاوى وغيره تجاوزت المعيار الطبيعى وكانت كثيراً غير مسبوقة فى نطاقها. ولا يزال التساؤل قائمًا حول ما إذا كان الزرقاوى، من خلال تطويره لمكانته بالنسبة للبعض بوصفه "عالمًا" أو رجل دين عبر نشاطه على الإنترنت، قد حدد هذا النشاط كعنصر من عناصر "الاجتهاد" (بالمعنى السنى لتفسير شخصى وبرجماتى للمصادر الإسلامية

استجابة للقضايا المعاصرة). لم يتلقَ الزرقاوى تدريبًا تقليديًا فى العلوم الإسلامية، وبالتالى سيكون فى نظر البعض غير مؤهل لإصدار تصريحات أو فتاوى دينية.

لم تكن الناحية العلمية هى التى جذبت الانتباه العالمى إلى الزرقاوى؛ لكنه اكتسب مكانته باعتباره متمرداً بالنسبة للبعض أو مقاتلاً من أجل الحرية بالنسبة للبعض الآخر، رغم أننى لا أنوى تكرار الآراء القديمة عن المكانة هنا بالتفصيل. أهم عمل أدى إلى تسارع واجهة الزرقاوى، سواء على الإنترنت أو فى العالم الحقيقى، هو اغتيال نيكولاس بيرج فى ٢٠٠٤. من المفارقات المؤكدة هنا أن بيرج كان مهندس اتصالات أمريكياً سافر إلى بغداد لتركيب معدات شبكات لاسلكية للإنترنت وتعزيزها. نُشِرَ أسرْ بيرج وإعدامه لاحقًا عبر الإنترنت عن طريق رفع ملفات ڤيديو على موقع منتدى الأنصار على الويب.

أحدث هذا أثرًا مدويًا فى جميع أنحاء العالم، رغم أن هذا العمل لم يكن الأول من نوعه؛ حيث كان لعمليات الإعدام المصوَّرة بالڤيديو سوابق كان لابد من الإشارة إليها. بيَّن قتل أنصار القاعدة الصحفى دانيال بيرل فى كراتشى فى ٢٠٠٢ السبل التى يمكن من خلالها للويب أن يتجاوز منافذ الميديا التقليدية ويفتح آفاق الدعاية من أتباع القاعدة إلى الجمهور الأوسع، بدءًا من المحللين إلى المتفرجين. ذكرت إحدى الروايات أن "فيلم ڤيديو مقتل بيرل المروع، والذى شوهد فى جميع أنحاء العالم عبر الإنترنت، كان فى واقع الأمر إعادة بناء جزئية لما حدث قبل لحظات قليلة، كما قيل للضباط ... أخطأ عامل الكاميرا حين فاتته لحظة وفاته، والتى أعاد تمثيلها قَتَلَتُه بعد ذلك، قبل قطع رأسه".

وبالمثل، تمنح عمليات إعدام الجنود الروس المصوَّرة بالڤيديو، والتى تُوَزَّع على مواقع الويب الشيشانية، واجهة دعائية للمجاهدين لم يحققها إنتاجهم المطبوع. بيَّن مقتل بيرج الذى نُشِرَ على نطاق العالم كيف استطاع مزيج متواضع تكنولوجيًا نسبيًا من كاميرا وكمبيوتر وشبكة إنترنت، عند توصيله بالقنوات المناسبة، جذب

جمهور عالمي. تمتاز القنوات نفسها بأنها مطلعة. ظهر الڤيديو على عدد من المواقع غير الإسلامية ذات الطبيعة المتلصصة أو المتوجهة نحو الرعب أو كليهما، من بينها صفحات لأحد أصحاب نظرية المؤامرة. كما جرى تداول روابط لروابط على الويب بسرعة في غرف الدردشة. وأبطل الاستنساخ السريع للڤيديو محاولات لإغلاق القنوات الأصلية التي تعرضه: "الڤيديو ذو نوعية رديئة، ويبدو من علامة الوقت أن هناك فارق ١١ ساعة بين انتهاء المهاجمين من بيانهم ودفع بيرج إلى أسفل حتى يتسنى لهم ذبحه. ويشير هذا ضمنيًا إلى وجود تأخير بين هذين الجزئين من الشريط المنشور على الموقع على الويب".

أسس الڤيديو شكلاً تقليديًا لجرائم القتل الأخرى ودفع إلى تحسين نوعية الإنتاج، إضافة إلى الارتقاء بجودة الشعارات والموسيقى، والصوت والصورة، إلى جانب بث أفضل. تسبب مقتل بيرج في طفرات في حركة المرور على عدد من مواقع الويب والمدونات التي ذكرته، من بينها صفحاتي نفسها، رغم اختياري عدم الارتباط بالعنوان على الإنترنت مباشرة. غمر الموقع الأصلي طوفان من الزيارات وأُغلق في النهاية من قبل مزود خدمات الإنترنت الماليزي. أثار شريط الڤيديو جدلاً بل وفضولاً ربما بنفس القدر.

مَثَّلَ مقتل بيرج الذي اقترن بالطرق التي بها جرى تداول الصور من سجن أبي غريب على الإنترنت تحولاً كبيرًا في تطور البيئات الإسلامية السيبرية لم يَغِبْ عن بال المعلقين الآخرين. ذكرت صحيفة "البحرين تريبيون ديلي": "قطع رأس الرهينة الأمريكي - على الهواء-، أيًا من كان وراءه، عمل بشع، ويدانيه في فظاعته سوء المعاملة النفسية والمعنوية والجسدية للسجناء العراقيين". ويعتقد المؤرخ فليب نايتلي أنه يمثل "عصرًا جديدًا في بروباجندا زمن الحرب". بدأ عدد من نظريات المؤامرة يظهر على السطح حيث شككت بعض الدوائر في صحة شريط الڤيديو، وتضمنت اقتراحات بوفاة الزرقاوي - وهي النقطة التي تلقفها البعض في غرف المناقشة.

ومن خلال الاستفادة من تجاربنا السابقة، كان من الواضح أن الأمر لم يكن كذلك، لكنه لم يوقف استمرار الحوار حول جوانب الڤيديو المختلفة، وهو الحوار الذى لا يزال يثير الاهتمام على الويب رغم السيل المتواصل من الضحايا فيما بعد. يمكن أن نجد أيضًا الڤيديو والتعليقات التى "تحتفى" بالإعدام على لوحات المناقشة والمدونات، والتى كثيراً ما تُستمد من مواقع رئيسية بأسلوب القص واللصق.

ظهرت تصريحات وبيانات أخرى من الزرقاوى بانتظام على مجموعة متنوعة من مواقع الويب والمنتديات، تشير إلى دور هذا الوسيط الأساسى كقناة فورية لعرض بياناته وڤيديوهاته "الرسمية"، وشملت هذه المجموعة تسجيلات لأعمال الانتحاريين. توجد فى بعض الأحيان منافسة على الإنترنت حول المسئولية عن الأعمال الجهادية. ومن الأمثلة الأخرى للإلمام بالناحية التقنية، دارت مناقشات أيضًا حول كيفية الاستفادة فنيًا من الڤيديوهات بغرض "تحسين" الجودة الفنية السمعية والبصرية على الإنترنت. ووفقًا لأحد التقارير، كانت حركة التوحيد والجهاد تستخدم تكنولوجيا بث الڤيديو المتاحة تجارياً والتى طورتها إحدى الشركات البريطانية. وأدى ذلك إلى اهتمام بالغ بكيفية استخدام الزرقاوى والتوحيد والجهاد للويب كوسيلة جذب المزيد من المجندين والتمويل. كان الجانب السابق أكثر شفافية بطبيعته، مع تحميل الويب وما يتصل به من غرف الدردشة بلغة من شأنها جعل أى حملة جهادية جذابة لبعض القراء.

أدلى الزرقاوى أيضًا ببيانات تركز على قطاعات معينة من الدوائر المسلمة مثل تركيا. ارتبطت قضية الجندى الأمريكى الذى يبدو أنه اختطف فى العراق، وعاد للظهور فى وقت لاحق مع عائلته فى لبنان، بعنصر الإنترنت أيضًا، حيث ظهرت مناقشات (قبل عودته للظهور مرة أخرى) على منتديات الإنترنت حول شرعية احتجازه كرهينة. وأضفت الادعاءات التى ظهرت لاحقًا أن إعدامه كان على الإنترنت فقط بعداً مثيراً. بيّن اختطاف الرعايا الأجانب الآخرين فى العراق

وعودتهم للظهور مرة أخرى على الإنترنت تطوراً وتعقيداً متزايداً في استخدام هذا الوسيط وإدراكًا ساخراً لكفاءته حينما يعرض صوراً للعنف على جمهور عالمي.

تجلى الإدراك بإمكانية زيادة زخم احتجاز الرهائن عن طريق استخدام عروض في حلقات للفيلم على الإنترنت في كامل صوره من خلال اختطاف المهندس البريطاني كين بيجلي وقتله. في هذه الحالة بالذات، أدلى بيجلي بعدة بيانات موجهة إلى الكاميرا مباشرةً. وسجِّل أحد تلك البيانات قبيل إعدامه. استهدفت بعض تعليقات بيجلي تصريحات أدلى بها رئيس الوزراء توني بلير على وجه التحديد (أو كانت ردود فعل لها). وشملت هذه التعليقات مناشدات بيجلي للامتثال لطلب رهينة الزرقاوي، وكان من بينها إطلاق سراح السجناء.

بيجلي واحد من مجموعة من ثلاثة رهائن غربيين كان مطلوب القبض عليهم. قُتِلَ الآخران، وهما الأمريكيان جاك هنسلي ويوجين آرمسترونج أولاً. كما وضعت ڤيديوهات ذات صلة على الإنترنت. وباءت حملة على الإنترنت سعت للإفراج عن الرهائن بالفشل، ووضعت روابط لبيانات أصدرها مسلمون بريطانيون بارزون، فضلاً عن شخصيات عالمية مثل ياسر عرفات والزعيم الليبي معمر القذافي، لكن كان مصيرها الفشل أيضًا. داهمت الشرطة الهولندية منزل پول شقيق بيجلي وصادرت بيانات جهاز الكمبيوتر الخاص به بسبب اتصالات مزعومة مع الزرقاوي. كانت هناك اتهامات بأن وسائل الإعلام بالغت بشأن حادثة الاختطاف، وربما أدى هذا إلى دعم أنشطة الزرقاوي، فيما أُتهِمت السلطات البريطانية بعدم القيام بجهد كافٍ لإنقاذ كين بيجلي. وُصِفَت هذه السلسلة من الأحداث بأنها "لعبة بوكر غامضة": "ذكر أندرو كاين، وهو جندي سابق بقوات الطيران الخاصة ويعمل حالياً مستشاراً أمنيًا في بغداد: – من الواضح أن الزرقاوي لديه وسيلة فاعلة للغاية لمراقبة وسائل الإعلام الدولية والإنترنت؛ فهو يلتقط رد فعل الأُسَر في البلاد، ويستغله. هذا هو الإرهاب الإعلامي –".

وقع تسلسل مشابه للأحداث فى عملية اختطاف المواطنة العراقية المولودة فى بريطانيا وعاملة الإغاثة مارجريت حسن وإعدامها على ما يبدو فى ٢٠٠٤. نُشِرَ ڤيديو مارجريت حسن المستمد من الإنترنت جزئيًا فى أقسام من الميديا العالمية، ليولِّد ردة فعل صاخبة، لاسيما فى المملكة المتحدة. كما ظهر أيضًا ڤيديو لاختطاف صحفييْن فرنسييْن طالت مدته على الإنترنت. وأعلن عن جريمة قتل الدبلوماسى المصرى رفيع المنزلة إيهاب شريف فى العراق فى يوليو ٢٠٠٥ من خلال الإنترنت، عن طريق متحدث رسمى بارز. "عوقب" الشريف بسبب "جرائم دينية" ولأنه يمثل "حكومة مستبدة".

واكب تغيير التوحيد والجهاد لاسمها لاحقًا إلى تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين فى أكتوبر ٢٠٠٤ زيادة فى البيانات التى تظهر على الإنترنت، مثل تلك البيانات المتعلقة بذبح "السائح" اليابانى شوسى كودا. ادعت أنصار السنة مسئوليتها عن اغتيال مسئولين كبار فى بغداد، إلى جانب إعدام عمال أجانب وسائقين وأفراد فى قوات الأمن العراقية. عمل الخبراء السوسيولوجيون والنفسيون على التنظير للأثر الذى قد تحدثه مثل هذه الڤيديوهات على مختلف المشاهدين: "الإرهابى قد يصبح قاتلاً نتيجة لمشاهدة العنف يحدث أمام عينيه أو رؤيته على شاشة التليفزيون، كما يقول الباحثون. القول بأن الإرهابيين شبان ضعفاء منعزلون مصابون بالبارانويا أو اضطرابات الشخصية الحدية ليس إلا أسطورة".

من الجلىّ أن التداول شبه الفورى لصور العنف بشكل مباشر من مصادر جهادية كان له أثر عندما بدأت تلك الصور نفسها فى الظهور فى نشرات الأخبار فى جميع أنحاء العالم. تحددت حملات و"انتصارات" معينة من خلال إطلاق ملفات ڤيديو عبر الإنترنت مضمونٌ جذبها لانتباه وسائل الإعلام الإقليمية والعالمية، فضلاً عن جمهور مخلص من مؤيدى الجهاد على الإنترنت. وكان إطلاق "بركان الفلوجة" فى يونيو ٢٠٠٤ مثالاً بارزًا جمع بين الأناشيد، وفيلم عن الهجمات على المركبات

العسكرية الأمريكية، وأشرطة ڤيديو عن "الشهداء" الجهاديين. كما أظهر الڤيديو أيضًا مقتل مقاولين أمريكيين عُلِّقَت جثثهم على أحد الجسور. فتح التداول المعولم لهذا المحتوى وغيره من المحتويات ذات الصلة، والتى تُنْشَر فى وسائل الإعلام، الباب أمام التكهن فيما يتعلق بأثر ذلك. من الواضح أن هناك آثارًا قصيرة ومتوسطة وبعيدة المدى على مستويات عديدة لإنتاج مثل تلك الصور واستهلاكها.

يمكننا القول إن هناك حاجة إلى فعل واع وسعى حثيث للبحث عن أكثر المواد عنفًا على الإنترنت. وهذا فى حد ذاته ليس عملية سهلة دائمًا إذا لم يكن مستخدم ويب الفرد يعرف نقاط الدخول المعتادة وغرف الدردشة التى يمكن أن تظهر فيها مثل هذه المعلومات. ومع ذلك، فإنها تُوَزَّع من خلال قنوات أخرى، تُنْسَخ على أسطوانات سى دى ودى ڤى دى عراقية لتوزيعها فى أماكن تشمل "الأسواق" فى العراق وأماكن أخرى. حاولت قوات الأمن العراقية قمع عمليات البيع هذه فى أوقات مختلفة، لكنها لم تحقق إلا نجاحًا محدودًا، حيث يعتمد عليها البائعون لتوفير مصدر منتظم للدخل. الواضح أنه لم تكن هناك مخاوف بشأن حقوق التأليف والنشر، لتظهر هذه الڤيديوهات إلى جانب غيرها من المنتجات. ويمكن لهذه الأفلام أيضًا أن تتسرب إلى وسائل إعلام أخرى مثل الهواتف التى يمكن تصفح الويب من خلالها.

تبرهن أمثلة لأنواع المواد التى ظهرت بانتظام على الإنترنت ما قد تتجاهله وسائل الإعلام التقليدية. من بين هذه المواد شريط ڤيديو لهجوم انتحارى يدعى أنه قتل ثلاثة جنود بريطانيين، ويوجد على صفحات "التجديد" لمحمد المسعرى. كانت الجماعات المسلحة حريصة على وضع صور لضحاياها على الإنترنت. وسجل تقرير شاهد عيان للصحفية هالة جابر كيفية تحليل المقاتلين ومؤيديهم فى الفلوجة لأشرطة الڤيديو هذه، فى بعض الحالات بنفس الطريقة التى يمكن لمشجعى كرة القدم مناقشة الأهداف فى مباراة يبثها التليفزيون.

ظهرت مجلات وبيانات رسمية محددة تركز على العراق كجزء من هذا الإنتاج للمواد على الإنترنت. كان جيش أنصار السنة نشطين على الإنترنت، حيث كانوا ينتجون فى البداية مواداً مرتبطة بحملات فى شمال ووسط العراق. وكان لهم انتماءات تنظيمية وعضوية مع جماعة أنصار الإسلام؛ كان ذلك نتيجة لاندماج بين قوات جند الإسلام، التى يقودها أبو عبد الله الشافعى، والحركة الإسلامية فى كردستان بقيادة الملا كريكار فى ٢٠٠١.

فى ٢٠٠٣ اتهمت الحكومة الأمريكية أعضاء فى جماعة أنصار الإسلام بحماية الزرقاوى، كما اتهمها وزير الخارجية كولن باول بوجود صلات بينها وبين صدام حسين. فى بعض الأحيان، تبدو هذه المنظمات مترادفة، خاصة على الإنترنت، بالرغم من أن أعضاءها لا يشتركون دائمًا فى التطلعات الأيديولوجية نفسها. تنشر تلك الجماعات فى كثير من الأحيان مواد وتنشئ روابط لمواد متماثلة على النت، وتتبادل المنصات ومحتوى الإنترنت. أما الصوت المهيمن فيما بينها فهو لأنصار السنة، التى تضع روابط لخطب على الإنترنت يُزعم أنها للملا كريكار.

كان كريكار المقيم فى النرويج منظراً دينيًا وسياسيًا كرديًا قاد جماعة أنصار الإسلام قبل (وأثناء) المنفى. ذكرت الشرطة النرويجية التالى: "كان كريكار نشطًا أيضًا فى المجموعات النقاشية على الإنترنت، وكان يبث خطبه عبر الإنترنت إلى أكثر من ١٠٠ من أتباع أنصار السنة فى آن". أُحتجز كريكار على ذمة التحقيق فى النرويج بشأن صلات مزعومة مع مفجرين انتحاريين، حيث ركز المحققون على ما كان يبثه عبر الإنترنت. وفى ٢٠٠٧ واجه طرده من النرويج. قدمت جماعة أنصار السنة نفسها من خلال سلسلة من البيانات، ومواقع الويب، والوسائط المتعددة، والمعلومات اللوچستية، مستخدمة لغة الخطاب الإسلامى لتبرير أنشطتها. كان من أمثلة النشر السريع البارزة نشرها لمواد الفيديو المرتبطة بهجوم على المعسكر الأمريكى فى الرمادى.

باتت وسائل الإعلام على الإنترنت إضافة مهمة لأنشطة العالم الحقيقى، حيث تتبادل المنصات الرئيسية النشر، والروابط وصقل صورتها عن كثب. لا يزال المدى الذى كان الأتباع "يتصفحون" فيه "ذاتهم" موضع تساؤل، لكن منظمة الزرقاوى راقبت بشكل واضح وسائل الإعلام الأخرى عن كثب، حيث انتقدت قناة الجزيرة لنقلها "معلومات مغلوطة". كما استخدمت النت أيضًا من أجل تسهيل عمليات الاختطاف والتحقق من الهويات. تم اختطاف صحفى آخر هو سكوت تايلور حينما تأكدت هويته عبر النت. وفى بعض الحالات، يطلق أنصار المختطفين وأسرهم مواقع على الويب فى محاولة لإطلاق سراح ذويهم، وبالتالى ينشئون سلسلة من الأنشطة والنداءات والمفاوضات على الإنترنت.

لفت إنتاج المنصات ذات المنحى الجهادى على الإنترنت وذات الصلة فى العراق انتباه وسائل الإعلام فى العالم. أعرب البعض عن مخاوفه بشأن وجود مواقع على الويب، وكانت من بؤر الاهتمام فى ٢٠٠٥ استخدام ٣٥٧ شركة استضافة مواقع فى هولندا كمنصة للمواقع الجهادية. سلّط الضوء على دور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فى صعود الزرقاوى عندما وردت إشارات ضمنية بشأن حيازة جهاز الكمبيوتر الخاص به فى إبريل ٢٠٠٥، رغم أنه لم يجرِ الكشف عن عمق المحتوى المستمد من القرص الصلب بشكل كامل. ولم يبدُ أن هذا الأمر كان له أى تأثير محدد على نشاطاته أو تصريحاته عبر الإنترنت، والتى يبدو أنها أُطلقت من خلال وسطاء.

فى الشهر نفسه، أطلق الزرقاوى موقعًا كرديًا على الويب بعنوان "بجى جهاد" أو "الجهاد الحى" المرتبط بمنصة أنصار السنة. كان ينشر البيانات والبث السمعى بانتظام، ويشجع على العمل وتبرير الحملات باسم الإسلام. وكان لأنشطة التعزيز على الإنترنت هذه أثر نفسى عميق على القراء عن طريق الإيحاء بأن الزرقاوى ما زال حيًا ونشطًا، حتى بعد الهجوم الذى كاد يؤدى إلى القبض عليه.

أطلقت سلسلة من ڤيديوهات الإعدام من الزرقاوى وأتباعه تعرض استجوابات وبيانات من الضحايا (العراقيين ومجموعة من جنسيات أخرى)، ومقتلهم إثر إصابتهم بأعيرة نارية أو ضربات سكين. كان من بين الضحايا جنود وموظفون دبلوماسيون وموظفو العمل الخيرى ومقاولون ومدنيون؛ وكان من بينهم مسلمون من خلفيات دينية مختلفة، وكذلك من أتباع الأديان الأخرى. قُتِلَ بعض الضحايا بالداخل فى موقع "الاستوديو"، وتظهر وراءهم خلفية من لافتات مرتبطة بالزرقاوى. بينما جرى تصوير آخرين فى الهواء الطلق، بل حتى فى "فضاء عام" واضح – مثل التصوير فى الشارع الذى يظهر فيه المارة. تدفقت هذه الأفلام، مصحوبة بفيلم للهجمات الانتحارية، على الإنترنت عن طريق شتى لوحات المناقشة ومواقع الرفع.

ظهرت فى أماكن أخرى على نفس المواقع صور وبيانات من "الشهداء" الذين قاموا بعمليات، وهى جزء من ظاهرة مواقع "الشهيد" على الويب: "يحقق شباب مثل فهد [وهو جهادى سعودى قُتِلَ فى العراق فى ٢٠٠٤] من خلال مواقع الويب الإسلامية وصناعة البروباجندا مكانة أسطورية كنجوم الروك؛ إذ توضع صورهم على الويب، وتعرض مآثرهم بصورة جميلة، ويكتب أقاربهم والغرباء قصائد عن بطولاتهم. ويخلق هذا دورة استشهاد يقرأ قصصهم فيها شبان آخرون لا يهدأ لهم جانب يستمدون من تلك القصص الإلهام والغاية ويقررون أيضًا التطوع للموت فى العراق".

شكَّلت بيانات الجهاد ومذكراته فرصة ساعدت الزرقاوى فى تجنيد المجاهدين، وإن كانت هناك إشارات توحى بأن الدعم اللوچستى المالى كان أكثر أهمية من المقاتلين غير المدربين. أُستخدم الويب أيضًا كأسلوب لمحاولة إثناء المجاهدين عن المشاركة فى العمليات "الديمقراطية" المرتبطة بمختلف الانتخابات فى العراق. جرى توجيه إنتاج الزرقاوى، فى بعض الأحيان، نحو جمهور محدد. وهكذا، أصدر الزرقاوى فى يوليو ٢٠٠٥ بثًا (فى هيئة ملف صوتى) داعيًا النساء للمشاركة فى

الجهاد: "جاءت الخطبة التى استمرت ساعة كاملة، ونُشِرَت على منتديات الإنترنت الإسلامية، بعنوان «الدين فى انحدار، وأنا ما زلت على قيد الحياة». ويتساءل الزرقاوى فى إشارة إلى النساء المسلمات «ماذا فعلتن لهذه الأمة؟ ألا ترين الرجال وهم يمتطون صهوة جيادهم ويحملون السلاح للجهاد. فلمَ لا تحرضن أزواجكن على القتال فى الجهاد ضد الكفار؟»".

لكن لابد من إعادة قراءة هذه المواد داخل سياقاتها الإقليمية والعالمية، وكذلك داخل العراق. كان اللاعبون الرئيسيون داخل شبكات كالقاعدة وأنصار السنة، على سبيل ذكر كيانيْن كمثالين على تلك الأنشطة، على وعيٍ تام بالعناصر والفرص العالمية التى تتوفر من خلال عرض أنشطتها على الإنترنت. وهذا قد يعكس خبرات أعضائها داخل البلدان المختلفة، والخبرة الشخصية واستخدام تكنولوجيا الكمبيوتر. هذا لا يعنى بالضرورة أن الزعماء يجلسون على أجهزة اللابتوب الخاصة بهم، ليؤلفوا المحتوى بأنفسهم، رغم أن ما يُنشر يخرج باسمهم. وفَّر النمو فى مجال الإلمام بالمعلومات والوصول إليها جيلاً (لا يقيم بالعراق فقط) على دراية بالإنترنت والفرص التى يتيحها للانتشار والحصول على الدعم اللوچستى.

ينعكس الإلمام بالمعلومات من خلال بذل جهود متواصلة لوضع محتوى لوچستى على الإنترنت وإتاحة الوصول الفورى إلى الڤيديوهات والبيانات والمحتوى التفاعلى. ومن الأهمية أن نتساءل حول مدى تحوُّل التفاعلية على الإنترنت من خلال مواقع الويب، وغرف الدردشة، ورسائل البريد الإلكترونى إلى أنشطة فى العالم الحقيقى، أو أنشطة متزامنة معها. علينا أيضاً أن نتفحص مرة أخرى الأسئلة الرئيسية فى هذا الميدان: هل يمكن أن تسمى مثل هذه الأنشطة أنشطة "إسلامية"؟ وربما يمكن طرح هذا السؤال بالمقلوب: هل ينبغى ألاَّ تكون الأنشطة على الإنترنت إلا أنشطة إسلامية فى اتجاهها، على الأقل بالنسبة لأهم شخصياتها على الإنترنت؟ قد يقول البعض إن ما يقدمونه مزيج بين عناصر عراقية وإسلامية محددة. بينما قد يرى

البعض الآخر أنها عناصر خاصة بشبه الجزيرة العربية بشكل أساسى تَستخدم بطبيعة الحال لغة دينية عربية إسلامية كوسيط إلى جانب امتدادات «pgp» و«xml». ليست معتقدات الشخصيات الرئيسية الدينية الفردية موضع شك، رغم أن كثيراً من الناس تحدوا مصداقية تفسيراتهم وصحتها. يمكن أن يُعتبر هذا فهمًا متشدداً ضيقا للعقيدة، وإن كان يؤمن به قطاع عريض.

أُمتُدِحَ الزرقاوى على مواقع جهادية عديدة عقب قتله إثر هجوم صاروخى فى ٧ يونيو ٢٠٠٦. تواصل وجوده على الإنترنت، بشكل من الأشكال، من خلال ڤيديو دعائى أُطْلِق قبل مقتله ببضعة أسابيع. وكان هذا الڤيديو قد أسهم فى الواقع فى تحديد القوات العراقية والأمريكية لمكانه. وظل شريط الڤيديو الذى يظهر فيه وهو يطلق النار من بندقية متداولاً بعد وفاته. كما ظهرت صور جسده "الشهيد" فى العديد من المواقع، إلى جانب دعوات للانتقام ومطالبات بتبوئه درجة "الشهادة". ضمنت البنية التحتية المحيطة بخليفة الزرقاوى "الشرعى"، أى أبو أيوب المصرى، المعروف أيضًا باسم أبى حمزة المهاجر، انتشار أنشطته (من بينها عمليات الإعدام) والبيانات على نطاق واسع عبر الإنترنت. وفَّرَ اللابتوب والهارد ديسك المحمول اللذان عثر عليهما وسط الدمار الذى اكتشفت فيه جثة الزرقاوى دليلاً آخر على أهمية تكنولوجيا المعلومات لحَمَلتِه، فضلاً عن توفيرها مزيداً من المعلومات للأجهزة الأمنية.

أصوات أخرى فى العراق

تجدر الإشارة إلى ظهور مجموعة متنوعة من الأصوات العراقية الأخرى – لا تبث مباشرة فقط على الإنترنت بل أيضاً تعتمد على الويب بدرجات مختلفة لتسهيل أجنداتها. ربما لا تقل تلك الأصوات تشدداً، لكنها عادةً تدعو إلى رؤى وطرق، إن لم تكن منهجيات، لمعالجة القضايا فى العراق من منظور دينى. وكما هو حال قطاعات أخرى من الفضاء السيبرى الإسلامى الموجه نحو تأكيد وجوده داخل

المجتمعات من خلال الأنشطة العسكرية، فقد تستعصى تلك الدعوات على التصنيف.

ربما تعيَّن علينا عرض نموذج شريحة من مختلف المجموعات لها تفرعات شتى تستجيب لأجندات ومصالح محددة، مثل تفرعات الصدر العسكرية، والسياسية، وتفسيرات الصدر القرآنية. وما زالت هذه التفسيرات لا تراعى حدوث تلك التقاطعات بين شتى التفرعات، خاصةً حينما نبدأ فى دراسة فضاء الويب المرتبط بمقتدى الصدر (١٩٧٤-) وجيش المهدى، الذى يُصَنَّف أيضًا باسم حركة "الصدريين".

تشمل مواقع جيش المهدى على الويب موقع muqtada.com الرسمى، واللافت لعرضه صورة مقتدى إلى جانب صورة لوالده الذى اغتيل محمد صادق الصدر (١٩٤٣- ١٩٩٩) وعمه الذى أُعدم آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (١٩٣٣- ١٩٨٠). يضم موقع muqtada.com معلومات عن سيرة لهؤلاء الأعلام وغيرهم من "الشهداء"، ومن بينهم إخوة الصدر الذين تعرضوا للاغتيال. قدم هذا الموقع بيانات موجزة جداً حول عناوين الأخبار لكنه كان يجرى تحديثه بانتظام. عرضت روابط لأحد المراكز الإسلامية تلاوة قرآنية صوتية للمنشاوى و"أدعية" متنوعة الموضوعات فى هيئة ملف صوتى. من المهم تحديد ما إذا كان هذا الموقع يعتبر موقعًا جهاديًا (شيعيًا) أم ذا طبيعة فقهية، مع الأخذ فى الاعتبار مجموعة التأثيرات المختلفة.

ارتبط الصدر أيضًا ارتباطًا وثيقًا بآية الله العظمى كاظم الحسينى الحائرى، والمرتبط بدوره بآية الله خامئنى الذى كان يقيم بمدينة قُمْ. فكَّ الحائرى ارتباطه بالصدر فى ٢٠٠٣، عن طريق استخدام موقعه الإلكترونى لإصدار بيان يوضح فيه ذلك. يمثِّل الحائرى على الإنترنت موقعُ ويب رسمى يتضمن فتاوى تعارض الاحتلال الأمريكى للعراق صدرت على ما يبدو فى ٢٠٠٤ لكن مكتبه "نفاها" فيما

بعد. تلقى أتباعه والحجيج إلى المزارات المقدسة رسالة عند زيارة مدينة قم تدين القوات التى تقودها الولايات المتحدة. وظهرت فتوى مماثلة فى ٢٠٠٣ نُقِلَت عن طريق مكاتب الحائرى فى بغداد والنجف وغيرها، وتظهر فى المناطق الشيعية على شبكة الويب، من بينها منتدى "أهل البيت" للمناقشة.

ثمة شبكات وولاءات معقدة داخل العراق، لا تتمثل نسبة كبيرة منها فى الفضاء السيبرى، قد توجد هذه الشبكات المحلية فى الفضاء المدنى، رغم تحدى الديناميات الداخلية والخارجية لهذه الفكرة برمتها فى زمن الصراع الاستثنائى هذا. إذا تمثل أحد الميادين الرئيسية فى حَىّ سكنى من خلال موقع ويب محورى مثل موقع muq-tada.com، يركز على الولاءات السياسية والدينية، نجد أن لوحات النقاش وقوائم البريد الإلكترونى تمثل المقاهى والمطاعم حيث تُناقش قضايا الحياة الحقيقية أثناء تناول القهوة وتدخين الشيشة، فى الأوقات الأكثر أمنًا بالتأكيد.

فى هذا الفضاء المدنى لابد لنا أن نسلط الضوء على أن مسارات الاتصالات التقليدية تعرضت للتدمير أو لم تكن موجودة من قبل. وُضِعَت قيود على الوصول إلى الإنترنت وكان الوصول إلى النطاق العريض نادرًا (فيما عدا داخل المنطقة الخضراء). كما تواجدت قيود أخرى على الوصول إلى الإنترنت فى ظل فقر معقل الصدر الحضرى (أى مدينة الصدر). ربما لا يكون الوصول إلى النت أولوية للبعض فى مناطق الصراع، حيث يحتل بقاء الإنسان وأمنه الأهمية القصوى، ويجرى الاعتماد على مسارات المعلومات التقليدية.

كان المسجد ضمن هذا النموذج الصدرى يمثل محورًا مركزيا للاتصالات، فى وجود الإنترنت عقدة أساسية فيه؛ ويمكن قلب هذا النموذج ضمن نموذج الزرقاوى، حيث ثمة تركيز دولى أكبر على الأمور اللوچستية والمشاركة. إلا أنه بالإمكان إضافة أنه فى المعادلة الصدرية فإن ثمة عناصر خاصة باللوچستية والاتصالات ما زالت خافية عن الأنظار. وكما اعتمدت الحركات الشيعية فى الماضى على التباين

ووضعت أئمتها "في حالة احتجاب"، لا تزال المعلومات عن حركة الصدر غامضة في كلٍ من العالم الحقيقي والفضاء السيبري. تستدعي الصلات مع لبنان وإيران إلى جانب غيرها من العقد الخارجية الأخرى إدماج النشاط السيبري؛ لكن المؤكد أن هناك تكهنات بشأن التواصل بين إيران والصدر، خاصة بالنظر إلى علاقة إيران بخصم الصدر، وهو آية الله السيستاني.

توجد صورة الحائري على الصفحة الأولى من موقعه، يظهر فيها يرتدي عباءة آيات الله. هناك نُسخ من إنتاجه العلمي، من بينها مؤلفاته في الفقه والمعرفة الدينية، وأرشيفات مفصلة بالفتاوى. وتُعرض "البيعة" على الصفحة الأولى، إذ تتيح للمتصفح من خلالها تقديم انتمائه إلى الحائري. كما أن عنوان البريد الإلكتروني الخاص بمنظمته متاح أمام الاستفسارات، إلى جانب أرقام تليفون مكتبه بمدينة قم. مرة أخرى يمكننا التساؤل حول تصنيف موقع الحائري على الويب.

هناك حاجة أيضًا للتمييز بين المواقع المرتبطة بمقتدى الصدر وتلك التابعة لأعضاء آخرين من عائلته، من بينهم محمد باقر الصدر. يحتفي عدد من المواقع بذكرى "استشهاده"، لاسيما بوابة معلومات صغيرة بعنوان "الإمام". توفر هذه البوابة معلومات عن سيرته ومنشوراته وخطبه والمقالات التي تصف لقاءات مع باقر الصدر. عرضت الصفحة الرئيسية روابط مهمة لقطاعات أخرى من الفضاء السيبري الشيعي، من بينها مركز أهل البيت لتكنولوجيا المعلومات (الذي يستضيف مجموعات من كتابات الصدر)، ومؤسسة أهل البيت الإسلامية بنيوزيلندا، ومركز الكوفة للمعرفة الإسلامية (بولاية فرجينيا)، وبوابة "الصوت الإسلامي" ذات التوجه السني. ولا ترد سوى إشارات قليلة إلى مقتدى الصدر في هذه الصفحات.

ويمكن أن تدخل أنشطة "الفضلاء"، وهو حزب سياسي مرتبط بعشيرة الصدر، ضمن هذه المعادلة. ويمكن أن ترتبط الأبعاد السياسية بعائلة الصدر بحزب الدعوة الإسلامي، والذي تأثر بدرجة كبيرة بمحمد باقر الصدر الذي تظهر صورته على

موقع الحزب الرئيسى. قدم الموقع تقارير إخبارية من مصادر دولية، فضلاً عن روابط لمواقع أخرى، وعرضًا لمبادئ الحزب الأساسية. انضم حزب الدعوة إلى الائتلاف العراقى الموحد، وأصبح إبراهيم الأشيقرى الجعفرى رئيسًا للوزراء فى الحكومة الانتقالية فى ٢٠٠٥. أورد موقع رسمى تقارير عن أنشطة الجعفرى وخطبه والتزاماته، رغم أنه لم يقدم إلا القليل من حيث المعلومات "الدينية". ظهر خليفة الجعفرى، وهو نورى المالكى من الائتلاف العراقى الموحّد الشيعى على موقع حكومة العراق، والذى يعرض بالتفصيل لخطبه باللغتين العربية والإنجليزية.

يمكننا أن نضيف أيضًا بين مجالات التأمل هذه المرجعيات الدينية الأخرى المرتبطة بالمنطقة، لاسيما عائلة الخوئى. أكد مقتل آية الله عبد المجيد الخوئى فى ٢٠٠٣ فى أحد المساجد فى النجف على يد أنصار الصدر كما يُزعم، للمراقبين الخارجيين الانقسامات داخل المذهب الشيعى فى العراق. كان عبد المجيد حفيد آية الله السيد أبو القاسم الخوئى (١٨٩٩-١٩٩٢)، وهو أحد كبار المرجعيات الدينية المولود بأذربيجان وكان يقيم فى النجف قد تعرض للاضطهاد من قبل صدام حسين.

لا يزال التساؤل حول مدى اعتبار أتباع عائلة الخوئى منصة "عراقية" على وجه التحديد بدلاً من منصة دولية، لا يزال مفتوحًا، خصوصا بالنظر إلى وجودهم الحيوى فى الفضاء السيبرى وعلاقاتهم مع الجاليات الشيعية المتفرقة فى جميع أنحاء العالم. على سبيل المثال، يقدم مركز الإمام الخوئى الإسلامى فى نيويورك نفسه بوصفه "مؤسسة خيرية دينية دولية". أكدت مؤسسة الخوئى أيضًا امتدادها العالمى، حيث عرضت صوراً لمراكزها فى مواقع مختلفة فى جميع أنحاء العالم. مؤسسات الخوئى منظمات ذات طابع عالمى، ينعكس على الإنترنت من خلال مواقع ويب تسمها ظلال من الفروق تركز على انتماءات محددة، يمثل العراق من بينها جمهوراً رئيسيًا. ويتجلى هذا فى إنتاج مواقع الخوئى على الويب فضلاً عن

المجلات على الإنترنت، والمناقشات العلمية، والفرص المتاحة لطرح الأسئلة على المرجعيات. ولا يمكن القول بأن الآراء أو الفتاوى العلمية النابعة من مصادر الخوئى كان لها تأثير على أى نوع محدد من أنواع التمرد فى العراق.

عشيرة الشيرازى من العائلات الأخرى التى تتمتع بصلات كبيرة فى العراق. ركزت مواقع عديدة على الويب على سمعة آية الله العظمى الحاج السيد عبد الله الشيرازى (١٨٩٢- ١٩٨٤)، وآية الله محمد بن مهدى الحسينى الشيرازى (١٩٢٨- ٢٠٠١)، وابن الأخير هو الإمام الصادق الشيرازى الذى يدير أنصاره موقعاً على الويب باللغة الإنجليزية. يضم هذا الموقع فتاوى محمد الحسينى الشيرازى فى إحدى قواعد البيانات، مع وعدٍ بتمرير الأسئلة التى لا يمكن الإجابة عنها إلى الإمام صادق الشيرازى.

عرض الائتلاف العراقى الموحد صورة على غرف الدردشة الشيعية، واضعًا صورة محمد الشيرازى بجوار شعار حزب الله "العراقى"، وصورة لآية الله الخمينى، والعلم العراقى الذى يحمل شعار "أمة شيعية واحدة تكافح من أجل العودة". يمكن قراءة ذلك على مستويات عدة، لكنه يشير ضمنيًا إلى وحدة وراء "المهدى" [المنتظر]. استشهد الائتلاف العراقى الموحد أيضًا بقول آية الله محمد الشيرازى: "الغالبية فى العراق، فلا يحكمكم أى أحد مرة أخرى إلا أنفسكم!" كان هذا الشعار يشير إلى نحو ثلاثة مواقع alshiarazi.com، وalkarbalaeia.net، وalshiraz.no. ركز موقع alshiarazi.com على التفسير القرآنى وما يتصل به من مواد صوتية مبثوثة فى هيئة ملفات ريال، تتضمن تلاوات ترتبط بشهر رمضان.

فسَّر موقع alkarbalaeia.net ركنًا أساسيًا من أركان المذهب الشيعى (وفقًا لهذا التيار)، ويضم الموقع معلومات حول السيرة الذاتية لأهم الشخصيات الدينية وشروحاً قرآنية؛ كما اشتملت أيضًا على سلسلة من صور المواقع الدينية. فى المقابل، كان موقع alshiraz.no ذا توجه إلى الحملات فى العراق، مع لافتات بارزة

تظهر القوات العسكرية الأمريكية بالإضافة إلى أخبار وتعليقات يجرى تحديثها بانتظام. واستخدمت أيضًا نطاق almojadad.com كما قدمت عدة روابط لوسائل البث الغربية، من بينها السى إن إن والبى بى سى، وكذلك البث بإذاعة "سوا" التى ترعاها الولايات المتحدة. هناك تباين حيوى فى المواد والرؤى التى تحيط بعائلة الشيرازى وأنصارها، مما يشير إلى المدى الواسع لإمكانية تفسير العناصر المختلفة المستمدة من إنتاجهم "باسمها" على الإنترنت.

ينبغى أن يُضاف إلى هذه المعادلة الخطابات السياسية والدينية المهمة التى شكلت جزءًا من المشهد العراقى، وخصوصًا منذ احتلال بغداد. فى ٢٠٠٦ كان لا يزال وضعها فى حالة تغير مستمر، مع استمرار المفاوضات وتبادل الاتهامات فى بعض الحالات، إلى جانب تصارعٍ على المكانة، وفى حالات أخرى، تفادٍ للعملية السياسية. قدم بعض اللاعبين الأساسيين أنفسهم بصورة مثيرة للاهتمام. فبعد خروجه من صلب جماعة الإخوان المسلمين فى العراق، ظهر الحزب الإسلامى العراقى السنى، فى البداية تحت قيادة إياد السامرائى. كان هذا قبل تولى مقاليد الإدارة محسن عبد الحميد الذى اعتقلته القوات الأمريكية فى يونيو ٢٠٠٥ بتهمة رفضه المشاركة فى الانتخابات، رغم أنه أقر فى وقت لاحق الدستور العراقى.

قدم الحزب الإسلامى العراقى موقعًا مفصلاً على الويب يتضمن أخبارًا وبيانات واستطلاعات رأى ومناقشات، مع فرص للالتحاق به من خلال قوائم البريد الإلكترونى وبطاقات العضوية. خُفِّفَ المدى الذى يمكن من خلاله تحديد هذا الموقع بسهولة كموقع إسلامى من حيث الرموز؛ إذ جرى التركيز على العلم العراقى وشعار الحزب الإسلامى العراقى. لم تكن هناك أية صور للقرآن أو أية رموز إسلامية مباشرة أخرى. عملت الصور على اللافتة، التى تظهر نساءً وأطفالاً يرتدون "الزى الإسلامى"، وصورة للعلم العراقى مع خلفية لمسجد على تعزيز غير مباشر للهوية. ولا تعنى هوية الحزب الإسلامية ضرورة تنميط الأسلوب الذى يحتمل

لها أو ينبغى عليها أن تمثِّل به هذه الهوية على الويب.

تعتبر الأحزاب الأخرى هامشية من حيث العضوية أو لا ترى نفسها ذات توجه "سياسى" على وجه التحديد. عارضت هيئة العلماء المسلمين، بقيادة حارث الضارى، الغزو الأمريكى لكنها ادعت عدم دعم التمرد بأى شكل من الأشكال. ضمت الهيئة أيضًا عددًا من أهم الشخصيات السنية الدينية فى العراق. من العناصر الرئيسية التى تبناها الضارى الدعوة لدستور محوره الشريعة، من شأنه استيعاب جميع عناصر المعتقدات الإسلامية التى تتمثل فى العراق. إلا أن أنشطتها على الإنترنت كانت محدودة.

لابد من طرح الكيانات السياسية والدينية الكردية أيضًا فى هذه المناقشة، فعلينا أن نميز بين الجماعات التى تعمل فى شمال العراق على وجه التحديد وغيرها فى المناطق الكردية عبر حدود العراق، والتى تربط فيما بينها بعض الانتماءات الطبيعية (والتى ليست شاملة بالضرورة) وأوجه التشابه. كانت هناك مزاعم بشأن وجود صلات بين هذه المنظمات وتنظيم القاعدة. بعض المنظمات الجهادية التى نوقشت سابقًا بها أعضاء أكراد، مثل أنصار السنة؛ وأنصار الإسلام التى توجد جذورها فى شمال تركيا. ولا تتميز بعض الأحزاب بهوية دينية طاغية، كما أوردنا أثناء مناقشتنا لحركة كريكار الإسلامية.

يمكن أن يضاف لهذه القائمة الجماعة الإسلامية الكردستانية، والتى قدمت موقعًا مفصلاً على الويب يتضمن أخباراً وبيانات سياسية ومحتوى دينياً يشتمل على ملفات صوتية لتلاوات من القرآن. وترددت مزاعم بانتماء الجماعة الإسلامية الكردستانية إلى أنصار الإسلام والملا كريكار. اعتقلت القوات الأمريكية العضو السابق فى حركة كريكار الإسلامية فى كردستان، وأمير الجماعة الإسلامية الكردستانية الملا على بابير واحتجزته فى سجن أبو غريب بين عامى ٢٠٠٣ و ٢٠٠٥ ووفقًا لموقع الجماعة الإسلامية الكردستانية على الويب، تمثلت سياسته

في "السعي وراء تكوين علاقات أخوية مع الأحزاب والمنظمات الإسلامية ، والشخصيات الإسلامية، والجماعات التي تتبع تقليداً سلفياً أو صوفياً أو تقليداً علمياً . نؤمن في الجماعة الإسلامية أن الجماعة لابد أن تكون واسعة الأفق وتسعى إلى الأخوة مع جميع من يدعون إلى الإسلام أو يعملون من أجله، فإذا رأينا منكراً، فسوف نحاول تصحيحه عن طريق الحوار وخلق جو أخوي".

يثير المدى الذي أبرزت من خلاله هذه العلاقات على الإنترنت بعض التساؤلات الشائقة. وجدت العديد من العناصر المرتبطة بالهوية الكردية مكاناً لها على الويب. لا يوجد هناك كيان سياسي واحد لـ"كردستان" في ظل وجود الأكراد في تركيا وسوريا وإيران ولبنان وأرمينيا، وكذلك الجاليات كبيرة العدد "في المنفى" في أوروبا وغيرها من الأماكن. بيد أن الإنترنت قد تتيح لكل هؤلاء الشعور بهوية جامعة. وجدت فصائل دينية معينة أيضاً مكاناً لها على الإنترنت، وبخاصة الأكراد الشيعة، وفيما يبدو فإن الصفحة الرئيسية للأكراد الفَيْلِيّة الشيعة ظهرت على الإنترنت منذ ١٩٩٧، رغم تعطلها في ٢٠٠٥. بينما يرتبط الأكراد الصوفيون بعدد من الطرق الصوفية على مستوى العالم، مثل الطريقة البكتاشية والنقشبندية، التي يمكن أن تصب في أنشطتهم على الإنترنت أيضاً. هناك أدلة على الانتماءات الدينية الأخرى المرتبطة بالهويات الكردية على الإنترنت، وتشمل اليزيدية، وياره سان (أهل حق)، والعلويين أو القزلباش.

العراق: تعليق ختامي

لعب الإنترنت دوراً حاسماً في السياق العراقي لعدد من اللاعبين، بدءاً من "المتمردين" و"السياسيين" إلى علماء الدين وجميع ما يقع بينهما. كما عمل بمثابة نقطة معلومات للجماهير المحلية والإقليمية والعالمية أثناء فترة من انعدام الأمن. وهذا مهم بخاصة لاسيما بالنسبة للأفراد والجماعات الملمة بالنت التي كشفت عن وعيٍ واقعي بالفرص التي قدمها هذا الوسيط.

فى هذه المرحلة، وبينما لا تزال الصراعات قائمة، من الممكن بناء فرضيات على بعض التيمات والاحتمالات المبدئية المتعلقة بالسياقات الإسلامية السيبرية المرتبطة بالعراق. يمكن تصميم المحتوى للكشف عن الانتماء، وتوفير الدعم والتبرير اللوجستى للأفراد والجماعات والمنظمات. ارتفعت مكانة أحزاب ولاعبين معينين بتكلفة منخفضة نسبيًا من حيث الميديا ارتفاعًا حادًا من خلال النت؛ وساعد هذا بدوره قضيتهم من خلال توفير الدعم اللوجستى والدينى فى المنطقة وخارجها. وربما كان له أيضًا أثر تعبوى أو أدى إلى توفير قدر أكبر من التمويل؛ لكن المؤكد أنه ساعد فى الدعاية لرسالة إسلامية محددة، استنادًا إلى الرموز واللغة الدينية التى تستخدم فى تقديم رسالة محددة. وقد شمل هذا استخدام الوسائط المتعددة لتقديم رسالة "دينية" إلى جمهور عالمى لا يقتصر على المسلمين من حيث الهوية والتوجه. وجاء تصميم معظم ما قُدِّمَ لاستخدام القنوات الإخبارية، و"إبلاغ" "العدو" أو تخويفه أو كليهما.

يمكن أن نضيف إلى هذه المناطق أثر وسائل الإعلام الأخرى المبنية على الويب، ومن بينها المدونات. ويمكن أيضا أن نلقى مزيدًا من الضوء فى الوقت المناسب على المعلومات فى مناطق الويب المغلقة والآمنة التى تتطلب العضوية الانتماء الشخصى. وربما لعب عنصر الإنترنت دورًا فى الصراعات السابقة (على سبيل المثال، الحرب فى البوسنة). غير أن الحملات فى العراق وقعت فى وقت شهد فيه الوسيط نضجًا نسبيًا، شعر معه اللاعبون الرئيسيون شعورًا فطريًا بأهمية الويب كقناة طبيعية لتوصيل المعلومات حول قضيتهم. فبدون الويب، كانت الرسالة (أو الرسائل) الدينية ستتخذ مسارًا وشكلاً مختلفًا. كما أن بعضًا من السيناريوهات التى تُستخدم فيها اللغة الدينية كان لابد لها أن تأخذ شكلاً مختلفًا لو أن شخصياتها الرئيسية الواعية بذاتها لم تضطر للتوجه لجمهور إقليمى أو عالمى بنفس الطريقة؛ وبنفس المنطق يمكن القول إن الصراع الذى يعرضه النت يتسم ببؤرة تركيز مختلفة عما يعادلها

فى العالم التناظرى. كان سيتعين على الأحزاب المهمة اختيار طرق مختلفة لعرض قضيتها للعالم والمنطقة، وكانت الفرصة لتطوير خطاب دينى متسارع فى العراق ستتعرض لإخماد صوتها.

ساحات القتال الفلسطينية الرقمية

مثَّلَ الإنترنت قناة مهمة للخطاب بشأن القضايا الإسلامية الفلسطينية ـــ سواء فى داخل فلسطين والأراضى المحتلة أو خارجها ـــ عن طريق توفير وسيلة متصلة من حملات الاتصالات، وجمع الأموال، وتوفير إحساس متماسك بالهوية الإسلامية على الإنترنت لمن لديهم إمكانية الوصول إلى الإنترنت وإلمام باستخدامه. يمكن أن يتجاوز هذا الخطاب الإسلامى المواد الموجهة عسكريًا إلى المناطق المرتبطة بحقوق الإنسان، والتحقيقات الصحفية، والطب، والحوار بين الأديان، والتى تعكس الأجندات المتنوعة لمؤلفى المواقع وأصحابها.

تُصَمَّم المواد لجمهور منتشر: فالفلسطينيون المنخرطون فى الأنشطة السياسية والعسكرية (وهما ليسا مترادفين) قد يكوِّنون جمهورًا أساسيًا، لكن هناك شعور ضمنى بأن جماهير أخرى تشارك فى هذه المواد. يمكن أن يتراوح هذا بين المسلمين الآخرين فى الشرق الأوسط وخارجه، الذين يستخدمون هذه المواقع كأدوات إعلامية، سواء كانت تدعم الاستراتيجيات التى يجرى التعبير عنها على الإنترنت أم لا. وقد يسعى البعض إلى خلق الانتماء والدعم، سواء كان ماليًا أو أيديولوجيًا، أو من خلال المشاركة. وقد تستفيد الحكومات الأخرى فى البيئات الإسلامية من المواقع لتحديد أنشطة السكان الفلسطينيين، سواء كانت تؤيد أسلوب عملها أم لا.

توجد أيضًا الجماهير الأخرى المتنوعة خارج الوسط الإسلامى والتى تسعى إلى المشاركة فى القضايا الفلسطينية. عند أحد طرفى الطيف توجد الحكومة الإسرائيلية وهيئاتها، والتى يتضمن مستوى مشاركتها مراقبة المواقع بغرض جمع

المعلومات الاستخبارية. تعمل الحكومات الساعية إلى التأثير فى السياسة الإقليمية وتقييم موازين القوى أيضًا على مراقبة هذه المواقع. وعند الطرف الآخر من الطيف يقف أولئك الأفراد والمنظمات التى تواصلت مع المسلمين الفلسطينيين الذين يعيشون فى غزة والأراضى المحتلة، سواء كانوا يؤيدون مختلف الأجندات الإسلامية المناضلة والعسكرية والسياسية (مثل الجمعيات الخيرية والإنسانية) أم لا.

لاحظتُ أن بعض المواقع سعت للتواصل مع الشعبين الإسرائيلى واليهودى على الإنترنت، وذلك باستخدام المواقع كأداة للضغط السياسى على الحكومات الإسرائيلية وربما أيضًا لتكثيف مطالب المعيشة فى ظل تهديد وقوع هجوم ما. وفيما شاركت بعض المواقع فى الرسالة العسكرية، حاولت مواقع أخرى وصف ضغوط الحياة فى فلسطين بالنسبة للناس العاديين. بات الإنترنت أداة فاعلة ومنخفضة التكلفة لتقديم وجهات النظر الإسلامية الفلسطينية التى بدأت تتوجه شيئًا فشيئًا نحو مجموعة متنوعة من واجهات القراء. ويركز هذا القسم على إنتاج المنظمات التى تقدم الرسالة العسكرية، والتى تشتمل على تعبير عن الجهاد.

كان استخدام المواقع "الاستشهادية" والسبل التى أدمجت بها حماس (حركة المقاومة الإسلامية) الإنترنت فى استراتيجياتها بالنسبة لحملتها الانتخابية الناجحة فى ٢٠٠٦ أهمية كبرى بالنسبة للفضاء السيبرى الإسلامى الفلسطينى. غدا "النجاح" المبكر، لاسيما نجاح حركة حماس، فى استخدام الإنترنت كوسيلة لتقديم رسالتها نموذجًا جاهزًا تحتذيه المنظمات والمنصات الأخرى، وبخاصة تنظيم القاعدة. أنشأت العديد من الحركات السيبرية الإسلامية الفلسطينية مواقع على الويب ابتداء من منتصف التسعينيات، إلى جانب المحتوى الآخر الذى ينتشر إلكترونيًا منذ الأيام الأولى للإنترنت.

خرجت المواقع الإسلامية ذات التوجه الفلسطينى بلغات متعددة من بينها

العربية والإنجليزية والفرنسية والروسية والفارسية والملاوية والأردو. كما ظهر المحتوى على مزودى خدمات الإنترنت فى أماكن مختلفة فى الولايات المتحدة وأوروبا، وكذلك فى الشرق الأوسط وآسيا. تشير الطبيعة المتغيرة والمرنة لهذه المواقع إلى الخبرة فى الالتفاف حول القيود الأمنية الموضوعة على مضمونها.

تثير مناقشة هذه المواقع تحديات خاصة فى أى تحليل نظراً لطبيعتها المتغيرة، رغم ظهور نمط للملكية وإدارة المحتوى مع تيمات رئيسية خاصة؛ إذ إنها تتخلل الشبكات الدولية، مع ظهور المحتوى فى أحد المكاتب التنظيمية (مثلاً فى لندن أو بيروت) ويُوضع على مزود خدمات إنترنت فى جنوب شرق آسيا ثم يُنْشَر على غرف الدردشة التى يستضيفها مزودو خدمات الإنترنت فى الولايات المتحدة. وربما يعكس هذا، بشكل أو بآخر، طبيعة الشتات التى يعيشها الشعب الفلسطينى.

تحليل مثل هذه المواقع من حيث المحتوى والمكان والتحديثات نشاط يحتاج إلى عمالة كثيفة، يتواصل بدرجات متفاوتة من خلال العمليات الأمنية المتنوعة. كانت الوكالات والمنظمات الموجودة فى إسرائيل أو الداعمة للقضايا الإسرائيلية سباقة، على وجه الخصوص، فى رصد نشاط الإنترنت الإسلامى الفلسطينى وتسجيله. ويطرح هذا قضايا مرتبطة بالمصداقية و"النزاهة" الأكاديمية، رغم أن هذه قضية ذات صلة أيضاً عند مناقشة سياقات أخرى على الإنترنت.

يطرح تحديد ملكية المواقع أنماطاً معقدة من التحكم والربط الشبكى. بالنسبة لحماس التى تعود جذور انتمائها إلى جماعة الإخوان المسلمين المصرية، أشار محللون إسرائيليون إلى أن "البنية التحتية بأكملها يشغلها نزار الحسين من مكتب أسامة حمدان، وهو ممثل حماس فى لبنان، والذى يسترشد هو نفسه، فى تقديرنا، بمقر الحركة فى دمشق".

كان مركز فلسطين للمعلومات بؤرة التركيز الرئيسية للنشاط المرتبط بحماس على الإنترنت، فى ظل وجود مواقع بعدة لغات تعمل من خلال مجموعة متنوعة من

العناوين. فى ٢٠٠٦ هيمن على الموقع الإنجليزى لافتة يظهر عليها العلم الفلسطينى تتقاطع مع صورة لشاب يقذف دبابة إسرائيلية بالحجارة. تقدم الصفحة الأولى تصميمًا أنيقا وواضحًا، مما يوحى بمرجعية إحدى الصحف فى إخراجها الفنى وفى نبرتها، حيث تؤكد على تأثير صحيفة "الديلى نيوز" التى يجرى تحديثها بانتظام.

يوفر الشريط الجانبى الأيمن روابط للتعليق على حقوق الإنسان، والمسجد الأقصى، والمسألة الفلسطينية، والإرهاب الصهيونى. عرض الموقع عدداً من لافتات أخرى؛ تدعو إحداها إلى مقاطعة إسرائيل برسم خط يقطع نجمة داود على علم إسرائيل؛ بينما تُحيِى لافتة أخرى ذكرى مذبحة دير ياسين. اشتمل الجانب الأيمن من الصفحة صورة لأحمد ياسين، مع الربط بموارد مرتبطة بزعيم حماس المُغْتال. وتُعْرَض شعارات حماس وصور القادة المحليين بشكل بارز بجوار القصص الإخبارية المختلفة. كما تتوفر وسيلة لإدراج معلومات عناوين الصحف فى مواقع أخرى، فضلاً عن أن الموقع قابل للبحث فيه تمامًا.

يمكن تحديد جوانب موقع فلسطين للمعلومات باللغة الإنجليزية فى نسخته العربية إلى جانب لافتة ونمط لونى مشابه، رغم أن النبرة والنهج التحريرى أقل «دقة وانضباط» من النسخة الإنجليزية. يمكن أن نجد هذا فى أنواع الصور التى تظهر على الصفحة، والتى تتصف بأنها أكثر جرافيكية بكثير بشكل عام. فى مارس ٢٠٠٦ ظهر الأطفال فى هيئة رسوم متحركة فى مجلة حركة فتح؛ كان بعضهم يرتدى أقنعة، بينما كانت الفتاة الوحيدة فى الصورة تُمسك نبلة "مقلاع". اشتملت مجلة حركة فتح على جزء خاص بالرسوم الكرتونية يصف الوضع الفلسطينى، وتضمنت أيضا المشورة الدينية، وقسم خاص للأمهات، والنكات، وأوصاف "بطولة" مختلف الشخصيات.

وفى نفس الموقع، أدى رابط معلومات فلسطين إلى "الإرهاب" إلى صفحة

تعرض صوراً لضحايا القصف من الأطفال وإطلاق النار من جانب جيش "الدفاع" الإسرائيلى، من بينها قائمة بضحايا "الأضرار الجانبية". وعلى العكس من الصفحات الإنجليزية، تَوَفَّر رابط مباشر إلى محتوى حماس على النسخة العربية من فلسطين للمعلومات الذى يقدم الأخبار، وجلسات الأسئلة والإجابات، والبيانات المُحَدَّثة من قادة حماس. هذا الموقع أغنى بكثير فى محتواه من نظيره الإنجليزى، حيث وَرَدَ به العديد من البيانات التى لم تُتَرْجَم. استخدم الموقع مراسليه لتغطية الأحداث الخاصة مثل زيارة وفد حماس لموسكو. كان من المثير للاهتمام فى ذلك الوقت مقارنة محتوى فلسطين للمعلومات مع محتوى موقع السلطة الوطنية الفلسطينية فى نسختيه العربية والإنجليزية الذى كان ضئيلاً نسبيًا من حيث المحتوى على الإنترنت.

برز على الصفحات شعار لواء كتائب عز الدين القسام، وسرايا الأقصى، وحملة دعم التغيير الديمقراطى فى فلسطين. كان ظهوره هذا مهماً فى ظل انتصار حماس الانتخابى فى ٢٠٠٦، والذى نوقش بالتفصيل على الصفحات العربية. واستمرت حماس فى الاعتماد على مواقعها المستقلة فيما يتعلق بإنتاجها على الإنترنت.

وضعت صفحات حماس خلال الانتخابات رابطًا لموقع Pal-Election.com، وهو موقع مخصص للانتخابات باللغة العربية كان يشجع على المشاركة إلى جانب بطاقة حماس تحت شعار التغيير والإصلاح. أبرز الموقع صوراً لأهم القادة فى الماضى والحاضر ولافتة تصور فتاة صغيرة ترتدى زيًا عسكريًا وترفع تحية النصر. ترتبط الصفحة برابط مباشر بالمناقشات حول الانتخابات داخل "المنتدى الفلسطينى". وجّه هذا الموقع أولئك الفلسطينيين القادرين على التصويت والراغبين فيه إلى مجموعة متنوعة من المواد، من بينها الحوار السياسى والدينى وارتباط المحتوى. كانت الملصقات التى أنتجها موقع khaleelstyle.com لافتة من حيث

الأساليب الفنية المستخدمة. وكانت اللافتات والملصقات ملائمة للاستفادة منها فى أى موقع على الويب. أكدت إحدى اللافتات على دور النساء فى إطار الحملات الفلسطينية؛ بينما كان ملصق آخر، رسمًا كارتونيًا يمثل ما فسره فنانوها على أنه شخص "يهودى" نمطى، تستقر قنبلة على رأسه على شاكلة الرسم الكرتونى لمحمد (ص) فى صحيفة "يولاندس بوستن".

كان عدد من المواقع "الاستشهادية"، لاسيما تلك المرتبطة بحماس، نماذج للممارسة الاستشهادية العملية المرتبطة بالقضايا ذات الصلة. سعت هذه المواقع إلى تسجيل أعمال وصور كل "شهيد" اضطلع بعملية "انتحارية" باسمه. فى الأساس، عملت هذه الصفحات بمثابة امتداد لمفهوم إنتاج الملصقات. وتمثل هذه ممارسة قديمة لطباعة ملصقات "الشهداء" الأيقونية على عجالة والتى تُوَزَّع فى الأراضى الفلسطينية وخارجها؛ ووسَّع الإنترنت توزيعها ليتجاوز نطاق أى رقابة تقليدية. لكن هناك دائمًا احتمال إغلاق مزودى خدمات الإنترنت للصفحات، أو تعرض المواقع للقرصنة.

تعرِض بعض المواقع منفذى العمليات بعد وفاتهم، ليس فقط المشاركين فى الحملات المعاصرة - والتى تُنْشَر بصورة متكررة وسريعة على الإنترنت - لكن أيضًا من مراتب "أبطال" العمليات السابقة. فعلى سبيل المثال، عرضت صفحات كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكرى لحماس، صور أولئك الذين ماتوا فى العمليات الانتحارية فى أوائل التسعينيات قبل أن يصبح الإنترنت سائدًا. تسلط مثل هذه الصفحات الضوء على من سقط من الزعماء، وأبرزهم الشيخ أحمد ياسين الذى اغتالته قنبلة إسرائيلية فى ٢٠٠٤. يقدم كل منهم على أنه "شهيد"، إلى جانب صور تتقاطع معها الأيقونات واللغة الدينية.

وفى تطور تدريجى مهم كانت رائدته حركة حماس، وكتائب (شهداء) الأقصى، والجهاد الإسلامى الفلسطينى، وأتباع القاعدة وغيرها من الجماعات، أُنْتِجَت

الفيديوهات الاستشهادية لكي يستهلكها على الإنترنت منفذو العمليات المرتبطون بمختلف المنابر الإسلامية الفلسطينية. كان لهذه الأفلام القصيرة شكل محدد، حيث تألفت من بيانات يدلي بها أي "شهيد" (محتمل) "لتبرير" عملية ما، والمعلومات الأساسية التي تؤكد هوية "الشهيد"، وبيان يقدم "الوصية" وفقًا للمبادئ الإسلامية. قد تخضع هذه الكليبات للمونتاج إلى جانب كليبات فيديو أخرى، من بينها فيديوهات العمليات. وتُرْفَع هذه الفيديوهات في نفس زمن العملية أو بعدها بزمن قصير للغاية.

أظهرت جودة الأفلام تحسنًا تقنيًا ملحوظًا من حيث الجودة السمعية والبصرية، في ظل وجود خلفيات صممت لأغراض معينة. صُوِّرَت بعض الأفلام في الهواء الطلق، حيث يحمل منفذو العمليات الأسلحة. استخدمت أوضاع محددة؛ على سبيل المثال، صوَّر البعض فوتوغرافيًا وبالفيديو وهم يقرأون القرآن بينما يحتضنون بندقية، فيما تقاطعت صور آخرين مع صور المسجد الأقصى. وقرر البعض الوقوف أو أُشيرَ عليهم بالوقوف بالملابس العسكرية؛ كما لم تكن كل الخلفيات "دينية". التقطت صور فوتوغرافية للبعض أمام «البراقانات» العادية التي نشاهدها في معارض مصور البورتريه، مع صور الشلالات، وغروب الشمس، وغيرها من الظواهر الطبيعية. قد تتمتع هذه الصور، بالطبع، بأشكالها الخاصة من الرمزية الدينية المرتبطة بمفاهيم الجنة وأجر الشهادة.

وفيما كانت مثل هذه الكليبات تُنْتَج باللغة العربية في المقام الأول، سجَّل المواطنان البريطانيان عاصف محمد حنيف وعمر خان شريف، اللذان كانا مسئولَيْن عن تفجير انتحاري في تل أبيب في ٢٠٠٣، فيديو باللُغة الإنجليزية. ندد الفيديو بدور بريطانيا في السياسة الإقليمية، وكان الفيديو نموذجًا يحتذى من حيث الشكل للفيديوهات الأخرى باللغة الإنجليزية، وفيديوهات التفجيرات الانتحارية، من بينها تفجيرات ٧/٧.

جُمِعَت هذه البيانات فى معارض الوسائط المتعددة المختلفة. ورغم وجود صفحات لمنفذات التفجيرات الفلسطينيات و"الأبطال" الآخرين الذين سبقوا الانتفاضتيْن (لم يكن دافع أى منهم أسباب دينية)، كان التطور المهم الآخر ظهور نساء انتحاريات فى المعارض فى ٢٠٠٥، لا يزال التساؤل مطروحًا حول مدى تمثيل الظهور على مثل هذه الصفحات كعامل تحفيزى للمشاركين فى العمليات. من المؤكد أن القضية رُوِّجَ لها بقوة على الإنترنت ضمن صيغة موحدة. وهذا يعنى ضمنيًا بالتأكيد إبرام عقد الاستشهاد قبل القيام بعملية ما. غير أن البيانات محدودة حول عدد الأفراد الذين صُوِّرُوا بالڤيديو لكنهم لم ينفذوا عملياتهم. تمثل التأكيد فى أشرطة الڤيديو فى جزء منه فى الثواب الذى قد يحصل عليه المشاركون بعد "نجاح" انتحارهم أو استشهادهم، والذى غالبًا ما يصاغ بعبارات مرتبطة "بالزواج" فى الحياة الآخرة. يشير هذا إلى التبرير الذاتى وكذلك حافزٍ للآخرين فيما بعد.

تشمل الڤيديوهات أيضًا خطابًا موجهًا إلى إسرائيل واليهود الصهاينة (غيرهم). تعمل المنظمة الإسرائيلية "وسائل الإعلام الفلسطينية ووتش" على ترجمة وأرشفة عدد من الڤيديوهات والتعليق على عدد منها كردٍ سريع على السلطة الفلسطينية وحماس وغيرها من المنابر. كما اهتمت بشكل خاص بالخطاب المعادى لليهود. ظهر فى أحد الكليبات اثنان من المشاركين صُوِّرا أمام علم إسلامى أخضر، بينما تظهر قاذفة صواريخ وبندقية فى المقدمة. صُوِّرَ مشارك آخر بالڤيديو بينما كانت أمه تجهزه، تقريبا على طراز الفيلم المنزلى، وكان هناك حدث وقع بالفعل فى نفق أُستخدم فى هذه العملية. وقعت هذه العملية فى ٢٠٠٤، رغم أن الڤيديو لم يظهر على الإنترنت، وفقًا "لوسائل الإعلام الفلسطينية ووتش"، إلا بعد انتخاب حماس.

يمكننا القول إن حماس تخاطب مباشرةً، فى بعض النواحى، جمهور "وسائل

الإعلام الفلسطينية ووتش"، من خلال ترجمة الخطب إلى الإنجليزية والعبرية وإتاحة أشرطة الفيديو على سيرفر إسرائيلى. أنتجت "وسائل الإعلام الفلسطينية ووتش" شريط فيديو للتعليق على التفجيرات الانتحارية. ولفتت الانتباه إلى ما تصورته على أنه النسخة "الرومانتيكية" من الاستشهاد التى عُرِضَت فى فيلم "الجنة الآن" فى ٢٠٠٥ إلى جانب تمثيل الواقع الذى يشار إليه ضمنيًا على صفحاته. كان هذا عاملاً فيما تصوره البعض تواطؤًا بين السلطة الفلسطينية وحماس فى حملة "إرهابية".

تُعتبر الطريقة التى أُدمجت بها وسائل الإعلام الإنترنت فى استراتيجية أوسع لنشر أيديولوجيا الاستشهاد وفقهه ذات أهمية خاصة. لهذه الاستراتيجية نهج دقيق يستهدف جماهير متنوعة، من بينها القراء الأصغر سنًا. يظهر "الشهداء" أيضًا على صفحات الأطفال، ومن بينها مجلة حركة فتح. ويواصل القادة الذين استشهدوا شرح وجهات نظرهم عبر الإنترنت. ولا يزال لزعيم حماس عبد العزيز الرنتيسى، الذى اغتيل فى ٢٠٠٤ بعد وقت قصير من وفاة الشيخ ياسين، حضورٌ كثيف على المواقع ذات الصلة بحماس بعد وفاته.

قدمت "الكتلة الإسلامية" تقارير إخبارية عن أنشطة العمليات، بالإضافة إلى النصوص والبروباجندا ذات الدوافع الدينية للترويج لقضاياهم. شملت هذه التقارير ملصقات قابلة للتحميل تسرد قائمة بأسماء المسجونين من منفذى العمليات وصورًا تبين حملات الدعاية، والمظاهرات، والأنشطة ذات الصلة داخل الجامعات الفلسطينية. وضم موقع alkotla.com المرتبط بها، وهو هدف للنشاط المتواصل "المناهض للجهاد"، روابط لصفحات القاعدة و"إسلام أون لاين" على صفحة فهرسه.

عمل موقع PalestineGallery.com كمركز محورى لتبادل المواد السمعية والبصرية الخاصة بالعمليات بالنسبة لحماس والمرتبطة بالحملات العسكرية فى

المنطقة، بما فيها العمليات الاستشهادية. تخللت المواد لغة ومصطلحات ورموز دينية (على سبيل المثال، صُوِّرَ أحد المفجرين فوتوغرافيًا على خلفية علم إسلامى أسود). شملت الملصقات أولئك الذين يحرضون على العمل العسكرى إلى جانب صورة لرجل مسلح وملثم تتجاور مع خلفية صورة للمسجد الأقصى.

إلى جانب فن الخط العربى التقليدى، عمد فن الخط العربى المدعوم بالكمبيوتر إلى رقمنة اسم محمد (ص) على الموقع. وفى صفحة أخرى، واجهت صورة ظلية لأحد المسلحين شروق الشمس، والتى شكّلت بدورها خلفية لعَلَم ظهرت عليه كلمة "محمد". هناك أمثلة كثيرة على اللغة الدينية التى يغلفها فن الخط العربى الإسلامى الرقمى. اتصلت الصور أيضاً بأحداث وحملات محددة، مثل الاحتجاج ضد نشر صحيفة "يولاندس بوستن" للرسوم "المسيئة".

كانت هناك أصداء لموقع فليكر وغيره من مواقع خدمات الصور الفوتوغرافية على الإنترنت على موقع PalestineGallery.com. يمكن وضع صوره فى ألبوم شخصى للمستخدمين من الأفراد، مع اختيار أكثر من ١٠٠٠ ملف صور. وتحدد أشكال الملفات بوضوح. كما يُسَجِّل عدد الزيارات التى تستقبلها كل صورة أيضاً. لم تحقق غالبية الصور سوى عشرات الزيارات فقط، رغم تسجيل كليبات القوات الإسرائيلية فى مواجهة مع الفلسطينيين لآلاف التحميلات. هناك ما يقرب من ١٥٠٠ صورة من المظاهرات والنشاط السياسى، والتى اشتملت على صور مهمة للمشاركة فى الإعداد لانتخابات ٢٠٠٦، من بينها صور لأشخاص يدلون بأصواتهم. وتوحى تواريخ رفعها بأن تيارًا منتظمًا من الأعمال الفنية الجديدة ظهر على الموقع. ويستطيع القراء تقييم الصور والوسائط المتعددة المفضلة لديهم وعرض قوائم المحتويات التى حصلت على أعلى النقاط. عادةً ما تشير الصور إلى مصادرها، من بينها الصور التى رفعها المشاركون فى المظاهرات. خير مثال على ذلك الصورة التى التقطها "abbas_03_ramallah" فى إحدى المظاهرات، حيث

كان أنصار حماس يحملون ماكيت لمسجد قبة الصخرة يجولون به فى الشوارع وهم يلوحون بالأعلام. سُجِّل موقع "PalestineGallery" فى ڤانكوڤر بولاية واشنطن

عمل المنتدى الفلسطينى كمركز آخر لتبادل المعلومات والمناقشات التى تركز على حماس، حيث يجذب مستويات عالية من حركة المرور للاطلاع على المناقشات حول العمليات الأخيرة ونتائجها. كما تقدم محتوىً مرتبط بحملات تنظيم القاعدة، ومعظمها في العراق، ويرتبط بقدر كبير من الموارد فى أماكن أخرى، لاسيما على المدونات التى تضم مئات الروابط لڤيديوهات مرتبطة بالقاعدة. وتسود الصفحات صور الزرقاوى، ورموز موقع "النداء" (من بينها العلم الأسود والحصان)، وصور "الشهداء". وكان لاستخدام أيقونات الدعاء والبكاء و"الغضب" فى المنتدى أهميته أيضًا. وسُجِّل المنتدى الفلسطينى فى بيروت.

لا تملك الجهاد الإسلامى فى فلسطين نفس الواجهة السياسية التى تتمتع بها حماس، لكنها احتفظت بأهميتها كلاعب فى السياسة والنضال الفلسطينى، وإطلاق العديد من العمليات الانتحارية فى إسرائيل. وكان موقعها Qudsway، من الناحية التقنية، موقعًا ديناميكيًا، ومثقلاً بالكامل (أو مشوشًا) بكائنات الفلاش والصور والروابط للمواد ذات الصلة. وقد يجد الأفراد الذين يفتقرون إلى عرض النطاق الترددى صعوبة فى تحميل هذا الموقع.

شملت اللافتة الرئيسية لموقع الجهاد الإسلامى فى فلسطين صورة أحد مؤسسى الحركة فتحى الشقاقى (١٩٥١-١٩٩٥) تجاورها صورة للمسجد الأقصى. أظهرت صفحة الفهرس علم إسرائيل المحترق، ووجوه بالفلاش للأطفال ونساءً يبكين وهن يمسكن بالقرآن، تليها صورة لمكة. وعرض رسم بالفلاش القدس، ومقاتلى الجهاد الإسلامى فى فلسطين، وحرق العلم الإسرائيلى. كما اشتملت

الصفحات على النشاط العملياتى، ومعلومات عن السجناء، وصور "للشهداء" و"الشهيدات". ويجرى تحديث موقع الجهاد الإسلامى فى فلسطين بانتظام بالأخبار وغيرها من البيانات من القادة، وفى ٢٠٠٦ سيطرت على الموقع الحملات ضد رسوم "يولاندس بوستن" الكارتونية على حساب الحملات المحلية. أما بالنسبة لتسجيل موقعها Qudsway فقد جرى تجهيله.

قد يكون هناك، فى بعض الأحيان، فراغ معلوماتى على الإنترنت، إذ إن بعض مجالات الجهاد الإسلامي فى فلسطين تتمتع بالموارد بشكل واضح أفضل من غيرها. يملك المؤسس الآخر للجهاد الإسلامى فى فلسطين، وهو رمضان عبد الله شلح (١٩٥٨-)، موقعه الخاص على الويب، والذى كان أقل ازدحاماً من موقع Qudsway؛ فى الواقع، كان موقعه مجرد اسم نطاق مع صفحة سبلاش، حيث لم تؤدِ أية من الروابط إلى البيانات والأخبار وغيرها من المواد إلى أى محتوى. وكانت صفحة مكرسة للشقاقى خالية بالمثل من المحتوى، وتؤدى ببساطة إلى صفحات شلح الخالية.

احتوى موقع Sabiroon.org المتصل بحماس، والمرتبط بكتائب القسام بتفاصيل منفذى العمليات المتوفين وروايات عن وفاتهم، والتى يُنْظَر إلى العديد منها باعتبارها "إصابات جانبية" غير متعمدة. سعى "صابرون" المسجَّل فى دمشق، إلى توفير قاعدة بيانات عن تفاصيل الشهداء (قابلة للبحث ويمكن تقسيمها إلى فئات)، رغم أن الواضح هو أن البيانات ليست منظمة بالكامل. كان القسم العربى بالموقع المتعلق بالشهداء أكثر تفصيلاً من حيث المضمون، رغم محدودية التماثل فى مواضع من الصفحات باللغة الإنجليزية. عرضت الصفحات العربية للعمليات بالتفصيل وكذلك لضحايا الحملات الإسرائيلية "الأبرياء". كانت المجالات الأخرى بالموقع، من بينها الأخبار والمعلومات عن السجناء، متفرقة باللغة الإنجليزية ولكنها

تُحَدَّثُ بانتظام فى مواضع بالعربية. بالمقارنة مع بعض المواقع، كانت مناطق فى صفحات كلتا اللغتين تعانى من ضعف الصيانة وتفتقر إلى التحديث المنتظم، مما يشير إلى فقر فى الموظفين والموارد. ونظراً لتشبع السوق، ربما كان هناك إحساس بأن إعادة إنتاج أنواع مشابهة من المواد فى غير محله، وأن الصفحات لابد أن تكون أكثر توجهًا بدقة نحو أسواق معينة. هناك أيضًا مسائل الرقابة ومحاولات إغلاق المواقع، مثل تلك المحاولات عن طريق مزودى خدمات الإنترنت والتدخل الحكومى فضلاً عن ضغوط من الفصائل الفلسطينية الأخرى.

كتائب شهداء الأقصى مسئولة عن صفحات "صوت فلسطين"، وهو منتدى على الإنترنت مزدحم بالمواد المنشورة والمشاركات. يستخدم أعضاء المنتدى أفاتارات [تجسيدات] تضم شعارات الأقصى وصوراً ذات صلة. تتجاوز المناقشات قضايا النضال، حيث تشتمل قوائم المواد المنشورة على الشعر والمسائل الشخصية. كما يعتمدون على الصور، والتى تشمل بطاقات المعايدة الرومانتيكية والأزهار المتحركة، عند مناقشة الشخصيات والقضايا المرتبطة بالقضية الفلسطينية. هذا الموقع نقطة دخول إلى المعلومات عن المنظمة وآخر بياناتها وتحديثات عملياتها. هناك مستوى عالٍ من المشاركة والعضوية، حيث تتلقى بعض المنشورات عشرات الآلاف من الزوار.

واتصالاً بهذا الموقع، تمتلك كتائب شهداء الأقصى، وهم الأتباع العسكريون لحركة فتح، العديد من المواقع مع معلومات عن أنشطتها. شمل هذا موقعيْن عربييْن رئيسيين قدما معلومات عن الأنشطة العملياتية، فضلاً عن تحميل البيانات والمعلومات "الرسمية". كان موقع kataebaqsa1.com أكثر ثراءً بالمحتوى (بناء على ما يبحث عنه زائر الموقع) من حيث توفير الملصقات والتحميل والمعلومات المُحَدَّثة عن الشهداء. وفى ٢٠٠٦ ظهر الشهداء بكثافة بجانب صورة لياسر عرفات

على الصفحة الأولى. وكان قسم الأخبار بها يجرى تحديثه بانتظام. وفر كلا الموقعين فرصة التعهد بالانتماء إلى المنظمة من خلال "بيانات" على الإنترنت تضم إشارات إلى الموقع على الويب. وكان هناك ترابط هائل بين الموقعين؛ ففى الموقع الثانى katebaqsa.org، معرض للصور يتصل بالشهداء والشخصيات الرئيسية فى المنظمة، ومن بينهم السجناء. فى مارس ٢٠٠٦ تحول بروتوكول الخاص بموقع kataebaqsa إلى أحد العناوين بسانتا مونيكا بولاية كارولينا. بينما تحول موقع kataebaqsa1 إلى شركة ماليزية/ سنغافورية.

هناك أوجه تشابه من حيث أنماط التصميم بين كتائب شهداء الأقصى وصقور فتح؛ ارتبطت هذه الوحدة بكتائب الأقصى وقدمت مواداً عن العمليات فى موقعها، من بينها ڤيديو كليبات لمقطع يصور التدريبات وصور فوتوغرافية للشهداء. كما رافق أحد أفلام العمليات، والذى تبلغ مدته خمسا وعشرين دقيقة، تلاوة قرآنية. خضع هذا الفيلم للمونتاج بمقاطع موسيقية متنوعة، مثل "الأناشيد" التى تحض على الجهاد لتحرير فلسطين. ظهر فيلم لأحد الصقور فوق خلفية للقدس. عرض الفيلم صوراً لأعضاء الكتيبة المتوفين وسط حقل أخضر يمثل الجنة، قبل عرض فيلم يظهر التدريبات والعمليات العسكرية، بينما كانت صورة ياسر عرفات تتابع الجلسات. أُستخدمت المؤثرات الخاصة فى كل الفيلم أثناء المونتاج، وفى بعض الأحيان كانت هناك أيضًا إشارات وثائقية بالڤيديو؛ تظهر فرقة عسكرية وهم يصلون، يقرأون بيانًا مُعَدًا سلفًا، قبل أن تُطلق صواريخ أرض جو. اشتمل معرض الصور على صورة متنافرة مع بقية المشهد لـ"الشهيد سكرانى أبو حامد" وهو يجلس على كرسى مرتديًا شبشبًا، كما لو كان فى عطلة، بينما يقف منفذو العمليات الآخرون فى أوضاع أكثر عسكرية. سُجِّل الموقع عن طريق بروكسى من خلال شركة بولاية أريزونا. وهناك أمثلة أخرى عديدة من معارض صور الشهداء المرتبطة

فلسطين؛ احتفظ موقع khayma.com بقائمة الشهداء فى الفترة من ٢٠٠٠-٢٠٠٢.

يطبق موقع «دنيا الوطن» ومقره غزة منهج مجلة إخبارية مصقولة الصفحات فى نشر محتواه، حيث توجد بنود حول نمط الحياة والثقافة الشعبية وسط بيانات القادة السياسيين والمعلومات العملياتية. وبأكثر من طريقة، يشبه شكل الموقع البى بى سى نيوز أو موقع سى إن إن. كما وضع رابطًا لصفحات "المبادرة" التى تنظمها المبادرة الوطنية الفلسطينية. ولهذه الصفحات أساس فى مُثُل منظمة التحرير الفلسطينية، وقرنت نفسها بالنظم "الديمقراطية" تحت شعار "من أجل تفعيل الحقوق الوطنية الفلسطينية، وقيام سلام عادل ودائم". وفضلاً عن إنتاج مواده الخاصة باللغتين العربية والإنجليزية، خاصة أثناء فترة الانتخابات الفلسطينية، وضع موقع "المبادرة" روابط بارزة لتغطيات منظمات ووسائل الإعلام الخارجية للمنطقة؛ لم يكن لـ"المبادرة" هوية دينية واضحة فى بياناته وتصميمه، وركَّز بدلاً من ذلك فى لافتته الرئيسية على العلم الفلسطينى والاحتجاجات ضد الجنود الإسرائيليين.

الإنترنت أيضًا مكان يُسلَّط فيه الضوء على محنة النشطاء المسجونين. على سبيل المثال، كان لحسام خضر، وهو عضو بالمجلس التشريعى الفلسطينى حُكِمَ عليه بالسجن لسبع سنوات فى ٢٠٠٥، موقع مكرس لقضيته. فى ٢٠٠٤ أدين مروان البرغوثى، وهو أحد كبار حركة فتح ومؤسس حزب "المستقبل" السياسى، فى جريمة قتل وحُكِمَ عليه بالسجن المؤبد خمس مرات؛ وفى السنة التالية، أصبح عضواً بالمجلس التشريعى الفلسطينى. كان يجرى تحديث الموقع المسجَّل فى رام الله لحملة إطلاق سراحه فى نسختيه العربية والإنجليزية، وتتضمن مسودات القضية الكاملة "دولة إسرائيل ضد مروان البرغوثى"، وصوراً للمحاكمة،

والملصقات، وروابط الحملة. وضمت النسخة العربية شعرًا عن أبى نضال مؤسس فتح.

ساحات القتال الرقمية الفلسطينية: تعليق ختامى

ظل ثمة تناسج بين الإنترنت والحملات الخاصة بالمواقف المتعلقة بالقضايا الفلسطينية والتعبير عنها لفترة طويلة. تعكس هذه المواقف طبيعة الشتات التى يعيشها الشعب الفلسطينى، حيث عمدت شرائح منها إلى استغلال التكنولوجيا باعتبارها وسيلة ناجعة للتواصل بخصوص مجموعة متنوعة من القضايا. ليست كل وجهات النظر هذه إسلامية بالضرورة، الأمر الذى يعكس تاريخ الحركات الفلسطينية المعقد. قد يطلق عليها مسميات متعددة، وليست هذه المسميات دائمًا مكملة لبعضها؛ قد يكون "إسلامى" مسمى واحدًا لكنه ليس بالضرورة أولوية للكثير من الناس. وقد يكون تسمية العرب الذين يعيشون داخل حدود إسرائيل الحالية "فلسطينيين" محل تساؤل. ويلعب السكان المسيحيون الفلسطينيون دورًا داخل هذه الشبكات والانتماءات وخارجها.

جعلت الطبيعة المتغيرة للشعب، وقضاياه، ومواقعه ضمن مصفوفة دينية سياسية - طبيعة قادرة على الاتصال بالقضايا ذات الصلة، بل وفى بعض الحالات، تُوَجَّه نحو "العدو" - مسألة الحوار الفلسطينى على الإنترنت مسألة معقدة بوجه خاص. كما تشكل نصًا تحتيًا مهمًا للتطورات الجارية فى المنطقة. هناك وعى عميق بأهمية الوسيط السيبرى لجميع أولئك المرتبطين بالحملات "ذات التوجه الدينى" فى فلسطين.

تشكل تلك الآلية بديلاً لأشكال وسائل الإعلام التقليدية التى تتناول القضايا الإسلامية الفلسطينية مثل الصحف ووسائل البث. قد تكون بعض هذه الصحف والقنوات مملوكة لفلسطينيين أو لديها مكاتب ومراسلون فى المنطقة أو كليهما.

وسائل الإعلام هذه متاحة أيضًا الآن عبر الإنترنت، رغم أنها ليست جميعها بالضرورة إسلامية فى توجهها. هناك أيضًا فلسطينيون يسهمون فى أشكال وسائل الإعلام والقنوات الأخرى، مثل القنوات الفضائية ووسائل الإعلام العربية، والتى قد يكون لها منافذ على الإنترنت أيضًا. أصبحت تكنولوجيا المعلومات فى ظل هذه المعادلة المعقدة وشبكة الأفكار والحملات - عنصراً حاسمًا لأولئك الذين ينظمون حملات لتحرير فلسطين، لاسيما الذين لديهم رؤية إسلامية لمستقبل المنطقة.



خاتمة:

تحول البيئات الإسلامية السيبرية

يوضح كتاب "مسلمون افتراضيون" ما يحدث عندما يجتمع عنصران من العناصر التي تهيمن على تشكيل الحياة في القرن الحادي والعشرين، وهما الإسلام والإنترنت. وسواء نَجَمَ عن اجتماع هذين العنصرين انفجارٌ أو مجرد أمواج لطيفة مترقرقة يظل هذا أمرًا مفتوحًا للنقاش. وعلى الرغم من أنه لا يمكن تعميم ترتيب تتابعي مُسلسل على مثل هذه المجموعة العريضة من المتغيرات، إلا أن بعض الأنماط الأساسية ظهرت ضمن الإنترنت الإسلامي الناشئ:

لا تُحْـدِث هذه الأنماط تأثيـرها فى اتجـاه واحـد بالضـرورة، إذ إن أنشطة "المسلمين الافتراضيين" تركت أثرها على الأشكال النوعية لأنشطة الإنترنت وعملت بمثابة عالَمٍ مصغر يجسد القدرة المحتملة لتكنولوجيا المعلومات كوسيط يعمل على تحويل الشبكات والمجتمعات. أظهر الاستخدام المبتكر للمعدات والبرمجيات باسم الإسلام أن "المسلمين الافتراضيين" يتحدون الحواجز ويخلقون سوابق لنشاط مدعوم بالكمبيوتر. يولِّد الوسيط أيضًا توقعات جديدة للاتصالات والشبكات باسم الإسلام تتجاوز تلك التى تصورها "المسلمون الافتراضيون" (أو تُصُوِّرَت من أجلهم) حتى فى بداية القرن الحادى والعشرين. جابهت هذه التوقعات، بالنسبة للبعض، الصور النمطية المرتبطة بالاستخدام الإسلامى والمسلم للتكنولوجيا.

أحد الأمثلة التى نوقشت فى هذا الكتاب هى أثر التدوين كأداة للتعليق وتبادل

المعلومات. من الآثار غير الحميدة كلية أن الإنترنت قاوم أيضًا الحواجز التى تقف أمام تطور الوسائط اللوچستية الديناميكية للدعاية الجهادية. يعزز هذا بحث كاستيل عن "عملية التغير التكنولوجى الثورى" واقتراح أيكلمان بشأن "تكوّن أشكال جديدة ومتداخلة من الجماعة، والالتزام، والارتباط".

وقعت هذه العمليات بسرعة ولا تزال فى تطور مستمر. أما بالنسبة للسوابق، لا يسعنى إلا التفكير فى توسع الإسلام وتشكل شبكاته بأسلوب متسارع فى القرن السابع الميلادى - منذ ظهوره فى شبه الجزيرة العربية فى ظل رعاية الرسول محمد (ص) الذى أتاه أمر الله "اقرأ!" فى ٦١٠م، وتوسعه عبر القارات حتى وصل إلى أوروبا الغربية والصين والهند وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى (بين أماكن أخرى) بعد مائة عام. رددت تلك السابقة أصداء شبكات التجارة والمعرفة التقليدية فى

العصور السابقة للإسلام، والتى أضيفت إليها العوامل الاجتماعية والعسكرية والسياسية، مع ازدياد الرسالة عمقًا من خلال التكرار والتأويل. وجاء التوسع المعاصر فى الخطاب الإسلامى من خلال الإنترنت متلازمًا مع عوامل خارجية وإن لم يكن أقل إبهارًا.

لا أود أن أقدم صورة مثالية فى هذا الصدد. فعلى الرغم من أن إعادة ربط شتات دار الإسلام رقميًا لم تخلُ من صعوباتها وأنه مازال ثمة كثير من الجهد التطويرى الذى يجرب الاضطلاع به، لكن المؤكد أن هناك مستوى عاليًا من الكفاءة الوظيفية فى خطاب المسلمين الافتراضيين على الإنترنت. أعاد الإنترنت تشكيل حدود الشبكات المسلمة، وخلق حوارات جديدة، وأتاح مسارات جديدة للمعاملات فى اقتصاد المعرفة الإسلامية. تتمتع الآن البيانات والمحتويات، التى كانت تعانى من قبل من دورة التداول القصيرة فى شكلها المطبوع، بقيمة مضافة من خلال الذيل الطويل للتوزيع والأرشفة والقابلية للبحث الإلكترونى. جعلت تلك القيم نفسها اقتصاد المعرفة الإسلامية اقتصادًا عالميًا وتنافسيًا على نحو متزايد بالنسبة لبعض اللاعبين، فيما عززت أيضًا الأدوار الإقليمية والمحلية لبعض مقدمى الخدمات.

سعى هذا الكتاب، فى صراعه مع البيانات الهائلة سريعة الزوال، للاستجابة للأثر الذى أضفاه هذا الإنترنت دائم التوسع على القضايا التى تتجاوز الوجود المحلى وأشكال الخطاب التى تمخضت عنها. وأوضح هذا الكتاب أن هناك العديد من التفسيرات المرتبطة باستخدام الخطاب المسلم على الإنترنت وتنفيذه. اقتصاد المعرفة الإسلامية اقتصادٌ ثبتت استجابته للابتكار التقنى، وهو مكرس لجذوره بقدر تكريسه لمعدِّيه ولمن يوجهونه وآليات ذلك. تتخلل مستويات شتى من التدين واللغة الدينية البيئات الإسلامية السيبرية أيضًا. ويمكن للشبكات المسلمة أن تتخذ أشكالاً وواجهات عديدة، كما تتوصل فى بعض الأحيان إلى مشتركات فى بعض المجالات

المرتبطة بالأطر المفاهيمية والتفاهم الدينى. لكن لاشك أن الصراعات تتبدى بعامل تحفيز أيضاً فى بعض مناطق البيئات الإسلامية السيبرية، سواء كانت صراعات بين المسلمين وغيرهم أو مع بعضهم أو صراعات موجهة إلى أهداف أخرى. ورغم حقيقة أن العديد من القطاعات فى العالم الإسلامى ما زالت لا تتمتع بفرص للوصول للإنترنت، بات الإنترنت أداة مهيمنة للتعبير الدينى الإسلامى ومكاناً مهماً لملاحظة الاتجاهات والقيم المتحولة والمرتبطة بأشكال الإدراك المفاهيمى للإسلام.

ليس المقصود فى هذا الكتاب الإيحاء بأن الأجيال السابقة على الإنترنت كانت بالضرورة غير متغيرة أو ثابتة بطبيعتها، إذ تأثرت تلك الأجيال أيضاً وبشكل كبير بالعوامل السياسية والثقافية والعسكرية والاجتماعية والدينية والتكنولوجية. تؤثر هذه العناصر أيضاً على حياة المسلمين وشبكاتهم المعاصرة. غير أنه ليس هناك شك فى أن هؤلاء "المسلمين الافتراضيين" المتواجدين على الإنترنت بشكل دائم أو الذين يدخلون عليه بانتظام يستطيعون الآن رؤية العوالم المسلمة بشكل مختلف عن الأجيال السابقة، وأن أنماط الحياة الإسلامية تعدلت وفقًا لذلك. فعلى سبيل المثال، قد تخضع مواقيت الصلاة والصوم لقاعدة بيانات على الإنترنت. كما أن البحث داخل قاعدة بيانات عن إحدى الفتاوى، أو طلب التماس من أحد المراجع بالبريد الإلكترونى قد يؤثر على ممارسة الشعائر. ويمكن أن تتشكل العلاقات بين الجنسين من خلال الإنترنت، سواء كانت ذات طبيعة شخصية أو فى إطار العمل. قد يُعاد تشكيل الولاءات، مع تطور صلات جديدة مع المرجعيات الدينية أو القادة السياسيين أو كليهما. ويستطيع المسلم الافتراضى، باستخدام هواتف البلاكبيرى والهواتف المحمولة وأجهزة المساعد الرقمى الشخصى، الوصول دائمًا إلى بيانات عن الإسلام – سواء كانت مواقيت الصلاة أو فتاوى فقهية أو القرآن أو موقع أقرب مسجد عن طريق خرائط جوجل. يستجيب الوسيط للتغيير، سواء كان تكنولوجيًا أو

دينياً بطبيعته، بما يجعل الموارد "متجددة دائمًا" ومؤثرة بخلاف وسائل الإعلام المطبوعة التقليدية.

لفكرة وجود الإسلام "أونلاين دائمًا" إمكانية تشكيل الطابع الدينى وأشكال الفهم الشخصية لأولئك الذين يختارون تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بهذه الطريقة. يمكن أن تمتاز هويات "المسلمين الافتراضيين" بعلاقة تكافلية مع الإنترنت، لكن ذلك يتطلب قدراً من السيطرة؛ إذ ينبغى على الفرد أن يتخذ قراراً واعيًا لتشغيل جهاز ما والاتصال بخدمة ما قبل العثور على موقع أو مورد يختاره. لا يتوفر الفائض المعلوماتى فى السوق الإسلامية فحسب، وهو ما عرضناه فى جميع أرجاء هذا الكتاب، بل إن هناك أيضًا فائضا معلوماتيا فى جميع أنحاء الإنترنت برمته.

مما لا ريب فيه أن عدد المواقع والمحتوى الإسلامى قد تزايد أثناء كتابتى لهذه الفقرات. إن إدارة هذه الكمية من البيانات ومعالجتها ليست مجرد مسألة تخص مطورى الرقاقات متناهية الصغر ("الميكروتشيبس") لكنها تخص المستخدمين أيضًا. قد يحرم اقتصاد المعرفة الإسلامية "الأونلاين دائمًا" الفرد من فرصة التأمل، رغم أن التأمل قد يتم بواسطة الكمبيوتر بطبيعة الحال. عملت الأشكال والتطبيقات المتعددة والمرتبطة بمواقع الشبكات الاجتماعية وويب ٢,٠ إلى زيادة كمية، إن لم يكن نوعية، المواد ذات الصلة بالإسلام والمتاحة فى الفضاء السيبرى وما يتجاوزه، إن لم يكن نوعيتها أيضاً.

تَقاطَر الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات من الشرائح الثرية من المجتمع إلى تلك الأقل ثراءً. يتعلق أحد الأسئلة المثيرة للاهتمام بأنه سيكون ثمة فجوة، ليس بين الأثرياء والفقراء، بل بين المتصلين بالإنترنت وغير المتصلين به باختيارهم. وفيما يوحى المسلمون الورعون بأن الإسلام موجود دائماً وواجهة الكمبيوتر ليست

ضرورية، فإن ثمة خياراً الآن للاتصال الدائم بالإسلام عبر تكنولوجيا المعلومات. وقد يفرض هذا ضغوطًا على بعض الأفراد، خاصةً أولئك الذين يسعون إلى تقسيم الدين داخل تصنيفات مغلقة فى حياتهم اليومية.

بات من العسير بصورة متزايدة العثور على أماكن ليس لتكنولوجيا المعلومات دورٌ فيها. على سبيل المثال، تدمج مراكز التسلية المنزلية محتويات الإنترنت ببرامج القنوات الفضائية المتاحة حسب الطلب أو التليفزيونية المتاحة للمشتركين فقط. دخلت القنوات الإسلامية ضمن خيارات المشاهدين. وكما هو الحال مع الإنترنت، علينا أن نتساءل: مَنْ الذى يشاهد هذا المحتوى ويتفاعل معه فى مثل هذه البيئة ذات القدرة التنافسية العالية والغنية بالمعلومات؟ تعمل أجهزة الكمبيوتر فى كثير من المنازل بشكل دائم، ويمكن أن تقدم مجموعة واسعة من مواد الوسائط المتعددة التى كانت غير معروفة تمامًا فى التسعينيات. أولئك "المسلمون الافتراضيون" الذين يشعرون بأن من واجبهم التواجد بانتظام على الإنترنت للحفاظ على الانتماءات والشبكات والعلاقات على الإنترنت وتعزيزها قد يفعلون ذلك على حساب الشبكات التقليدية. كما أضاف تطور منتجات الإنترنت الإسلامية، مثل IslamicTube، IslamicTorrents وMuslimSpace مستوى من الأمان والإتاحة بالنسبة للبعض.

يعتقد بعض النقاد أن للإنترنت تأثيراً ضاراً على المجتمعات الإسلامية من خلال تقديم قيم يُرى لها دلالات ضمنية سلبية ذات صلة بالأنساق الأخلاقية والمعنوية. وهذه، بالطبع، ليست مجرد آراء تعبر عنها بعض الدوائر الإسلامية. كان لموضوعات مثل انتشار أنشطة الشبكات الاجتماعية وأثرها على العلاقات، أو إدمان البورنوجرافيا، صدى بين العديد من نقاد الويب. ولاشك الآن، ورغم هذه العوامل، أن الإنترنت وُجِدَ ليبقى، وأن المطلوب مستوىً من التكيف مع بيئة وسائل الإعلام، خصوصًا نظراً لزيادة فرص الوصول إلى الإنترنت التى سهلتها الهواتف المحمولة.

لابد من النظر إلى تطورات الإنترنت باقترانها بالأطر المتحولة المرتبطة بالمرجعية الدينية، وتشمل تلك مفاهيم مرتبطة بلامركزية المواقع التقليدية مقارنة بسلطة "العلماء". مثلاً تمتاز فرص عرض القرارات المستندة إلى "الاجتهاد" ونشرها بأنها أكبر بكثير مما كانت عليه فى التسعينيات. ويستطيع أى فرد يرى نفسه (أو يعلن) أنه مرجع دينى أن يضع إعلاناً ويرفعه على موقع على الويب. أما ما يُطلَق عليها أجندات الإصلاح الإسلامى، والتى قد تفتقر إلى الموافقة الحكومية، فلديها جمهور جاهز. على حين أنه قد أصبح بإمكان مَنْ هم بالهامش، ومن بينهم أولئك الذين يسعون لتنفيذ الممارسات الدينية الجهادية العسكرية، بث أفكارهم إلى جمهور عالمى فى الوقت الذى يأمنون فيه الرقابة نسبياً.

عندما كنت أبحث فى مسائل المرجعية الدينية وصنع القرار فى منتصف التسعينيات، كان تدفق الاتصالات مقتصراً نسبياً على شرائط الكاسيت وأجهزة الفاكس ووسائل الإعلام المطبوعة. أُستخدم البريد الإلكترونى، لكنه كان شاغلاً للأقلية إلى حد كبير. أجريتُ مقابلات مع العديد من "العلماء" الذين كانت أجهزة الكمبيوتر مستخدمة فى مكاتبهم عامة لإنتاج المواد التى سوف تنتقل بعد ذلك من خلال وسائل الإعلام التقليدية فقط.

تحدث إلىَّ بعض هؤلاء العلماء من مكاتب تجاور دوراً للتحرير والطباعة والنسخ الإعلامى، والتى لعبت دوراً لضمان رواج أفكارهم وآرائهم. كنت فى العادة أغادر الاجتماعات بحقيبة مليئة بالأدبيات التى تبرر رؤاهم التفسيرية والسياسية. افتقرَ هذا، بالطبع، إلى المباشرة التى يمتاز بها الإنترنت اليوم. لدى تلك المكاتب نفسها الآن إدارات خاصة بالإنترنت، تُركز على محتوى الإنترنت بشكل قد يفوق وسائل الإعلام المطبوعة فى بعض الحالات، مع وجود علماء قادرين على قطع الطريق على الوسطاء عند الحوار على الإنترنت حول مسألة محددة. تشير المباشَرة فى بعض

السياقات إلى تحولات متميزة فى نماذج انتشار المعرفة وخلق المحتوى، فى ظل احتمال وجود تأملات متأصلة لا يسمها قدر كبير من الإعادة والتكرار كما فى حال فى المواد المطبوعة.

آنذاك لم يكن هناك مفهوم يمكن أن يكون ذا صلة بما أسماه هذا الكتاب بـ"المسلم الافتراضى". لم تكن فكرة إمكانية تفاعل الفرد مع المعرفة المقدسة على الإنترنت، بل وبلوغ جوهر التجربة الدينية، فكرةً دخلت بالفعل إلى الخطاب الإسلامى السائد. كان هناك أفراد عملوا على تقييم إمكانات هذا الوسيط، لكن المرجح أنه لم تكن لديهم أية فكرة حول كيفية التفاعل بين تكنولوجيا المعلومات والإسلام. ولم توفر التكنولوجيا وقتذاك نطاق الوسائط المتعددة المتاح حاليًا.

تطلب الوصول إلى المعرفة عادةً وسيطًا بشريًا، مثل "شيخ" أو "عالم" أو "بير" (مرشد أو معلم صوفى) أو "إمام"، شخصا يمكن استشارته إما وجهًا لوجه أو من خلال مصادر النصوص. كان ثمة عدد قليل من الخيارات البديلة؛ ولا يعنى هذا أن تلك القنوات التقليدية قد أُغلِقت، بل إن الفرص المحتملة للوصول إلى مسارات بديلة وإلى عُقد معلوماتية توسعت بصورة مضاعفة فى ظل الإنترنت.

أتذكر جيداً حينما كنت أحضر جلسات فى باكستان حيث يأتى الأزواج إلى أحد العلماء ليطلبوا منه البركة وفتوى العلم الدينى بشأن الصعاب الأسرية التى يواجهونها. كان هذا يتطلب مقابلة وجهًا لوجه؛ لكن بالإمكان الآن إجراء مقابلة وحوار مماثل على الإنترنت. وبالمثل، أتذكر الناس الذين كانوا يقسمون يمين الولاء الدينى لأحد القادة الدينيين السياسيين فى باكستان، وهو عمل كان يتطلب أيضا إجراء مقابلة وجهًا لوجه. أما اليوم فيمكن إقامة نفس الإجراءات عبر الإنترنت. ربما لم تستبدل الممارسات التقليدية، لكن الخيارات البديلة أتيحت لأدائها عبر الإنترنت.

قد يتخذ تعريف "المسلم الافتراضى" أشكالاً عديدة. من الجلىّ أنه فرد متصل بالإنترنت، لكن هذا فى حد ذاته لا يوحى بزخم التفاعلات أو أشكال السلوك التى تتم عبر الإنترنت. ونتيجة لوضعى هذا الكتاب، يمكننى الآن أن أقدم بعض النماذج "للمسلمين الافتراضيين" (بدون أى ترتيب معين):

● المسلم الافتراضى يقضى عدة ساعات يوميا متصلاً بوصلة ADSL عالية السرعة، ويتشارك مع أقرانه الحديث فى غرف الدردشة أو إنتاج صفحات محتوى الإنترنت.

● المسلم الافتراضى يقوم بالمعاملات المالية المتوافقة مع الشريعة عبر هاتف البلاكبيرى.

● المسلم الافتراضى يبحث فى الإنترنت عن معلومات تتعلق بمسألة تفسير دينى.

● المسلم الافتراضى قد يزور مدونة إسلامية مرة واحدة فى السنة للاطلاع على النميمة والقيل والقال.

● يمكن للمسلم الافتراضى أن يستخدم الإنترنت كأداة دعوية لتحويل الآخرين إلى الإسلام أو إلى رؤية إسلامية للعالم.

● يمكن للمسلم الافتراضى أن يستخدم الإنترنت باعتباره شكلاً من أشكال الإعلام والعلاقات العامة لتوصيل الرسالة بفاعلية إلى جمهور محلى أو عالمى.

● المسلم الافتراضى نشط فى شكل من أشكال الإسلام ذى المغزى السياسى وسوف يستخدم الإنترنت للدعوة لتفسيرات محددة ومناقشتها مع أقرانه.

● المسلم الافتراضى يستخدم الهاتف المحمول فى ميدان القتال لرفع الأنشطة العملياتية التى تستمد قاعدتها اللوجستية من الكتيبات الجهادية على الإنترنت.

● المسلم الافتراضى يترجم مواداً من لغة إلى أخرى، ومن شكل الى آخر، ويقوم بتوزيعها.

● المسلم الافتراضى يرفع محتوى الفيديو والملفات المسموعة، سواء التى أنتجها بنفسه أو من مصادر خارجية.

● المسلم الافتراضى يقوم بالحملات حول مسألة محددة، وذلك باستخدام أدوات الشبكات الاجتماعية ورفع رسائل الفيديو عبر موقع يوتيوب. المسلم الافتراضى يستخدم الإنترنت للاتصال بشبكة أو جماعة ومتابعة أنشطة الأعضاء الآخرين أو أحد الزعماء الدينيين.

● قد لا يقترب المسلم الافتراضى من أى كمبيوتر إلا لضمان رفع الإعلانات أو البث عبر الإنترنت من قبل فريق متخصص.

هذه الفئات لا يستبعد بعضها بعضًا. يمكن أن تكون هناك درجات من التقاطعات. قد يقوم المسلمون الافتراضيون بأنشطة مماثلة أثناء اتباعهم لأجندات مختلفة تمامًا. وسوف يصبح تعريف المسلم الافتراضى أكثر اختلاطًا استجابة للتحولات فى التكنولوجيا، وأكثر شمولاً مع انفتاح الواجهات على اللغات الأخرى، وأكثر تمكينًا فى ظل رخص أسعار توسيع النطاق الترددى ورقائق الكمبيوتر. ولابد من إدخال الناس الذين يتأثرون بالمسلمين الافتراضيين أيضًا فى المعادلة. من الأسئلة المثيرة للاهتمام التساؤل حول ما إذا كان الأفراد داخل هذه الفئات يعتقدون أن تدينهم و"إسلامهم الافتراضى" يزداد كثافة وعمقًا عن طريق الأنشطة عبر الإنترنت. كان هذا هو الحال بالنسبة لبعض الواجهات، خصوصاً لأولئك الذين لا يرون إلا فارقًا ضئيلاً بين عالم الإنترنت والعالم الحقيقى.

سعى هذا الكتاب لإثبات أن المسلمين الافتراضيين لهم الكثير من الاهتمامات، التى لا يكمل جميعها بعضها البعض. قد يهيمن الخطاب الجهادى على قراءات وسائل إعلام البيئات الإسلامية السيبرية، لكن الواضح أن هذه ليست هى الصورة الكاملة. ولابد أن تستجيب دراسة الإسلام لهذا. هناك العديد من المناقشات الحالية

فى مجال الدراسات الإسلامية وأدوارها فى المستقبل. كثفت سياقات ما بعد ٩/١١ الاهتمام بجوانب محددة فى الإسلام والمجتمع الإسلامى، لكنها تحدت أيضًا دور القائمين على دراسة الإسلام. ظلت هناك مخاوف بشأن التدخل الحكومى الساعى إلى توجيه أجندات الدراسات الإسلامية الأكاديمية باتجاه مصالح استراتيچية محددة أو الترويج لأشكال محددة من الإسلام.

جرى الترويج لدراسات بعض أشكال الخطاب على الإنترنت فى محيط الجامعات فى محاولة للتصدى للأنشطة الجهادية المستمرة وليس من أجل الإضافة إلى البحث الأكاديمى. يمكن أن تكون هناك علاقة بين هاتين الدائرتين من دوائر المصالح داخل الجامعات، استناداً إلى السياسة والدافع المالى. وهناك أيضًا أبحاث أكاديمية جادة، وغير ذات صلة بأية أجندات، فى وجود مصادر الإنترنت وبصورة متزايدة جزءًا من المرجعية الشاملة حول القضايا المعاصرة. حاولت بعض الجهات أن تستمد "البصيرة والإلمام السريع بقدر أكبر من المعلومات" من خلال الترويج للمؤتمرات "الأكاديمية"، رغم أن الاتجاه يبدو وأنه يدفع بتبادل المعلومات فى اتجاه واحد (الاتجاه الذى تتبناه تلك الجهات). ومن المفارقة أن نرى الجهات التى تسعى إلى الاستفادة من المهارات اللغوية والمعرفة فى هذه المجالات تتودد إلى الأكاديميين الذين كانوا يناضلون فى السابق للحصول على تمويل حكومى. واستفادت بعض المؤسسات بطبيعة الحال من السعى لملء الثغرات الموجودة فى الأسواق الأكاديمية لتلبية مثل هذه المطالب الذاتية، بالرغم من ردود فعل بعض الأكاديميين الراسخين المتشككة فى مسارات البحث الجديدة أو الإجبارية.

ينبغى أن تشكل دراسة أنشطة الإنترنت المتعلقة بالإسلام جزءًا من أية معادلة تسعى إلى مقاربة الخطاب الإسلامى المعاصر، وأنا أعى هذا من خلال العدد المتزايد من رسائل البريد الإلكترونى التى أتلقاها من الناس الذين يطلبون

المساعدة فى مشاريعهم البحثية. إحدى الخصائص الإشكالية لهذه الظاهرة هى أن التركيز على دراسة المواد الجهادية، وهو مجال يُحتمل الحصول من خلاله على تمويل أكثر، سيكون على حساب فهم الأشكال الأكثر هدوءًا نسبيًا للفهم الإسلامى التقليدى والمعاصر على الإنترنت. من المهم لكلٍ من التصورات المطلعة وغير المطلعة عن الإسلام والمسلمين أن تتلقى هذه العناصر أيضًا الاهتمام الأكاديمى الملائم. توفر مقاربة دراسة جميع جوانب الإسلام عبر الإنترنت، وخاصة التجربة الدينية، المواد التى لم تكن متاحةً قبل أواخر التسعينيات. يواصل متن مواد المصدر التوسع، فى وجود أسلوب مباشر للوصول للإنترنت لم يكن متاحًا لهؤلاء الذين كانوا يبحثون عن مقالات الدوريات والكتب التى لم تكن معروفة جيدا فى العصر ما قبل الرقمى. يفتح الإنترنت فرصًا لإتاحة المزيد من الرؤى والتحليلات المطلعة من منظورات محددة على ما يجرى فى العالم.

منطقيًا، ينبغى أن يكثف هذا فهم الإسلام، لكن ولسوء الحظ، تأتى هذه المواد فى بعض الحالات مغلقة غالبًا إما بخطاب معادٍ للإسلام أو بمحتوى يسعى لتقديم تفسير متجانس للإسلام بالتركيز على مدرسة فكرية أو فقهية واحدة. لفيض المعلومات دورٌ فى هذا وكذلك التمويل، إذ إن أولئك الذين يملكون أكثر الجيوب امتلاءً هم غالبًا الأعلى صوتًا على الإنترنت. يمكن أن ينقلب هذا مع استخدام أدوات ويب ٢,٠؛ كما يمكن أن يكون للمواد القاعدية المُنْتَجَة على المدونات وسياقات الشبكات الاجتماعية أصداء أعلى وأكثر تأثيراً من المواقع الرسمية الرصينة.

على مستوى القراء، قد تولِّد أساليب إدارة المعلومات الفضول لدى البعض أو الحساسية للبعض الآخر، حيث يلعب موفرو المحتوى على سذاجة بعض القراء عند تبنى بعض التفسيرات والقضايا. سعت مجموعة من اللاعبين إلى استغلال

اهتمامات القراء وانتماءاتهم، بدءًا من الاهتمامات الحكومية إلى تلك الاهتمامات التى تعتبر راديكالية ومتطرفة. ويؤدى هذا بدوره إلى أشكال جديدة من الأبحاث، ترتبط بردود الأفعال حيال التكنولوجيا الجديدة وآثارها الاجتماعية الضمنية بالنسبة للمسلمين.

من الصعب التنبؤ بأوجه التكنولوجيا التى ستحظى بالشعبية؛ ففى الأيام الأولى من الإنترنت، كانت الرؤية مختلفة تماماً عن واقع اليوم. توقع عدد قليل تأثير البريد الإلكترونى، وأدوات التصفح والبحث، ومواقع الشبكات الاجتماعية، فيما هبط عدد من التطبيقات التى كانت مثار الاهتمام إلى أدنى المستويات. بات تحديد الأنماط الإسلامية فى هذا الفضاء المتغير والمتطور مشكلاً، لأنها لا تتوافق مع أناقة الأنماط الإسلامية المعهودة وتنسيقها كتلك الزخارف والقوالب الهندسية التى توجد فى المساجد والمبانى التاريخية. وقتئذ، أراد الحرفيون والمصممون الذين صنعوا تلك الزخارف والقوالب واستخدموها الإشارة إلى نمط لانهائى ونظام إلهى مقابل الفوضى فى هذا العالم.

سوف يستفيد تعامل الإنترنت مع البيئات الإسلامية السيبرية من زيادة المشاركات الأكاديمية، وخاصة من السياقات المسلمة. المشاركات الحكومية مؤكدة بشكل ما، على الأقل فى المناطق الجهادية والسياسية، ويسعى البعض أيضاً لإملاء المسئوليات الدينية واتجاه المتصفحين. يتطلب نطاق المشاركة أيضاً من المجتمعات المسلمة إلقاء نظرة فاحصة على خطاب الإنترنت وتحديد اتجاهه. ولا تزال الفجوة الرقمية بين الأجيال حادة فى بعض السياقات المسلمة. إذ نجد أنه حتى الكبار من الملمين بالإنترنت غير قادرين على مواكبة حجم النشاط واتساعه على الإنترنت، فى حين تُقابَل المحاولات حسنة النية والتى لا تتواءم مع طبيعة الفضاء السيبرى لتنظيم جوانب البيئات الإسلامية السيبرية أو وضع أحكام لها تُقابَل بالصمت أو الازدراء.

فى بعض الحالات، لا يزال الفتور والحيرة بشأن الإنترنت موضوعًا مهيمنًا على العقلاء الأكبر سنا فى المساجد. أُحْبِطَت محاولات أولئك الذين رتبوا لإطلاق صفحات إنترنت على أمل زائف بالوصول إلى الشباب، حيث نُظِرَ إلى هذا المحتوى على أنه ردىء التنفيذ ويفتقر إلى روح العمل السرى، والتفاعل الاجتماعى، وديناميات غرف الدردشة والمدونات "الروشة".

تطفّر نموذج الفرد القابع أمام الكمبيوتر الشخصى، حيث تطورت واجهات متعاقبة لتمكين اتصالات الإنترنت على الهواتف المحمولة فى أشكال كثيرة. وفى السياقات المعاصرة، يمكن القول إن كل أشكال الميديا هذه رقمية فى نواحٍ كثيرة، ويرى البعض أنه لا يمكن الفصل بين الإنترنت ووسائل الإعلام الأخرى. غير أنه هناك وسائل إعلام متكاملة، بعضها ممأسس ورسمى ومنهجى؛ ويدخل بعضها الآخر فى نطاق القطاع الخاص؛ بينما يتسم البعض منها بأنه غير رسمى وفردى. وهناك نقاط تقع بين هذا وذاك، وحالة من الربط بين هذه المجالات. فى بعض الأحيان، يصبح من العسير أو من غير الضرورى التمييز بين الافتراضى وغير الافتراضى، إذ تتماهى أشكال التعبير الإسلامى، وتبرز سبل جديدة للتفاعل الإسلامى. كانت ردود الفعل إزاء قضية الرسوم الكاريكاتورية التى نُشِرَت بصحيفة "يولاندس بوستن" خير مثال على هذا النوع من التفاعل. كان هذا جزءًا من حوار قائم منذ زمن لكنه أوسع كثيراً حول المسائل الثقافية والاجتماعية والدينية المرتبطة بـ"المقدس". وتستفيد هذه المناقشات، بدرجات متفاوتة، من مجموعة من اللغات والأساليب اللغوية، بدءًا من العامية إلى الفصحى المحسوبة.

هذا الشعور بمجال الخطاب المتدفق، والذى قد يدمج إشارات إلى مصادر دينية (بما فى ذلك القرآن)، وعامية الشارع فى الفقرة نفسها، شعور له أهميته. المهم أيضًا هو الإدماج الطبيعى لأشكال الميديا الأخرى فى المناقشة وبخاصة الصور

وأيضًا الأنواع الأخرى من التوثيق. ربما يكون استخدام الصور الفوتوغرافية والفيديوهات المستمدة من الهواتف المحمولة مهمًا أيضًا فى توفير المدخلات، خاصة مع تحسن الجودة الفنية لهذه الصور. غدا رفع محتوى الفيديو على يوتيوب والقنوات ذات الصلة عنصرًا لا ينفصل من عناصر التعبير على الإنترنت، مع إتاحة الخطب والتعبير الدينى (الذى يشتمل على أنشطة التلاوة والصلاة والحج). وبات ويب ٢,٠ مضافًا طبيعيًا للتعبير عن القضايا الدينية؛ رُفِعَ فيلم "الاستسلام" المثير للجدل لأيان هيرست على وثيو ڤان جوخ على يوتيوب أيضًا، إلى جانب روابط من منتقديه ومؤيديه، فى إشارة إلى إمكانية مشاهدة رؤى متنوعة حول القضايا الإسلامية وقضايا المسلمين.

تدفع التكنولوجيا قُدُمًا بالأساليب التى يختار بعض المسلمين التعبير عن أنفسهم من خلالها على الإنترنت. يمكن أن تُطلِق بعض الأحداث تحولات فى الطرق التى يستخدم بها المسلمون الافتراضيون التكنولوجيا. كان أحد الأمثلة هذا هو استخدام التدوين والفيديو المتكامل أثناء غزو لبنان فى ٢٠٠٦، بما فى هذا استخدامات فصائل وصفت أنفسها وتصرفاتها بأنها "إسلامية". جذب المحتوى جمهورًا عالميًا عندما استمدته وسائل البث السائدة، ومن بينها القنوات التليفزيونية الإسرائيلية. كان للثرثرة على الإنترنت حول قضايا فى لبنان أن تغيِّر تصورات الأحداث من قبل الأطراف وتضمن عدم التصنيف التقليدى للقضايا المهمة بسبب عدم قدرة وسائل الإعلام السائدة على الوصول إلى الأحداث بشكل مباشر. كان جليًا أن الكثير من الأحداث المهمة فى العوالم المسلمة التى تتمتع بثقافة الإنترنت ستلقى على الفور تغطية عبر المدونات، حيث تقدِّم زوايا تستكمل ما تقدمه وسائل الإعلام التقليدية أو تتعارض معه فى بعض الأحيان.

أدت تصريحات البابا بنيديكت السادس عشر حول الإسلام فى وقت لاحق من

ذلك العام، التى تصوَّرها البعض بأنها "معادية للإسلام" فى تركيزها السلبى على النبى محمد (ص)، إلى رد فعل متنبَّأ به فى غرف الدردشة والمدونات. أما ما لم يكن متوقعًا بنفس الدرجة فكان هو الارتفاع الحاد فى عمليات طمس مواقع الإنترنت التى قام بها القراصنة ومخترقو المواقع الساعون للاحتجاج على بيان البابا، حيث سُجِّلت ٥ آلاف حالة طمس لمواقع على الويب خلال فترة أسبوعين فى سبتمبر ٢٠٠٦. بيد أنه فقد كانت ثرثرة الإنترنت الإسلامية عن البابا وعن لبنان تتناقض بصورة موسّعة ملحوظة مع مدى تغطية مناطق فى مجالات تفتقر عمومًا إلى بنية الإنترنت أو تغطية وسائل إعلامية عامة مثل دارفور.

وضعت بعض المواقع ذات الصلة بالنضال، ومن بينها تلك التى تحمل أجندة جهادية، روابط لمثل هذه المناقشات، حيث نظرت إلى هذه القضايا كفرصة للدعوة. وشمل هذا دوافع لأنشطة القرصنة واختراق المواقع. المواقع التى تقدم المشورة حول القرصنة ليست جديدة، لكن مجموعة صفحات "الجهاد الإلكترونى" قدمت مقاربة صريحة وبراقة لهذا الموضوع. جرى تداول عدد من القصص المخيفة حول القرصنة والجهاد فى ٢٠٠٧، مع مرور الموعد المحدد لحملة جهادية روِّج لها بشكل كبير دون وقوع حوادث.

كانت وزارة الشئون الإسلامية السعودية واحدة من العديد من الجهات التى أطلقت موقعًا على الويب فى محاولة لمكافحة النشاط الجهادى من هذا النوع. عبَّر طارق الحميد من صحيفة "الشرق الأوسط" عن دهشته من أن القاعدة استمرت، بالرغم من هذه التدابير، فى تجنيد الأتباع داخل المملكة السعودية: "منذ شهر مضى سألت مسئولاً أمنيًا سعوديًا لماذا ينضم الشباب إلى القاعدة وكيف يحدث ذلك رغم النجاحات السعودية المستمرة فى مكافحة الإرهاب؛ فأجاب: «بسبب إمام الخداع». ولما سألت عن هوية «إمام الخداع» أجاب «الإنترنت!»". يوحى التأثير

الملحوظ والحاضر للإنترنت الذى تصوره هذا المسئول بأن الحفاظ على السيطرة على الإنترنت، رغم استثمار الموارد المستدام، يظل مشكلاً بالنسبة للحكومة السعودية وغيرها من الحكومات.

من الواضح أن التحدى لا يزال قائمًا أمام السلطات المسلمة والأفراد بشأن كيفية التحكم فى الإنترنت وبيان الوعى بكيفية إمكانية تغييره لكل حياة المجتمعات والأفراد. هذه ليست، بالطبع، قضايا إسلامية حصريًا؛ فالمواقع الجهادية لها نظراؤها فى السياقات الثقافية والدينية والسياسية الأخرى. وتخترق المناقشات عن أثر الإنترنت مجالات أخرى عديدة بعيداً عن السياقات الإسلامية.

يدرك حتى أولئك الذين ما زالت مقاربتهم لجوانب الإنترنت تتسم بالسلبية أن الوسيط لن يتوارى، بل فى الواقع سوف يواصل تطوير حياة الأفراد والجماعات والتأثير فيها. يشير عدد المنصات والرؤى التى ظهرت على الإنترنت، أو التى عملت على تحسين مُنْتَجِها على الشبكة، إلى الاعتراف به ضمن مختلف العوالم الإسلامية. ثمة إدراك بأن فوائد الإنترنت يمكنها تعزيز الهوية الدينية، والتماسك المجتمعى، والترويج لخيارات أنماط حياة معينة. سُلِطت الأضواء على هذا عندما استعانت جماعة "التبليغ" بخدمات شركة للعلاقات العامة، وأطلقت موقعًا على الويب بجانب محتوى على يوتيوب لدعم إنشاء "مسجد كبير" فى شرق لندن.

ربما يمثل هذا أيضًا وعيًا بأن النت لم يعد وسيطًا للنصوص فحسب، بل يمكنه أن يعمل كقناة فاعلة تُستخدم فيها جميع قنوات الوسائط الإعلامية. وباتت التلقيمات الإخبارية، وكليبات الفيديو، والبث المباشر، ومساحات التحميل، والمنتديات، والمدونات، والبودكاست، وأدوات تعليم الفلاش، والمواقع الدينامية التى يجرى تحديثها بانتظام هى القاعدة وليس الاستثناء.

وعلى الرغم من أن الربط الشبكى المسلم مازال يعمل بطرق تقليدية غير

تكنولوجيـة، لكن النبض الاجتـمـاعى والدينى نبض رقـمى. بيـد أن هذا لم يَحُلْ بالضرورة دون زيارة الناس للمساجد، أو ممارسة شعائر الإسلام فى البيوت، أو الحياة بأسلوب إسلامى تقليدى. ربما تأثرت طبيعة ذلك التعبير، بشكل غير ملموس أو علنى، بمحتوى الإنترنت من خلال رأى عُثِرَ عليه فى مدونة، أو بڤيديو كليب شوهد على يوتيوب، أو فتوى طُلِبَت من "إسلام أون لاين". تداخل الآن خيط الخطاب السيبرى فى نسيج المجتمعات الإسلامية. لن يكون الناس أقل تمسكًا بالإسلام عند استخدامهم للنت؛ بل فى الواقع، قد يعزز هذا تدينهم. ولن يصلوا صلوات أقل عندما يتحولون إلى النت، لكنهم قد يتفاعلون مع الدين بشكل مختلف، حيث يتعرضون للمزيد من المعلومات عن الإسلام وأشكال المعرفة المتعلقة به.

من الواضح أن النظر إلى كل هذا باعتباره مفيداً يختلف باختلاف زاوية الرأى، خاصةً أن "إمام الخداع" أصبح فى الصورة. يشير الكثير من الناس، من بينهم أولئك الذين ينتمون لثقافات مسلمة، إلى أنهم وجدوا طريقهم إلى الإسلام على الطريق السريع للمعلومات. ولا يضم القطاع الذى تبنى هذا بأقصى قوة - وهم الجهاديون - الأغلبية العددية من المسلمين. قد تثير بعض موضوعات حملتهم تعاطف مجموعة أوسع من القراء، حتى لو أُعتبرت منهجيتهم مقيتة ومنافية للإسلام.

من المفارقات المؤكدة أن نجاح الجهاديين على الإنترنت قد يكون هو الذى حفز قطاعات أخرى كى تصبح أكثر نشاطًا فى الفضاء السيبرى وتناغمًا مع عواقبه. ويعطى الاستثمار المتواصل فى الخدمات التى يقدمها الأزهر عبر الإنترنت مؤشراً على ذلك. ومن العوامل المهمة الأخرى التى لابد من وضعها فى الاعتبار هى العلاقة بين وسائل الإعلام الأخرى مثل القنوات الفضائية، والخدمات على الإنترنت، مثل تلك الخدمات التى يقدمها أتباع يوسف القرضاوى. كم سيمضى من الوقت قبل أن

يفضل القرضاوى موقع "إسلام أون لاين" على الجزيرة باعتباره منفذه الإعلامى المختار؟ قد يمنحه هذا الثقة ليقول ما يشاء أن يقوله، مع علمه أن منفذه البديل يمكن أن يوفر بثًا مباشرًا وإعلامًا لجمهور دولى يفوق أثر الجزيرة.

ربما يكمن الفرق فى أنه من غير الوارد أن يجذب موقع "إسلام أون لاين" المشاهدين بنفس الأسلوب غير المخطط له الذى يشاهد به الجمهور الجزيرة فى مقاهى و"أسواق" الشرق الأوسط. فالآليات اللازمة لمشاهدة الجزيرة أسهل، لأن بث الجزيرة مباشر ومستمر ولا يستلزم البحث عبر الإنترنت من خلال زيارة العديد من الصفحات. وقد يتغير هذا الوضع حين يصبح تليفزيون الإنترنت متاحًا عبر الأجهزة المنزلية، ويصبح أكثر يسرًا وأوسع نطاقًا.

وعندما يحدث ذلك، ستصل منافذ مثل "إسلام أون لاين" إلى وضع راسخ استراتيجيًا يتحدى وسائل البث التقليدية ويلحق بنطاق القنوات الإسلامية المتاحة الآن. غدا مفهوم خدمة الوسائط المتعددة المتكاملة التى تُبَثُّ بثًا مباشرًا من خلال واجهات متعددة، لا تعدو أجهزة الكمبيوتر الشخصية المخصصة أن تكون سوى جزء واحد منها، حقيقة واقعة. لكن اعتبار هذه بيئات إسلامية سيبرية مسألة أخرى. الصحيح هنا أن اللاعبين الأصغر سيكون لهم صوت أيضًا وسيسعون لتمكين تعبيرهم الخاص فى سوق يزداد ازدحامًا. لكن وضع الآراء والمواد فى الفضاء السيبرى شىءٌ، وتواجدها وقراءتها فى منطقة مشبعة شىء آخر تمامًا. وربما يصبح تحديد الخدمات والأصوات المتميزة أكثر إشكالية. وفى الوقت الحاضر، يتطلب العثور على بعض المواد بحثًا عميقًا أو زيارات مفصلة لقوائم عناوين المواقع على البوابات وقوائم المدونات.

نمت قائمتى من المدونات الإسلامية نموًا سريعًا أثناء عملى على هذا الكتاب، رغم أننى أدمجت نموذجًا لمراقبة الجودة غير العلمية فى محاولة لوقف تدفق

الروابط. أصبح البحث عن مواد جديدة إدمانًا يستهلك الوقت بعيدًا عن قراءة المصادر الراسخة. بنيتُ قراءتي على خلاصات الآر إس إس (التي تشير إلى العناوين الرئيسية أكثر من مضمون خبر ما) أو البرامج التي تخبرني كلما وقع أي تحديث لمدونة مفضلة لديّ. ويوحي هذا بأن سيكون من المجالات المهمة في مستقبل البيئات الإسلامية وليس مجال توفير المحتوى بل الإرشاد وإدارة المعلومات. يجد "مرشد" الإنترنت أو المستشار الروحي الذي يوجه التلميذ في اتجاه المصادر والمشورة، في الواقع، أصداء من العلم الإسلامي التقليدي والذي يعود تاريخه إلى بداية إقامة الشبكات المسلمة. ويكتسب الإلمام بالطريق داخل المكتبة أهمية متزايدة تحول دون المعاناة من فائض المعلومات.

هناك تحسن وتطور مستمر في الطرق التي يستخدم بها الأفراد والمجتمعات المسلمة ميديا الإنترنت، وهي جزء من تطور عالمي متزايد في مجالات أخرى. لا يوجد أي سبب يدعو المسلمين للاستجابة بشكل مختلف لزيادة توافر الأدوات التقنية مثل برامج المدونات وتحسين فرص الدخول على شبكات الإنترنت. القضية نفسها مسألة إسلامية على وجه التحديد، والشخصيات الرئيسية أفراد متماهون مع الإسلام بدرجات متفاوتة.

وفيما لا يزال مثل هذا الحوار ظاهرة أقلية عددية، فإن صحتها تكمن في الطرق التي يمكن من خلالها تنوير عوامل التغيير الرئيسية والسماح بنشر الآراء بسرعة عبر سياقات أوسع. كما أنها تيسر الوصول إلى الأفكار بين مختلف السياقات المسلمة وداخلها، وتسمح أيضًا بفتح نافذة على القضايا المسلمة المعاصرة أمام "غير المسلمين".

وفيما يشعر البعض بضرورة كتابة التقارير وتسجيل رؤاهم الخاصة، ويعتقدون أن من الطبيعي تمامًا الاستفادة من الفضاء السيبري لتحقيق ذلك، يسعى آخرون

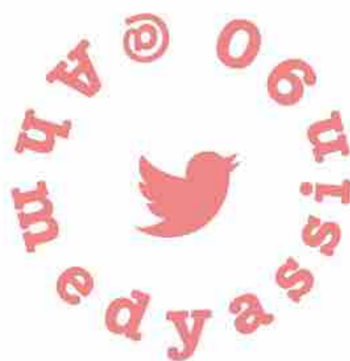
إلى دمج أفكارهم مع أفكار غيرهم من المدونين. ولا يزال التساؤل حول إمكانية أن تكون التصريحات عبر الإنترنت بديلاً عن الحملات فى العالم الحقيقى مطروحًا للنقاش. وتظهر أيضًا مجموعة من المصادر المختلفة المتجاورة ضمن وثيقة واحدة على الإنترنت؛ على سبيل المثال، قد تضع مدونة غير رسمية رابطًا لفتوى فقهية تقليدية "بشكل طبيعي". بحيث يكون ثمة شعور بأنهما يؤلفان شكلاً جديداً من أشكال الحوار الإسلامى بينما يحددان أيضًا أن ثمة صلة بالخطاب والقضايا "غير الرقمية".

أبرز هذا الكتاب أن النموذج التقليدى للأمة إسلامية قد تغيّر، على أحد المستويات، على الإنترنت مع تطور برامج الشبكات الاجتماعية التى تؤدى إلى أشكال بديلة من الانتماءات والصداقات. وانفتح عدد كبير من المجتمعات على شبكات مسلمة جديدة وطوّرها. تتعلق هذه القضايا على وجه التحديد بأنواع الخدمات على الإنترنت التى جرى الترويج لها بشدة فى ظل ويب ٢,٠؛ لكنها فى الحقيقة تمثل جزءًا من نمط خدمات الإنترنت المتطور باستمرار. يتيح استخدام تلك الخدمات فى سياقات محددة النظر فيما إذا كانت أشكال التعبير الإسلامى تتطور فى حد ذاتها باستمرار، فيما تتجاور فى الوقت نفسه مع عناصر من القيم والاتجاهات الإسلامية التقليدية.

يمكن أن تدخل البيئات الإسلامية السيبرية إلى عوالم الميديا الأخرى مع حفاظها على تفردها وأساليبها فيما يتعلق بمصالح وسياقات أصحابها وكتابها وقرائها. ويمكن لهذه العوامل أن تتصل بنقطة مُلزِمة بدرجات متفاوتة. فهى تمثل العلاقة بين الفرد والفهم الدينى والثقافى والسياسى والاجتماعى، بالإضافة إلى شعور بالهوية يمكن رعايته ولمسه فى الفضاء السيبرى كما فى العالم غير الرقمى.

ليست تحسينات البرمجيات، والمفاهيم الجديدة فى توزيع المعلومات، والتوسع

فى الوصول الأفضل إلى الإنترنت سوى بضعة أبعاد تؤثر على البيئات الإسلامية السيبرية. ينبغى أن تقترن الديناميات الخارجية للمعدات العامة والابتكارات فى مجال البرمجيات بالديناميات الداخلية المتصلة بتطور البيئات الإسلامية السيبرية. للعديد من جوانب العقيدة الإسلامية الآن حضور على الإنترنت. وتبين الشبكات الجديدة التى تستند إلى ويب ٢,٠ أن البيئات الإسلامية السيبرية لا تزال تتطور، حيث يضطلع المسلمون الافتراضيون بدور إيجابى ونشط فى تقديم الإسلام للقرن الحادى والعشرين.


@Ahmedyassin90



صدر من هذه

السلسلة

١ ـ محمد (ص)

٢ ـ صدام الحضارات

٣ ـ عصر الجينات

٤ ـ القدس

٥ ـ العولمة والعولمة المضادة

٦ ـ التاريخ السرى للموساد

٧ ـ من يخاف استنساخ الإنسان؟

٨ ـ حريم محمد على

٩ ـ عولمة الفقر

١٠ ـ صور حية من إيران

١١ ـ البحث عن العدل

١٢ ـ لورانس: ملك العرب غير المتوج

١٣ ـ الصهيونية تلتهم العرب

١٤ ـ معارك فى سبيل الإله

١٥ ـ التطبيع ومقاومة الغزوة الصهيونية

١٦ ـ التسوية: أى أرض.. أى سلام

١٧ ـ المكنز الكبير

١٨ ـ الحق يخاطب القوة

١٩ ـ نساء فى مواجهة نساء

٢٠ ـ مؤامرة الغرب الكبرى

٢١ ـ روسيا.. إلى أين

٢٢- موسوعة الأم والطفل

٢٣- الخدعة الرهيبة

٢٤- نهاية الإنسان

٢٥- خدعة التكنولوچيا

٢٦- ٣٦٥ حتوتة وحتوتة

٢٧- بوش ضد العراق ... لماذا؟

٢٨- أين الخطأ ؟

٢٩- اللولب المزدوج

٣٠- رجال بيض أغبياء

٣١- سادة العالم الجدد

٣٢- الخطيئة الأولى لإسرائيل

٣٣- اللعب مع الصغار

٣٤- الإبادة السياسية

٣٥ - حكومة العالم السرية

٣٦ - ما بعد الإمبراطورية

٣٧ - بوش في بابل

٣٨ - المقاومة العراقية.. ومستقبل النظام الدولى

٣٩ – تزييف الوعى

٤٠– القانون فى خدمة من ؟

٤١ ـ كفى

٤٢ – معنى هذا كله

٤٣– حياة بلا روابط

٤٤ – ٣٦٥ حدوتة وحدوتة

٤٥– أنا والعولمة .. عالم بديل ممكن..

٤٦– جسدى سلاحاً

٤٧– ثالوث الشر

٤٨– الحضارة الإسلامية المسيحية

٤٩– أمـــريكا العظمى.. أحـــزان الإمبراطورية

٥٠– الطَّرِيقُ إلى السُّوبَرْمَان

٥١– مدربون على القتـــل

٥٢– معاداة السامية الجديدة

٥٣– إبادة العالم الثالث

٥٤– بيولوچيا الخوف

٥٥– لغز اسمه الألم

٥٦– تعليم بلا دموع

٥٧– أحمد مستجير

٥٨–العين بالعين

٥٩– شاڤيز

٦٠– قصص الأشباح

٦١– حزب الله

٦٢– الإنسان هو الحل

٦٣– السيارات المفخخة

٦٤– بلاكووتر

٦٥– حضارتهم وخلاصنا

٦٦– نحو الحرية.. نلسون منديلا

٦٧– العهد

٦٨– مزرعة الحيوانات

٦٩– أطفال الإنترنت

٧٠– لعبة الملايين

٧١– تجارة الجنس

٧٢– الأمريكى الساذج

٧٣– الأبرياء

٧٤– الشباب والجنس

٧٥ – التربية من عام إلي عشرين عام

٧٦– فلورانس وإداورد

٧٧- الجهاد في سبيل الحقيقة

٧٨- غاندي (٢)، رؤي، تأملات، اعترافات

٧٩- شرف البنت

٨٠- الزواج المحرم

٨١- أنبياء مزيفون

٨٢- إمبراطورية العار

٨٣- اختطاف أمريكا

٨٤- شريعة الجستابو

٨٥- رومانسية العلم

٨٦- اختفاء فلسطين

٨٧- من هم إسرائيل

٨٨- ثلاثون كتاب في كتاب

٨٩- اقتصاد الاحتيال البرىء

٩٠- الله.. لماذا؟

٩١- الأمراض المعدية

٩٢- الطريق إلي بئر سبع

٩٣- مجمع الشيطان

٩٤- فى ذكرى المقاومة

٩٥- خطايا تحرير المرأة

٩٦- دساتير من ورق؟

٩٧- صُناع الملوك

٩٨- صناعة الأكاذيب

٩٩- عندما تحكم الصين العالم

١٠١- الحركة العامة للاقتصاد المصرى فى نصف قرن

١٠٢ - رحلة السندباد

١٠٣- وجه أوباما الأبيض

١٠٤- تشى جيڤارا سيرة للنشء

١٠٥- أنا أقترض.. أنا موجود

١٠٦- قصة فيس بوك

١٠٧- غواية الرجال

١٠٨ - تأثير إيران ونفوذها فى المنطقة

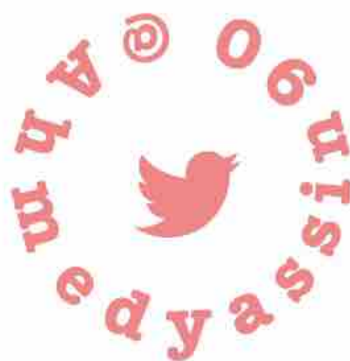
١٠٩ - المعرفة فى خدمة الهيمنة

١١٠-- البيتلز «سيرة للنشء ٣»

١١١- أسامة بن لادن «سيرة للنشء ٤»

١١٢- «كاليجولا» مسرحية من ٤ فصول

قائمة المحتويات


@Ahmedyassin90



يوضح كتاب «مسلمون افتراضيون» ما يحدث عندما يجتمع عنصران من العناصر التى تهيمن على تشكيل الحياة فى القرن الحادى والعشرين، وهما الإسلام والإنترنت. وسواء نجم عن اجتماع هذين العنصرين انفجار أو مجرد أمواجا لطيفة مترقرقة، يظل هذا أمراً مفتوحاً للنقاش.

تركت أنشطة «المسلمين الافتراضيين» أثرها على الأشكال النوعية لأنشطة الإنترنت وعملت بمثابة عالم مصغر يجسد القدرة المحتملة لتكنولوجيا المعلومات كوسيط يعمل على تحويل الشبكات والمجتمعات. أظهر الاستخدام المبتكر للمعدات والبرمجيات باسم الإسلام أن «المسلمين الافتراضيين» يتحدون الحواجز ويخلقون سوابق لنشاط مدعوم بالكمبيوتر. يولِد الوسيط أيضاً توقعات جديدة للاتصالات والشبكات باسم الإسلام تتجاوز تلك التى تَصورها «المسلمون الافتراضيون» (أو تُصُوِّرت من أجلهم) حتى فى بداية القرن الحادى والعشرين . جابهت هذة التوقعات، بالنسبة للبعض ، الصور النمطية المرتبطة بالاستخدام الإسلامى والمسلم للتكنولوجيا.

من الاثار غير الحميدة أن الإنترنت قاوم الحواجز التى تقف أمام تطور الوسائط اللوچستية الديناميكية للدعاية الجهادية.....

هنا لا يسعنى إلا التفكير فى توسع الإسلام وتشكل شبكاته بأسلوب متسارع فى القرن السابع الميلادى - منذ ظهوره فى شبه الجزيرة العربية فى ظل رعاية الرسول محمد (ص) الذى أتاه أمر الله «إقرأ!» فى ٦١٠م، وتوسعه عبر القارات حتى وصل إلى أوروبا الغربية والصين والهند وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى

(بين أماكن أخرى) بعد مائة عام، رددت تلك السابقة أصداء شبكات التجارة والمعرفة التقليدية فى العصور السابقة للإسلام، والتى أضيفت إليها العوامل الاجتماعية والعسكرية والسياسية، مع ازدياد الرسالة عمقاً من خلال التكرار والتأويل، وجاء التوسع المعاصر فى الخطاب الإسلامى من خلال الإنترنت متلازماً مع عوامل خارجية وإن لم يكن أقل إبهاراً ....

جارى آر.بانت

أستاذ الدراسات الإسلامية

كلية اللاهوت والدراسات الدينية

والدراسات الإسلامية

جامعة ويلز